فيرونيكا روث

VERONICA ROTH



أُحفر العلامة

CARVE THE MARK



رواية



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

أُحفر العلامة

CARVE THE MARK

رواية

فيرونيكا روث

VERONICA ROTH



ترجمة

هيلدا عساف

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

CARVE THE MARK

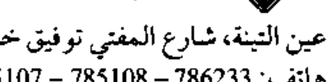
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر

Katherine Tegen Books is an imprint of HarperCollins Publishers

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير 2018 م - 1439 هـ

ردمك 978-614-01-2437-0



facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

أحفر العلامة

CARVE THE MARK

اللهم أنزل على قبرها الضياء والنور

والفسحة والسرور

اللهم اقبلها في عبادك الصالحين

واجعلها من ورثة جنة النعيم

ذكرى لـ نورسين



1

الفصل الأول أكوس

غالباً ما تُزهر أزهار الهشفلور عندما يكون الليل أطول. فالمدينة بأكملها كانت تحتفل في اليوم الذي تتفتح فيه البتلات لتُصبح بلون أحمر قانٍ -لأنّ أزهار الهشفلور كانت إلى حدّ ما شريان حياة أمّتهم، وكما اعتقد أكوس، فهي تحميهم نوعاً ما من الجنون بسبب البرد.

في تلك الأمسية، في يوم طقس التفتّح، تعرّق أكوس تحت معطفه بانتظار جهوزية بقية الأسرة. لذا، خرج إلى فناء المنزل كي يبرّد جسده قليلاً. فمنزل عائلة كيرسيث كان مبنياً بشكل دائري حول فرن، وكل الجدران الخارجية والداخلية منحنية؛ ربما لجلب الحظ.

عندما فتح الباب، لسع الهواء شديد البرودة عينيه، فوضع نظارته الواقية، لكنّ حرارة جلده جعلت الضباب يتكثف فوراً على زجاجها. أمسك محراك النار المعدني بيده المكسوّة بقفاز، وأقحمه تحت غطاء الفرن. بدت الأحجار النارية مثل كتل سوداء قبل أن يُضيئها الاحتكاك، ومن ثم لمعت شرارتها بألوان مختلفة، حسب نوع التراب الذي كانت فيه.

لقد احتكّت الأحجار النارية بعضها ببعض، وانبثق منها ضوء أحمر زاهٍ مثل الدم. لم تكن هذه الحجارة هنا لتُدفئ أي شيء، أو لتضيء أي شيء، بل كانت

تذكيراً بالتيار. وكأنّ الطنين الموجود في جسد أكوس لم يكن تذكيراً كافياً. فهذا التيار يتدفّق عبر كل شيء حي، وتجلى في السماء بشتى الألوان، وفي الأحجار النارية، وأضواء العوامات التي طارت بسرعة في السماء في طريقها إلى الطقس الديني في المدينة. لقد اعتقد سكان العالم الخارجي أنّ كوكبهم مليء بالثلج، بالرغم من أن أقدامهم لم تطأ سطحه على الإطلاق.

أخرج إيجيه، الأخ الأكبر لأكوس، رأسه وقال: «هل أنت مُتلهّف للتجمّد؟ أسرع، فأمي أوشكت أن تجهز».

دائماً كانت أمهم تستغرق وقتاً في تجهيز نفسها عندما يذهبون إلى المعبد. فهي الكاهنة، وكل الأنظار ستكون موجهة إليها.

ترك أكوس محراك النار ودخل المنزل، فنزع النظارة الواقية عن عينيه، وأنزل واقي وجهه إلى الأسفل نحو رقبته.

كان أبوه وأخته الكبرى سيسي يقفان بجانب الباب الأمامي، مرتديين معطفيهما. لقد كانت كل المعاطف مصنوعة من المادة نفسها؛ فراء كوتيا غير المصبوغ. لذا، كانت كلها بأحد اللونين الأبيض أو الرمادي، ومزودة بقبعة.

كانت أمه تُزرّر معطفها بإحكام عندما سألت: «هل الجميع جاهزون، أكوس؟ هذا جيد». ثم وقع نظرها على حذاء زوجها العالي الساق والقديم فعلّقت قائلة: «في مكانٍ ما في الخارج، يرتجف رماد أبيك كله بسبب شدة قذارة حذائك يا أوسيه».

أجاب الأب وهو يبتسم لزوجته بلطف: «أعلم ذلك. ولهذا أصررت على توسيخه».

قالت وكأنها تغرد في واقع الأمر: «هذا جيد، أنا أحبه هكذا».

«أنت تحبين أشياء لم يكن والدي يُحبّها».

«هذا لأنه لم يكن يحب شيئاً».

عندها، قال إيجيه بما يشبه الأنين: «هلّا ندخل العوّامة طالما أنها لا تزال دافئة. فأوري بانتظارنا بالقرب من النصب التذكاري».

انتهت الأم من تسوية معطفها، وارتدت واقي وجهها. فانزلق الجميع على طول الممشى الأمامي المُدفأ، بفرائهم ونظاراتهم وقفازاتهم. في النهاية كانت تنتظرهم عوامة تحوم على مستوى الركبة فوق الثلج. ففُتح الباب بلمسة من الأم وركبوا فيها. وكان على سيسي وإيجيه أن يجذبا أكوس إلى الداخل بذراعيهما لأنه كان صغيراً جداً ليستطيع الصعود بنفسه. ولم يلقِ أحداً بالاً لأحزمة الأمان.

صرخ الأب رافعاً قبضته في الهواء: «إلى المعبد!». فهذا ما يقوله دائماً عندما يذهبون إلى المعبد. وكأنه نوع من الهتاف المحمس خلال محاضرة مملة أو خلال الانتظار في طابور طويل في يوم التصويت.

ابتسمت الأم ابتسامة خافتة وقالت: «يا ليتنا نستطيع تعبئة حماستك في زجاجة وبيعها إلى كل شعب ثوفية. فمعظمهم أراهم مرة واحدة في السنة، وذلك فقط لأنّ هناك طعاماً وشراباً ينتظرانهم».

قال إيجيه: «إذاً هذا هو الحل المناسب، إغواؤهم بالطعام طوال المواسم».

فقالت الأم وهي تضغط على زر الانطلاق بإبهامها: «حكمة الأطفال».

ارتفعت العوامة بهم، واندفعت إلى الأمام، فتكوّم الجميع بعضهم فوق بعض. فدفع إيجيه أكوس بعيداً عنه وهو يضحك.

تلألأت أضواء هيسا أمامهم، كان المعبد في الأعلى وجميع الأبنية الأخرى في الوسط. المعبد الذي يقصدونه، عبارة عن بناء حجري كبير مع قبّة – مصنوعة من ألواح زجاجية ملونة – تتوسطه. وعندما تشعّ الشمس عليها، تلتمع قمة هيسا بلون أحمر برتقالي. وهذا يعني أنها تقريباً لا تتوهّج أبداً.

حطّت العوامة على التلة الحجرية فوق هيسا التي عمرها من عمر كوكبهم –ثوفية، كما يُسميه الجميع سوى أعدائهم، وهي كلمة غامضة جداً بالنسبة إلى سكان العالم الخارجي الذين يميلون إلى الاختناق عند لفظها. لقد كانت نصف البيوت الضيقة مدفونة تحت أكوام الثلج. وكان معظمها خالياً. فالجميع قصدوا المعبد الليلة.

سأل الأب زوجته بينما كان يوجّه العوامة بعيداً عن أحد مقاييس الرياح المنتصب عالياً والذي كان يغزل دوائر: «هل رأيتِ شيئاً مثيراً اليوم؟».

لقد عرف أكوس من نبرة صوت أبيه أنه يسأل زوجته إن رأت رؤيا اليوم. فكل كوكب في المجرّة فيه ثلاثة كهنة: أحدهم صاعد، والثاني جالس مثل أمه، وآخر هابط. لم يفهم أكوس تماماً ماذا يعني ذلك، عدا أنّ التيار يهمس بالمستقبل في أذنيّ أمه، ونصف الناس كانوا ينظرون إليها بإجلال.

أجابت الأم زوجها: «لقد رأيت شيئاً يخص أختك، ورغم ذلك أشك أنها تريد أن تعرفه».

«على العكس، فالأمر لا علاقة له برغبتها في معرفته أم لا، بل يتعلق بقناعتها بوجوب التعامل مع المستقبل بالاحترام المناسب لأهميته».

بعدها نظرت الأم نحو أكوس، وإيجيه وسيسي كلّ بدوره.

قبل أن تقول: «أظن أنّ هذا ما جنيته على نفسي عندما أصبحت جزءاً من عائلة عسكرية، فأنتم تريدون كل شيء منظماً، بما في ذلك هبتي التيارية».

فرد عليها زوجها قائلاً: «لاحظي أنني خالفتُ آمال عائلتي، واخترتُ أن أكون مزارعاً، وليس ضابطاً في الجيش، وأختي لا تقصد شيئاً بهذا، فهي تُصبح عصبية، وهذا كل ما في الأمر».

فتمتمت الأم وكأنها تقول إنّ الأمر ليس كذلك على الإطلاق.

بدأت سيسي بدندنة لحن كان أكوس قد سمعه من قبل، لكنه لم يعرف أين. لقد كانت أخته تنظر من النافذة، غير عابئة بالمشاحنات الحاصلة. وبعد لحظات، توقفت مشاحنات الزوجين، ولم يبقَ سوى صوت دندنتها. فسيسي تعرف كيف تتصرّف معها، كما يحبّ والدها أن يقول؛ براحة بال.

كان المعبد مُضاءً من الداخل والخارج، فقد علقت سلاسل من المصابيح ليست أكبر من قبضة أكوس على المدخل المُقوّس. وانتشرت العوامات الملفوفة بأضواء ملونة على سطوحها الخارجية في كل مكان، وركنت بشكل عنقودي عند سفح التلّة أو حلقت حول السطح المقبب بحثاً عن مكان تهبط فيه. لقد كانت

الأم تعرف كل الأماكن السرية حول المعبد، فوجّهت زوجها نحو أحد الأركان المُظلّلة بجانب قاعة الطعام، وقادت عائلتها عدواً نحو باب جانبي دفعته بكلتا يديها ليفتح.

ساروا عبر ممر حجري مظلم فوق بسُطٍ بإمكانك أن ترى من خلالها لشدّة اهترائها، ومروا بالنصب التذكاري المُنخفض والمُضاء بالشموع، لأهل ثوفية الذين ماتوا بسبب غزو الـشوتيت الذي حصل قبل ولادة أكوس.

بينما كان يعبر النصب التذكاري، مشى أكوس ببطء لينظر إلى الشموع الوامضة. فأمسك إيجيه بكتفيه من الخلف، ما جعله يشهق ويتلعثم. احمرّ خجلاً حالما أدرك من كان ذلك، فقرص إيجيه خدّه ضاحكاً وقال له: «أستطيع أن أعرف مدى احمرار خديك حتى في الظلام».

فردّ عليه أكوس: «أغلق فمك».

فوبخته أمه قائلةً: «إيجيه، لا تزعجه».

لقد كان عليها أن تقول ذلك طوال الوقت. فقد شعر أكوس دائماً أنّ عليه أن يحمرّ خجلاً من شيء ما.

«كانت مجرّد مزحة...».

شقوا طريقهم نحو وسط المعبد، حيث احتشد الناس خارج قاعة النبوءة. وكان الجميع يمشون الهوينا من دون أغطية أحذيتهم الخارجية، وينزعون معاطفهم، وينفشون شعورهم التي سطّحتها أغطية الرأس، وينفثون هواءً دافئاً على أصابعهم المُتجمّدة. جمعت عائلة كيرسيث معاطفها ونظاراتها وقفازاتها وأحذيتها الطويلة وأقنعة الوجه في تجويف مظلم، يقع مباشرةً تحت نافذة بنفسجية ذات خصائص ثوفية. وفي اللحظة التي عادوا فيها نحو قاعة النبوءة، سمع أكوس صوتاً مألوفاً.

«إيج!» كانت أوري ريدنيلز، صديقة إيجيه المفضلة تتقدّم بسرعة في الممر. وهي ذات مظهر أخرق وطويل، وكانت ركبتاها ومرفقاها العظميان ظاهرة وشعرها مبعثر. لم يسبق لأكوس أن رآها بفستان من قبل، لكنها الآن ترتدي

واحداً، مصنوعاً من قماش أحمر مائل إلى البنفسجي ومُزرّر حتى الكتفين مثل زي عسكري رسمي.

كانت براجم أصابع أوري حمراء من شدة البرد. فتوقفت أمام إيجيه وقالت: «ها أنت ذا، لقد استمعت وأنا أنتظرك إلى أحاديث صاخبة لاثنتين من عماتي عن المجلس وأنا على وشك الانفجار». لقد سبق لأكوس أن استمع للأحاديث الصاخبة لإحدى عمات أوري عن المجلس –الهيئة الحاكمة للمجرّة –وهي تُقيِم ثوفية فقط بإنتاجها من زهرة الجليد، وتُقلّل من اعتداءات الشوتيت، داعيةً إياها «خلافات مدنية». كانت أوري محقة، لكن لطالما شعر أكوس بالإحراج من أحاديث الراشدين الصاخبة ولم يكن يعرف ماذا يقول أبداً.

تابعت أوري كلامها فقالت دفعةً واحدة وبالكاد التقطت أنفاسها، «مرحباً، أوسيه، وسيفا، وسيسي، وأكوس. عيد إزهار جميل. هيا، لنذهب يا إيج».

نظر إيجيه إلى أبيه، الذي لوّح بيده ثم قال: «اذهب، الآن. سنراك لاحقاً».

فقالت الأم: «إذا أمسكنا بك والغليون في فمك، كما حصل السنة الماضية، سنجعلك تأكل ما بداخله».

قطّب إيجيه حاجبيه. فلم يكن هناك ما يحرجه، ولم يحمر خداه أبداً بخلاف أكوس. حتى عندما كان يُضايقه الأولاد في المدرسة بسبب صوته –الذي هو أعلى من كل أصوات الصبية –أو لأنه غني، وهذا شيء لا يجعل الشخص محبوباً في هيسا. لم تكن المضايقات تغضبه. فلديه هبة في منع الأشياء وجعلها تعود عندما يريد ذلك.

أمسك بأكوس من مرفقه وسحبه بعد أوري. فبقيت سيسي في الخلف، مع والديها كالعادة. اندفع إيجيه وأكوس للحاق بـأوري عبر الممر المؤدي إلى قاعة النبوءة.

فغرت أوري فاها من شدة ذهولها، وعندما نظر أكوس إلى داخل القاعة، كاد أن يُقلّدها. فشخص ما صفّ مئات المصابيح –وكل منها مرشوش بـزهرة هشفلور لجعلها حمراء اللون –من قمة القبّة إلى أسفل الجدران الخارجية، وفي

كل الاتجاهات، بحيث أصبح هناك سماء من الألوان فوقهم. حتى أنّ أسنان إيجيه توهجت باللون الأحمر عندما ابتسم لأكوس. في وسط القاعة التي تكون فارغة عادة، هناك لوح من الجليد عرضه بطول قامة رجل. ومنه نمت عشرات أزهار الهشفلور المتقاربة التي كانت على وشك التفتّح.

أحاط كثير من الحجارة النارية بحجم إبهام أكوس بلوح الجليد حيث كانت أزهار الهشفلور تنتظر التفتّح. وهي تتوهّج باللون الأبيض، ربما لكي يستطيع الجميع رؤية لون أزهار الهشفلور الحقيقي، الذي هو أكثر احمراراً من أي مصباح. وكما يقول بعضهم، إنه قانٍ بلون الدم.

تحرك أناس كثر مرتدين ملابسهم الأنيقة: وهي عباءات فضفاضة تغطي اليدين والرأس، مُثبّتة بأزرار زجاجية دقيقة بألوان متنوعة، وسترات تصل إلى مستوى الركبة مُغطاة بجلد إلت الطري، وأوشحة ملفوفة مرتين. وكلها بألوان زاهية؛ أي لون عدا الرمادي أو الأبيض، بتناقض مع ألوان معاطفهم. كانت سترة أكوس خضراء داكنة، وهي إحدى سترات إيجيه القديمة، وهي لا تزال فضفاضة عليه عند الكتفين، أما سترة إيجيه فكانت بنيّة.

انطلقت أوري مباشرةً نحو الطعام. وكانت عمتها سيئة الطباع هناك، تُقدم الأطباق للمارين لكنها لم تنظر إلى أوري. فشعر أكوس أنّ أوري لم تكن تحب عمتها ولا عمّها، وهذا يُفسّر لماذا كانت تقضي أوقاتاً طويلة في منزل عائلة كيرسيث، إلا أنه لم يعرف ما الذي حصل لأبويها.

وضع إيجيه قرص خبز في فمه، فكاد يختنق بلبّه.

فنبهه أكوس قائلاً: «انتبه، فالموت بسبب الخبز ليس طريقة جيدة».

ردّ إيجيه: «على الأقل سوف أموت وأنا أفعل شيئاً أحبه».

ضحك أكوس.

وضعت أوري مرفقها عند عنق إيجيه، وجذبت رأسه نحوها قائلةً: «لا تنظر الآن، هناك من يحدق إلينا من جهة اليسار».

قال إيجيه ناشراً فُتاة الخبز من فمه: «إذاً؟». لكنّ أكوس شعر مسبقاً بالحرارة

تقترب من عُنقه. فقد استرق نظرةً عن يسار إيجيه ورأى مجموعة من الراشدين يقفون هناك، يراقبونهم بصمت.

قال إيجيه له: «يجب أن تعتد على ذلك يا أكوس، ففي النهاية، هذا يحدث طوال الوقت».

أجابه أكوس: «أنت تظن أنهم سوف يعتادون علينا، فنحن عشنا هنا طوال حياتنا، ونملك مصائر كل حياتنا، فماذا هناك ليُحدّقوا إليه؟»

لقد كان لكل واحد مستقبل، لكن ليس لكل واحد مصير. على الأقل، هذا ما كانت أمهم تحب أن تقوله. فأعضاء محددون «مُفضَلون» من العائلات يمتلكون أقداراً فقط، يشهدها كاهن واحد في كل كوكب لحظة ولادتهم. كانت أمهم تقول، إنه عندما تأتي تلك اللحظات، فهي تستطيع إيقاظها من نوم عميق، لأنها قوية للغاية.

لكل من إيجيه وسيسي وأكوس قدر، لكنهم لا يعلمون ما هو، رغم أنّ أمهم كانت واحدة من الناس الذين رأوه. وكانت دائماً تقول إنها ليست بحاجة إلى إخبارهم به، فالحياة ستخبرهم به نيابة عنها.

يُفترض بالأقدار أن تُحدّد حركات الكائنات. وفي حال فكّر أكوس بذلك كثيراً سيصاب بالغثيان.

هزّت أوري كتفيها قائلةً: «تقول عمتي إن المجلس انتقد الكهنة بحسب الأخبار المنشورة مؤخراً، ولذلك ربما يشغل هذا الانتقاد بال الجميع».

سألها أكوس: «انتقدهم؟ لماذا؟».

قام إيجيه بتجاهلهما معاً قائلاً: «هيا بنا، دعونا نجد مكاناً مناسباً».

فابتهجت أوري وقالت: «نعم، دعونا نفعل ذلك. فأنا لا أريد أن أعاني وأنا أحدّق إلى مؤخرات الناس الآخرين مثل السنة الماضية».

علّق إيجيه: «أظن أنك تجاوزت ارتفاع المؤخرة هذه السنة، ربما ستحدقين إلى وسط الظهور».

فحرّكت أوري عينيها إلى الأعلى علامة على الانزعاج وقالت: «هذا جيد،

لأني بالتأكيد ارتديتُ فستان عمتي، هذا لكي أستطيع التحديق إلى مجموعة من الظهور».

هذه المرة، اندسّ أكوس بين الحشد في قاعة النبوءة أولاً، مُحاولاً تفادي كؤوس الشراب والإيماءات العدائية إلى أن وصل إلى المقدمة، بجانب لوح الجليد وأزهار الهشفلور التي على وشك التفتّح. كانوا في الوقت المحدد أيضاً. كانت أمهم تقف بجانب لوح الجليد، عارية القدمين، بالرغم من البرد القارس. فقد كانت تقول إنها تُصبح كاهنة بشكل أفضل عندما تكون أقرب إلى الأرض.

كان أكوس يضحك قبل لحظات مع إيجيه، لكن عندما هدأ الحشد، هدأ كل شيء فيه أيضاً.

مال إيجيه نحوه وهمس في أذنه: «هل تشعر بذلك؟ التيار يُدندن بجنون، وكأنّ صدري يهتز».

لم يلحظ أكوس ذلك، لكنّ إيجيه كان محقاً. لقد شعر حقاً بأن صدره يهتز، وكأنّ دمه يُغني. لكن قبل أن يستطيع الإجابة، بدأت أمه بالكلام. ليس بصوت عالٍ، فما من داعٍ لذلك، فالجميع يحفظون الكلمات عن ظهر قلب.

«التيار يتدفّق عبر كل كوكب في المجرة، ويمنحنا ضياءه كتذكير بقوته». وكأنهم في طابور، نظروا جميعاً إلى الأعلى، كان التيار المُتدفّق، وضوؤه ظاهرين في السماء من خلال زجاج القبة الأحمر. ففي هذا الوقت من السنة، تكون السماء دائماً حمراء قانية تقريباً، تماماً مثل أزهار الهشفلور، ومثل الزجاج نفسه. لقد كان الدفق التياري علامة مرئية على التيار الذي كان يتدفّق عبر كل فرد منهم، وعبر كل شيء حي. فهو يدور عبر المجرة، رابطاً كل الكواكب معاً مثل حبات خرز في خيط واحد.

واصلت سيفا كلامها: «يتدفق التيار عبر كل شيء فيه حياة، ويتيح له مجالاً ليزدهر. والتيار يتدفق عبر كل شخص يأخذ نفساً، ويبرز بشكل مختلف عبر كل عقل. إنه يتدفّق عبر كل زهرة تُزهر في الجليد».

تجمعوا بعضهم حول بعض، ليس أكوس وإيجيه وأوري فقط، بل كل

من في القاعة. وقفوا والمناكب متراصة، كي يستطيعوا رؤية ما يحدث لأزهار الهشفلور على لوح الجليد.

كرّرت سيفا قولها: «التيار يتدفق عبر كل زهرة تتبرعم في الجليد، ويمنحها القوة لتُزهر في الظلام الدامس. إنّ التيار يمنح الطاقة العظمى لزهرة الهشفلور، العلامة المُميزة لزمننا، وتفتّحنا الذي يمنح الموت والسلام».

عم الصمت لبرهة، ولم يبدُ ذلك غريباً، كما يجب أن يكون. فقد بدا الأمر وكأنهم جميعاً يغنون بطنين ودندنة، شاعرين بالقوة الغريبة التي تُشغّل عالمهم، تماماً مثل الاحتكاك بين الجزيئات الذي يُشغّل الأحجار النارية.

وعندئذٍ كان هناك حركة. تفتحت إحدى البتلات، وأصدرت إحدى السويقات صريراً. وسرت رعشة في مهد أزهار الهشفلور الصغير الذي ينمو. ولم ينبس أحد ببنت شفة.

لمرة واحدة استرق أكوس نظرةً إلى الزجاج الأحمر، والقبة المغطاة بالمصابيح، فلو نظر مرة أخرى كانت لتفوته لحظة تفتح كل الأزهار. تفتحت كل البتلات الحمراء دفعة واحدة، مُظهرةً قلوبها البراقة، وهي تنثني على سيقانها. لقد كان لوح الجليد زاخراً باللون.

شهق الجميع وهتفوا، وصفّق أكوس معهم إلى أن آلمته راحتاه. فصعد والده ليُمسك يد زوجته ويطبع قبلة عليها. فهي بالنسبة إلى الجميع عداه غير قابلة للمس: سيفا كيرسيث، الكاهنة، التي منحتها الهبة التيارية رؤية المستقبل. لكنّ زوجها كان يلمسها دائماً، ويضغط برأس إصبعه على غمازتها عندما تبتسم، ويُرجع خصلات شعرها المنفلتة إلى العقدة التي تربط بها شعرها، تاركاً بصمات من الطحين على كتفيها حين انتهائه من عجن الخبز.

لم يكن باستطاعة زوجها أن يرى المستقبل، لكنه كان يستطيع إصلاح بعض الأشياء بأصابعه، مثل الأطباق المنكسرة أو الشق في الشاشة الجدارية أو ياقة القميص البالية. وهو يجعلك تشعر في بعض الأحيان أنّ باستطاعته إعادة الناس إلى ما كانوا عليه، أيضاً، إذا ما ورطوا أنفسهم في المشاكل. ولذا عندما تقدم نحو

أكوس، وضمّه بين ذراعيه، لم يشعر أكوس بالإحراج.

صرخ والده رافعاً إياه فوق كتفه: «إنه ابني الأصغر! أووه، في الواقع ليس صغيراً جداً. فأنا لا أستطيع أن أفعل ذلك مرة أخرى».

فعلّق أكوس: «هذا ليس لأني كبير، بل لأنك عجوز».

فرد الأب على تعليق ابنه: «يا لهذه الكلمات! التي تصدر من ابني، أتساءل ما هي العقوبة التي يستحقها مثل هذا اللسان اللاذع؟».

«إياك...».

لكن الكلمة جاءت متأخرة، فوالده كان قد رماه إلى الأعلى وتركه يسقط قبل أن يمسك به من كاحليه. معلقاً بالمقلوب، فضغط قميصه وسترته على جسده، لكنه لم يستطع تجنب الضحك. فأنزله أوسيه على الأرض، ولم يتركه حتى تأكد أنه آمن.

خاطبه أبوه وهو يميل نحوه: «ليكن هذا درساً لك كي لا ترد بوقاحة».

أجابه أكوس وهو ينظر خلسةً وببراءة إليه: «هذه الوقاحة تسبّب اندفاع الدم كله نحو رأسك؟».

ابتسم أوسيه قائلاً: «بالضبط، عيد إزهار سعيد».

ردّ أكوس بابتسامة قائلاً: «لك أيضاً».

في تلك الليلة، سهر الجميع حتى وقت متأخر جداً، وغرق إيجيه وأوري في النوم وهما جالسان إلى طاولة المطبخ. فحملت الأم أوري إلى الأريكة في غرفة المعيشة، حيث أمضت أكثر من نصف لياليها في تلك الأيام، بدوره أيقظ الأب إيجيه. بعد ذلك، غادر الجميع بطريقة أو أخرى عدا أكوس وأمه. فقد كانا دائماً آخر من يبقى ساهراً.

شغّلت أمه الشاشة، فبدأت أخبار المجلس تظهر بصوت خافت غير واضح. فقد كان هناك تسع أمم في كواكب مختلفة في ذلك المجلس، كانت تلك الكواكب الأكبر والأكثر أهمية. ومن الناحية التقنية، كان كل بلد كوكبي مستقلاً، لكنّ المجلس نظّم التجارة، والسلاح، والمعاهدات، والسفر، وطبّق القوانين في

ذلك الفضاء غير المُنتظم. تناولت الأخبار مشاكل الكواكب واحداً إثر آخر: نقص المياه في كوكب تيبيس، وابتكار طبي جديد في كوكب أوثير، وصعود القراصنة على إحدى السفن في مدار كوكب بيثا.

كانت أمه تفتح عبوات أعشاب جافة. في البداية، اعتقد أكوس أنها تود إعداد تونيك مُهدِّئ، ليساعدهما على الاسترخاء، لكنها ذهبت فيما بعد إلى خزانة الصالة لتجلب جرّة أزهار الهشفلور، المخزّنة عند الرّف الأعلى.

قالت سيفا: «اعتقدت أننا سنجعل من درس اليوم، درساً خاصاً». كان يفكر بها بتلك الطريقة –باسمها التي تُدعى به، وليس كـأم –عندما كانت تعلمه بشأن الأزهار الجليدية. اعتادت قبل سنتين أن تسمي جلسات التخمير في آخر الليل دروساً كدعابة، لكنها الآن بدت جادة بالنسبة إلى أكوس. لقد صعب عليه قول ذلك، مع أم مثل أمه.

قالت له وهي تضع زوجاً من القفازات: «أخرج لوحاً خاصاً بالتقطيع واقطع لي بعض جذور الهارفا، فقد استخدمنا أزهار الهشفلور من قبل، أليس كذلك؟».

أجابها أكوس: «في إكسير النوم»، وفعل ما أمرته به، واقفاً إلى يسارها مع لوح التقطيع وسكّين وجذر هارفا وسخ ومُغبر. كان الجذر شديد البياض ومُغطى بطبقة ناعمة من الزغب.

أضافت قائلةً: «أعتقد أني أخبرتك أن هذا سيكون مفيداً في يوم ما. عندما تكون أكبر».

قال أكوس: «نعم لقد أخبرْتني، وأنت قلتِ (عندما تكون أكبر) في ذلك الوقت، أيضاً».

لوت شفتيها. لقد كان هذا أفضل ما يستطيع أكوس الحصول عليه من أمه.

قالت بجدية: «استخدم المكونات السابقة نفسها من أجل التسلية، ولكنك إن ضاعفت كمية الهاشفلور وأضفتها إلى نصف كمية جذور الهارفا ستحصل على سم زعاف هل تفهم؟».

ما إن بدأ أكوس بسؤالها: «لماذا...» حتى غيّرت الموضوع.

سألته وهي تضع بتلة من زهرة الهشفلور على لوح التقطيع الخاص بها. كانت حمراء اللون، وإنما ذابلة، بطول إبهامها تقريباً: «إذاً، ما الذي يشغل ذهنك الليلة؟».

أجابها أكوس: «لا شيء، ربما لأنّ الناس كانوا يحدقون إلينا في عيد الإزهار».

تنهدت وقالت: «إنهم مُهتمون جداً بالمُفضّل قدرياً. وأنا أحبّ أن أقول لك إنهم سيتوقفون عن التحديق يوماً ما، لكنني أخشى أنك أنت بالذات... سوف تكون دائماً موضع تحديق».

أراد أن يسألها عن عبارة أنت بالذات التي شددت عليها، لكنه كان دائماً حذراً في التكلم مع أمه أثناء دروسها. فإذا سألها سؤالاً خاطئاً، تُنهي الدرس فجأةً. ولكن إن سألها السؤال الصحيح، فبإمكانه أن يكتشف أشياءَ ما كان من المفروض أن يعرفها.

سألها: «وماذا عنك؟ أقصد، ما الذي يُبقي ذهنكِ مشغولاً الليلة؟».

كانت أمه تقطع بلطف والسكين تنقر تك تك على لوح التقطيع. كان يتحسّن، بالرغم من أنه لا يزال يقطع قطعاً كبيرة نسبياً من دون قصد: «آه، لقد ابتُليت اليوم بأفكار حول عائلة نوفاك».

كانت قدماها عاريتين، وأصابع كل قدم متجمعة. لقد كانت قدما كاهنة.

تابعت قائلة: «إنهم العائلة الحاكمة للـشوتيت، أرض الأعداء».

لقد كان الـشوتيت قوماً، وليسوا أمةً في كوكب، وكانوا معروفين بالشراسة والوحشية. وكانوا يشمون خطوطاً على أذرعهم لكل حياة ينتزعونها، حتى أنهم درّبوا أطفالهم على فن الحرب. وعاشوا على ثوفية، الكوكب ذاته، مثل أكوس وعائلته – رغم أنّ الـشوتيت لا يسمون هذا الكوكب «ثوفية»، أو يسمون أنفسهم «ثوفيين» – عبر امتداد كبير من الأعشاب الريشية. وهي نفس الأعشاب الريشية التي تحف بنوافذ منزل عائلة أكوس.

ماتت جدته –أم أبيه – في إحدى غزوات الشوتيت، وكانت مُسلّحة بسكين

فقط، أو هذا ما قاله أبوه. ولا تزال مدينة هيسا تحمل ندبات من عنف الشوتيت، فأسماء المفقودين حُفرت على جدران حجرية منخفضة، والنوافذ المُحطمة رُممت ولم تُستبدل، وبذلك لايزال بإمكانك رؤية الشقوق.

أحياناً، في الجانب الآخر من العشب الريشي بالذات، تشعر وكأنهم قريبون بما يكفي للمسهم.

مضت سيفا في كلامها قائلةً: «هل كنت تعلم أنّ عائلة نوفاك مُفضلة قدرياً؟ تماماً مثلك ومثل أشقائك، فالكهنة لا يرون الأقدار دائماً في عائلة أخرى، ولكن هذا حدث معي. وعندما حدث، علمت بمنح عائلة نوفاك نفوذاً على حكومة الشوتيت، ليُمسكوا بالسلطة، التي كانت بين أيديهم منذ ذلك الوقت».

«لم أكن أعلم بإمكانية حدوث ذلك. أقصد أن تحصل عائلة جديدة فجأةً على أقدار».

قالت أمه: «حسناً، الموهوبون منّا، الذين بإمكانهم رؤية المستقبل لا يتحكمون بمن يحصل على القدر، فنحن نرى مئات الاحتمالات لأحداث مستقبلية. لكنّ القدر يحدث لشخص مُحدّد في كل نُسخة مُعينة من المستقبل الذي نراه، وهذا نادر جداً. وتلك الأقدار تُحدّد من هي العائلات المُفضلة قدرياً - وليس العكس».

لم يسبق أن فكر بالأمر بهذه الطريقة. فالناس كانوا يتكلمون عن الكهنة بأنهم يوزعون الأقدار كهدايا لأناس مهمين ومُميزين، لكن ما سمعه من أمه يعكس ذلك؛ فالأقدار هي التي جعلت عائلات مُعينة مُهمّة.

«إذاً أنتِ لم تري أقدارهم. أي أقدار عائلة نوفاك».

أومأت وقالت: «الابن والابنة فقط. رايزك وسايرا. الابن أكبر منك، والابنة بعمرك».

كان قد سمع باسميهما من قبل، إلى جانب بعض الشائعات السخيفة، من قبيل أنهما يخرجان الزبد من فيهما، أو أنهما يحتفظان بمُقل أعدائهم في جرّات، أو بعلامات تدلّ على القتل تمتد من المعصم وحتى الكتف. وربما هذه لا تبدو سخيفة جداً.

قالت الأم بلطف: «من السهل أن ترى في بعض الأحيان لماذا أصبح الناس على ما هم عليه، فرايزك وسايرا هما ابنا أحد الطغاة. أبوهما لازمِت، هو ابن امرأة قتلت إخوتها وأخواتها، فعدوى العنف تنتقل بالعدوى عبر الأجيال». هزت رأسها، وتمايل جسدها معه إلى الأمام والخلف، «وأنا أراه، أراه كله».

اختطف أكوس يدها وأمسك بها.

فقالت: «أنا آسفة يا أكوس». وهو لم يكن واثقاً إذا كانت تقول آسفة لأنها تكلمت كثيراً، أو بسبب شيء آخر، لكنّ ذلك لم يكن ذا أهمية حقاً.

وقفا حيث هما لبعض الوقت، يستمعان إلى تمتمة عناوين الأخبار، وبدا الليل أحلك ظلمة من قبل بطريقة أو بأخرى.

الفصل الثاني | أكوس

قال أوسنو وهو ينفخ صدره: «حدث في منتصف الليل، كان لديّ خدش في ركبتي، وبدأ يحرقني. وفي الوقت الذي رفعت فيه البطانيات، كان الخدش قد شفي».

كان لقاعة الصف الدراسي جدار منحنٍ وجداران مستقيمان. وهناك فرن ضخم مُدعّم بحجارة نارية في المركز، وكانت المعلمة تدور دائماً حوله وهي تشرح الدروس وحذاؤها طويل الساق يحزّ على الأرض. وفي بعض الأحيان، كان أكوس يحصي عدد الدورات التي أنجزتها خلال حصة واحدة، ولم يكن العدد قليلاً.

وضعت الكراسي حول الفرن، وثبتت أمامها شاشات منحنية بدت كسطح طاولة، وكانت الدروس تظهر عليها، وحتى ذلك الحين لم تكن المعلمة قد حضرت اليوم.

قالت زميلة أخرى واسمها ريها: «أرنا إذاً». وكانت ريها تضع دائماً أوشحة عليها خرائط كوكب ثوفية، لقد كانت فتاة وطنية، ولم تكن تثق بأحد في عالمهم، وعندما كان أي منهم يدّعي شيئاً، كانت تغضّن أنفها المنمش إلى أن يثبت المدعي صحة ما ادعى.

غرس أوسنو سكين جيب صغيرة بإبهامه. فاندفع الدم من الجرح، فاستطاع الجميع بمن فيهم أكوس الجالس في الجهة الأخرى من الغرفة رؤية الجلد يلتحم مجدداً كما لو أنه سحاب بنطال يُغلق.

يحصل الجميع على هبة تيارية عندما يُصبحون أكبر عمراً، بعد تغيّر أجسادهم – وبما أن أكوس كان في الموسم الرابع عشر من عمره –وهذا يعني أنه لا يزال صغيراً– فلن يحصل على هذه الهبة قبل وقت طويل. وكانت هذه الهبة في بعض الأحيان تنتشر إلى سائر أفراد العائلة وتكون مفيدة بينما لا تكون كذلك في أحيان أخرى؛ لكن هبة أوسنو كانت مفيدة.

علّقت ريها قائلة: «هذا مذهل، لا أستطيع أن أصبر حتى تأتي هبتي. هل لديك فكرة ماذا ستكون؟».

كان أوسنو الفتى الأطول في الصف، وكان يقف إلى جانب من يتكلم معه وهكذا يمكن معرفة مع من يتكلم، وآخر مرة تكلم فيها مع أكوس كانت في الموسم الماضي. وقتها قالت أم أوسنو وهي تُغادر متحدثة عن أكوس: «بالنسبة إلى ابن مفضّل قدرياً، لا يبدو بهذه الأهمية، أليس كذلك؟».

قال أوسنو: «أكوس لطيف بما يكفي».

لكنّ أكوس لم يكن لطيفاً، وهذا بالضبط ما كان الناس يقولونه عن الأشخاص الهادئين.

وضع أوسنو يده فوق مسند كرسيه، وأبعد شعره الداكن عن عينيه قائلاً: «يقول أبي كلما عرفت نفسك بشكل أفضل، ستكون أقل اندهاشاً بهبتك».

هزّت ريها رأسها موافقةً، فتحركت ضفيرتها جيئةً وذهاباً خلف ظهرها. لقد راهن أكوس أنّ ريها وأوسنو سوف يتواعدان بحلول نهاية الموسم.

عندئذٍ أومضت الشاشة المُثبتة بجانب الباب وانطفأت. كما باقي الأضواء في الصف، وتلك التي كانت متوهجة تحت الباب، وفي الممر أيضاً. تجمّد كل ما كانت ريها على وشك قوله على شفتيها. سمع أكوس صوتاً عالياً قادماً من القاعة والصرير الذي صدر من كرسيه عندما حركها بسرعة للخلف.

همس أوسنو مُحذِّراً: «كيرسيث...!». لكنّ أكوس لم يكن واثقاً ما المخيف الذي رآه أوسنو عندما استرق النظر إلى الممر.

فتح الباب بما يكفي للسماح لجسده بالمرور، ومال نحو الممر الضيّق في الخارج. كان المبنى دائرياً، شأنه شأن معظم مباني هيسا، وكانت مكاتب المعلمين في المركز، والصفوف في المحيط، وهناك ممر يفصل بين الاثنين. عندما أُطفئت الأضواء، أصبح الظلام دامساً في الصف، وكان باستطاعته أن يرى فقط من خلال أضواء الطوارئ التي تتوهّج باللون البرتقالي أعلى كل مدخل درج.

«ما الذي يحدث؟». لقد ميّز الصوت؛ إنه صوت أوري. فقد انتقلت إلى داخل مسبح الأضواء البرتقالية بجانب بيت الدرج الشرقي. وبجانبها تقف عمتها بِدها، التي بدت شعثاء الشعر كما لم يرها من قبل، وأجزاء من شعرها تتدلى على وجهها هاربةً من ربطة شعرها، كما أنّ أزرار سترتها كانت مُزرّرة بشكل خاطئ.

قالت بدها: «أنتِ في خطر، لقد آن الوقت كي نفعل ما تدربّنا عليه».

احتجت أوري، «لماذا؟ تأتين وتخرجيني من الصف، أنت تريدينني أن أترك كل شيء، وكل الناس...».

«جميع المفضلين قدرياً، في خطر، هل تفهمين ذلك؟ وأنت مكشوفة. ويجب عليك الذهاب».

«وماذا بشأن آل كيرسيث؟ أليسوا في خطر أيضاً؟»

أمسكت بِدها بمرفق أوري وقادتها نحو بيت الدرج الشرقي قائلةً: «ليسوا في خطر مثلك». كان وجه أوري مُظلّلاً فلم يستطع أكوس رؤية تعابير وجهها. لكن قبل أن تختفي خلف الزاوية، التفتت وشعرها مُنسدل على وجهها وسترتها مُتدليّة فوق كتفها فاستطاع أن يرى ترقوتها.

كان واثقاً تماماً من أنّ عينيها لاقتا عينيه حينها، جاحظتين ومخيفتين. لكن كان من الصعب الكلام. وعندها صاح أحدهم باسم أكوس.

كانت سيسي تُسرع خارجةً من أحد مكاتب المركز. وهي ترتدي فستانها الرمادي السميك وتنتعل حذاءها الأسود طويل الساق وفمها مشدود.

قالت: «تعال، لقد تم استدعاؤنا إلى مكتب المدير. وأبي قادم الآن، باستطاعتنا انتظاره هناك».

«ماذا...» ابتدأ أكوس بالكلام، لكن كالعادة، كان يتكلم بنعومة ليستطيع معظم الناس الانتباه.

«تعالَ»، اندفعت سيسي عبر الباب الذي أغلقته لتوها. كان أكوس يفكر بشيء آخر. فـأوري مُفضّلة قدرياً. وكل الأضواء مُطفأة. ووالده قادم ليأخذهم. إذاً أوري في خطر وهو كذلك.

مشت سيسي في الممر نحو المدخل المظلم ثم، كان هناك باب مفتوح، ومصباح مضاء، فالتفت إيجيه نحوهما.

جلس المدير قبالته. ولم يكن أكوس يعرف اسمه، فهم يسمونه المدير، ولم يسبق له مقابلته إلا عندما يعلن عن شيء ما أو يصادفه في طريقه بينما يتوجه من مكان إلى آخر. ولم يكن أكوس يعيره أي اهتمام.

سأل أكوس: «ما الذي يحدث؟».

أجابه إيجيه وعيناه تنظران إلى المدير: «ما من أحد يعرف كما يبدو».

قال المدير: «سياسة هذه المدرسة ترك هذا النوع من الحالات لتقدير الأهالي». لقد كان الأولاد في بعض الأحيان يمزحون بأنّ للمدير أجزاء آلية بدلاً من اللحم، وأنك إذا جرحته فستندفع أسلاكه إلى الخارج. وأياً يكن الأمر، كان يتكلّم مثل رجل آلي.

قال له إيجيه بطريقة أمه: «وأنت لا تستطيع أن تقول ما هو نوع هذه الحالة؟».

فتساءل أكوس في قرارة نفسه، أيا يكن الأمر أين أمي؟ كان والدهم قادماً من أجلهم، لكنّ أحداً لم يذكر أي شيء عن أمهم.

نادت سيسي: «إيجيه»، فنبّه صوتها الهامس أكوس أيضاً. وكأنها همست بطنين التيار في داخله، مُحرّكةً إياه بما يكفي. استمرّت التعويذة لفترة من الزمن، كان المدير وإيجيه وسيسي وأكوس هادئين وهم في حالة انتظار.

أخيراً قال إيجيه: «بدأ الجو يبرد»، وكان هناك تيار هوائي يمر من تحت الباب، وهذا ما أدى لتجمد كاحلي أكوس.

قال المدير: «أعلم ذلك، فقد توجّب عليّ أن أقطع الطاقة، وستبقى مقطوعة إلى أن تغادروا آمنين في طريقكم عندها سأُعيد تشغيلها».

سألت سيسي بلطف: «لقد قطعت الطاقة من أجلنا؟ لماذا؟» وبالطريقة المتملقة عينها التي تستخدمها عندما تريد أن تبقى ساهرة إلى وقت مُتأخر أو تأخذ قطعة حلوى إضافية بعد الطعام. ذلك لم يكن يؤتي أُكُله مع والديها، لكنّ المدير ذاب مثل الشمعة. توقع أكوس بشكل جزئي، وجود بركة من الشمع مُنتشرة تحت مكتبه.

أجابها المدير بلطف: «الطريقة الوحيدة لإطفاء الشاشات أثناء الإنذارات الطارئة من المجلس، هي بقطع الطاقة».

فقالت سيسي وهي لا تزال تتملّق: «إذاً كان هناك إنذار طارئ».

«نعم، أطلقه زعيم المجلس هذا الصباح».

تبادل إيجيه وأكوس النظرات. بينما ابتسمت سيسي بهدوء ويداها مرتاحتان على ركبتيها. في هذا الضوء، وبشعرها المُجعّد المُتناسق مع وجهها، كانت ابنة أوسيه، لا أكثر ولا أقل. فوالدهم يستطيع الحصول على ما يريد أيضاً، فبالابتسامات والضحكات، تُهدئ الناس، والقلوب والأوضاع دائماً.

كان هناك قبضة ثقيلة تطرق على باب المدير، مانعةً رجل الشمع من الذوبان أكثر. فعرف أكوس أنه والده لأنّ مطرقة الباب سقطت عند الضربة الأخيرة، وتشقّقت الصفيحة المعدنية التي تثبّتها في الباب من منتصفها. لم يكن بوسعه السيطرة على أعصابه، كما أنّ هبة التيار الخاصة به جعلت ذلك واضحاً تماماً. فلطالما كان والدهم يصلح الأشياء، لكن نصف ما أصلحه كان هو من كسره.

قال بغموض وهو يدخل الغرفة: «آسف». أعاد مطرقة الباب إلى مكانها وتتبّع أثر الشق بطرف إصبعه. فالتحمت الصفيحة وإن لم تعد ملساء كسابق عهدها إلا أنها أصبحت وكأنها جديدة. لطالما أكدت أمهم أنه لم يكن دائماً

يُصلح الأشياء بشكل جيد، وخير دليل على قولها أطباق العشاء غير المتساوية ومقابض الكؤوس الخشنة.

ابتدأ المدير قائلاً: «سيد كيرسيث».

فرد والدهم من دون أن تفتر ابتسامة على شفتيه، «شكراً أيها المدير، لتفاعلك السريع». كانت سمات الجدّية على وجهه هي ما أخافت أكوس أكثر من الممرات المظلمة أو عمة أوري التي تصرخ أو فم سيسي المزموم. فوالدهم كان دائم الابتسام، حتى عندما لا يكون الظرف مؤاتياً. وهذا ما كانت تسميه أمهم بأفضل دروعه. قال أوسيه بفتور: «دعونا نعد إلى المنزل يا صغاري».

وقفوا وساروا باتجاه مدخل المدرسة حالما ذكر المنزل. وذهبوا مباشرةً نحو خزائن المعاطف ليبحثوا عن كرات الفرو التي أسماؤهم مخاطة على ياقاتها: كيرسيث، كيرسيث، كيرسيث. لقد احتار أكوس وسيسي بمعطفيهما قليلاً وتوجّب عليهما التبادل، فذراعا أكوس أقصر بعض الشيء من ذراعيها.

كانت العوامة في الخارج، والباب مفتوحاً على مصراعيه. وهي أكبر بقليل من معظم العوامات، وكانت بقع الأوساخ تغطي أجزاءها المعدنية الخارجية. لم تكن نشرة الأخبار التي تُعرض في العادة على شكل سلسلة من الكلمات داخل العوامة بوضعية التشغيل. وكذلك الأمر بالنسبة إلى شاشة الملاحة فهي مغلقة. وكان أوسيه يضغط على الأزرار ويحرك الروافع ويلمس أجهزة التحكم، ولم يكونوا على بينة بما يقوم به لأن الشاشات كانت مغلقة. لم يضعوا أحزمة الأمان، فقد شعر أكوس أنه من الغباء إضاعة الوقت.

بدأ إيجيه بالكلام: «أبي».

عندها قال أوسيه: «لقد تعهّد المجلس بإعلان أقدار السلالات المُفضّلة هذا الصباح، فالكهنة تشاركوا الأقدار بشكل سري مع المجلس منذ سنة، كعلامة على الثقة. في العادة لا يُعلن قدر الناس إلا بعد موتهم، الذي لا يعلم به وهم أحياء إلا هم وعائلاتهم فقط، لكن الآن...» كانت عيناه تلتقيان نظرة خاطفة على كل واحد منهم بدوره، «سيعلم الجميع أقداركم».

سأل أكوس بهمس: «ما هي أقدارنا؟». في الوقت الذي سألته فيه سيسي: «لماذا هذا خطير؟».

أجابها أبوها قائلاً: «ليس الأمر خطيراً بالنسبة إلى كل من لديه قدر، لكنه خطير بالنسبة إلى البعض».

كان أكوس يُفكّر بعمة أوري التي تسحبها من مرفقها نحو بيت الدرج وهي تقول: أنت مكشوفة. يجب أن تذهبي.

لدى أوري قدر خطير. لكن بحسب ما يتذكر أكوس، ليس هناك ذكر لعائلة «ريدنيلز» في قائمة سلالات المُفضّلين. لابدّ وأنه ليس اسمها الحقيقي.

سأله إيجيه: «ما هي أقدارنا؟». حسده أكوس على صوته المرتفع الواضح. في بعض الأحيان عندما كانا يسهران أكثر من الوقت المُفترض، يحاول إيجيه الهمس، لكن ينتهي الأمر دائماً بوجود أحد والديهما على باب غرفتهما ليطلب منهما السكوت سريعاً. وبالتالي لم يكن يستطيع الاحتفاظ بالأسرار بخلاف أكوس، ولهذا لم يُخبر أكوس الآخرين عن أوري بعد.

طارت العوامة بسرعة فوق حقول الأزهار الجليدية التي كان الأب يُديرها. فهي تمتد لأميال في كل الاتجاهات، مُقسّمة بأسيجة من الأسلاك المُنخفضة: أزهار الغيرة الصفراء، وأزهار الطهارة البيضاء، ودوالي الهارفا، وأوراق سندس البنية، وأزهار الهشفلور المحمية بقفص من الأسلاك مع تيار يمرّ عبرها. فقبل أن يضعوا القفص السلكي، اعتاد الناس أن يُنهوا حياتهم بالركض مباشرةً نحو حقول أزهار الهشفلور والموت هناك بين البتلات المُتوهجَة، فالسم المنبعث منها يجعلهم يموتون بعد أن يستنشقوا عدة أنفاس. لم يبدُ الموت بهذه الطريقة سيئاً لأكوس. فهي انتقال من حالة اليقظة إلى النوم والأزهار تحيط بك والسماء البيضاء من فوقك.

قال الأب وهو يحاول أن يبدو مبتهجاً: «سأخبرك عندما نصبح سالمين ومُعافين».

سأل أكوس: «أين أمي؟» وهذه المرة سمعه أوسيه.

«إنها...» ضغط أوسيه على أسنانه، وفُتح شق ضخم في المقعد من تحته، مثل سطح رغيف الخبز الذي يتفسخ في الفرن. فأطلق شتيمة، ومرّر يده فوقه ليُصلحه. نظر أكوس إليه وهو خائف، متسائلاً عن سبب غضبه.

«لا أدري أين هي، أنا واثق أنها بخير».

قال أكوس: «ألم تنبّهك إلى الأمر؟».

همست سيسي: «ربما لم تكن تعلم».

لكنهم جميعاً يعلمون كم كان جوابها خاطئاً. فسيفا دائماً تعلم، دائماً.

قال أوسيه وهو أهدأ قليلاً: «كل ما تقدم عليه أمك له سبب، ونحن لا نستطيع معرفته في بعض الأحيان، ولكن يجب علينا الوثوق بها حتى عندما يكون ذلك صعباً».

لم يكن أكوس واثقاً من أنّ أباه يعتقد بذلك. وكأنه يقول ذلك ليُذكّر نفسه فقط.

هبط أوسيه بالعوامة فوق المرج الأخضر الأمامي، ساحقاً سنابل وسويقات العشب الريشي. لقد امتدّ العشب الريشي خلف منزلهم بقدر ما أتاحت عينا أكوس الرؤية. هناك أشياء غريبة تحصل للناس أحياناً بين الأعشاب. فهم يسمعون همسات، أو يرون أشكالاً قاتمة بين السويقات، وهم يتقدمون بصعوبة خلال الثلج، بعيداً عن الطريق، فتبتلعهم الأرض. وبين الحين والآخر كانوا يسمعون قصصاً حول ذلك، أو يكتشف أحدهم هيكلاً عظمياً كاملاً. إنّ العيش بشكل قريب من العشب الطويل كما عاش أكوس، جعله يعتاد على تجاهل الوجوه التي تندفع نحوه بقوة من كل الاتجاهات، وهي تهمس باسمه. وفي بعض الأحيان كانت واضحة بما يكفي ليتم تحديدها: أجداد موتى، أمه أو أبوه ولكنهما يبدوان جثتين، وأولاد كانوا سيئين معه في المدرسة يراهم يجلدون بالسياط.

لكن عندما خرج أكوس من العوامة، ومدّ يده ليلمس السنابل التي فوقه، أدرك على الفور أنه لم يكن يرى أو يسمع أي شيء. بعد ذلك. توقف وأخذ يفتش بين الأعشاب عن علامة للهلوسة في أي مكان. لكن لم يكن هناك أي منها.

همس إيجيه: «أكوس!»

غريب.

لحق بـإيجيه إلى الباب الأمامي، ففتحه أوسيه، وتكوّموا جميعاً في الردهة ليخلعوا معاطفهم. وما إنّ تنفّس الهواء الداخلي، حتى أدرك أنّ هناك شيئاً ما غريباً. فمن المعتاد أن تعبق في منزلهم رائحة التوابل الحارة، مثل رائحة خبز الفطور الذي يحب والدهم إعداده في الشهور الأكثر برودة، لكنّ الرائحة الآن تبدو مثل زيوت الآلات والعرق. شعر أكوس بشيء بداخله يعتصره.

قال: «أبي»، عندما كان أوسيه يلمس أحد أزرار الإضاءة.

صرخ إيجيه، واختنقت سيسي، ووقف أكوس بلا حراك.

كان هناك ثلاثة رجال يقفون في غرفة معيشتهم. أحدهم طويل ونحيل، وآخر أكثر طولاً وعريضاً، والثالث، قصير وسمين. وثلاثتهم يرتدون دروعاً تلمع في ضوء الأحجار النارية الصفراء بشكل داكن إلى درجة بدا لونها أسود، إلا أنها كانت في الحقيقة قاتمة، زرقاء قاتمة. كانوا يحملون سكاكين تيارية، والمعدن مشبوك في قبضاتهم وحلقات التيار الحلزونية السوداء ملفوفة حول أيديهم، تشدّ الأسلحة إليها. لقد رأى أكوس سكاكين مثلها من قبل، لكن فقط في أيدي الجنود الذي يجرون دوريات في هيسا. فهم لم يكونوا بحاجة إلى سكاكين تيارية في منزل كمنزلهم يسكنه مزارع وكاهنة.

لقد أدرك أكوس ماهية الوضع دون أن يعرفه بشكل حقيقي: إنهم رجال من الشوتيت. أعداء ثوفية، أعداؤهم. وأمثالهم كانوا مسؤولين عن كل شمعة أُضيئت عند النُصب التذكاري لغزو الشوتيت، فقد أحدثوا شقوقاً في أبنية هيسا وحطّموا زجاجها بحيث أصبحت تُري خيالات ممزقة، كما قتلوا الأشجع والأقوى والأشرس، وتركوا عائلاتهم يبكونهم. وكانت جدة أكوس إحدى ضحاياهم، على حد زعم والدهم.

سألهم أوسيه بتوتر: «ما الذي تفعلونه هنا؟» بدت غرفة المعيشة وكأنها لم تُلمس، فالوسائد لاتزال مرتبة حول الطاولة، وبطانية الفراء مجعدة حيث تركتها

سيسي عندما كانت تقرأ بجانب النار التي كانت جذوتها لاتزال متوهجة، وكان الهواء بارداً. وقف والدهم أمامهم وحجبهم بجسده.

سأل أحد الرجال الآخرين: «ما من امرأة بينهم، أتساءل أين هي؟».

فأجاب أحد الآخرين: «ليس من السهل الإمساك بكاهنة».

خاطبهم أوسيه بصرامة أكثر هذه المرة: «أعرف أنكم تتكلمون لغتنا، فتوقفوا عن البربرة وكأنكم لا تفهمون ما أقول».

قطّب أكوس حاجبيه، ألم يسمعهم والدهم وهم يتحدثون عن زوجته؟

قال أطولهم: «تبدو لهجة هذا الشخص آمرة حقاً». ولاحظ أكوس أنّ عينيه ذهبيتان، مثل المعدن المصهور.

«ما اسمه؟».

أجابه أقصرهم: «أوسيه». وكانت الندبات وآثار الجروح الغائرة الصغيرة تغطي معظم وجهه. لاحظ أكوس أن الجلد حول عيني أطولهم كان متغضناً، وعندما تلفظ باسم والدهم لم يلفظه بطريقة سليمة.

قال الرجل ذو العينين الذهبيتين: «أوسيه كيرسيث»، وهذه المرة بدا... مختلفاً. وكأنه فجأةً يتكلم بلكنة ثقيلة. لكنه لم يكن يملكها من قبل، فكيف يمكن لهذا أن يحدث؟ «أنا فاس كوزار».

أجابه أوسيه: «أعلم من تكون، فأنا لست نعامة أعيش ورأسي مدفون في التراب».

خاطب فاس الرجل الأقصر قائلاً: «اقبض عليه». فاندفع نحو أوسيه. تراجع سيسي وأكوس عندما بدأ أوسيه التعارك مع جندي الشوتيت، وتشابكت أيديهما. صرّ أوسيه على أسنانه فتكسّرت المرآة في غرفة المعيشة، وتطايرت أجزاؤها في كل مكان، وانشقّ إطار الصورة الموضوعة على رف الموقدة إلى نصفين، تلك الصورة التي تعود ليوم زفافه. لكن لايزال جندي الشوتيت يُمسك بـأوسيه ويصارعه في غرفة المعيشة تاركاً ثلاثتهم، إيجيه وسيسي وأكوس مكشوفين.

لقد أجبر الجندي الأقصر والدهم على الركوع، ووضع سكيناً تيارياً على حنجرته.

قال فاس للجندي النحيل: «تأكد من عدم مغادرة الأولاد». عندئذٍ فقط تذكّر أكوس الباب الذي خلفه. فأمسك قبضة الباب وحرّكها. وفي الوقت الذي سحب الباب فيه، أمسكت يد قاسية بكتفه، ورفعه الشوتيت عالياً بيد واحدة، فآلمته كتفه وركل الرجل على ساقه بقوة. فضحك الشوتيت.

بصق الجندي وقال: «أيها الفتى النحيل الصغير، من الأفضل لك ولأخويك المثيرين للشفقة، أن تستسلموا الآن».

قال أكوس: «نحن لسنا مثيرين للشفقة!». لقد كان شيئاً غبياً ليُقال، شيئاً ما قاله ولد صغير لا يعرف كيفية الفوز بنزال. لكن لسبب ما، أوقفَ الجميع في أماكنهم. ليس الرجل الذي يُمسك بذراع أكوس فقط، بل سيسي وإيجيه وأوسيه أيضاً. وحدّق الجميع إلى أكوس و -اللعنة على الجميع -كانت الحرارة تندفع إلى وجهه، وكان احمرار الوجه الأسوأ توقيتاً الذي شعر به في حياته على الإطلاق، والذي كان يقول شيئاً ما.

عندئذٍ ضحك فاس كوزار.

قال فاس لأوسيه، «أفترض أنه ابنك الأصغر، هل تعلم أنه يتكلم لغة الشوتيت؟».

فقال أكوس بوهن: «لا أتكلم لغة الشوتيت».

قال فاس: «لقد تكلّمت للتو، أتساءل كيف ترى عائلة كيرسيث نفسها مع ابن تجري دماء الشوتيت في عروقه؟»

همس إيجيه بتعجّب: «أكوس». وكأنه يسأل أكوس سؤالاً.

فانتفض أكوس قائلاً: «لا يجري دم الشوتيت في عروقي». ضحك جنود الشوتيت الثلاثة معاً. عندها فقط سمع أكوس؛ سمع الكلمات التي تخرج من فمه، بمعانيها الأكيدة، وسمع مقاطعها اللفظية أيضاً، بتوقفاتها المفاجئة وحروفها المتحركة. لقد سمع لغة الشوتيت، اللغة التي لم يتعلمها. بخلاف اللغة الثوفية

اللطيفة تماماً، التي كانت مثل ندف الثلج التي تحملها الرياح في تيارها الصاعد.

كان يتكلم لغة الشوتيت، فقد بدا مثل الجنود تماماً. لكن كيف؟ كيف أمكنه تكلّم لغة لم يتعلمها؟

سأل فاس مُحوّلاً انتباهه مرةً أخرى إلى أوسيه: «أين زوجتك يا أوسيه؟». وأرجع السكين التيارية إلى قبضته، هكذا تحرّكت الحلزونات السوداء فوق جلده. «بإمكاننا أن نسألها إن داعبت أحد رجال الشوتيت، أو أنها تُشارك أسلافنا الرائعين ولم ترَ أنه من المناسب إخبارك عن ذلك. ومن المؤكد أنّ الكاهنة تعرف كيف حدث أنّ ابنها الصغير طليق باللغة الإيحائية».

أجابه أوسيه باقتضاب: «ليست هنا، ربما لاحظت ذلك».

قال فاس: «يعتقد الثوفي أنه ذكي؟ أظنّ أنّ التذاكي مع الأعداء يتسبّب بقتل المتذاكي».

قال أوسيه: «أنا واثق أنك تفكر بكثير من الأشياء الحقيرة». وبطريقة ما استطاع إخضاع فاس بالتحديق إليه رغم كونه على الأرض تحت قدميه. «يا خادم عائلة نوفاك. أنت مثل الوسخ الذي أُزيله من تحت أظافري».

هجم فاس ولكم بشدة وجه أوسيه فأسقطه جانباً. عندها صرخ إيجيه، وهو يصارع ليكون أقرب لأبيه لكن اعترضه الشوتيت الذي يمسك بذراع أكوس. لقد أمسك بكلا الأخوين من دون جهد، بالرغم من أنّ إيجيه في الموسم السادس عشر، وكان تقريباً بحجم رجل.

تشقّق وسط الطاولة قليلة الارتفاع في غرفة المعيشة، قبل أن تنقسم إلى قسمين ويسقط كل منهما على حدة، وتبعثر كل الأشياء الصغيرة التي كانت على سطحها على الأرض؛ كأس قديمة، وكتاب، وبعض بقايا الخشب من نحت والدهم، كلها تبعثرت على الأرض.

قال فاس بصوت منخفض: «لو كنت مكانك، لكنتُ احتفظت بالهبة التيارية قيد التحكم، يا أوسيه».

أمسك أوسيه وجهه بإحكام للحظة، ثم انقضّ وأمسك برسغ القصير

وسحب جندي الشوتيت البعيد قليلاً لاوياً معصمه بقوة، فتراخت قبضته. فحرر أوسيه السكين من قبضته ثم عكس اتجاهها نحو من كان يُمسكها، ورفع حاجبيه.

حثه فاس: «هيا اقتله، فلدينا العشرات من أمثاله، لكنك تملك عدداً محدوداً من الأبناء».

كانت شفة أوسيه مُتورّمة والدم ينزف منها، لكنه لعق الدم بطرف لسانه ونظر من خلف كتفه إلى فاس.

قال أوسيه: «لا أعرف أين هي، كان عليك أن تبحث في المعبد. هذا آخر مكان سوف تأتي إليه، إن كانت تعلم أنك في طريقك إلى هنا».

سخر فاس من السكين التي في يده، فقال بلغة الشوتيت وهو ينظر إلى الجندي الذي يمسك أكوس بيد ويضغط إيجيه على الحائط باليد الأخرى، «أفترض أنّ ذلك جيد أيضاً، أولويتنا هي الصغير».

أجابه الجندي باللغة نفسها وهو يهزّ أكوس من ذراعه مرة أخرى: «نحن نعرف من هو الأصغر، ولكن بين الاثنين الآخرين من الأصغر؟».

فقال أكوس بيأس: «أبي، يريدون أن يعرفوا عن الولد الأصغر. يريدون أن يعرفوا من منهما الأصغر...».

أطلق الجندي سراح أكوس، وصفعه بظهر يده على عظم وجنته. فترنّح أكوس وارتطم بالجدار، واختنقت سيسي بتنهّدها وانحنت عليه وداعبت أصابعها وجه أخيها.

صرخ أوسيه من خلال أسنانه واندفع غارزاً السكين التيارية المسروقة عميقاً في جسد فاس، تحت الدرع مباشرةً.

لم يتأثر فاس حتى أنه لم يجفل. ابتسم فقط ولف يده حول مقبض السكين، وسحبها بقوة. كان أوسيه مذهولاً جداً. فتدفق الدم من الجرح مُبلّلاً سروال فاس الداكن.

قال فاس بنعومة: «أنت تعرف اسمي لكنك لا تعرف هبتي؟ أنا لا أشعر بالألم، أتذكُر؟».

أمسك بمرفق أوسيه مرة أخرى، وسحب ذراعه بعيداً عن جنبه وغرز السكين في الجانب اللحمي من ذراع أوسيه وسحبها إلى الأسفل جاعلاً إياه يتأوه مثلما لم يسمعه أكوس في حياته أبداً. فتناثر الدم على الأرض. وصرخ إيجيه ثانيةً، وبدأ يضرب بعنف، وكانت سيسي تتلوى من الألم لكن بصمت.

لم يستطع أكوس تحمّل المشهد، فخرّ على قدميه. وبالرغم من أنّ وجهه لايزال يؤلمه، إلا أنه لم يكن هنا جدوى من تحركه ولم يكن بإمكانه القيام بشيء.

قال بهدوء: «إيجيه، اهرب».

ورمى بجسده على فاس، قاصداً إدخال أصابعه في الجرح الذي في خاصرة الرجل عميقاً وعميقاً إلى أن يستطيع تحطيم عظامه، وتمزيق قلبه.

حصل شجار وصراخ وتنهّد. تجمّعت كل الأصوات في أُذني أكوس، مليئة بالرعب. فلكم من دون فائدة على الدرع الذي يُغطي خاصرة فاس. لقد تسبّبت الضربة بارتجاج يده. فأتى الجندي ذو الوجه المليء بالندبات إليه ورماه أرضاً مثل كيس طحين. وضغط بحذائه طويل الساق على وجه أكوس. فشعر بحبيبات الوسخ على جلده.

صرخ إيجيه: «أبي! أبي!».

لم يستطع أكوس تحريك رأسه، لكن عندما رفع عينيه، شاهد والده على الأرض في منتصف المسافة بين الجدار والمدخل، كان مرفقه مُنثنياً بزاوية غريبة. وانتشر الدم مثل هالةٍ حول رأسه. فانحنت سيسي إلى جانب أوسيه ويداها المرتجفتان تحومان حول الجرح الذي في حنجرته. كان فاس واقفاً فوقها حاملاً بيده سكيناً تقطر دماً.

كان أكوس يتلوى أرضاً.

قال فاس: «أوقفه على قدميه، يا سوزاو».

سوزاو –الشخص الذي كان حذاؤه يحفر في وجه أكوس –رفع قدمه وجرّ أكوس على قدميه. لم يكن باستطاعته رفع عينيه عن جسد أبيه، فقد كان جلده مهشماً مثل الطاولة في غرفة المعيشة، وكان مقدار الدم الذي يحيط به – كيف

لشخص ما أن يكون لديه هذه الكمية الكبيرة من الدماء؟- بلونه البني المحمر المائل إلى البرتقالي الداكن، كبيراً.

لا يزال فاس يحمل السكين المُلطّخة بالدم، ويداه رطبتان.

سأل فاس الشوتيت الطويل: «هل انتهى الخطر؟». كان قد أمسك بإيجيه ووضع قيداً معدنياً على رسغيه. لو قاوم إيجيه، في البداية، لكان انتهى الآن، وهو يُحدّق بتبلّد إلى أبيه، المطروح أرضاً في غرفة المعيشة.

قال فاس لأكوس: «أشكرك على جوابك عن سؤالي حول مَن مِن شقيقيك الذي نبحث عنه، يبدو أنّ كليكما ستأتيان معنا بسبب قدريكما».

أحاط سوزاو وفاس بأكوس، ودفعاه إلى الأمام. وفي اللحظة الأخيرة انهار وسقط على ركبتيه بجانب والده ولمس وجهه. بدا أوسيه دافئاً ورطباً. وكانت عيناه مفتوحتين وكان على وشك أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، مثل مياه تنحدر في مصرف. ثم قفزا على إيجيه الذي كان قد خرج تقريباً من الباب الأمامي، واقتيد للأمام من قِبل جنود الشوتيت.

قال أكوس وهو يُحرك رأس والده قليلاً كي ينظر إليه: «سأُعيده إلى المنزل، سأعيده».

لم يكن أكوس هناك عندما فارق والده الحياة، كان في العشب الريشي، بين يدي أعدائه.

2

الفصل الثالث | سايرا

كنتُ في الموسم السادس من العمر عندما قمتُ برحلة إقامتي المؤقتة الأولى. وعندما خرجتُ، توقعتُ أن أخرج إلى ضوء الشمس. لكن بدلاً من ذلك، دخلتُ إلى ظلمة سفينة الإقامة المؤقتة، التي تغطي مدينة فوا -عاصمة الشوتيت - مثل غيمة ضخمة. كانت مستطيلة وتغطي أعلى مقدمتها ألواح زجاجية غير قابلة للكسر. وكانت الصفائح المعدنية التي تغطي سطحها مخدوشة بسبب عقد أو أكثر من السفر عبر الفضاء، لكن تمّ تلميع بعض الصفائح المتداخلة التي استُبدلت. سوف نكون واقفين داخلها قريباً، مثل طعام ممضوغ في معدة وحش كبير. وقرب النفاثات الخلفية تقع المحطة المفتوحة التي سنعبر من خلالها عما قريب.

سُمح لمعظم أطفال الشوتيت بالذهاب في رحلة إقامتهم المؤقتة الأولى - طقسنا البالغ الأهمية -عندما يبلغون الموسم الثامن من العمر. لكن كابنة للملك لازمِت نوفاك، حُضّرت لرحلة إقامتي المؤقتة الأولى عبر المجرّة أبكر بموسمين. سنلحق بالدفق التياري حول طرف المجرة إلى أن يتحوّل إلى اللون الأزرق الداكن، ومن ثم نهبط على سطح أحد الكواكب، للبحث عن أشياء مفيدة، وهو الجزء الثاني من الطقس.

من التقليدي بالنسبة إلى الملك وعائلته -أو الملكة وعائلتها- أن يدخلوا سفينة الإقامة المؤقتة أولاً، أو أخيراً، فقد أصبح ذلك تقليدياً منذ أيام جدتي، أول قائد للشوتيت من النوفاك، التي طلبت أن يكون الأمر على هذا الشكل.

قلتُ لأمي: «أشعر بحكة في فروة رأسي»، وأنا أُربّتُ بطرف إصبعي على الجدائل المُثبّتة بإحكام على طرف رأسي. كان هناك القليل فقط من الشعر المسحوب إلى الخلف والمربوط حتى لا ينسدل على وجهي.

«ما المشكلة في شعري العادي؟».

ابتسمت أمي لي. كانت ترتدي فستاناً مصنوعاً من العشب الريشي، والسويقات تتصالب مع صدره وتمتدّ لتُشكّل إطاراً على وجهها. لقد علمتني مربيتي أوتيجا – من بين أشياء أخرى – أنّ الشوتيت قاموا بزراعة محيط من العشب الريشي بيننا وبين أعدائنا، الثوفيين، لمنعهم من غزو أرضنا. وأمي أحيت ذكرى هذا القانون الآن، بفستانها. وبشكل مقصود، كل شيء فعلته أمي كان يكرّر تاريخنا.

قالت أمي: «اليوم، هو اليوم الأول الذي سوف ينظر فيه معظم الشوتيت إليك، إن لم نقل بقية المجرة. وآخر شيء نريده هو أن يُحملقوا إلى شعرك. وبترتيبه بهذا الشكل، نجعله مخفياً. هل تفهمين؟».

لم أفهم، لكني لم أُصرّ على هذا الموضوع. فقد كنتُ أنظر إلى شعر أمي الذي كان داكناً مثل شعري، لكن بملمس مختلف. كان شعرها مُجعّداً كثيراً بحيث تعلق الأصابع فيه، بينما كان شعري سابلاً بما يكفي لتعبره الأصابع.

«بقية المجرة؟» من الناحية التقنية، كنت أعرف كم هي المجرة واسعة، إذ تضم تسعة كواكب رئيسية وعدداً لا يُحصى من الكواكب الهامشية، إضافة إلى محطات تقع في الصخور الموحشة للأقمار المتحطمة، وسفن مداريّة كبيرة للغاية تشبه البلدان الكوكبية بحد ذاتها. لكن بالنسبة إليّ، لاتزال الكواكب ضخمة بقدر المنزل الذي أمضيتُ فيه معظم حياتي.

أجابتني أمي: «لقد سمح والدك بإرسال لقطات الموكب عبر نشرات

الأخبار العامة، تلك التي تراها كل كواكب المجلس، فكل من هو مُهتم بطقوسنا سيشاهد».

حتى في ذلك العمر لم أكن أفترض بأنّ الكواكب الأخرى مشابهة لكوكبنا. كنتُ أعرف أننا فريدون في مطاردتنا للتيار عبر المجرة، وأنّ انفصالنا عن الأماكن والممتلكات كان غريباً. ومن الطبيعي أنّ الكواكب الأخرى كانت فضولية بشأننا، وربما تحسدنا أيضاً.

منذ وُجد شعبنا، والشوتيت يذهبون في رحلة الإقامة المؤقتة مرة واحدة كل موسم. ذات مرة أخبرتني أوتيجا أنّ الإقامة المؤقتة لها علاقة بالعرف، والبحث عن الأشياء المفيدة، ما أتى بعد ذلك، كان له علاقة بالتجديد؛ بحيث يجمع الماضي والحاضر في طقس واحد. لكني سمعت أبي يقول بمرارة إننا «نعيش على فضلات الكواكب الأخرى». لقد كان لأبي طريقة معينة في تجريد الأشياء من جمالها.

كان أبي؛ لازمِت نوفاك أول من عبر البوابات الكبيرة التي تفصل قصر مانور عن شوارع فوا. ارتفعت يده لإلقاء التحية، فهتف له الحشد الكبير المتجمع أمام القصر. لقد كان الحشد كبيراً لدرجة أن المناكب المتراصة حجبت الضوء أمامنا، ولم يعد بإمكاني سماع صوت أفكاري من كثرة الهتافات المتباينة النغمة. يبعد مركز مدينة فوا، عدة شوارع عن المدرج حيث تُقام تحديات الحلبة. كانت الشوارع نظيفة، وتنوعت الأبنية بين قديم وحديث. كان مزيجاً انتقائياً طبيعياً بالنسبة إليّ مثل جسدي ذاته. فقد عرفنا كيف نُقدّر جمال الأشياء القديمة مقارنةً بجمال الحديثة منها، فلا نفقد أي شيء من الاثنين.

أمي هي من نالت أعلى الصيحات من بحر رعاياها وليس أبي. فمدّت يديها للناس الذين مدوا أيديهم إليها، لامسين أصابعها بأناملهم وهم مبتسمون. بدا الأمر وكأن بحيرة تكونت عندما بكت العيون فرحاً لرؤيتها لوحدها، وصدحت الحناجر باسمها. إليرا، إليرا، إليرا. فاقتلعتْ سويقة من العشب الريشي من أسفل تنورتها ووضعتها خلف أذن إحدى الفتيات الصغيرات. إليرا، إليرا، إليرا.

ركضتُ إلى الأمام لألحق بأخي رايزك، الذي كان أكبر مني بعشرة مواسم كاملة. كان يرتدي درعاً مزيفاً – لم يستحق بعد الدرع المصنوع من جلد أحد المُدرّعين المقتولين، الذي اعتبره شعبنا رمزاً للهيبة– وهذا ما جعله يبدو أضخم من المعتاد، لقد ظننت أن ذلك كان مقصوداً، لأن رايزك كان طويلاً وشديد النحول.

سألتُ رايزك وأنا أتعثّر كي ألحق بخطوته: «لماذا يهتفون باسمها؟».

قال رايزك: «لأنهم يحبونها، تماماً كما نحبها».

قلتُ له: «لكنهم لا يعرفونها».

أيدني قائلاً: «هذا صحيح، لكنهم يعتقدون أنهم يحبونها، وهذا يكفي أحياناً».

لقد تلطّخت أصابع أمي بالطلاء جراء لمس كثير من الأيادي الممدودة والمُزيّنة. ولا أظنّ أني أحب أن ألمس هذا العدد الكبير من الناس دفعة واحدة.

كنا مُحاطين بجنود مُدرعين شقّوا ممراً ضيقاً لنا بين الجموع. في الواقع، لم أعتقد أننا بحاجة إليهم، لقد تفرّق الحشد أمام أبي وكأنه كان سكيناً يشق صفوفهم. ربما لم يهتفوا باسمه، لكنهم أحنوا رؤوسهم له، وأشاحوا بعيونهم بعيداً عنه. لقد رأيتُ للمرة الأولى، كم كان الحد الفاصل رفيعاً بين الخوف والحب، بين التبجيل والافتتان. كان هذا الحد موجوداً بين والدي.

قال أبي: «سايرا»، فتيبّستُ، وأصبحتُ جامدةً عندما استدار ونظر إليّ. مدّ يده إلى يدي، وأنا أعطيته إياها، رغم أني لم أُرد ذلك. لقد كان أبي من الرجال والأشخاص الذين يُطاعون فقط.

عندئذٍ ضمني بذراعيه بسرعة وقوة مستجراً ضحكة مني. فحملني بذراع واحدة على الجانب المدرع منه، وكأنني عديمة الوزن. كان وجهه قريباً من وجهي، ورائحته رائحة أعشاب وأشياء محروقة، وخدّه قاسٍ وخشن بسبب لحيته. كانت أمي تدعو أبي ملك الشوتيت بلاز عندما تظن أن أحداً غيره لا يسمعها وكانا يتحاوران عندها بأشعار الشوتيت الملحمية.

قال لي أبي وهو يهزني قليلاً بينما يسندني إلى ذراعه: «أعتقد أنك تودين

رؤية شعبك». كانت ذراعه الأخرى مليئة بالندبات من الرسغ وحتى الكتف، وهي موشومة بالسواد لتكون واضحة للعيان. لقد أخبرني ذات مرة أنها سجل للأرواح، لكنني لم أعلم ماذا يعني ذلك. بدورها ذراع أمي كانت موشومة ولكن بنصف عدد وشوم أبي.

قال أبي: «يتوق هؤلاء الناس إلى القوة، وأمك وأبوك وأخوكِ سيعطونهم إياها. وستعطينهم إياها يوماً ما. أليس كذلك؟»

أجبته بهدوء: «أجل». بالرغم من أنه لم تكن لديّ أدنى فكرة عن كيفية القيام بذلك.

قال: «هذا جيد، والآن لوّحي بيدك».

مددتُ يدي وأنا أرتجف قليلاً مُقلّدةً أبي. فحدّقتُ مذهولةً بينما استجاب الحشد إليّ بلطف.

صاح أبي: «رايزك».

قال رايزك: «تعالي أيتها النوفاك الصغيرة»، فهو لم يكن بحاجة ليُطلب منه أخذي من ذراعه، فقد عرف ذلك من وضعيته، مثلما شعرت بالتأكيد بالتغيير القلق لمكانته. فوضعتُ ذراعي حول عنق رايزك وتسلقت ظهره رابطة ساقيّ بأحزمة درعه.

فقال لي رافعاً صوته لكي أستطيع سماعه من بين أصوات الحشود: «أأنت مستعدة للركض؟».

فتشبّثتُ به وسألته متعجبة: «الركض!؟».

وكجواب عليّ، أمسك بركبتي وثبّتهما على جانبيه وهرول ضاحكاً في الممر الذي فتحه الجنود. وأثارت خطواته القافزة قهقهتي، ومن ثم شاركتني الحشود القهقهة – شعبنا وشعبي – وكانت الابتسامات على مدّ النظر.

رأيتُ إحدى الأيادي وهي تمتدُ نحوي، فلمستها برفق بأصابعي، مثلما تفعل أمي. ووجدتُ أني لم أمانع ذلك كثيراً كما توقعت.

الفصل الرابع | سايرا

كان هناك أروقة مخفية خلف جدران قصر نوفاك، مبنيّة ليدخل الخدم من خلالها دون أن يزعجونا نحن أو ضيوفنا. وغالباً ما كنتُ أمشي فيها، مُتعلّمة الرموز التي يستخدمها الخدم للتجوال والمحفورة على زوايا الجدران وأعلى المداخل والمخارج. كما كانت أوتيجا توبخني أحياناً بسبب حضوري دروسها وأنا مُغطاة ببيوت العنكبوت والأوساخ، لكن على الأغلب لم يكن أحد ليهتم كيف أقضي وقت فراغي طالما لا أُزعج أبي.

عندما بلغت الموسم السابع من عمري، أخذني تجوالي إلى الجدران المحاذية لمكتب أبي. فتتبعتُ صوت ثرثرة هناك، لكن عندما سمعتُ صوت أبي وقد ارتفع بغضب، توقفت جاثمةً في مكاني.

لبرهة من الوقت، ألهيتُ نفسي بفكرة العودة راكضةً بالطريقة نفسها التي أتيت بها وبذلك أكون آمنة في غرفتي. فلم يترافق ارتفاع صوت أبي عادة مع أمور جيدة في الماضي، ولا أظن الأمر سيختلف الآن. والشخص الوحيد القادر على تهدئته كان أمي، لكن حتى هي لم يكن بإمكانها تهدئته.

ألصقت أذني بالجدار كي أسمعه بشكل أفضل، فقال أبي: «أخبرني، أخبرني بالضبط ما الذي قلته له».

ارتعش صوت رايز وكأنه على وشك البكاء، وهذا لم يكن جيداً أيضاً. فقد كان أبي يكره الدموع فقال: «أنا... اعتقدتُ... اعتقدتُ، بما أنه يتدرّب ليكون خادمي، فهو سوف يكون موثوقاً...».

«أخبرني ما الذي قلته!»

«أخبرته... أخبرته بأنّ قدري، كما صرّح به الكهنة، الهزيمة أمام عائلة بينيسيت. إحدى العائلتين الثوفيتين. هذا كل شيء».

ابتعدتُ قليلاً عن الجدار. وعلق بيت عنكبوت في أذني. فلم يسبق لي أن سمعتُ بقدر رايزك من قبل. وأنا أعرف أنّ والديّ حذّثاه عن ذلك القدر عندما يكتشف معظم الأطفال المُقدّرين أقدارهم: عندما يكتسبون هبة تيارية. وسوف أكتشف قدري خلال بضعة مواسم. لكن أن أعرف قدر رايزك – أن أعلم أنّ رايزك سوف يُقتل على يدعائلة بينيسيت، التي أبقت نفسها في الخفاء لمواسم عديدة وكثيرة لدرجة أننا لم نكن نعرف حتى أسماءهم المستعارة أو كوكب إقامتهم – كان ذلك هبة نادرة أو عبئاً.

قال أبي بازدراء: «معتوه. هل هذا كل شيء؟ هل تعتقد أنك تستطيع أن تكون محل ثقة بقدر جبان مثل قدرك؟ يجب أن تُبقية مستوراً! وإلا ستهلك بسبب ضعفك!».

تنحنح رايزك وقال: «أنا آسف، لن أنسى ولن أفعل ذلك مرة أخرى أبداً».

«أنت على حق، لن تفعل ذلك». كان صوت أبي منخفضاً وأكثر عمقاً الآن. وهذا كان أكثر سوءاً من الصراخ. «سيتوجب علينا أن نعمل بجد أكثر ونجد طريقةً نخرج بها من هذه المشكلة، أليس كذلك؟ فمن مئات الأحداث المستقبلية الموجودة، سنجد واحداً لن تكون فيه مضيعة للوقت. وفي الوقت الراهن، ستعمل جاهداً كي تبدو قوياً قدر الإمكان، حتى بالنسبة إلى أقرب أقرانك، هل تفهم ذلك؟».

«نعم سيدي».

«جيد».

بقيتُ جاثمةً هناك، أستمع لصوتيهما المكتومين، إلى أن جعلني الغبار الموجود في الرواق أشعر بالعطاس. لقد تساءلت عن قدري، هل سيرفعني عالياً نحو السلطة أو يُقوّضني. لكن بدا الأمر أكثر إخافةً من قبل. فكل ما أراده أبي هو إخضاع ثوفية، وكان الفشل مقدّراً على رايزك، ومُحتّماً عليه خذلان أبي.

من الخطر إغضاب والدي بشيء ليس باستطاعتك تغييره.

لقد تألمتُ من أجل رايز، هناك في الرواق، وأنا أتخبط في طريق عودتي إلى غرفة نومي. لقد تألمتُ قبل أن أعرف أكثر.

الفصل الخامس سايرا

بعد موسم، عندما بلغت الثامنة، دخل أخي غرفة نومي، لاهثاً ومبللاً بالمطر. كنتُ لتوي قد أنهيتُ تجهيز آخر تماثيلي الصغيرة على السجادة أمام سريري. كانت من مقتنيات الإقامة المؤقتة في أوثير السنة الفائتة، فأهل أوثير مولعون بالأشياء الصغيرة غير المفيدة. لقد قلب بعضها أرضاً عندما مشى في الغرفة. فصرخت باحتجاج. لقد خَرّب تشكيل الجيش.

جلس إلى جانبي وقال: «سايرا»، كان قد بلغ الموسم الثامن عشر من العمر، وذراعاه وساقاه أصبحت ضخمة جداً مع وجود بقع على جبينه، لكنّ الفزع جعله يبدو أصغر عمراً، فوضعتُ يدي على كتفه.

سألته وأنا أضغط: «ما الأمر؟».

«هل أخذك أبي ذات مرة إلى مكان ما فقط لكي... يُريكِ شيئاً ما؟».

«لا، أبداً». لم يأخذني لازمِت نوفاك إلى أي مكان البتة، فهو بالكاد ينظر إليّ عندما نكون في الغرفة ذاتها. ولم يكن يزعجني هذا حتى في ذلك الوقت، فقد كنتُ أعرف أنه عندما ينظر أبي إلى أحدنا فهذا ليس بالأمر الجيد.

فقال رايز بغضب: «هذا ليس عدلاً، أليس كذلك؟ فأنتِ وأنا ولداها، ويجب أن نُعامل سواسيةً. ألا تعتقدين ذلك؟»

قلتُ: «أنا... أعتقد ذلك يا رايز، ما هو...»

لكنّ رايز اكتفى بوضع راحة يده على خدي.

اختفتْ غرفة نومي بستائرها الزرقاء الزاهية وألواح جدارها الخشبية الداكنة.

سمعت صوت أبي: «أنت من سيعطي الأمر اليوم يا رايزك».

كنتُ في غرفة مظلمة صغيرة، بجدران حجرية ونافذة ضخمة أمامي. وقف أبي بجانب كتفي الأيسر، لكنه بدا أقصر مما كان بالعادة – فأنا أصل إلى مستوى صدره في الواقع، لكن في تلك الغرفة كنتُ أنظر مباشرةً إلى وجهه. ويداي كانتا مقبوضتين أمامي وأصابعي طويلة ونحيلة.

أتتْ أنفاسي سريعة وضئيلة فقلتُ: «أنت تريدني... أنت تريدني أن...».

فتذمّر أبي وأمسك بمقدمة درعي وهزّني باتجاه النافذة وقال: «استجمعي قواكِ».

رأيتُ من خلال النافذة رجلاً عجوزاً، بشعر رمادي مجعّد. كان نحيلاً بعينين ميتتين وهناك قيد يجمع يديه معاً. وبإيماءةٍ من أبي اقترب الحرس الموجودون في الغرفة المجاورة من السجين. وأمسك أحدهم بكتفيه كي يُبقيه ثابتاً والآخر لفّ حبلاً حول عنقه، وعقده بإحكام خلف رأسه. ولم يُبدِ السجين أي اعتراض، فقد بدت أطرافه أثقل مما يُفترض أن تكون.

شعرتُ بالقشعريرة وبقيتُ أرتجف.

قال أبي: «هذا الرجل خائن، وهو يتآمر ضد عائلتنا. فقد روّج أكاذيب عنا بأننا نسرق معونات أجنبية من مرضى وجائعي الشوتيت. والأشخاص الذين يتكلمون بسوء عن عائلتنا لا يمكن إعدامهم ببساطة. يجب أن يعدموا ببطء ويجب أن تكوني جاهزةً لتأمري بذلك. ويجب أن تكوني جاهزةً لتفعلي ذلك بنفسك، رغم أنّ ذلك الدرس سوف يأتي لاحقاً».

التفّ الفزع في معدتي مثل ثعبان.

أصدر أبي صوتاً محبطاً من حنجرته وحشر شيئاً في يدي، كان قارورةً مختومة بالشمع.

قال: «إذا لم يكن بإمكانك تهدئة نفسك، فهذا كفيل بذلك، لكن بطريقة أو بأخرى سوف تفعلين ما أقوله لك».

تلمستُ طرف الشمع، ونزعته، ثم سكبتُ محتوى القارورة في فمي. ذلك التونيك المُهدِّئ أحرق حنجرتي، لكن لم يستغرق الأمر سوى لحظات حتى تباطأ خفقان قلبي وهدأ روعي. فأومأتُ إلى أبي الذي ضغط على مفتاح مكبرات الصوت في الغرفة المجاورة. ولم استغرق سوى لحظة كي أجد الكلمات في الضباب الذي ملأ عقلي.

قلتُ لهم بصوت غير مألوف: «أعدموه».

تراجع أحد الحراس إلى الخلف وسحب طرف الحبل الذي مرّ عبر حلقة معدنية في السقف مثل خيط يمر بثقب إبرة. وظلّ يشدّ الحبل حتى أصبحت أصابع رجلي السجين بالكاد تلامس الأرض. بقيتُ أراقب حتى تحوّل لون وجه السجين إلى الأحمر ثم البنفسجي. وأخذ ينتفض فأردتُ أن أُشيح بنظري لكني لم أستطع.

قال أبي بشكل عابر وهو يُطفئ مفتاح مكبرات الصوت مرة أخرى: «ليس كل شيء مؤثر يجب أن يتم فعله في العلن، فسوف يهمس الحراس بما سترغبين بفعله لأولئك الذين يتكلمون ضدّكِ، وأولئك الذين همسوا لهم سوف يهمسون أيضاً، وعندها سوف تُعرف قوتك وسلطتك في شتى أرجاء الشوتيت».

كانت هناك صرخة تعتمل في داخلي، حبستها في حنجرتي مثل قطعة طعام كانت كبيرة جداً لأن تُبتلع.

تلاشت الغرفة القاتمة الصغيرة.

وقفتُ في شارع مُضاء مزدحم بالناس. كنتُ أجلس على فخذ أمي، وذراعي ملتفة حول ساقها. وارتفع غبار في الهواء من حولنا، في عاصمة البلد الكوكبي زولد، المسماة مدينة زولديا، التي زرناها في رحلة إقامتي الأولى، وكان كل شيء مغطىً بطبقة رقيقة من الغبار الرمادي في ذلك الوقت من السنة. لم تأتِ من صخر أو أرض، كما كنتُ أفترض، بل من حقل واسع من الأزهار التي تنمو في الجهة الشرقية من هنا ثم تتحلل في الرياح الموسمية القوية.

لقد عرفتُ هذا المكان وهذه اللحظة. فقد كانت إحدى ذكرياتي المفضلة مع أمي.

أمالتْ أمي رأسها نحو الرجل الذي التقاها في الشارع، ويدها تمسح بلطف على شعري.

قالت أمي له: «شكراً لسيادتكم لاستضافة بحثنا عن الأشياء المفيدة بلطف كبير، وسوف أفعل ما بوسعي كي نأخذ فقط الأشياء التي لم تعودوا بحاجة إليها». فأجاب الرجل بفظاظة: «أقدّر ذلك، فهناك تقارير أثناء البحث الأخير تُفيد بحدوث نهب للمستشفيات من قِبل جنود الشوتيت». كان جلده مغطى بالغبار ويدا تقريباً أنه سوف يلمع تحت ضوء الشمس. فأنعمتُ النظر إليه بذهول. كان يرتدي رداءً رمادياً طويلاً، وكأنه تقريباً أراد أن يُشبه أحد التماثيل.

قالت أمي بحزم: «لقد كان سلوك أولئك الجنود مُروّعاً، وعوقبوا بشدة». ثم التفتت إليّ وقالت: «عزيزتي سايرا، هذا زعيم عاصمة زولد. وسيادتكم، هذه ابنتي سايرا».

قلتُ له: «أحب هذا الغبار عليك، هل يدخل في عينيك؟»

بدا الرجل أكثر لطفاً عندما أجابني: «بشكل دائم، وعندما لا يكون لدينا زوار نضع نظارات واقية».

أخرج واحدة من جيبه وقدّمها لي. كانت كبيرة، وكانت عدستاها خضراوتين فاتحتين. قمتُ بوضعها على وجهي فسقطت واستقرت على عنقي، ولذا كان عليّ أن أحملها بيد واحدة. فضحكت أمي -بخفة وهدوء- ثم انضمّ الرجل إليها بالضحك.

قال الرجل لأمي: «سوف نبذل ما بوسعنا لنُكرّم تقليدكم هذا، رغم أني أعترف بعدم فهمنا له».

فقالت له: «حسناً، نحن نسعى للتجديد قبل كل شيء آخر، ونحن نجد ما يمكن أن يُجعل جديداً في ما تمّ التخلّص منه. فلا يجب تبديد أي شيء جدير بالاهتمام، وبالتأكيد باستطاعتنا الاتفاق على ذلك».

وفيما بعد بدأ كلامها يُعرض بشكل معكوس، وارتفعت النظارة الواقية إلى عينيّ ثم إلى ما فوق رأسي وإلى يد الرجل مرة أخرى. كان ذلك بحثي الأول عن الأشياء المفيدة، وكان يتفكّك ويتحلل في عقلي. وبعد أن عُرضت الذاكرة بشكل معكوس، انتهى الأمر. كنتُ قد عدتُ إلى غرفة نومي، والتماثيل الصغيرة حولي، وأنا على علم بأني قمتُ برحلة إقامتي المؤقتة الأولى وأننا التقينا بزعيم مدينة زولديا، لكن لم يعد باستطاعتي استحضار الصور من عقلي. ففي منزلهم كان السجين ذو الحبل حول عنقه، ونبرة الأب المنخفضة في أذني.

لقد بادل رايز إحدى ذكرياته بواحدة من عندي.

لقد رأيته يفعل ذلك من قبل، مرّة لـفاس، صديقه وخادمه، ومرة أخرى مع أمي. في كل مرة أتى فيها من أحد الاجتماعات مع أبي بدا وكأنه مُمزّق إلى أشلاء. يضع إحدى يديه على أقدم صديق له، أو على أمنا، وبعد لحظة، يبدو معتدلاً وبعينين جافتين وأقوى من قبل. وهما يبدوان... أكثر خواءً بطريقة ما وكأنهما فقدا شيئاً.

قال رايز والدموع على خدّيه: «سايرا، من العدل، من العدل فقط أن نتشارك هذا العبء».

مدّ يده إليّ مرة أخرى، وشيء ما في أعمق دواخلي كان يحترق. وعندما لمست يده خدي، انتشرت عروق حبرية قاتمة تحت جلدي مثل حشرات بأرجل كثيرة، مثل شبكات الظلمة. وتحركت زاحفة إلى ذراعيّ، جالبة معها الحرارة والألم إلى وجهي.

صرختُ بأعلى ما صرختُ في حياتي على الإطلاق، وانضم صوت رايز إلى صوتي، بانسجام تقريباً. لقد جلبت العروق السوداء الألم، وكان الظلام ألماً، وأنا صُنعتُ منه، لقد كنتُ الألم بذاته.

نزع يده بعنف، لكن بقيت الظلال الجلدية وبقي العذاب، لقد انبثقتْ هبتي التيارية بشكل مبكر جداً.

اندفعت أمي داخل غرفتي، كان قميصها نصف مُزرّر ووجهها يقطر ماءً

لأنها غسلته من دون أن تجففه. فرأت البقع السوداء وركضت نحوي واضعةً يديها على ذراعيّ لثانية واحدة قبل أن تسحبهما مجفلة. فقد شعرت بالألم أيضاً. وصرختُ مرة أخرى وخدشتُ الشبكات السوداء بأظافري.

أعطتني أمي دواءً مخدراً كي تهدئني.

ما من أحد يتحمل الألم. لذا لم يضع رايز يده عليّ مجدداً، ولم يقم مخلوق بعده بذلك.

الفصل السادس | سايرا

«إلى أين تذهبين؟»

كنتُ أطارد أمي عبر المداخل المصقولة والأرضيات تتلألأ بخيالي المبقّع بالسواد. وعلى مسافة مني، كانت تُمسك بتنورتها، كانت تسير مستقيمة. لطالما كانت أمي أنيقة، فهي ترتدي فساتين بصفائح من جلد المخلوق المُدرّع متداخلة مع الجزء الأعلى منها، ومكسوة بالقماش، وبذلك تبدو خفيفة مثل نسمة. وكانت تعرف كيف ترسم خطاً رائعاً على جفنها يجعل رموشها تبدو أطول في كل الاتجاهات. لقد حاولتُ أن أفعل ذلك ذات مرة، لكنني لم أستطع إبقاء يدي ثابتة بما يكفي لرسم الخط، وتوجّب عليّ التوقف بضع مرات لاهثة وأنا ألهث من الألم. أما الآن فأنا أُفضّل البساطة على الفخامة، القمصان الفضفاضة والأحذية من دون شرائط، والبناطيل التي لا تحتاج إلى أزرار، والسترات التي تغطي معظم جلدي. كنتُ تقريباً في الموسم التاسع من العمر، وانتهيتُ تقريباً من الأعمال الطائشة.

الآن أصبح الألم جزءاً من الحياة. والمهمات البسيطة تستغرق مني ضعف الوقت لأنه يتوجّب عليّ التوقف كي ألتقط أنفاسي. ولم يعد الناس يلمسونني، لذلك كان عليّ أن أفعل كل شيء بنفسي. كما جرّبتُ أدوية وجرعات غير فعالة

من كواكب أخرى على أمل أن توقف هبتي ولكن هيهات، فكل ما كنت أجنيه منها هو الإعياء.

قالت أمي وهي تلمس شفتيها بإصبعها: «اسكتي». ففتحتْ أحد الأبواب، ومشينا نحو المهبط فوق سطح قصر نوفاك. كان هناك سفينة نقل تجثم مثل أحد الطيور الذي يرتاح في منتصف رحلته، وأبواب التحميل مفتوحة من أجلنا. نظرت حولها مرةً واحدة، ثم أمسكت بكتفي -المغطى بالقماش ولذلك لم أؤذها- وسحبتني نحو السفينة.

ما إن أصبحنا داخلها، حتى أجلستني على أحد المقاعد، وشدّت الأحزمة حول فخذيّ وصدري بإحكام.

قالت: «نحن ذاهبتان لرؤية أحد الأشخاص الذي ربما يستطيع مساعدتك».

مكتوب على لافتة باب الاختصاصي، الدكتور. داكس فدلان، لكنه طلب مني مناداته داكس. وأنا ناديته دكتور فدلان. فقد رباني والداي على إظهار الاحترام للناس الذين أكون برعايتهم.

كانت أمي طويلة، وكان عنقها طويلاً ومائلاً إلى الأمام بما يوحي أنها دائمة الانحناء. والآن كانت أوتارها وكأنها تندفع من حنجرتها واستطعت رؤية نبضها هناك، يخفق على سطح بشرتها.

بقيت عينا الدكتور فدلان مركزتين على ذراع أمي. فقد كانت علامات القتل مكشوفة، حتى أنها بدت جميلة، وليست وحشية، فكل خط كان مستقيماً وجميعها بفواصل متساوية. ولم أعتقد أنّ الدكتور فدلان من كوكب أوثير، فقد كان هناك الكثير من الشوتيت في عيادته.

كان مكاناً غريباً. عندما وصلتُ، وضعوني في غرفة مع ألعاب غير مألوفة، فلعبتُ ببعض التماثيل بالطريقة التي كنا نلعب بها أنا ورايزك في المنزل عندما كنا نلعب معاً: وضعتها في صفوف مثل الجيش، وسرتُ بها نحو المعركة ضدّ الحيوان العملاق والرخو الموجود في زاوية الغرفة. وبعد حوالي ساعة طلب مني الدكتور فدلان أن أخرج، بعد أن أنهى تقييمه. وأنا لم أفعل أي شيء بعد.

قال الدكتور فدلان لأمي: «بعمر الثمانية مواسم هي صغيرة بالطبع، لكنّ سايرا ليست الطفلة الأصغر التي رأيتها تكتسب هبة». اشتدّ الألم فجأةً. «يحدث ذلك في ظروف متطرفة، كإجراء احترازي (كردة فعل) هل لديكِ فكرة عما يمكن لهذه الظروف أن تكون؟ فذلك ربما يعطي فهماً دقيقاً عن سبب اكتساب هذه الهبة».

قالت أمي: «لقد أخبرتك أنني لا أعرف».

كانت تكذب، فقد قلت لها ما فعله رايزك بي، لكنني أعرف ما يكفي لكي لا أُناقض كلامها الآن. عندما تكذب أمي، يكون ذلك دائماً لأسباب وجيهة.

قال الدكتور فدلان: «حسناً، أنا آسف لإخبارك أنّ سايرا لا تُطوّر هبتها، ومضاعفات ذلك مقلقة قليلاً».

«ماذا تعني بذلك؟». لم أتصور أن أمي تستطيع الوقوف بهذه الاستقامة، لكنها فعلت ذلك.

قال الدكتور فدلان بلطف: «إنّ التيار يسري عبر كل واحد منا، ومثلما يتقولب المعدن السائل، فالتيار يأخذ شكلاً مختلفاً في كل واحد منا، ويُظهر نفسه بطريقة مختلفة. مثلما يتطوّر الشخص، فهذه التغييرات تستطيع أن تُغيّر القالب الذي يمرّ التيار عبره، وهكذا تستطيع الهبة أن تتغير أيضاً. لكنّ الناس عادةً لا يتغيرون عند يكونون عند المستوى الجوهري الموجودة فيه ابنتك».

لم يكن للدكتور فدلان ذراع فيها علامات، ولم يكن يتكلم اللغة الإيحائية. وكان هناك خطوط عميقة حول فمه وعينيه، تصبح أكثر عمقاً عندما ينظر إليّ. وكانت بشرته داكنة مثل بشرة أمي ما يوحي بالنّسب نفسه. فكثير من الشوتيت يملكون دماءً مختلطة، ولذا لم يكن ذلك مُفاجئاً كان جلدي بُنيّاً متوسطاً، ويميل إلى اللون الذهبي تحت أضواء معينة. قال الدكتور فدلان: «إنّ هبة ابنتك التي تسبّب لها استدعاء الألم إلى داخلها وتوجيه الألم نحو الآخرين، يوحي بشيء ما عما يحدث داخلها، وذلك يتطلب بحثاً أكثر كي نعرف ما هو ذلك الشيء بالضبط. لكنّ التقييم الأولي يفيد إنه بمستوى ما، تشعر بأنها تستحقّه. وتشعر بأنّ الآخرين يستحقونه أيضاً».

تدافع النبض في حنجرة أمي بسرعة أكبر فسألته: «أتقول إن هذه الهبة نتيجة خطأ من ابنتي؟ وأنها تريد أن تكون بهذا الشكل؟».

انحنى الدكتور فدلان إلى الأمام ونظر مباشرةً إليّ وقال: «سايرا، الهبة تأتي منك، وإذا تغيّرتِ فستتغيّر».

وقفت أمي وقالت: «إنها طفلة وهذا ليس خطؤها وهذا ليس ما تريده لنفسها. أنا آسفة لأننا ضيّعنا وقتنا هنا يا سايرا».

مدّت يدها التي غطّتها قفاز، لأمسك بها. لم أكن معتادة على رؤية أمي منزعجة بهذا الشكل، وهذا جعل الظلال التي تحت عينيّ تتحرك بسرعة أكبر.

قال الدكتور فدلان: «كما ترين، تصبح الظلال أسوأ عندما تنفعل ابنتك».

انتفضت أمي وقالت: «اسكت، أنا لا أريدك أن تُسمّم عقلها أكثر مما فعلت».

فردّ بشكل حاسم بينما كنا نغادر الغرفة: «مع عائلة مثل عائلتك، أخشى أنها رأت كثيراً من الأشياء التي أصبح من الصعب معها إنقاذ عقلها».

أسرعت أمي عبر الأروقة نحو رصيف التحميل. وبحلول الوقت الذي وصلنا به إلى المهبط، كان هناك جنود أوثيرين يحيطون بسفينتنا. لقد بدت أسلحتهم هزيلة، فهي قضبان رفيعة مع تيار قاتم ملفوف حولها، مجهّزة للصعق وليس القتل. وكانت دروعهم مثيرة للشفقة فهي مصنوعة من مادة صناعية جنباتها مكشوفة.

أمرتني أمي بدخول السفينة وتوقفت لتتحدث مع أحدهم. فتلكّأتُ بالمشي كي أسمع ما يقولانه.

قال الجندي: «نحن هنا لمرافقتكما نحو العالم الخارجي».

فانتفضت أمي قائلةً: «أنا زوجة ملك الشوتيت، ويجب أن تخاطبني بـ (سيدتي)».

«عذراً سيدتي، لكنّ مجلس الكواكب التسعة لا يعترف بوجود أمة الشوتيت، ولهذا لا يعترفون بالملك. وفي حال غادرتِ الكوكب على الفور، لن نسبّب لك مشكلة».

ضحكت أمي قليلاً وقالت: «لا تعترفون بأمة الشوتيت، سوف يأتي الوقت الذي ستمنى فيه أنك لم تقل ذلك».

أمسكت بتنورتها ورفعتها ومشت نحو السفينة. اندفعت داخلها ووجدت مقعدي وجلست إلى جانبي. أُغلق الباب خلفنا، وأعطى الملاح إشارة الإقلاع. في هذه المرة أنا من شددت الأحزمة حول صدري وفخذيَ، لأن يديَ أمي كانتا ترتعشان بشدة لم يسبق لي أن رأيتها.

في ذلك الوقت، لم أكن أعرف أنه سيكون موسمي الأخير معها، فقد ماتت بعد رحلة الإقامة المؤقتة التالية، وكنت وقتها في موسمي التاسع.

أحرقت في وسط مدينة فوا، وألقت سفينة الإقامة المؤقتة رمادها في الفضاء. وكما حزنت عائلتنا، حزن معنا شعب الشوتيت.

قال القس بينما كان الرماد ينطلق من خلفنا، إليرا نوفاك سوف تقيم للأبد خلف التيار، وسوف يحملها على طريق العجائب.

ولمواسم عديدة بعد ذلك، لم يكن بإمكاني نطق اسمها. ففي النهاية لقد كنت من تسبب بموتها.

الفصل السابع | سايرا

أول مرة شاهدتُ فيها الأخوين كيرسيث، كانت من ممر الخدم الكائن خلف قاعة الأسلحة. وكان ذلك بعد مواسم عدة، في الوقت الذي كنت اقترب بسرعة من سن الرشد.

كان والدي قد انضم إلى أمي في الحياة الآخرة قبل عدة مواسم، بعد أن قُتل في هجوم خلال رحلة إقامة مؤقتة. وسلك أخي رايزك الطريق الذي رسمه له أبي نحو نيل الشوتيت الشرعية، والذي قد يؤدي إلى هيمنة الشوتيت.

كانت مربيتي أوتيجا أول من أخبرني عن عائلة كيرسيث، لأنّ الخدم في منزلنا كانوا يتهامسون بالقصة في المطبخ، وهي لطالما أخبرتني بهمسات الخدم.

قالت لي وهي تُصحّح مقالتي بحثاً عن أخطاء نحوية: «لقد أسرهما خادم أخيكِ، فاس». كانت تعلمني الأدب والعلوم فقط، فقد تفوقت عليها في كثير من المواد الأخرى وأنا الآن أدرس بنفسي، بينما عادت هي لإدارة شؤون المطبخ.

قلتُ لها: «كنت أعتقد أنّ رايزك أرسل جنوداً للقبض على الكاهنة الكبيرة».

قالت أوتيجا: «لقد فعل ذلك، لكنّ الكاهنة أنهت حياتها أثناء القتال كي تتجنّب الأسر. وفي كل الأحوال، تمّ تكليف فاس ورجاله بالقبض على الأخوين كيرسيث بدلاً منها. لقد سحبهما فاس عبر الحد الفاصل، كي يسمع الآخرين

يتحدثون عنه. لكنّ الأخ الأصغر -أكوس - استطاع الفرار من قيده بطريقة ما، وسرق سكيناً ثم وجّهه ضد واحد من رجال فاس وقتله».

سألتها: «من الذي قُتِل؟». فقد كنتُ أعرف الرجال الذين سافروا مع فاس. وكنت أعرف حب أحدهم للحلوى، وأعرف أن كتف اليسرى لأحدهم ضعيفة، وأن الأخير درّب طائراً أليفاً على أكل الطعام من فمه. من الجيد معرفة مثل هذه الأشياء عن الناس. في حال الحاجة إليها.

«كالميف رايدكس».

الذي يحب الحلوى إذاً.

رفعتُ حاجبي. كالميف راديكس هو واحد من نخبة أخي الموثوقين، وقُتل على يد صبي ثوفيّ؟ لم تكن تلك ميتةً مُشرّفة.

سألتها: «لماذا قُبض على الأخوين؟».

حركت أوتيجا حاجبيها وقالت: «بسبب قدريهما، أو هكذا تقول القصة. وبما أنّه من الواضح أنّ قدريهما لم يكونا معروفين للجميع باستثناء رايزك، فهذه هيَ القصة بأكملها».

لم أكن أعرف قدري الأخوين كيرسيث، أو أي أحد آخر سوى قدري وقدر رايزك، رغم أنها أُذيعت قبل بضعة أيام عبر نشرة أخبار المجلس. فقد قطع رايزك بثّ نشرة الأخبار بعد لحظات من ظهور زعيم المجلس على الشاشة. فالزعيم ألقى التصريح باللغة الأوثيرية، رغم أنّ التحدّث والتعليم في بلادنا كان محظوراً بجميع اللغات سوى لغة الشوتيت لأكثر من عشرة مواسم، فلايزال من الأفضل الإحتياط.

لقد أخبرني والدي بقدري الخاص بعد تجلّي هبتي التيارية، ضمن احتفال صغير: الطفلة الثانية لعائلة نوفاك سوف تعبر الحدّ الفاصل. قدر غريب لابنة موهوبة، فقد كان قدراً مُملاً جداً.

لم أعد أتجوّل في ممرات الخدم كثيراً -كان هناك أمور تحدث في هذا المنزل لم أرغب برؤيتها -لكن أن ألمح الأخوين كيرسيث... حسناً، كان عليّ أن أقوم باستثناء ما.

كل ما عرفته عن الشعب الثوفي - إلى جانب حقيقة أنهم أعداؤنا -أنّ لديهم جلداً رقيقاً، يُسهل خرقه بالسكين، وهم مفرطون في تناول الأزهار الجليدية، شريان حياة اقتصادهم. كما تعلّمتُ لغتهم بناءً على إصرار أمي - بالطبع، كانت نخبة الشوتيت مُعفاة من حظر أبي لتعلّم اللغة -وكانت صعبة على لساني، المعتاد على أصوات لغة الشوتيت القوية والقاسية بدلاً من أصوات اللغة الثوفية السهلة والسريعة.

لقد عرفت أنّ رايزك سوف يأمر بأخذ الأخوين كيرسيث إلى قاعة الأسلحة، لذا جثمتُ في الظلمة وعدتُ إلى الجدار المليء بالألواح تاركةً لنفسي شقاً صغيراً كي أرى من خلاله عندما أسمع وقع الأقدام. كانت القاعة مثل شبيهاتها في قصر نوفاك، فالأرضيات والجدران مصنوعة من الخشب الداكن والمصقول لدرجة أنه كان يبدو مثل غشاء رقيق من الجليد. ومن السقف تتدلّى ثريّا كثيرة التفاصيل مصنوعة من مصابيح زجاجية ومعدن ملفوف. وهناك حشرات فينزو صغيرة ترفرف في داخلها، ناشرةً ضوءً متغيراً وغريباً على الغرفة. كان المكان خالياً تقريباً، وكل الوسائد الأرضية - الموزّعة على مقاعد خشبية قليلة الارتفاع لأجل الراحة - يعلوها الغبار، ولذلك تحوّل لونها الأصفر الشاحب إلى الرمادي. لقد استضاف والديّ الحفلات هنا، لكنّ رايزك استخدم القاعة فقط للأشخاص الذين يرغب بإخافتهم.

في البدء رأيتُ فاس، خادم أخي. فقد كان جانب شعره الطويل المدهن مرخياً، والجانب المحلوق محمراً بسبب شفرة الحلاقة. وبجانبه فتىً يمشي متثاقلاً، أكثر نحولاً مما كنتُ عليه، وتغطي الكدمات جلده. كان نحيلاً حتى الكتفين، هزيلاً وقصيراً، ذا جلد فاتح اللون، وبدا جسده متوتراً وكأنه كان يُحضّر نفسه.

أتتْ تنهدات مكتومة من خلفه، حيث الفتى الثاني، بشعره الكثيف والمُجعّد. كان أطول وأعرض من الأول، لكنه مُنكمش على نفسه ولذا بدا أصغر حجماً.

هذان هما الأخوان كيرسيث، الطفلان الأكثر تفضيلاً قدرياً في جيلهما. لم يكن مشهداً مثيراً.

انتظرهما أخي في الجهة الأخرى من القاعة، جالساً على الدرجات المؤدية إلى المنصة المرتفعة وقد أسند ظهره بشكل منحنٍ إلى الدرجات. غطى درع صدره وترك ذراعيه عاريتين، تُظهران خطاً من علامات القتل التي وصلت إلى ما خلف ساعده. كانت لأشخاص أمر أبي بقتلهم من أجل دحض أي شائعات بشأن ضعف أخي ربما انتشرت بين طبقات الشعب الدنيا. وكان يحمل سكيناً تيارياً صغيراً في يده اليُمنى وكل بضع ثوانٍ يقوم بغزلها في راحة يده ويلتقطها دائماً من مقبضها. في ذلك الضوء المائل للزرقة، بدا جلده شاحباً شحوب الموتى.

ابتسم عندما رأى أسيريه الثوفيين، وبانت نواجذه. عندما يبتسم أخي تظهر وسامته، ولا يمكنك إنكار ذلك وإن كان على وشك قتلك.

استند إلى مرفقيه وأمال جذعه ورأسه إلى الخلف أكثر.كان صوته عميقاً وخشناً وكأنه أمضى الليل يصرخ، فأشار إلى ابن كيرسيث الذي تغطي الكدمات جسده وسأله: «أنت الشخص الذي سمعتُ عنه قصصاً كثيرة؟». كان يتكلم اللغة الثوفية بحيوية فقال وهو يضحك: «الفتى الثوفي الذي اكتسب علامة حتى قبل أن نجلبه إلى السفينة؟».

نظرتُ شذراً إلى ذراع الفتى. كان هناك جرح عميق على الجانب الخارجي من ذراعه فوق مرفقه، وبقعة من الدم سالت بين مفاصل براجمه وتجمّدت هناك. علامة قتل غير مُنتهية. وهي علامة جديدة جداً، وفي حال كانت الشائعات صحيحة، فللأمر علاقة بكالميف راديكس. إذاً كان هذا أكوس، فالآخر التي تترقرق عيناه بالدموع هو إيجيه.

وقف رايزك وهو يغزل سكينه في راحة يده ونزل الدرجات قائلاً: «أكوس كيرسيث، الولد الثالث في عائلة كيرسيث». لقد كان أقصر من فاس، بحجم رجل عادي لكنه أطول وأنحف مما يُفترض أن يكون، فوركه وكتفاه أضعف من أن يتحملا وزنه.

لقد كنتُ طويلة أيضاً، لكن هنا ينتهي التشابه الجسدي بيني وبين أخي. فلم يكن من غير الشائع عند الأشقاء الشوتيت أن يبدوا غير متشابهين نظراً لمقدار

تمازج دمائنا، لكننا كنا أكثر تمايزاً من معظم الناس.

حدق الصبي –أكوس – إلى عيني رايزك. كنتُ قد رأيتُ الاسم «أكوس» للمرة الأولى في أحد كتب تاريخ الشوتيت. وهو يعود لأحد القادة الدينيين، رجل دين أنهى حياته بدلاً من إهانة التيار من خلال حمل سكين تياري. إذاً، هذا الفتى الثوفي يحمل اسماً من أسماء الشوتيت. هل نسي أهله فجأةً أصولهم؟ أو أنهم أرادوا أن يُكرّموا دماً شوتيتياً منسياً منذ زمن طويل؟

سأل أكوس بصوت أجش بلغة الشوتيت: «لماذا نحن هنا؟»

ابتسم رايزك أكثر وأجاب باللغة نفسها: «أرى أنّ الإشاعات صحيحة! أنت تستطيع التحدث باللغة الإيحائية. كم هذا رائع. أتساءل كيف حصلت على دمك الشوتيتي؟» ثم لكم طرف عين أكوس، حيث الكدمة ما جعله يجفل. «أرى أنك تلقيتَ عقوبة مناسبة لقتلك أحد جنودي، وأفترض أنّ قفصك الصدري يعاني من الضرر».

كان رايزك يجفل قليلاً عندما يتكلم. والشخص الذي عرفه طويلاً فقط كما عرفته أنا يستطيع رؤية ذلك، لقد كنتُ مُتأكدة. إنّ رايزك يكره رؤية الألم، ليس بدافع الشفقة على الشخص الذي يعاني منه، بل لأنه لا يُحبّ أن يُذكّر بأنّ الألم موجود وأنه كان ضعيفاً أمامه شأنه شأن أي شخص.

قال فاس: «لقد توجّب عليّ حمله إلى هنا تقريباً، وبالتأكيد كان عليّ حمله إلى داخل السفينة».

قال رايزك وهو يتكلم مع أكوس وكأنه أحد الأطفال: «في العادة، يموت من يقتل أحد جنودي، لكنّ قدرك أن تموت وأنت تخدم عائلة نوفاك، تموت وأنت تخدمني. لذا، أُفضّل سلبك عدة مواسم من عمرك أولاً».

لقد كان أكوس متوتراً منذ المرة الأولى التي رأيته فيها. وعندما شاهدته، بدا وكأنّ كل صلابته قد ذابت تاركةً إياه ضعيفاً مثل طفل صغير. فأصابعه كانت مثنية لكن ليس على شكل قبضة بل بشكل غير فعال وكأنه نائم.

أظن أنه لم يكن يعرف قدره.

قال أكوس: «هذا غير صحيح». وكأنه كان ينتظر رايزك ليُهدئ خوفه. ضغطتُ براحة يدي على معدتي فشعرت بألم حاد.

«أوه، أؤكّد لك أنه صحيح. هل تريدني أن أقرأ لك نسخةً من التصريح؟» ثم أخرج رايزك ورقة مطويةً من جيبه الخلفي – يبدو أنه أتى إلى هذا اللقاء على أتم الاستعداد ليُحدث دماراً عاطفياً –وفتحها، كان أكوس يرتجف.

«الابن الثالث لعائلة كيرسيث سوف يموت في خدمة عائلة نوفاك». قرأ رايزك باللغة الأوثيرية وهي اللغة الأكثر تحدثاً في المجرة. وبطريقة ما فإنّ سماع القدر باللغة التي أُعلن فيها عنه جعله يبدو أكثر واقعية بالنسبة إليّ. أتساءل إن كان أكوس المرتجف عند سماع كل مقطع لفظي منه، شعر بالشيء نفسه.

ترك رايزك الورقة تسقط على الأرض. فالتقطها أكوس بخشونة كبيرة حتى كادت تتمزّق. وبقي جاثماً وهو يقرأ الكلمات –مرةً بعد أخرى –وكأنّ قراءتها سوف تغيّر معانيها. وكأنّ موته وخدمته لعائلتنا لم يكونا مُحتّمين.

قال أكوس بشكل أقسى هذه المرة وهو يقف: «لن يحدث ذلك، أفضّل أن... أفضّل أن أموت على أن...»

«أوه، لا أظن أنّ ذلك صحيح»، قال رايزك وهو يُخفض صوته حدّ الهمس. فقد انحنى قريباً من وجه أكوس الذي مزّق الورقة رغم أنه كان هادئاً. «أنا أعرف كيف يبدو الناس عندما يريدون الموت. فقد أوصلتُ كثيرين منهم إلى تلك المرحلة بنفسي. وأنت لاتزال مُتلهّفاً كثيراً لتحيا».

تنفس أكوس وواجهت عيناه عيني أخي بثبات غريب وقال: «لا شأن لأخي بك وليس لديك شيء ضده، دعه يذهب وأنا... أنا لن أسبّب لك أية متاعب».

قال رايزك: «يبدو أنّ لديك كثيراً من الافتراضات الخاطئة حول ما الذي تفعله أنت وأخوك هنا، فكما افترضتَ، نحن لم نعبر الحدّ الفاصل كي نغيّر قدرك فقط. وأخوك ليس ضرراً جانبياً، بل أنت. فقد ذهبنا للبحث عنه».

انتفض أكوس وقال: «أنت لم تعبر الحدّ الفاصل، أنت جلست هنا فقط وتركت خدمك يفعلون كل شيء نيابةً عنك».

التفت رايزك وصعد أعلى المنصة. فالجدار الذي فوقها كان مغطى بأسلحة من جميع الأشكال والأحجام معظمها سكاكين تيارية بطول ذراعي. فاختار سكيناً ضخمة وعريضة ذات مقبض شبيه بمقابض سواطير الجزارين.

قال رايزك وهو يتفحّص السكين: «لأخيك مصير محدد، وأفترضُ بما أنك لم تكن تعرف قدرك الشخصي، فأنت لا تعرف قدره أيضاً؟».

ابتسم رايزك بالطريقة نفسها التي يبتسم فيها عندما يعلم بشيء لا يعلمه الآخرون.

اقتبس رايزك هذه المرة من لغة الشوتيت وقال: «لكي ترى مستقبل المجرة، وبكلمات أخرى، كي تكون الكاهن التالي لهذا الكوكب».

كان أكوس صامتاً.

ابتعدتُ قليلاً عن الشق الموجود في الجدار، وأغمضت عينيّ لكي أستطيع التفكير.

بالنسبة إلى أخي وأبي، فإنّ كل رحلة إقامة مؤقتة، منذ كان رايزك صغيراً، كانت بحثاً عن أحد الكهنة، وكل بحث كان ينتهي بلا شيء. ربما لأنّه من المستحيل تقريباً الإمساك بشخص يعرف مسبقاً أنك قادم، أو بشخص يمكن أن يطعن نفسه بسكين كي يتجنّب الأسر، كما فعلت الكاهنة الكبرى في الغزوة التي جلب فيها الأخوان كيرسيث إلى هنا.

لكن في النهاية، يبدو أنّ رايزك وجد حلاً: لقد طارد كاهنين في الوقت نفسه. واحد تجنّبه بقتل نفسه. والآخر -إيجيه كيرسيث هذا- لم يكن يعرف من هو. فقد كان لايزال ناعماً وطيّعاً بما يكفي لكي يتشكّل من خلال وحشية نوفاك.

تقدمت مرة أخرى إلى الأمام كي أسمع إيجيه وهو يتكلم، فقد أمال رأسه إلى الأمام.

سأل إيجيه بلغة ثوفية غامضة وهو يمسح أنفه بظهر يده: «أكوس، ما الذي يقوله؟».

«يقول إنهم لم يأتوا إلى ثوفية من أجلي، لقد أتوا من أجلك». قال أكوس

ذلك من دون أن ينظر إلى الخلف. كان غريباً أن تسمع شخصاً يتكلم لغتين بشكل رائع جداً، من دون لكنة، لقد حسدته على تلك القدرة.

«من أجلي؟ لماذا؟» كانت عينا إيجيه خضراوين شاحبتين، وذلك لون غير معتاد، مثل أجنحة حشرة قزحية اللون، أو الدفق التياري بعد الزمن المُتلاشي. ولون جلده بني فاتح، يشبه كثيراً الأرض الحليبية لكوكب زولد، فهما تشعان نوعاً ما».

قال رايزك لإيجيه بلسان وحيد أمه، وهو ينزل عن المنصة والسكين بيده: «لأنك الكاهن التالي لهذا الكوكب، سوف ترى المستقبل بكل تنوعاته. وهناك نوع بشكل خاص أرغب بمعرفته».

اندفعت ظلمة من ظاهر يدي مثل حشرة، لقد كانت هبتي التيارية تتسبّب في إيلام مفاصل براجمي وكأنها تتكسّر، فكتمتُ أنيني. كنتُ أعلم ما هو المستقبل الذي أراده رايزك: أن يحكم ثوفية بالإضافة إلى الشوتيت، ويغزو أعداءنا، وأن يُعترف به كزعيم شرعي للعالم من قِبل المجلس. لكنّ قدره كان معلقاً فوقه بثقل مثل قدر أكوس الذي ربما هو عالق فوقه الآن وهو يقول إن رايزك سوف يُقتل على يد أعدائنا بدل أن يحكمهم. لقد كان بحاجة إلى كاهن في حال رغبته بتجنّب ذلك. والآن لديه واحد.

كنتُ أريد أن يُعترف بالشوتيت كأمة بدلاً من مجموعة مُدّعين مُتمرّدين تماماً مثلما كان يريد أخي. إذاً، لماذا كان الألم من هبتي التيارية – دائم الوجود – يتضاعف كل لحظة؟

كان إيجيه يراقب السكين في يد رايزك فقال: «أنا... أنا لستُ كاهناً، ولم يسبق لي أن حظيتُ برؤية، أنا لا أستطيع... وربما لن أستطيع...»

ضغطتُ على معدتي مرة أخرى.

ركّز رايزك السكين في راحة يده ورماها بشكل خفيف فاهتزت مُتحركةً بدوائر بطيئة. لا، لا، لا، وجدتُ نفسي أفكّر، لست واثقةً لماذا.

تحرّك أكوس إلى الممر بين رايزك وإيجيه وكأن بإمكانه إيقاف أخي بجسده فقط.

راقب رايزك سكينه تدور بينما تحرك باتجاه إيجيه.

قال رايزك: «إذاً يجب أن تتعلم رؤية المستقبل بسرعة لأنني أريدك أن تجد لي نسخة من المستقبل الذي أريده وتخبرني ما الذي يجب عليّ أن أفعله للحصول عليه. ولماذا لا نبدأ بنسخة من المستقبل التي فيها الشوتيت، وليس ثوفية، هم من يسيطرون على هذا الكوكب... مممم؟».

أومأ إلى فاس، الذي أجبر إيجيه على الركوع. فأمسك رايزك بقبضة السكين وضغط برأسها رأس إيجيه، تحت أذنه مباشرةً، فأنّ إيجيه من الألم.

قال إيجيه: «لا أستطيع... لا أعرف كيف استدعي الرؤى، لا أعرف...».

عندئذٍ انطلق أكوس نحو خاصرة أخي بسرعة فائقة. لم يكن كبيراً كفاية ليُسقط رايزك لكنه أخذه على حين غرة فأسقطه أرضاً. رفع أكوس يده ليلكمه -فقلت لنفسي يا له من غبي -لكنّ رايزك كان سريعاً جداً. فانتفض عن الأرض ورفس معدة أكوس، ووقف. ثم أمسك بشعر أكوس ورفع رأسه إلى الأعلى وجرحه على طول فكه السفلي من ذقنه حتى أذنه، فأخذ أكوس يصرخ.

لقد كان هذا واحداً من أماكن رايزك المفضلة لجرح الناس. فعندما يُقرر ترك ندبة على جلد شخص ما فهو يريدها أن تكون ظاهرة ولا يمكن إخفاؤها.

قال إيجيه: «أرجوك، أرجوك، فأنا لا أعرف كيفية القيام بما تريد، أرجوك لا تؤذه، ولا تؤذني...».

حدّق رايزك إلى أكوس الذي كان يقبض بإحكام على وجهه وعنقه مُغطى بالدم.

ردّ عليه رايزك: «أنا لا أعرف هذه الكلمة الثوفية (أرجوك)».

في وقت لاحق من تلك الليلة سمعتُ صرخة تردد صداها في الأروقة الهادئة لقصر نوفاك. وعرفت أنها ليست لأكوس – فقد تمّ إرساله إلى ابن عمنا فاركيز، «كي يجعل جلده أكثر ثخانة» كما قال رايزك. وعرفت أنه صراخ إيجيه

وهو يرتفع بسبب الألم، بينما يحاول أخي نبش المستقبل من رأسه.

لقد حلمتُ بهذا الشيء لفترة طويلة بعد ذلك.

الفصل الثامن | سايرا

استيقظتُ متأوهة. كان هناك شخص ما يطرق باب غرفتي.

بدت غرفة نومي مثل غرفة ضيوف، فليس فيها لمسات شخصية، وكل الملابس والأشياء المحببة مُخبّأة في الدروج أو خلف أبواب الخزائن. هذا المنزل المفتوح للريح، بأرضياته الخشبية المصقولة وشمعداناته الضخمة، يحمل ذكريات سيئة. في الليلة الماضية جاءتني إحدى هذه الذكريات في أحلامي –دم أكوس كيرسيث وهو يسيل على عنقه، قبل موسمين–.

لا أريد أن أتجذّر في هذا المكان.

نهضتُ ومررتُ أناملي على خديّ كي أمسح دموعي. لا يمكنني وصف ذلك بالبكاء، فقد كان رشحاً لاإرادياً، يتسبب به الألم القوي، وغالباً عندما أكون نائمة. مرّرت أصابعي برفق على شعري ومشيتُ بتعثّر نحو الباب، لأحيي فاس بصوتٍ صدر من أسفل حلقي.

«ماذا؟» سألته وأنا أخطو بعيداً. في بعض الأحيان يكون المشي داخل الغرفة مفيداً. كان مُهدّئاً، كالتأرجح.

قال فاس: «أرى أنكِ في مزاج جيد، هل كنتِ نائمة؟ ألا تُدركين أننا نقترب من فترة بعد الظهر؟»

قلتُ له: «لا أتوقع منك أن تفهم»، ففي النهاية فاس لم يكن يشعر بالألم. وهذا يعني أنه كان الشخص الوحيد الذي قابلته، منذ أن اكتسبتُ هبتي التيارية الذي يستطيع لمسي بيديه العاريتين، وهو يحبُّ التّأكّد من أني أتذكّر ذلك. في بعض الأحيان عندما يكون رايزك بعيداً ولا يستطيع سماعه كان يقول: عندما تكبرين ربما تجدين قيمة في لمستي، يا سايرا الصغيرة. وأنا كنتُ أقول له دائماً بأنني أفضّل الموت وحيدةً. وكان ذلك صحيحاً.

من يشعر بالألم، لا يعلم عن الفراغ الرمادي الكائن تحت الوعي تماماً والذي يجعله أكثر احتمالاً.

قال فاس: «آه، حسناً، مطلوب حضورك إلى غرفة الطعام هذا المساء لتناول العشاء مع أقرب أنصار رايزك. ارتدي شيئاً جميلاً».

قلتُ له وأنا أصرّ على أسناني: «في الوقت الحالي لا رغبة لي بالعلاقات الاجتماعية، أبلغهما تحياتي».

قال فاس: «قلتُ أنت (مطلوبة) لكن ربما كان عليّ اختيار كلماتي بعناية أكبر، فكلمة (مطلوبة) هي الكلمة التي استخدمها أخوكِ».

أغمضت عيني وأنا أتمهّل في خطواتي لبرهة من الوقت. فكلما كان رايزك يطلب حضوري، كان ذلك من أجل التخويف، حتى عندما يتناول العشاء مع أصدقائه. فهناك مثل شوتيتي يقول «الجندي الجيد لا يتناول العشاء من دون سلاح حتى مع الأصدقاء». وأنا كنتُ سلاحه.

«لقد أتيتُ وأنا جاهز»، فقد كان فاس يحمل قارورةً بنية صغيرة مسدودة بالشمع. لم يكن فيها علامات مميزة، لكنني عرفت ما بداخلها على أية حال: المهدّئ الوحيد والقوي بما يكفي ليجعلني أناسبُ الصحبة المهذبة. أو أكون ملائمة على أية حال.

«كيف يُفترض بي تناول العشاء وأنا تحت تأثير هذه المادة؟ سوف أتقيّأ على الضيوف».

هزّ فاس كتفيه وقال: «لا تأكلي، لكن ليس باستطاعتك القيام بهذا الدور من دون المهدّئ، أليس كذلك؟».

انتزعتُ القارورة من يده ودفعتُ الباب بكعب قدمي لإغلاقه.

بعد الظهر، أمضيتُ فترة طويلة وأنا جاثمة في الحمام، تحت تيار من الماء الدافئ، على أمل إزالة التوتر من عضلاتي، لكنّ ذلك لم يُساعدني.

وهكذا فتحتُ القارورة وشربت.

في تلك الأمسية، وعلى سبيل الانتقام، ارتديتُ على العشاء أحد فساتين أمي الزرقاء الذي وصل حتى أخمص قدميّ، وكان صدره مزيناً بنموذج هندسي ذكّرني بالريش المُرتّب على شكل طبقات بعضها فوق بعض. لقد علمتُ أنّ أخي سوف يتأذى عندما يراني أرتديه–وهذا ما كان يحصل عندما يراني أرتدي شيئاً يخصها –لكن لن يكون بإمكانه قول أي شيء بشأنه. ففي النهاية كنت أرتدي فستاناً أنيقاً، طبقاً لطلبه.

لقد استغرقت عدة دقائق لأثبّته على جسدي فقد كانت أناملي مُخدّرة بسبب المُهدّئ الذي شربته. وبينما كنت أمشي أبقيتُ إحدى يدي على الجدار كي أحافظ على توازني. كان كل شيء يدور ويتأرجح. حملتُ حذائي بيدي الأخرى، سوف أنتعله قبل دخول الغرفة مباشرةً، وهكذا لا أنزلق على الأرضية الخشبية المصقولة.

انتشرت الظلال تحت ذراعيّ العاريتين من الكتف وحتى الرسغ، ثم التفّت حول أصابعي وتجمّعت تحت أظافري. كان الألم يحرقني في كل مكان يذهب إليه، فالدواء يُهدّئه لكنه لا يُزيله. أشرتُ برأسي للحارس الواقف أمام باب غرفة الطعام كي أمنعه من فتحه، وانتعلتُ حذائي.

قلتُ له: «حسناً، الآن افتح الباب»، فسحب قبضتي الباب وأبعد الدرفتين إحداهما عن الأخرى.

كانت غرفة الطعام كبيرة لكنها دافئة، ومُضاءة بمصابيح تتوهج على الطاولة الطويلة وبالنار المشتعلة على طول الجدار الخلفي. وقف رايزك مغموراً بالضوء وبيده كأس شراب وعلى يمينه إيما زيتسيفيس. كانت إيما متزوجة من صديق مقرّب من أمي اسمه أوزول زيتسيفيس. ورغم أنها شابة نسبياً- أكثر شباباً من أوزول على الأقل - كان شعرها أبيض لامعاً، وعيناها زرقاوين فظيعتين وكانت دائمة الابتسام.

كنتُ أعرف أسماء جميع من كان متجمعاً حولهما: فاس بالطبع على يسار أخي. وابن عمه سوزاو كوزار الذي كان يضحك بحماس على شيء قاله رايزك قبل لحظة، ابن عمنا فاركيز الذي يدرّب الجنود، وأوزول وابنته وابنة إيما، الشابة ليتي بجديلة طويلة برّاقة، وأخيراً، زيج راديكس الذي رأيته مؤخراً في جنازة أخيه كالميف؛ جنازة الرجل الذي قتله أكوس كيرسيث.

قال رايزك وهو يُشير إليّ: «آه، ها هي قادمة، أنتم جميعاً تتذكرون أختي سايرا».

قالت إيما: «إنها ترتدي ثياب أمها، يا للجمال».

قلتُ وأنا أجهد بالنطق رغم أنّ شفتيّ كانتا مخدرتين: «لقد أخبرني أخي أن أرتدي ثياباً أنيقة ولا أحد كان يعرف فن الارتداء بأناقة مثل أمنا».

لمعت عينا رايزك بالحقد، فرفع كأسه قائلاً: «نخب إليرا نوفاك، سوف يحملها التيار إلى طريق العجائب».

رفع الجميع كؤوسهم وشربوا. رفضتُ الكأس التي قدّمها لي أحد الخدم الصامتين؛ كانت حنجرتي منقبضة كي أبتلع. كان نخب رايزك تكراراً لما قاله القس في جنازة أمي، ورايزك أراد أن يُذكرني به.

قالت إيما زيتسيفيس: «تعالي إلى هنا يا سايرا الصغيرة، ودعيني أنظر إليكِ. أفترض أنك لن تعودي صغيرة بعد الآن، كم عمرك؟».

قلتُ لها مستخدمةً المرجع الزمني التقليدي: «لقد ذهبت عشر مرات في رحلات إقامة مؤقتة»، مشيرةً إلى ما عشته بدلاً من طول الزمن الذي تواجدتُ فيه.

ثم وضحتُ قائلة: «رغم أني بدأت في وقت مبكر، سوف أبلغ السادسة عشرة في غضون أيام».

ضحكت إيما وهي وقالت: «آوه، أن تكون شاباً وتفكّر بالأيام! إذاً لا تزالين طفلة، وطويلة كما أنتِ».

كانت إيما موهوبة بتوجيه الإهانات الأنيقة. ووصفها لي بالطفلة كان ألطف إهاناتها، كنتُ واثقة من ذلك. فتقدمّتُ من الضوء المُنبعث من الموقدة وابتسمت.

قالت إيما لابنتها: «ليتي، لقد التقيتِ سايرا، أليس كذلك؟». كانت ليتي زيتسيفيس أقصر مني رغم أنها أكبر بعدة مواسم، وكانت هناك حلية صغيرة تتدلى من تجويف حنجرتها، عبارة عن فينزو محبوس في زجاجة. لايزال يشع رغم أنه ميت.

قالت ليتي: «لا لم ألتقِ بها، كنتُ لأُصافح يدكِ يا سايرا لكن...».

اندفعتْ ظلالي وكأنها تستجيب لدعوتها، عبر صدري وحنجرتي. فكتمتُ تأوّهاً في أعماقي.

قلتُ بهدوء: «لنأمل أن لا تحظي أبداً بهذا الشرف». اتّسعت عينا ليتي وهدأ الجميع، تأخرّ الوقت كثيراً، لقد أدركتُ بأني كنتُ ألعوبة بيديّ رايزك، فقد أرادهم أن يهابوني رغم أنهم يتبعونه بإخلاص.

قالت إيما لرايزك: «أسنان أختك حادة، وهذا سيئ لمن سيعارضك».

قال رايزك: «وأيضاً لا يبدو جيداً لأصدقائي، فأنا لم أُعلّمها بعد متى لا يجب العضّ».

تجهّمتُ في وجهه، لكن قبل أن أتمكن من العض مرة أخرى -إذا جاز التعبير -استمرّ الحديث.

«كيف هي حالة المجندين الأخيرة»، سأل فاس ابن عمي فاركيز، الذي كان طويلاً ووسيماً لكنه كان كبيراً في السن فقد كانت التجاعيد تظهر حول عينيه حتى عندما لا يبتسم، وكانت هناك ندبةٌ عميقة على شكل نصف دائرة محفورة في وسط خدّه.

قال فاركيز: «جيدة، وأكثر فهماً وهم لا يزالون في الجولة الأولى».

سألته إيما: «هل هذا سبب عودتك لزيارتنا؟». فالجيش يتدرّب قريباً من الحدّ الفاصل، خارج فوا، ولذا كانت رحلة لعدة ساعات كي يصل فاركيز إلى هنا.

قال فاركيز وهو يومئ لرايزك: «لا، كان عليّ أن أنقل كيرسيث، كيرسيث الصغير».

سأله سوزاو: «هل أصبح جلده أسمك مما كان عليه عندما أخذته؟» لقد كان رجلاً قصيراً، لكنه قاسٍ مثل جلد مدرّع، بشبكة متقاطعة من الندوب. «عندما أخذناه، كانت الكدمات تظهر عليه عند لمسه يا للهول».

ضحك الجميع. وتذكّرتُ كيف بدا أكوس كيرسيث عندما تمّ جرّه إلى داخل هذا المنزل، وأخوه الذي يبكي بحرقة وراءه، والدم لايزال جافاً على يده من علامة القتل الأولى له. لم يبدُ ضعيفاً بالنسبة إليّ.

قال زيج راديكس بخشونة: «ليس رقيق الجلد كثيراً، ما لم تُلمّح إلى أنّ أخي كالميف مات بسهولة كبيرة؟».

أشاح سوزاو بنظره بعيداً.

قال رايزك بنعومة: «أنا واثق أنّ لا أحد يقصد إهانة كالميف يا زيج، فأبي قُتل على يد شخص كان تافهاً بالنسبة إليه أيضاً». ارتشف من كأسه ثم تابع: « لقد حضّرتُ بعض التسلية لنا الآن وقبل أن نأكل».

شعرتُ بالتوتر عندما فُتحت الأبواب، فأنا واثقة من أنّ كل ما يدعوه رايزك تسلية كان أكثر سوءاً مما يبدو عليه. لكنه كان امرأة فقط، ترتدي من رقبتها حتى أخمص قدميها قماشاً قاتماً يُظهر كل عضلة وكل مفصل. وكانت عيناها وشفتاها مُخططتين بنوع من الطبشور الباهت والصارخ.

قالت المرأة بصوت أجش: «أخواتي وأنا من كوكب أوجرا، نقدّم تحياتنا لـلشوتيت ونهديكم هذه الرقصة».

ما إن لفظت آخر كلمة، حتى جمعت يديها معاً وصفقت بحدة. وفي وقت

واحد، اختفت النار في الموقدة والتوهج المتغير من حشرات الفينزو، فأصبحنا في ظلام دامس. كان أوجرا كوكباً مكلّلاً بالظلال، وكان غامضاً بالنسبة إلى كل من في المجرة. ولم يكن أهل أوجرا يسمحون بزائرين كُثر، وحتى تكنولوجيا المراقبة الأكثر تميزاً لم تستطع اختراق غلافهم الجوي. وجل ما يعرف أي شخص عنهم كان مستقى من ملاحظات متفرجين كالحاضرين هنا. ولمرةٍ، كنتُ ممتنة لانغماس رايزك في عروض الكواكب الأخرى، بينما يحظر على الشوتيت الآخرين فعل الشيء نفسه. ومن دون ذلك النفاق لم يكن ليتسنى لي رؤية هذا.

انحنيتُ إلى الأمام ووقفت على أصابع قدمي بتلهّف وانتظرتُ. كان هناك حلزونات من الضوء ملفوفة على يديّ الراقصة الأوجرانية المتشابكتين، وتتأرجح بين أصابعها. وعندما أبعدت راحتي يديها عن بعضهما، ظهرت ألسنة اللهب من الموقدة على راحة يد واحدة وظهرت المدارات الزرقاء لتوهج الـفينزو على راحة اليد الأخرى. لقد تسبّب الضوء الخافت ببروز الطبشور الذي حول عينيها وفمها، وعندما ابتسمت، بدت أسنانها حادة كالأنياب في الظلام.

دخلت راقصتان أخريان إلى المكان من خلفها. بقيتا ساكنتين لدقائق، وبدأت الحركة ببطء. ربتت الراقصة الأبعد إلى جهة اليسار على صدرها بخفة، لكنّ ما صدر عن ذلك التربيت لم يكن صوت جلد على جلد–بل صوت طبل كبير. بدورها تحركت الراقصة الأخرى على هذا الإيقاع الفوضوي، وكانت معدتها تنقبض ويتقعر ظهرها قبل أن تتمدد معدتها مجدداً وتتهدل كتفاها. ثم انتقل الضوء من راحة يدها وعبر هيكلها العظمي، الذي أخذت كل فقرة من فقراته تتوهج بشكل مرئي وبالتوالي.

تنهّدتُ مع عدد من الحاضرين.

لوت مروّضة الضوء يديها، وثبّتت الضوء المُنبعث من الموقدة حول ضوء الـفينزو وكأنها تحيك نسيجاً مزداناً بالرسوم منها. بدا توهجها معقداً، بحركات آلية من أصابعها ورسغيها. وعندما غيرت ضاربة الطبل الصدري الإيقاع، انضمت مروضة الضوء للراقصة الثالثة، تلك التي بعظام متوهجة، في رقص متمايل.

توترتُ من مشاهدتهن، فلم أكن واثقة من أنه يجب أن أكون قلقة أو مذهولة. ففي كل لحظة كنت أشعر بأنهن سيفقدن توازنهن ويسقطن أرضاً، لكنهن كن يمسكن بعضهن كل مرة، متأرجحات متمايلات ملفوفات مرتفعات وهن يومضن بضوء متعدد الألوان.

كنت ألهث عندما انتهى العرض. بدأ رايزك بالهتاف قبلنا جميعاً، وقد انضممتُ إليه مرغمة، وأنا أشعر أنه غير مكافئ لما رأيته للتو. عندها أعادت مروضة الضوء إرسال ألسنة اللهب مرة أخرى إلى نارنا والتوهج إلى مصابيح الـفينزو خاصتنا. كما شبكت النساء الثلاثة أيديهن وانحنين، مبتسمات بشفاه مغلقة.

لقد أردتُ أن أتكلم معهن – رغم أني لم أكن أعلم ماذا يمكنني أن أقول – لكنهنّ كنّ قد غادرن. مع أنه عندما شقّت الراقصة الثالثة طريقها نحو الباب، عقصت قماش تنورتي بين إبهامها وسبابتها. كما أنّ «أخواتها» وقفن معها. لقد كانت قوة تركيز عيونهنّ معاً عليّ غامرة، وكنت متأكدة أنّ حدقات أعينهنّ شديدة السواد ومساحتها أكبر من المعتاد. فشعرت أنني أنكمش أمامهن.

«إنها بحد ذاتها أوجرا صغيرة، مُغطاة بالظلام»، قالت الراقصة الثالثة، والعظام في أصابعها تتلألأ بالضوء، في الوقت الذي كانت فيه الظلال تلتف حول ذراعيّ مثل الأساور.

قالت مروضة الضوء: «إنها هبة».

وكرّرت ضاربة الطبل الصدري كلامها: «إنها هبة».

لم أوافق على ذلك.

كانت النار في غرفة الطعام جمراً فقط. وطبقي مليء بطعام أكلت نصفه – قطع من طائر ميت مشوي، وفاكهة مالحة مُخلّلة، وخليط من الأوراق المرشوشة بالتوابل – وكان رأسي ينبض ألماً. قضمتُ طرف قطعة خبز واستمعتُ إلى أوزول زيتسيفيس وهو يتباهى باستثماراته.

كانت عائلة زيتسيفيس مسؤولة عن تربية وحصاد حشرات الفينزو من

الغابات التي تقع شمال فوا منذ ما يقرب من مئة موسم. ففي الشوتيت، نحن نستخدم الحشرات المتلألئة بيولوجياً من أجل الحصول على الضوء أكثر من أجهزة نقل التيار المستعملة في سائر أرجاء المجرة. لقد كان أثراً مقدساً لتاريخنا الديني، الذي يتضاءل الآن. فقط المُتدين حقاً لم يكن يستخدم التيار بشكل عابر.

ربما بسبب مواظبة عائلة زيتسيفيس، كان أوزول ومايا وليتي متدينين كثيراً ويرفضون تناول أزهار الهشفلور حتى كدواء، ما يعني أنهم يتجنبون معظم الأدوية. كانوا يقولون إنّ أي مادة تُغيّر الحالة الطبيعية للشخص، حتى المخدّر، هي تحدٍّ للتيار. كما أنهم لم يكونوا يتنقلون بمحركات ذات قدرة تيارية. فقد اعتبروها استخداماً تافهاً جداً للطاقة التيارية، طبعاً ماعدا استخدامها في سفينة الإقامة المؤقتة، التي اعتبروها طقساً دينياً. وكانت جميع كؤوسهم مليئة بالمياه بدلاً من العشب الريشي المُخمّر.

قال أوزول: «كان الموسم صعباً بالطبع، ففي هذه المرحلة من دوران كوكبنا، لا يكون الهواء دافئاً كفاية لنمو حشرات الـفينزو بشكل مناسب، لذلك يجب علينا توفير أنظمة حرارة متنقلة...».

في هذه الأثناء، وعلى يميني، كان سوزاو وفاركيز يتناقشان بحماوة حول الأسلحة.

«كل ما أقوله هو - بغض النظر عما آمن به أسلافنا - السكاكين التيارية غير كافية لكل أشكال القتال. على سبيل المثال، القتال ضمن الفضاء أو بعيد المدى...».

انتفض سوزاو قائلاً: «يستطيع أي أحمق أن يُطلق انفجاراً تيارياً، فهل تريدنا أن نضع سكاكيننا التيارية جانباً ونتحوّل إلى ضعفاء ناعمين سنة بعد أخرى، مثل مجلس الأمم الكوكبية؟».

أجابه فاركيز: «ليسوا بهذا الضعف، يقوم مالان بترجمة اللغة الأوثيرية إلى نشرة أخبار الشوتيت، ولقد أراني التقارير». معظم الأشخاص في هذه الغرفة، ولأنهم نخبة الشوتيت، يتحدّثون أكثر من لغة. وخارج هذه الغرفة، كان ذلك

ممنوعاً. «أصبحت الأمور متوترة بين الكهنة والمجلس، وهناك شائعات بأنّ الكواكب تنحاز لأحد الطرفين. وهم يستعدون لصراع أكبر مما رأيناه من قبل على الإطلاق. ومن يعلم ما هي تكنولوجيا الأسلحة التي سوف يمتلكونها عندما يحدث ذلك الصراع؟ هل تريدنا حقاً أن نكون في المؤخرة؟».

قال سوزاو هازئاً: «شائعات، أنت تراهن كثيراً على الأقاويل، يا فاركيز، وتفعل ذلك دائماً».

قال فاركيز: «هناك سبب لرغبة رايزك في تحالفنا مع عائلة بيثار، بالتأكيد ليس لأنه يحب مشهد المحيط، بل لأنهم يمتلكون شيئاً نستطيع استخدامه».

«وضعنا جيد تماماً بهمة الشوتيت لوحدها، وهذا رأيي».

«اذهب وأخبر رايزك بذلك. أنا واثق من أنه سيصغي إليك».

في الجهة المقابلة لي، كانت عينا ليتي مركزتين على الشبكات السوداء التي لطّخت جلدي، وهي تندفع إلى أماكن جديدة كل لحظة، على انحناء مرفقي، وترقوتي، وزوايا فكّي.

عندما التقت عيناها بعينيّ سألتني: «كيف تشعرين بها؟».

قلتُ بانفعال: «لا أعرف، ما هو الإحساس بأي هبة؟».

قالت: «حسناً، أنا أتذكّر أشياءً. كل شيء بشكل واضح، إذاً هبتي تبدو مثل هبة أي شخص آخر.... مثل رنين في أذنيّ، مثل طاقة».

«طاقة» أو عذاب، «يبدو ذلك صحيحاً».

شربتُ بعض العشب الريشي المُتخمّر من كأسي. كان وجهها مثل ثقب إبرة وكان كل شيء يدور حوله، فحاولت جاهدةً التركيز عليها، فسكبت بعضاً من شرابي على ذقني. «أنا أجد أنّ افتتا...» ثم توقفتُ لبرهة. كانت كلمة افتتان صعبة القول مع كمية المهدئ الكبيرة التي كانت تجول في شراييني. «فضولك بشأن هبتي غريب بعض الشيء».

قالت ليتي: «الناس يخافون جداً منك، وأنا ببساطة أريد أن أعرف إذا كان يجب أن أخاف منك أيضاً».

كنتُ على وشك الإجابة، عندما وقف رايزك عند طرف الطاولة وأصابعه الطويلة تحيط بطبقه الفارغ. ووقوفه هذا كان إشارةً للجميع كي يُغادروا، فتقاطروا للخروج، سوزاو في المقدمة، ثم زيج، ثم فاركيز ومالان.

لكن عندما بدأ أوزول بالتحرك نحو الباب، أوقفه رايزك بيده.

قال رايزك: «أودّ التحدّث إليك وإلى عائلتك يا أوزول».

وجدتُ صعوبةً في الوقوف على قدميّ، فاستندت إلى الطاولة لأحافظ على توازني. وقام فاس بوضع قضيب معدني داخل مسكتي الباب، حابساً إيانا. حابساً إياي في الداخل.

قال رايزك وهو يرسم ابتسامة باهتة على شفتيه: «أوه يا أوزول، أخشى أنّ الليلة ستكون صعبةً جداً عليك. أنت تدرك بأنّ زوجتك أخبرتني شيئاً مهماً».

نظر أوزول إلى إيما. فغابت أخيراً ابتسامتها الحاضرة أبداً، وبدت الآن متهمة وخائفة. وأنا واثقة من أنها لم تكن خائفة من أوزول. حتى أنّ مظهره كان بريئاً -كانت بطنه الدائرية المتدلية دليلاً على ثرائه، وكانت قدمه تردف قليلاً إلى الخارج عندما يمشي، ما يعطي مشيته عرجاً خفيفاً.

«إيما؟» سأل أوزول زوجته بضعف.

أجابته إيما: «لم يكن عندي خيار، كنتُ أبحث عن عنوان في شبكة الاتصال، ورأيتُ قائمة اتصالاتك السابقة. كما رأيتُ إحداثيات، وتذكرت أنك كنت تتحدّث عن مستعمرة المنفيين...».

عندما كنتُ صغيرة، كان الحديث عن مستعمرة المنفيين مجرد نكتة يتداولها الناس، وعنت أن كثيراً من الشوتيت الذين لم يكن أبي راضياً عنهم أسّسوا وطناً في كوكب آخر حيث لا يمُكن اكتشافهم. وعندما كبرتُ، أصبحت النكتة إشاعة جديّة. ولكن الآن عندما ذكرت مستعمرة المنفيين حرّك رايزك فكّه وكأنه يحاول أن ينتزع قضمة من قطعة لحم قديمة وقاسية. فهو يعتبر المنفيين الذين كانوا أعداء لأبي وحتى لجدّتي، أحد أكبر التهديدات لسلطة حكمه القائم. فيجب على كل واحد من الشوتيت أن يكون تحت سيطرته، وإلا لن يشعر بالأمان أبداً. وفي حال

قام أوزول بالاتصال بهم، فإنّ ذلك بمثابة خيانة.

سحب رايزك كرسياً بعيداً عن الطاولة وأشار إليه قائلاً: «اجلس». ففعل أوزول ما أُمر به.

قال رايزك لي: «سايرا، تعالي إلى هنا».

في البداية، وقفت في مكاني عند الطاولة، قابضةً على كأس العشب الريشي المُتخمّر. فأطبقتُ على فكّي بينما كان جسدي يمتلئ بالظلال، مثل دم أسود يرشح من أوعية متضررة.

ناداني رايزك بهدوء: «سايرا».

لم يكن بحاجة إلى تهديدي. فأنا كنت سأضع كأسي وأمشي نحوه، وأقوم بما يطلبه مني. وسوف أفعل ذلك دائماً، طالما حيينا معاً، أو أنّ رايزك سوف يقول للجميع ما الذي فعلته لأمي.

وضعتُ كأسي. ومشيتُ باتجاهه. وعندما قال لي رايزك أن أضع يديّ على أوزول زيتسيفيس إلى أن يُدلي بكل المعلومات التي يحتاج إلى معرفتها، فعلتُ ذلك.

لقد أحسستُ بالرابط يتشكّل بين أوزول وبيني، والإغراء بحشر كل الظلال داخله، كي ألطّخه بالسواد مثل الفضاء وأُنهي عذابي الخاص. كان بإمكاني قتله لو أردتُ بلمسة مني فقط. فقد فعلتُ ذلك من قبل وأردتُ فعل ذلك مرة أخرى، كي أهرب من هذه القوة الهائلة التي تحرق أعصابي مثل الأسيد.

كانت إيما وليتي تبكيان، لقد منعت إيما ليتي عندما حاولت الاندفاع نحوي. فتلاقت أعيننا وأنا أدفع الظلمة الحبرية (الظلال التيارية) داخل جسد أبيها، وكل ما رأيته فيها كان الكره.

صرخ أوزول. وصرخ لمدة طويلة حتى أني تخدّرتُ من الصوت.

أخيرا ناح قائلاً «توقفي!». وبإيماءة من رايزك، أبعدتُ يديّ عن رأسه. فتعثّرتُ وأنا أتراجع وأرى بقعاً، ويديّ فاس تضغطُ على كتفيّ، وتُثبّتني.

قال أوزول: «لقد حاولتُ إيجاد المنفيين». كان وجهه يلمع من العرق.

«أردتُ أن أهجر الشوتيت، لتكون لي حياة خالية من هذا... الطغيان. وسمعتُ أنهم في كوكب زولد، لكنّ الشخص الذي وجدته هناك فشل في التواصل مع المنفيين. لم يكن لديهم شيء. ولذلك استسلمتُ، استسلمتُ».

كانت ليتي تبكي، لكنّ إيما كانت هادئة، وذراعها ملتفة حول صدر ابنتها.

قال رايزك بلطف: «أُصدّقك، فنزاهتك معروفة. سوف تتدبّر سايرا الآن مسألة عقابك».

كنتُ أتمنى لو أنّ الظلال التي في جسدي تخرج مثل مياه من خرقة معصورة. ولو أنّ التيار يغادرني ولا يعود أبداً؛ تجديف. لكن كان هناك حدود لإرادتي. وعندما حدق رايزك، انتشرت ظلال التيار، وكأنه يتحكم بها أكثر مني. وربما كان ذلك صحيحاً.

لم أنتظر وعيده. فلامست جلد أوزول زيتسيفيس بجلدي إلى أن ملأت صرخاته كل المساحات الفارغة في جسدي، إلى أن أمرني رايزك بالتوقف.

الفصل التاسع | سايرا

لقد رأيتُ المكان الذي كنتُ فيه بشكل خافت، الخطوة الناعمة تحت قدميّ -العاريتين الآن، لابدّ وأني أضعتُ حذائي في غرفة الطعام -كما انعكست أضواء الـفينزو المُتغيّرة على ألواح أرضية الغرفة، والشبكات السوداء تعبر أعلى وأسفل ذراعيّ. بدت أصابعي معوجّة، وكأنها محطمة، لقد انثنت جميعها في زاوية واحدة.

سمعتُ صراخاً مكتوماً يأتي من مكان ما داخل قصر نوفاك، وأول ما فكّرتُ به كان إيجيه كيرسيث، رغم أني لم أسمع صوته منذ عدة شهور.

لم أرَ إيجيه سوى مرة واحدة منذ وصوله. كانت عند مروري في الممر بجانب مكتب رايزك. كان نحيلاً، وعيناه ميتتين. عندما كان الجندي يثبّته بعيداً عني، أمعنت النظر إلى التجاويف فوق ترقوته، كانت الآن خنادق خاوية من اللحم. إما أنّ إيجيه كيرسيث يملك إرادةً حديدية، أو أنه لا يعرف حقيقةً كيف يستخدم هبته التيارية ببراعة، كما يدّعي. وإذا توجّب عليّ المراهنة على أحد الاحتمالين فسوف يكون الاحتمال الأخير.

انتفض رايزك بغضب وقال لفاس: «أرسل في طلبه، ففي النهاية هو موجود هنا من أجل هذا».

كان أعلى (مشط) قدمي يقشط الخشب الداكن. فقد كان فاس وهو الوحيد القادر على لمسي، يجرّني نصف محمولة إلى غرفتي.

تمتمتُ قائلةً: «يُرسل في طلب من؟» لكنني لم أصغِ للجواب. فقد اجتاحتني موجة من الألم، وتخبّطتُ تحت قبضة فاس وكأنَّ ذلك سوف يساعدني بالهرب من الألم.

من الواضح أنّ ذلك لم ينفع.

نزع أصابعه عن ذراعيّ وتركني أنزلق نحو الأرض. فرفعتُ نفسي على يديّ وركبتيّ في غرفة نومي. وسقطت نقطة عرق –أو دموع، كان من الصعب معرفة ذلك –من أنفي.

سألته بنبرة حادة: «من... من كان يصرخ؟».

أجابني فاس: «أوزول زيتسيفيس، من الواضح أنّ لهبتك تأثيراً طويل الأمد».

وضعت جبهتي على الأرض الباردة.

لقد جمع أوزول زيتسيفيس قشور حشرات الـفينزو. كان قد أراني إياها ذات مرة، القشور الأكثر ألواناً، وهي مثبته على لوح في مكتبه، مكتوب عليها سنة الحصاد. كانت قزحية الألوان، متعددتها، وكأنها تحمل ضفائر من الدفق التياري نفسه. كان يلمسها وكأنها أروع الأشياء في منزله، الذي كان يزخر بمظاهر الثراء. كان رجلاً محترماً، وأنا... أنا جعلته يصرخ.

بعد برهة – لم أعرف كم من الوقت استمرت – فُتح الباب مرة أخرى، ورأيت حذاء رايزك، أسود ونظيفاً. حاولتُ النهوض لكنّ ذراعيّ وساقيّ كانت ترتجف، ولذا كان عليّ أن أحرك رأسي كي أنظر إليه. كان هناك شخص مرتبك خلفه في الممر عرفته من بعيد، وكأنه قادم من حلم.

كان طويلاً؛ تقريباً بطول أخي. ووقف مثل جندي، منتصب الظهر، وكأنه يعرف نفسه. لكن رغم وقفة الجندي، كان نحيلاً هزيلاً، وهناك ظلال خفيفة تتجمّع تحت عظام خدّيه، ووجهه مرقّط بكدمات وجروح قديمة.

وهناك ندبةٌ رفيعة تحت فكه، من الأذن وحتى الذقن، وضمادة بيضاء ملفوفة حول ذراعه اليمنى. علامة حديثة، إذا كان يجب عليّ أن أتكهّن، لاتزال في طور الشفاء.

رفع عينيه الرماديتين كي يلاقيا عينيّ. كان حذرهما –حذره –هو ما جعلني أتذكر من كان. أكوس كيرسيث، الطفل الثالث من عائلة كيرسيث، وهو الآن رجل ناضج تقريباً.

عاد كل الوجع الذي كان يتراكم في داخلي واندفع فجأةً، فأمسكتُ رأسي بكلتا يديّ، كي أكتم صرخةً. بالكاد استطعتُ رؤية أخي من خلال عينيّ الغائمتين بالدموع، لكنني حاولت التركيز على وجهه، الذي كان شاحباً شحوب الأموات.

كان هناك شائعات حولي في شتى أرجاء الشوتيت وثوفية، بتشجيع من رايزك، وربما انتقلت هذه الشائعات إلى شتى أرجاء المجرة بما أنّ كل الأفواه تحب الثرثرة عن السلالات المُفضّلة. كانوا يتحدثون عن الألم الذي باستطاعة يديّ أن تجلبانه، وعن ذراعٍ مُغطاة بعلامات القتل من الرسغ وحتى الكتف، وعن عقلي المرتبك حتى حدود الجنون. لقد كنُتُ مرهوبة الجانب ومكروهة في الوقت نفسه. لكنّ هذه النسخة مني – هذه الفتاة المتذمّرة والمنهارة – لم تكن ذلك الشخص المعني بالشائعة.

ازداد وجهي سخونةً، من شيء ما غير الألم: الذّل. فلا يفترض أن يراني أحد على هذه الحال. كيف أمكن لـرايزك أن يجلبه إلى هنا وهو يعرف كيف كنتُ أشعر دائماً، بعد... حسناً، بعد ذلك؟

حاولتُ أن أكتم غضبي داخلي كي لا يسمعه رايزك في صوتي وسألته: «لماذا جلبته إلى هنا؟».

أجابني رايزك: «دعينا لا نؤخر هذا». وأشار إلى أكوس طالباً منه التقدم. فاقتربا مني، وذراع أكوس اليمنى مشدودة إلى جسمه، وكأنه يحاول البقاء أبعد ما يمكن عن أخي من دون أن يعصي أمره.

«سايرا، هذا أكوس كيرسيث. الابن الثالث لعائلة كيرسيث، إنه -ابتسم رايزك بتكلّف -خادمنا الوفي».

بالطبع كان يشير إلى قدر أكوس الذي فرض عليه الموت من أجل عائلتنا. الموت في الخدمة، كما زعمت أخبار المجلس قبل موسمين. فالتوى فم أكوس عند تذكيره بذلك.

قال رايزك: «يمتلك أكوس هبة تيارية مميّزة أعتقد أنها ستثير اهتمامك».

أومأ إلى أكوس الذي جثم إلى جانبي، ثم مدّ راحة يده كي ألتقطها.

حدّقتُ إليها. في البداية، لم أعرف ماذا يعني ذلك بالتحديد. هل كان يريدني أن أُسبّب له الألم؟ لماذا؟

قال رايزك: «ثقي بي، سيعجبك الأمر».

مددتُ يدي نحو أكوس، فانتشر السواد تحت جلدي مثل الحبر المسكوب. لمست يده بيدي، وانتظرته أن يصرخ.

بدلاً من ذلك، انسحبت كل الظلال التيارية إلى الخلف واختفت. وباختفائها ذهب ألمي.

لم أشعر بالإعياء الذي كان يصاحب الدواء الذي كنت ابتلعه والذي يجعل كل حواسي متبلدة. بل كان الأمر أشبه بالعودة إلى الحالة التي كنت عليها قبل أن أكتسب هبتي، لا، حتى تلك الحالة لم تكن بهذا الهدوء والسكون اللذين شعرت بهما الآن، ويدي في يده.

سألته: «ما هذا؟».

كان جلد يده قاسياً وجافاً مثل حصى لم تُنعّمها المياه الجارية. وبالرغم من ذلك كانت دافئة بعض الشيء. فأنعمتُ النظر في يدينا المتشابكتين.

«أنا أُعيق التيار». كان صوته عميقاً بشكل مدهش، لكنه أجش كما يفترض أن يكون صوت من في مثل عمره. «مهما كان ما يفعله».

قال رايزك: «هبة أختي جوهرية يا كيرسيث، لكنها مؤخراً فقدت معظم فائدتها بسبب مقدار العجز الذي سبّبته لها. ويبدو لي أنّ هذا أفضل ما تستطيع أن

تنجزه بقدرك» ثم انحنى قريباً من أذن أكوس وقال: «يجب عليك طبعاً أن لا تنسى أبداً من يُدير هذا المنزل حقيقةً».

لم يبدر عن أكوس أي حركة، رغم الاشمئزاز الذي بدا على وجهه.

وقفتُ على كعبيّ، وأنا حريصة على إبقاء راحة يدي في يد أكوس، رغم أني لم أستطع النظر إلى عينيه. بدا وكأنه دخل في أعماقي بينما كنتُ أتحوّل، ورأى ما لم يستطع الآخرون رؤيته.

عندما وقفت، وقف معي. وبالرغم من طولي إلا أنني لم أبلغ أعلى من أنفه.

سألت رايزك: «ماذا يُفترض بنا أن نفعل، هل نبقى ممسكي اليدين في كل مكان نذهب إليه؟ ماذا سيظنّ الناس؟»

قال رايزك: «سيظنون أنه خادم، وهذا حقيقة ما هو عليه».

تقدّم رايزك نحوي، ونزع يده. فارتددت إلى الخلف نازعةً يدي من قبضة يد أكوس، واندفعت الحلقات السود في كل مكان مرة أخرى.

سألني رايزك: «هل أشمّ رائحة جحود؟ ألا تُقدّرين الجهود التي بذلتها للحفاظ على راحتك، وما أتخلى عنه عندما أُقدّم لك خادمنا المُقدّر كرفيق دائم؟».

«كيف لا أُقدّر ذلك». وجب عليّ الحرص على عدم استفزازه. فآخر ما أريده أن يستبدل رايزك كثيراً من ذكرياته بذكرياتي. «شكراً لك يا رايزك».

ابتسم رايزك: «تأكدي أنني سأبذل قصارى جهدي للحفاظ على أفضل جنرالاتي بحالة ممتازة».

لكنه لم يفكّر بي كجنرال، وأنا أعرف هذا. فالجنود كانوا يدعونني بسوط رايزك، أداة التعذيب التي في يده. في الحقيقة لقد كان رايزك ينظر إليّ كما ينظر إلى سلاح يثير إعجابه، لقد كنتُ مجرّد سكين بالنسبة إليه.

بقيتُ ساكنةً إلى أن غادر رايزك، وعندما بقينا بمفردنا مشيت سريعاً مبتعدة عن الطاولة نحو الجهة الأمامية من السرير وبعدها نحو خزائن ثيابي، ثم عدت إلى

السرير. لم يسبق أن دخل هذه الغرفة سوى عائلتي وفاس، واستأت من الطريقة التي كان ينظر فيها أكوس إلى الأشياء، وكأنه كان يترك بصماته في كل مكان.

قطّب حاجبيه وسألني: «منذ متى وأنت تعيشين هكذا؟».

«تعيشين هكذا؟» قلتها بشكل أقسى مما كنت أعني. فكلّ ما استطعتُ أن أفكّر به هو كيف كنتُ أبدو عندما رآني، مُتكوّمة على الأرض، مُلطّخة بالدموع ومُبلّلة بالعرق، مثل حيوان متوحّش.

قال بصوت مشفق وأكثر ليونة: «تعيشين هكذا، وتبقين معاناتك سرّاً».

شفقة، كنتُ أعرف أنها كلمة فيها قلة احترام لكنها مغلفة باللطافة. كان عليّ أن أتعامل معها بشكل مبكر، وإلا ستخرج عن نطاق السيطرة بمرور الوقت. لقد علّمني أبي أنه لا ينبغي التهاون بمسألة الشعور بالشفقة.

«لقد اكتسبتُ هبتي عندما كان عمري ثمانية مواسم فقط. ونظراً إلى فرحة أبي وأخي الغامرة. اتفقنا على أن أُبقي ألمي سرياً، لمصلحة عائلة نوفاك. ولمصلحة الشوتيت».

بدا أكوس ممتعظاً. حسناً، على الأقل انتهى من الشفقة. لكن ذلك لم يستمر طويلاً.

قلتُ بهدوء: «مُدّ يدك»، فأمي كانت دائماً تتكلم بهدوء عندما تكون غاضبة. وتقول إن ذلك يجعل الناس يصغون. لمَ لمْ أكن أمتلك لمستها الحانية. لكنه مع ذلك، أصغى إليّ وتنهد ومدّ يده باستسلام وكانت راحة يده إلى الأعلى، وكأنه يقصد تخفيف ألمي.

وضعتُ رسغ يدي الأيمن على رسغ يده، وأمسكتُ به من تحت كتفه بيدي اليسرى، واستدرتُ بشكل حاد. بدا الأمر مثل الرقص؛ يد مُتحرّكة، ونقل للوزن، فأصبحتُ خلفه، لاوية ذراعه بقوة، مُجبرةً إياه على الانحناء.

همستُ له: «ربما أكون متألمة، لكني لستُ ضعيفة». بقي ساكناً تحت تأثير قبضتي، لكنني شعرت بتوتر ظهره وذراعه. «أنتَ مُلائم لكنك لستَ ضرورياً. أتفهم ما أقوله؟».

لم أنتظر جوابه. حررت ذراعه، وخطوت إلى الوراء، فعادت ظلالي التيارية وتألمت إلى الحدّ الذي انهمرت فيه دموعي.

قلتُ له: «في الباب المجاور هناك غرفة فيها سرير، اخرج من هنا».

بعد أن سمعته يغادر، اتكأتُ إلى هيكل السرير مغمضة عينيّ. لم أكن أريد هذا، لم أكن أريده على الإطلاق.

الفصل العاشر | سايرا

لم أتوقع عودة أكوس كيرسيث، على الأقل لم أتوقع عودته طواعية. لكن في صباح اليوم التالي وجدته واقفاً أمام باب غرفتي، وكان هناك حارسة تتحرك على بعد خطوات خلفه. حمل أكوس قارورة كبيرة فيها سائل أحمر مائل إلى البنفسجي.

قال ساخراً: «سيدتي، بما أننا لا نريد الإبقاء على تواصل جسدي دائم، فربما تجربين هذا. إنه آخر مخزون لديّ».

اعتدلتُ في جلستي عندما بلغ الألم الذروة، فقد كنتُ مجرد مجموعة من الأجزاء الجسدية، كاحل وركبة ومرفق وعمود فقري، كلٌّ يعمل كي يجعلني أقف بشكل مستقيم. رفعتُ شعري الأشعث فوق كتفي، وأدركت فجأة كم كان مظهري غريباً، وأنا لا أزال أرتدي ثياب النوم وقد حلّ الظهر، وهناك كُم مُدرّع حول ساعدي الأيسر.

«هل هذا مُهدّئ؟ لقد جرّبتُ أمثاله. لم تنفعني المهدئات حتى أن مفعول بعضها كان أكثر سوءاً من الألم».

سألني وحاجبه مرفوع: «هل جرّبتِ مهدئات مصنوعة من أزهار الهشفلور؟ في بلاد لا تُحبّ استخدامه؟».

أجبتُ باقتضاب: «نعم، أدوية أوثيرية، أفضل المتوفر».

طقطق بلسانه وقال: «الأدوية الأوثيرية. ربما هي الأفضل بالنسبة إلى معظم الناس، لكن ربما لا ينفعك ما ينفع معظم الناس».

«الألم هو الألم».

مع ذلك، نقر القارورة بذراعي وقال: «جربيها، ربما لن تُخلّصك من ألمك بشكل كامل، لكنها ستخفف من حدته كما أن آثارها الجانبية لا تكاد تذكر».

نظرتُ إليه بتشكّك، ثم استدعيتُ الحارسة التي تقف في الرواق. فأسرعت إليّ وهي تهزّ رأسها عندما وصلت إلى المدخل.

قلتُ لها وأنا أُشير إلى القارورة: «هلّا تذوقتِ هذا؟».

سألني أكوس: «أتشكين بأنني قد أسممك؟».

«إنه أحد احتمالات كثيرة».

أخذت الحارسة القارورة، وجحظت عيناها خوفاً.

طمأنها أكوس قائلاً: «لا عليكِ، ليست سماً».

تناولت الحارسة بعضاً من المهدّئ، ومسحت فمها بظهر يدها. ووقفنا ثلاثتنا للحظات، بانتظار حدوث شيء ما، أي شيء. وعندما لم تسقط، أخذتُ القارورة منها، والظلال التيارية تندفع من أصابعي وهي تخز وتلسع. وحالما فعلتُ ذلك، مشت مُبتعدةً عني.

بدت رائحة المهدّئ كالشعير المتعفن. فابتلعته دفعةً واحدة، وكنت واثقة أنه سيكون مقرفاً مثل جرعات الدواء الأخرى، لكنّ النكهة كانت لاذعة وفيها شبه طعم من الأزهار. فغلّفت حنجرتي وتجمعت بشكل ثقيل في معدتي.

خاطبني قائلاً: «ستمر دقائق قبل أن يظهر مفعولها. هل ترتدين ذلك الشيء كي تنامي؟». كان يلمح إلى الغمد المُدرّع حول ذراعي الذي كان يغطي من الرسغ إلى المرفق، والمصنوع من جلد المخلوق المُدرّع. كان مخدوشاً في أماكن عدة جراء ضربات السكاكين حادة. في الواقع لم أكن أنزعه إلا عند الاستحمام.

«هل تتوقعين هجوماً ما؟».

«لا». ودفعتُ بالقارورة الفارغة إليه.

قطّب حاجبه وقال: «إنها تُغطي علامات القتل التي لديكِ، لماذا يريد سوط رايزك أن يخفي علاماته؟».

«لا تدعوني بهذا اللقب». شعرتُ بالضغط داخل رأسي، وكأنّ أحدهم يضغط على صدغيّ من الجانبين. «لا تدعوني بذلك مجدداً».

سرى في جسدي إحساس بارد، يخرج من المنتصف وكأنّ دمي يتحوّل إلى جليد. في البداية ظننتُ أنه مجرّد غضب، لكنه كان محسوساً أكثر، لم يكن مؤلماً... نهائياً. وعندما نظرتُ إلى ذراعيّ، كانت بقع الظلال لاتزال هناك، تحت جلدي، لكنها كانت باهتة.

قال لي: «لقد أعطى المهدئ مفعوله، أليس كذلك؟».

كان الألم لايزال هناك، يُوجع ويحرق في كل مكان تنتقل إليه الظلال التيارية، لكن تجاهله كان أكثر سهولة. وبالرغم من أنني بدأت أشعر بالدوار نوعاً ما لكني لم أمانع ذلك. ربما سوف أحظى بليلة نوم هادئة أخيراً.

اعترفتُ قائلةً: «قليلاً».

قال لي: «هذا جيد، لأنّ عندي صفقة لأعرضها عليكِ، وهي تعتمد على كون المهدّئ مفيداً لكِ».

«صفقة؟ هل تظن أنك في موقع يسمح لك بعقد صفقة معي؟».

أجابني: «نعم أظن ذلك، بقدر ما تصرين على أنك لستِ بحاجة إلى مساعدتي بشأن ألمكِ، فأنت تريدينها، وأنا أعلم ذلك. وباستطاعتك إما محاولة سحقي كي أخضع من أجل الحصول عليها، أو معاملتي كشخص، فتصغي لما يجب عليّ أن أقوله، وبذلك ربما تحصلين على مساعدتي بسهولة. الخيار يعود لكِ، طبعاً، يا سيدتي».

كان التفكير أسهل لو لم تكن عيناه تضغطان على عينيّ، ولذا حدّقتُ إلى خطوط الضوء القادمة من خلال أغطية النافذة، التي تُظهر المدينة بشكل مقطعي. وراء السور الذي يُبقي قصر نوفاك معزولاً، حيث يمشي الناس في الشوارع وهم

يتمتعون بالدفء والغبار الذي يلفّهم لأنّ الشوارع الترابية كانت جافة.

لقد تعرفت إلى أكوس من موقف ضعف بكل ما للكلمة من معنى، جثوتُ على الأرض عند قدميه. ولقد حاولتُ العودة بشكل قسري إلى مكان القوة، لكنّ ذلك لم ينفع، فلم يكن بإمكاني محو ما كان واضحاً لأي شخص ينظر إليّ: كنتُ مغطاة بالظلال التيارية، وكلما طالت فترة معاناتي بسببها، صعب عليّ أن أعيش حياةً ذات قيمة. ربما كان هذا أفضل خيار عندي.

قلتُ له: «سأُصغي إليك».

«حسناً»، وضع إحدى يديه على رأسه، ولمس شعره. كان بنياً كثيفاً، وبدا ذلك جلياً من الطريقة التي اخترقته أصابعه. «في الليلة الماضية، تلك... المناورة التي قمتِ بها. أنتِ تعلمين كيف تقاتلين».

قلتُ له: «أتطلب مني بطريقة غير مباشرة أن أعلمك».

«هل تُعلّمينني إذا طلبتُ منكِ ذلك؟».

«لماذا؟ لكي تكمل إهانتي؟ لكي تحاول قتل أخي وتفشل؟».

«أنت تفترضين فقط أني أريد قتله؟».

«ألا تريد ذلك؟».

صمت قليلاً ثم قال كل كلمة بتؤدة: «أريد إعادة أخي إلى الوطن، ومن أجل ذلك، ومن أجل البقاء على قيد الحياة هنا، يجب أن أكون قادراً على القتال».

لم أكن واثقة ماذا يعني أن تحبّ أخاً بهذا القدر. ومما رأيته من إيجيه – حطام شخص ضعيف –لم يبدُ جديراً بالجهد المبذول لأجله. لكنّ أكوس بوقفته التي تشبه وقفة الجنود ويديه الثابتتين، بدا واثقاً.

قلتُ له: «ألم تتعلم القتال قبل الآن؟ لماذا أرسلك رايزك إلى ابن عمي فاركيز لموسمين، ألم يكن ذلك من أجل تعليمك هذه المهارات؟».

«أنا كفوء، وأريد أن أكون جيداً».

شبكتُ ذراعيّ على صدري وقلتُ له: «لم تذكر الجزء الذي يخصني من الصفقة بعد».

«مقابل تدريبي، سأعلّمك كيف تعدّين هذا المهدّئ الذي شربته للتو، ولن يتوجب عليك الاعتماد عليّ، أو على أي أحد شخص بعدها».

بدا وكأنه يعرفني، يعرف الشيء الوحيد الذي يغريني. فلم يكن التخلص من الألم هو ما أريد، بل التخلص من الاعتماد على الغير. وهو كان يعرضه عليّ في قارورة، في جرعة من أزهار الهشفلور.

قلتُ له: «حسناً، سأدربك».

بعد فترة قصيرة، أخذته إلى القاعة، وهي غرفة صغيرة في نهايتها باب مقفل. هذا الجناح من قصر نوفاك لم يكن مُجدّداً، فالأقفال لاتزال بحاجة إلى مفاتيح بدلاً من الفتح عن طريق اللمس أو وخز الإصبع، مثل الأقفال الجينية التي تفتح الغرف حيث يقضي رايزك معظم أوقاته. أخرجتُ المفتاح من جيبي -كنتُ أرتدي ملابس حقيقية، بنطالاً فضفاضاً وسترة.

كان في الغرفة سطح طويل برفوف فوقه وأسفله، مليئة بالقوارير، والفناجين والسكاكين، والملاعق، وألواح التقطيع، وصف طويل من الجرار البيضاء مُعلّمة برموز شوتيتية خاصة بالأزهار الجليدية – كنا نحتفظ بمخزون صغير منها، بما في ذلك أزهار الهشفلور، بالرغم من أنّ ثوفية لم تكن تصدّر أي بضاعة إلى الشوتيت منذ أكثر من عشرين موسماً، إلا أننا كنا نستوردها بطرق ملتوية بواسطة طرف ثالث – بالإضافة إلى مكونات أخرى تمّ جلبها من أرجاء المجرة؛ أوعية معدنية للطبخ، من درجات اللون الأحمر البرتقالي، تتدلّى فوق الفرن على الجهة اليُمنى، أضخم وعاء فيها أكبر من رأسي وأصغرها بحجم يدي.

أخذ أكوس واحداً من أكبر الأوعية ووضعه على الفرن.

قال لي: «لماذا تعلّمتِ القتال إذا كان بإمكانك إيذاء الناس بلمسة؟». ملأ أحد الفناجين بالماء من أحد الصنابير الموجودة على الجدار، وصبّه في الوعاء. ثم أشعل الفرن وأخذ لوح تقطيع وسكين.

«إنه جزء من تعليم أي واحد من الشوتيت. نحن نبدأ بذلك منذ الصغر».

تردّدتُ للحظة قبل أن أضيف، «لكني استمررت لأني استمتعتُ بذلك».

سألني هو يتفحّص الجرار بإصبعه: «هل لديك أزهار هشفلور هنا؟».
قلت له: «في الأعلى جهة اليمين».
«لكنّ الشوتيت لا يستخدمونها».
قلتُ بتصنّع: «لا يستخدمه الشوتيت، لكننا استثناء. فلدينا كل شيء هنا. القفازات تحت الفرن».
تذمّر قليلاً وقال: «حسناً أيتها المُستثناة، يجب عليك أن تحصلي على المزيد فسوف نحتاج إليها».
«حسناً»، انتظرتُ قليلاً قبل أن أسأل: «ألم يعلّمك أحد خلال التدريب في الجيش أن تقرأ؟».
لقد افترضتُ أنّ ابن عمي فاركيز قد علّمه أكثر من مهارات القتال الأساسية. كتابة اللغة على سبيل المثال. «فاللغة الإيحائية» تشير فقط إلى اللغة المنطوقة، وليس المكتوبة. لقد توجّب علينا جميعاً أن نتعلّم الحروف الشوتيتية.
قال: «لم يكن مهتماً بأشياء كهذه، قال لي (اذهب) فذهبت. وقال لي (توقف) فتوقفت. كان هذا كل شيء».
قلتُ له: «لا يجدر بفتى ثوفي ناعم أن يشتكي من تحويله إلى رجل شوتيتي قاسٍ».
قال: «لا أستطيع أن أتغيّر لأصبح من الشوتيت، فأنا ثوفي، وسوف أبقى كذلك دائماً».
«أن تتحدث معي باللغة الشوتيتية يفترض عكس ذلك».
انتفض قائلاً: «أن أتحدث معك بالشوتيتية بسبب شذوذ جيني لا أكثر».
لم أنزعج من النقاش معه، فقد كنتُ واثقة من أنه سوف يغير رأيه بمرور الوقت.
تناول أكوس إحدى جرار أزهار الهشفلور وسحب منها واحدة بأصابعه العارية. وقطع جزءاً من إحدى البتلات ووضعه في فمه. ذهلت بشدة ما حال دون تحركي. فهذه الكمية من زهرة الجليد بهذا المستوى من التركيز يجب أن

تطرحه أرضاً على الفور. ابتلعها، وأغلق عينيه لبرهة، ثم عاد إلى لوح التقطيع.

قلتُ له: «أنت محصّن تجاهها كما أنت محصن تجاه هبتي التيارية».

قال، «كلا، لكنّ تأثيرها ليس بتلك القوة بالنسبة إليّ».

تعجّبتُ كيف أنه اكتشف ذلك.

أعاد زهرة الهشفلور إلى اللوح، وضغط بنصل السكين على مكان تجمّع البتلات. فانفصلت بتلاتها. ثمّ مرر نصل السكين على وسط كل بتلة فتفتّحت واحدة إثر أخرى. بدا الأمر كالسحر.

راقبته وجرعة الدواء تغلي لتتحول إلى اللون الأحمر بفعل الهشفلور ثم البرتقالي عندما أضاف الفاكهة المُملّحة المُعسّلة، ثم إلى اللون البني عندما أضاف السويقات، السويقات فقط وليس الأوراق. وبإضافة مسحوق زهرة الغيرة تحوّل الخليط كله إلى اللون الأحمر مرة أخرى، بدا الأمر برمته مستحيلاً. رفع الخليط عن الفرن كي يبرد، ثم نظر إليّ.

قال وهو يشير بيده صوب القوارير والفناجين وأزهار الهشفلور، والأوعية وكل شيء: «إنه فن معقّد، وخصوصاً المهدّئ، لأنه يستخدم زهرة الهشفلور. ففي حال حضّرتِ عنصراً واحداً بشكل غير صحيح، يمكن أن تُسمّمي نفسك. آمل أنك تعرفين كيف تكونين دقيقة بالإضافة إلى كونك قاسية».

بلمسة خفيفة تحسّس جانب الوعاء بطرف إصبعه. لم يكن بوسعي سوى الإعجاب بحركته السريعة، وهو يبعد يده عندما أصبحت الحرارة عالية جداً، مسببةً اضطراب العضلات. بإمكاني مسبقاً أن أعرف في أي مدرسة قتال تدرّب: زيفاتاهاك، مدرسة القلب.

قال بعناد وهو يطوي ذراعيه: «أنتِ من عائلة نوفاك، والقساوة في دمكِ».

أجبته: «أنا لم أختر الدماء التي تجري في عروقي بأكثر مما اخترت قدرك. أنا وأنت على ما نحن عليه لأننا خُلقنا هكذا».

ضربتُ الجهة الخارجية من رسغي بإطار الباب، فشعرتُ بأنّ الدرع يصدم الخشب. فقد استيقظتُ في الصباح التالي عندما انتهى مفعول المهدّئ، تماماً بعد

شروق الشمس، عندما كان الضوء باهتاً. فنهضت من السرير بالطريقة العادية التي أنهض بها، متوقفةً لآخذ أنفاساً عميقة مثل امرأة عجوز. ارتديتُ ملابس التدريب الخاصة بي والمصنوعة من قماش صنعي من تيبيس، خفيف لكنه فضفاض. لم يكن هناك أحد يعرف كيف يُبقي الجسم بارداً مثل أهل تيبيس، الذين كان كوكبهم حاراً جداً، إذ لم يكن بإمكان أحد أبداً أن يمشي على سطحه من دون تغطية كامل جلده.

أسندت رأسي إلى الجدار بينما كنتُ أُجدّل شعري، وعيناي مغلقتان، وأصابعي تتحسّس كل جديلة. لم أعد أُمشّط شعري السميك الفاحم أبداً، على الأقل ليس بالطريقة التي كنتُ أُمشطه بها وأنا طفلة، عندما كنتُ آمل أن أجعل خصلاته ملفوفة بشكل دقيق جداً. لقد حرمني الألم من هذا الدلال.

عندما انتهيتُ، أخذتُ سكيناً تيارياً صغيراً – أشعته مغلقة، وبذلك لا تلتف حلزونات التيار القاتمة على المعدن المسنون – إلى غرفة العطارة في القاعة حيث نقل أكوس سريره إلى هناك، فوقفتُ بالقرب منه وضغطتُ بالسكين على حنجرته. فتح عينيه، اللتين جحظتا قبل أن يتخبط بشكل عنيف، لكن عندما ضغطتُ السكين أكثر على جلده، سكنت حركته. فابتسمتُ له ابتسامة متكلّفة.

سألني بصوت أجش: «هل أنتِ مجنونة؟».

قلتُ مبتهجة: «تعال الآن، لابدّ أنك سمعتَ الشائعات! لكنّ الأكثر أهمية هو: هل أنت مجنون؟ فها أنت ذا نائم بعمق دون أن تزعج نفسك بإحكام إغلاق بابك بقضيب معدني، فأنت على بعد ممر فقط من أعدائك؟ هذا إما جنون أو غباء. اختر واحداً منهما».

حرّك ركبته بشكل حاد نحو خاصرتي. فحنيتُ ذراعي كي أصدّ ضربته بمرفقي، موجهةً السكين نحو معدته.

قلتُ له: «لقد خسرتَ قبل أن تستيقظ، الدرس الأول: الطريقة المُثلى للفوز بأي قتال هي تجنّب خوضه. وإذا كان عدوّك ثقيل النوم، اقطع حنجرته قبل أن

يستيقظ. وإذا كان طيب القلب، تجاوب مع استعطافه. وإذا كان عطشاً، سمّم شرابه. هل فهمت؟».

«إذاً، نرمي بالشرف خارج النافذة».

قلتُ متذمرة: «الشرف، الشرف لا علاقة له بالبقاء على قيد الحياة».

هذه العبارة المُقتبسة من كتاب أوجراني قرأته ذات مرة – مُترجم إلى لغة الشوتيت، طبعاً، فمن باستطاعته قراءة اللغة الأوجرانية؟ – بدا أنها بدّدت النوم من عينيه بطريقة أنّه حتى هجومي لم يكن بالمقدور مواجهته.

قلتُ له: «انهض الآن». انتصبتُ وأغمدتُ سكيني بجيبي الخلفي، وغادرتُ الغرفة كي يُبدّل ثيابه.

في الوقت الذي أنهينا فيه فطورنا، كانت الشمس قد أشرقت تماماً وباستطاعتي سماع الخدم عبر الجدران وهم يحملون الملاءات والمناشف النظيفة إلى غرف النوم، في الأروقة التي توازي كل الممرات الممتدة من الشرق إلى الغرب. فقد كان المنزل مبنياً كي يعزل الذين يمشون فيه، تماماً مثل فوا نفسها، حيث قصر نوفاك في المنتصف، محاط بالأغنياء وذوي السلطة، والباقون حول الأطراف، يصارعون للوصول إلى الداخل.

كان النادي الرياضي الذي يقع بعيداً عن القاعة بجانب غرفة نومي فسيحاً ومُضاءً، فهناك جدار من النوافذ على أحد جانبيه، وجدار من المرايا على طرفه الآخر. كما يتدلى شمعدان مطلي بالذهب من السقف، يتناقض جماله الدقيق مع الأرضية السوداء الاصطناعية وأكوام الوسائد وأسلحة التدريب على الجدار البعيد. كانت الغرفة الوحيدة في المنزل التي سمحت أمي بأن تكون عصرية عندما كانت على قيد الحياة، فقد أصرّت على الحفاظ على «الطابع التاريخي» للمنزل، وصولاً إلى الأسفل حيث الأنابيب التي كانت رائحتها مثل العفن أحياناً، ومقابض الأبواب المشوهة.

كنتُ أحب التمرين –ليس لأنه يجعلني مقاتلة أكثر قوة، رغم أنّ ذلك فائدة مرحب بها – لأنّني كنتُ أحب الشعور الناتج عنه؛ الشعور بالدفء، والقلب

الخفاق، وألم العضلات المنهكة. الألم الذي اخترته، بدلاً من الألم الذي اختارني. ذات مرة حاولت التظاهر بالملاكمة مع الجنود المُتدرّبين كما فعل رايزك عندما كان يتعلّم، لكنّ حبر التيار الذي يجري في كل أنحاء جسدي، سبّب لهم آلاماً مبرحة، ولذا بعد حصول ذلك، تُركتُ لوحدي لوسائلي الخاصة.

طوال السنة الماضية، قرأت نصوصاً شوتيتية عن نموذجنا في القتال الذي أصبح منسياً منذ فترة طويلة؛ مدرسة العقل، إلميتاهاك. مثل كثير من الأشياء في ثقافتنا، جُلبت من الخارج، آخذين بعضها من الضراوة الأوجرانية والمنطق الأوثيري ومن سعة حيلتنا، ومزجناها معاً إلى أن أصبح لا سبيل للخلاص منها. عندما ذهبتُ وأكوس إلى غرفة التدريب، جثمتُ فوق الكتاب الذي تركته بالقرب من الجدار في اليوم السابق بعنوان، مبادئ الـ إلميتاهاك: الفلسفة الضمنية والتمرينات العملية. كنتُ قد وصلتُ إلى الفصل المعنون «استراتيجية الخصم المُتمركز».

قلتُ بدايةً: «إذاً، أنت تدرّبت في الجيش طبقاً لمدرسة زيفاتاهاك». وعندما نظر إليّ بعينين فارغتين، تابعتُ. «ألتيتاهاك: مدرسة السلاح. زيفاتاهاك: مدرسة القلب. إلميتاهاك: مدرسة العقل. ألم يُخبرك أولئك الذين درّبوك على أي مذهب تم تدريبك؟».

أجاب أكوس: «لم يهتموا بتعليمي أسماء الأشياء، كما أخبرتك سابقاً».

«حسناً، لقد تدرّبت وفق مذهب زيفاتاهاك، أستطيع معرفة ذلك من طريقة تحرّكك». فاجأه ذلك. فكرّر وسأل: «الطريقة التي أتحرك بها، كيف أتحرّك؟».

قلتُ له: «أفترض أنه لا يجب أن أتفاجأ من أنّ الثوفي بالكاد يعرف نفسه».

ردّ بحسم: «أن تعرفي كيف تقاتلين هذا لا يعني أن تعرفي نفسك، فالقتال ليس مهماً إذا كان الشعب الذي تعيشين معه ليس عنيفاً».

هززتُ رأسي غير موافقة: «أوه، ومن هو هذا الشعب الخرافي؟ أو هل هم خياليون؟ جميع الشعوب عنيفة. بعضها يقاوم القوة المفروضة وبعضها الآخر لا

يقاوم. الأفضل أن تعترف بذلك، كي تستخدمه كنقطة دخول إلى بقية وجودك، من أن تكذب على نفسك بشأنه».

«أنا لا أكذب على نفسي...». توقف قليلاً وتنهّد: «مهما يكن. كنتِ تقولين نقطة دخول؟».

استطعت معرفة أنه لا يوافقني، لكنه كان على الأقل راغباً بالإنصات إليّ. وهذا تقدّم: «أنت سريع، ولستَ قوياً بصفة خاصة. أنت مُنفعل، وتتوقع الهجوم من أي شخص، وكل شخص. وهذا يعني زيفاتاهاك، مذهب القلب: السرعة». نقرتُ على صدري. «السرعة تتطلب الثبات. ثبات القلب. لقد أخذنا ذلك الشيء من محاربي كوكب زولد الزاهدين. مذهب السلاح، إلتياتاهاك، يعني (القوة). وهو مأخوذ عن أسلوب القراصنة الهامشيين. والأخير، إلميتاهاك، يعني (الاستراتيجيا). معظم الشوتيت لا يعرفونها في الوقت الحالي. فهي خليط من الأساليب والأماكن».

«وما هو المذهب الذي درسته؟».

قلتُ له: «أنا تعلمت في كل هذه المدارس وفي كل شيء». انتصبتُ مبتعدةً عن الكتاب وقلتُ: «دعنا نبدأ».

فتحتُ درجاً من الجدار البعيد. فأصدر صوتاً بسبب احتكاك الخشب القديم بعضه ببعض، وكان مقبض الدرج مرتخياً، لكن في داخل الدرج هناك سكاكين تدريب مصنوعة من مادة اصطناعية جديدة، قاسية لكنها مرنة أيضاً. وهي تسبّب الكدمات للشخص في حال استعمالها بشكل فعال، لكنها لن تشقّ الجلد. رميتُ بواحد منها لأكوس، وأخذت واحداً لنفسي.

كان يُقلّدني. فباستطاعتي رؤيته وهو يثني ركبته بعض الشيء، وينقل وزنه بحيث بدا أكثر شبهاً بي. كان غريباً أن تكون مراقباً من شخص متعطش جداً للتعلم، شخص يعرف أنّ بقاءه على قيد الحياة يعتمد على كمية ما يستقبله. لقد جعلني ذلك أشعر بأني مفيدة.

في هذه المرة، قمتُ بالحركة الأولى وسدّدتُ ضربةً إلى الرأس. وتراجعت

قبل أن يحصل هناك تلامس حقيقي، وانتفضتُ للخلف: «هل هناك شيء فاتن يتعلّق بيديك؟».

«ماذا؟ كلا».

«إذاً، توقف عن التحديق إليهما وانظر إلى خصمك».

رفع يده، وقبضته إلى خدّه، ثم هجم عليّ من الجانب بسكين تدريبي. خطوت إلى الوراء وابتعدت عنه بسرعة ثم ضربته على أذنه بسطح مقبض السكين. فجفل والتف حول نفسه محاولاً طعني وهو فاقد لتوازنه. فأمسكتُ بقبضته بثبات، وأوقفته.

قلتُ له: «أعرف مسبقاً كيفية التغلّب عليك، لأنك تعرف أنني أفضل منك، لكنك لاتزال تقف هنا تماماً». أشرتُ بيدي إلى المكان الذي أمام جسدي مباشرةً. «هذا المكان جزء مني وفيه أكبر إمكانية لإيذائك، هذا الجزء حيث سيكون لكل ضرباتي التأثير والتركيز الأكبر. يجب أن تُبقيني في حالة حركة وبذلك تستطيع الهجوم خارج هذه المنطقة. ابتعد عن مرفقي الأيمن وبذلك يكون من الصعب عليّ صدّك. لا تقف هناك فقط، وتدعني أجرحك».

بدل أن يقوم بتعليق ساخر كردّ عليّ، أومأ، ورفع يديه مجدداً. هذه المرة، عندما تحركتُ كي «أجرحه»، ابتعد عن طريقي، وتفاداني. فابتسمتُ قليلاً.

تحركنا بتلك الطريقة لبعض الوقت، ونحن ندور أحدنا حول الآخر. وعندما انتبهتُ أنه يلهث، طلبتُ منه التوقف.

قلتُ له: «إذاً أخبرني عن علاماتك». كان كتابي لايزال مفتوحاً على فصل «استراتيجية الخصم المتمركز». لم يكن هناك خصم يشبه تماماً الشخص الذي وضعت علامته على ذراعك.

«لماذا؟». وضع يده على رسغه الأيسر. لم يكن هناك ضماد اليوم، فظهرت علامة القتل قرب مرفقه؛ العلامة نفسها التي رأيتها منذ مواسم عدة في قاعة الأسلحة، لكنها انتهت الآن، مُلطّخةً لون طقس العلامات، زرقاء قاتمة جداً وسوداء تقريباً. كان هناك علامة أخرى بجانبها، لاتزال في طور الشفاء. جرحين

على ذراع الفتى الثوفي! يا له من مشهد فريد.

قلتُ له: «لأنّ معرفة أعدائك هي بداية الاستراتيجيا، ومن الواضح أنك واجهت مسبقاً بعضاً من أعدائك، بعلامتين كما أنت».

أبعد يده عن جسده بعد أن استطاع التركيز على الحركات وقال كأنه يُلقي كلمة: «العلامة الأولى كانت لأحد الرجال الذين غزوا منزلي. قتلته عندما كان الآخران يجرانني وأخي عبر العشب الريشي».

قلتُ له: «كالميف»، كان كالميف راديكس أحد رجال النخبة لدى أخي، كابتن في رحلة الإقامة المؤقتة ومترجماً للأخبار – كان يتكلم أربع لغات، الثوفية إحداها.

سألني أكوس: «هل تعرفينه؟».

أجبته: «نعم، كان صديقاً لوالديّ. وقد التقيته عندما كنتُ طفلة، ورأيتُ زوجته وهي تبكي في العشاء التذكاري بعد مقتله». حنيتُ رأسي لتلك الذكرى، فقد كان كالميف صنديداً وكان يبقي السكاكر في جيوبه. وقد رأيته يأكلها سراً خلال الولائم الفاخرة. لكني لم أحزن لموته، ففي النهاية لم يكن مُقرّباً مني كي أحزن عليه. «ماذا بشأن العلامة الثانية؟».

«الثانية...».

ازدرد لعابه بصعوبة. هذا جيد.

«... كان المخلوق المُدرّع الذي سرقتُ جلده من أجل مكانتي الخاصة».

اكتسبتُ درعي الخاص منذ ثلاثة مواسم. فقد جثمتُ بين الأعشاب المنخفضة قرب معسكر الجيش حتى الغسق، ثم اصطدتُ أحد المخلوقات المدرعة في الليل. لقد زحفتُ تحته عندما نام، ثم طعنته في المكان الطري عند التقاء رجله بجسده. نزف لساعات قبل أن يموت، جلب لي أنينه المروّع كوابيس في الليل. لكني لم أفكر بحفر علامة قتل المُدرّع على جلدي، بالطريقة التي فعلها هو.

قلتُ له: «علامات القتل تخص الناس».

ردّ بصوت منخفض: «ربما كان المُدرّع شخصاً أيضاً، فقد كنتُ أنظر إلى عينيه، وعرف من أنا. لقد أطعمته السم، وغرق في النوم بلمسة مني. حزنتُ عليه أكثر مما حزنت على موت رجل حرم أختي من أخويها وأبيها».

كان له أخت. لقد نسيتُ ذلك تقريباً، رغم أني سمعتُ قدرها من رايزك: الطفل الأول لعائلة كيرسيث سوف يموت بحد السكين. كان قدراً محبطاً بقدر مصير أخي، أو مصير أكوس.

قلتُ له: «يجب أن تضع رمزاً عبر علامتك الثانية، بشكل قطري من الأعلى. فهذا ما يفعله الناس للأشخاص الذين ماتوا غير مقتولين. أطفال مُجهضون، وأزواج ماتوا جراء المرض. والهاربون الذي لا يعودون أبداً. أيّ... حزن ذو مغزى».

نظر إليّ فقط، بفضول، لكن بتلك الضراوة.

«إذاً أبي...».

قلتُ له: «أبوك مُسجّل على ذراع فاس، ولا يمكن وضع علامة مرتين لموت واحد».

قطّب حاجبه: «إنه قتل ذلك الذي تمّ وضع علامة له، إنه جريمة».

قلتُ له: «لا، ليس كذلك، فعلامة القتل هي خطأ في التسمية. وهي دائماً سجلات موت وليست نصراً». ودون أن أعني ذلك، سحبتُ يدي اليمنى كي أمسك بالحماية التي تحيط بساعدي، وشبكتُ أصابعي بأحزمتها وتابعتُ القول: «بغض النظر عما قد يقوله بعض الشوتيت الحمقى لك».

كانت بتلات زهرة الهشفلور على لوح التقطيع أمامي مجعّدة كثيراً. فوضعت نصل السكين في وسط البتلة الأولى وقد أعاقني القفاز الذي أضعه. لم يكن هناك ضرورة للقفاز بالنسبة إلى أكوس، لكن لم نكن جميعنا مقاومين لزهرة الهشفلور.

لم تنفصل البتلة.

قال لي: «يجب أن تصيبي العرق في الوسط تماماً، ابحثي عن خط أكثر احمراراً».

«جميعها تبدو حمراء بالنسبة إليّ. هل أنت واثق من أنك ترى الأشياء؟».

«حاولي مرة أخرى».

هكذا كان يقول في كل مرة أفقد فيها صبري؛ يقول بهدوء فقط: «حاولي مرة أخرى». وكنت عندما أسمع ذلك أتوق للكمه.

في كل مساء خلال الأسابيع القليلة الماضية، كنا نقف عند طاولة العطارة، ليعلمني عن الأزهار الجليدية. كان الجو دافئاً وهادئاً في غرفة أكوس، وكان السكون يعم المكان باستثناء صوت فقاعات الماء المغلي وصوت السكين، وهو يقطع تشوب تشوب. لطالما كان سريره مرتباً، والملاءات الداكنة مشدودة بإحكام على الفراش، وغالباً ما نام من دون وسادة، فقد كان يرميها في الزاوية حيث يتجمع الغبار.

يجب تقطيع كل زهرة جليدية بالأسلوب الصحيح: تحتاج أزهار الهشفلور إلى فصلها ويجب تقطيع أزهار الغيرة بطريقة معينة بحيث لا تنفجر مشكّلةً غمامة من المسحوق، والعرق القاسي غير القابل للهضم من ورقة الهارفا يجب سحبه من جذوره: ليس بقوة كبيرة. لكن أقوى من ذلك، هذا ما قاله أكوس عندما حملقتُ إليه غاضبة.

كنتُ بارعة في استخدام السكين، لكنني لم أمتلك الصبر للتعامل معها برقة، كما أنّ أنفي كان تقريباً عديم الفائدة كأداة. لكن عندما كنا نتدرب على القتال كانت الآية تنعكس. فقد كان أكوس يزداد غضباً إذا أمضينا وقتاً طويلاً في النظرية والفلسفة، التي اعتبرها من الأساسيات. كان سريعاً، وفعالاً عندما ينجح بالالتحام، إلا أنه لم يكن موهوباً في قراءة خصمه، هذا إذا لم نقل مهملاً. لكن التعامل مع ألم هبتي كان أسهل عليّ عندما أقوم بتدريبه، أو عندما يُعلّمني.

لامست طرف السكين بطرف بتلة أخرى من زهرة الهشفلور، وسحبتها بخط مستقيم. هذه المرة، تفتّحت البتلة بلمسة مني، وانفردت على لوح التقطيع. فضحكت. وتلامس كتفانا فارتعشتُ مبتعدةً؛ لم أكن معتادة على اللمس. وكنت أشكّ بأني قد أعتاد عليه مرة أخرى على الإطلاق.

قال أكوس: «جيد». وأضاف كومة من أوراق الهارفا الجافة إلى الماء. «والآن افعلي ذلك حوالي مئة مرة وسوف تبدئين بالشعور بأنها سهلة».

«فقط مئة مرة؟ اعتقدتُ هنا أن هذا سوف يكون مُستهلكاً للوقت»، قلتُ ذلك وأنا أنظر إليه شزراً. بدل أن أشدّ عينيه نحوي، أو أنتفض، فابتسم ابتسامة خفيفة.

قال: «سوف أقايضك بمئة شريحة من زهرة الهشفلور بدلاً من تمارين الضغط المئة التي تجبرينني على القيام بها».

وجّهتُ السكين الملطّخة بزهرة الهشفلور نحوه: «في يوم من الأيام ستشكرني على ما أجبرك على القيام به».

«لن أشكر أحداً من عائلة نوفاك؟ لن يحصل هذا أبداً».

كان يفترض بقوله هذا أن يكون على سبيل الدعابة، لكنه ذكرني بأنني من عائلة نوفاك، وأنه من عائلة كيرسيث. وأنني من طبقة النبلاء وهو أسير لدينا. ومهما تكن السلاسة التي وجدناها معاً فقد بُنيت على تجاهل الحقائق. تلاشت ابتسامتانا، وعدنا إلى مهامنا بصمت.

بعد فترة، عندما انتهيتُ من أربع بتلات -بقي ست وتسعون فقط! -سمعتُ وقع خطى في الرواق. خطوات سريعة ومُتأنية، لم تكن عائدة إلى أحد الحراس. وضعت سكيني على الطاولة ونزعتُ القفازين من يديّ.

سألني أكوس: «ما هذا؟».

أجبته: «أحدهم قادم، لا تُخبره بحقيقة ما نفعله هنا».

لم يتسنَّ له السؤال عن السبب. فقد فُتح باب غرفة العطارة ودخل فاس، وشاب وراءه. تعرّفتُ إليه على أنه جوريك كوزار، ابن سوزاو كوزار، ابن عم فاس الثاني. كان نحيلاً وقصيراً، بجلد بني رقيق وبقعة من الشعر على ذقنه، بالكاد عرفته. لم يختر جوريك اتباع طريق أبيه كجندي ومترجم، وبالنتيجة كان يُنظر إليه كخيبة أمل وخطر بالنسبة إلى أخي. أي شخص لا يدخل بحماس في خدمة رايزك كان مُتهماً.

أومأ جوريك إليّ. فتوهّجتُ بالظلال التيارية لدى رؤيتي له، وبالكاد أومأتُ له بالمقابل. شبك فاس يديه خلف ظهره، ونظر بحيرة إلى الغرفة الصغيرة، وإلى أصابع أكوس المُلطّخة باللون الأخضر وعلى الوعاء الذي يغلي على الفرن.

سألتُ جوريك قبل أن يتمكن فاس من التعليق: «ما الذي أتى بك إلى القصر يا كوزار؟ من المؤكد أنك لم تأتِ لزيارة فاس. فأنا لا أستطيع تخيل أحد يأتي لزيارته من أجل المتعة».

نظر جوريك إليّ من خلف فاس، الذي كان يحملق إليّ بسخط وابتسم، ونظر بتصميم إلى يديّ أكوس اللتين كانتا تقبضان على الطاولة. لم ألاحظ في البداية كم توتر أكوس في اللحظة التي ظهر فيها فاس. كان باستطاعتي رؤية عضلات كتفيه وهي تتقلص حيث بدا قميصه مشدوداً.

قال جوريك: «أبي في اجتماع مع الملك، وهو يعتقد أن بإمكان فاس التحدث معي بشكل عقلاني في هذه الأثناء».

ضحكتُ وقلتُ له: «أيعتقد ذلك؟».

قال فاس: «لدى سايرا خصال عديدة مفيدة للملك، لكنّ (العقل) ليس إحداها، فأنا لن آخذ رأيها فيّ بشكل جدّي».

قلتُ له: «رغم أني أحب ثرثرتنا الصغيرة يا فاس، لكن لماذا لا تخبرني بما تريد؟».

ابتسم فاس بتصنّع: «ماذا تُحضّرين؟ مهدّئاً؟ ظننت أنّ لمس كيرسيث هو المهدئ بالنسبة إليكِ».

كررتُ قولي، لكن بتوتر هذه المرة: «ماذا تريد؟».

«أنا واثق من أنك تدركين أنّ احتفال رحلة الإقامة المؤقتة يبدأ غداً. ورايز يريد معرفة إن كنت ستحضرين تحديات الحلبة إلى جانبه. وأراد أن يذكرك قبل أن تجيبي، أنّ جزءاً من منح خدمات كيرسيث لك كان من أجل أن تقفي على قدميك، وبذلك تستطيعين حضور مناسبات مثل هذه بشكل علني».

خلال السنوات السابقة لم أشاهد تحديات الحلبة، وكنت أبرر ذلك

بمعاناتي من الألم. لكن في الحقيقة، لم أرغب بمشاهدة الناس يقتلون بعضهم بعضاً من أجل المنزلة الاجتماعية، أو الانتقام، أو النقود. لقد كان ممارسة قانونية -حتى أنها احتفالية هذه الأيام -لكنّ هذا لا يعني أنني كنتُ بحاجة إلى إضافة هذه الصور إلى الصور العنيفة المخزنة في عقلي. ومن ضمنها نظرة أوزول الغاضبة.

أجبته: «حسناً، لم أتعافَ بعد تماماً، قل له إنني لن أحضر».

هزّ فاس كتفيه وقال: «جيد جداً، ربما يجدر بك أن تعلمي كيرسيث أن لا يتحدب، وإلا سوف تنمو له حدبة في كل مرة يراني فيها».

نظرتُ إلى أكوس خلفي وإلى كتفيه المنحنيتين فوق سطح الطاولة مما أعطاه مظهراً محدباً وقلتُ: «سوف آخذ ذلك بعين الاعتبار».

في وقت لاحق من ذلك اليوم، عندما عرضت نشرة الأخبار أخبار الكواكب، تضمن التقرير حول كوكبنا التعليق التالي: «مُنتج حشرات فينزو، الشخصية الشوتيتية البارزة، أوزول زيتسيفيس وُجد ميتاً في منزله. والتحقيقات الأولية تشير إلى انتحاره شنقاً». والترجمة باللغة الشوتيتية تقول: الشوتيت ينعون راعي حشرات فينزو أوزول زيتسيفيس. وتشير التحقيقات إلى أنه اغتيل على أيدي الثوفيين بهدف القضاء على أهم مصادر القوة عند الشوتيت. بالطبع، عادة ما تكون الترجمة مخالفة للخبر وجلها أكاذيب، والناس الذين يثق بهم رايزك يعرفون مسبقاً ما يكفي من اللغات ليكونوا على دراية بما يفعلون. وبالطبع سوف يتهم الثوفيين بقتل أوزول، بدل أن يُتهم هو.

أو يتهمني أنا.

لقد تلقّيتُ رسالة سلّمني إياها أحد الحراس في الرواق، في وقت لاحق من ذلك اليوم. جاء فيها:

تذكّري فقدان أبي. فأنت السبب في موته.

-ليتي زيتسيفيس

ربما حمّل رايزك ثوفية مسؤولية موت أوزول، لكنّ ابنة أوزول تعرف حقيقةً على من تقع الملامة. عليّ أنا، وعلى جلدي.

عندما أمارس هبتي التيارية لمدة طويلة، فهي تبقى في جسدي لمدة طويلة أيضاً حتى بعد أن أُبعد يدي. وكلما طالت فترة لمس شخص ما، يطول بقاؤها، بالطبع ما لم يغمر مكان اللمسة في زهرة الهشفلور. لكنّ عائلة زيتسيفيس لم تكن تؤمن بتناول زهرة هشفلور. وعندما يُخيّر بعض الناس بين الموت أو الألم، يختارون الموت. كان أوزول زيتسيفيس واحداً من أولئك الناس، مُتمسكاً بالدين إلى درجة التدمير الذاتي.

قمتُ بحفر علامة أوزول على ذراعي، قبل أن أحرق رسالة ليتي. ثم دهنتُ الجرح الجديد بجذور العشب الريشي الذي لسعني بشكل سيئ جداً إلى درجة أنه جعل الدموع تنهمر من عينيّ، وهمستُ باسمه، غير مُتجرّئة على النطق ببقية كلمات الطقس لأنها كانت صلاة. لقد حلمتُ به في تلك الليلة. وسمعتُ صرخاته ورأيتُ عينيه المنتفختين والمحتقنتين بالدم. لقد طاردني عبر الغابة القاتمة التي يُضيئها توهج الـفينزو، طاردني إلى داخل أحد الكهوف حيث كان رايزك بانتظاري، وأسنانه مثل رؤوس السكاكين.

استيقظتُ وأنا أصرخ مبللة بالعرق، ويد أكوس على كتفي. كان وجهه قريباً من وجهي وشعره أشعث وقميصه مجعد بسبب النوم. كانت عيناه جديتين وقلقتين ومتسائلتين.

لم يقل شيئاً سوى: «لقد سمعتكِ»

شعرتُ بدفء يده من خلال قميصي. كانت أنامله تصل إلى ياقة قميصي، وهو يلمس حنجرتي العارية، وحتى تلك اللمسة الخفيفة كانت كافية لتُطفئ هبتي التيارية وتُريح ألمي. وعندما أبعد أنامله عني، كدتُ أصرخ، فالأمور مثل الكرامة والكبرياء تنهكني وتؤلمني، لكنه كان يبحث عن يدي فقط.

قال: «تعالي، سأعلمك كيف تتخلصين من أحلامك».

في تلك اللحظة، وأصابعنا مشدودة إلى بعضها وصوته الهادئ في أذني،

كنتُ سأفعل أي شيء يقترحه عليّ. فأومأتُ برأسي، وأخرجتُ ساقيّ من تحت الملاءات المجعّدة.

أضاء أجهزة الإنارة في غرفته، ووقفنا قرب الطاولة، كانت الجرار مُعلّمة باللغة الثوفية الآن، ومتكوّمة فوقنا.

قال: «مثل كل شيء تقريباً، هذا المزيج يبدأ بزهرة الهشفلور».

الفصل الحادي عشر | سايرا

يبدأ حفل رحلة الإقامة المؤقتة كل موسم بقرع الطبول عند شروق الشمس. وأتت الأصوات الأولى من المدرّج في وسط المدينة، وانتشرت إلى الخارج عندما اجتمع المشاركون المؤمنون داخله. كان يُفترض بضربات الطبل أن ترمز إلى بداياتنا؛ النبضات الأولى لقلوبنا، والتحرّكات الأولى للحياة التي قادتنا إلى القدرة التي نمتلكها اليوم. سيستمر الاحتفال ببداياتنا لأسابيع، ومن ثم سيتكوّم كل من هو قادر جسدياً داخل سفينة الإقامة المؤقتة ليطارد التيار عبر المجرة. وسوف نلحق بمساره إلى أن يتحول مجرى التيار إلى اللون الأزرق، حينذاك نهبط على أحد الكواكب كي نبحث عن الأشياء المفيدة، ونجلبها.

لطالما أحببتُ صوت الطبول، لأنه كان يعني أننا سنغادر قريباً. ولطالما شعرتُ بأني أكثر حرية في الفضاء. لكن بوجود زيتسيفيس قابعاً في أحلامي، كنت أسمع الطبول هذا الموسم وكأنها نبضات قلبه المتباطئة.

ظهر أكوس أمام باب غرفتي، وشعره البني القصير يبرز في كل الاتجاهات، وهو يتكّئ على الخشب.

سألني وقد توسّعت عيناه: «ما هذا الصوت؟». ورغم الألم التياري الذي يضرب في أعماقي، ضحكتُ. فأنا لم أره بهذا الشكل الأشعث من قبل، فحزام

سرواله كان نصف مربوط وعلى خدّه علامة حمراء تركتها الملاءات المجعّدة.

قلتُ له: «إنها بداية الاحتفال برحلة الإقامة المؤقتة، استرح، وفكّ رباط سروالك».

تحوّل لون خديه إلى الوردي الشاحب، وقام بتعديل حزام سرواله.

أجاب بنزق: «حسناً، كيف يُفترض بي أن أعرف ذلك؟ هل يمكنك تحذيري في المرة التالية التي ستصدر فيها هذه الأصوات التي تشبه طبول الحرب وتوقظني عند الفجر؟».

«أنت مصمم على حرماني من المرح».

«ذلك لأنّه من الواضح أنّ مفهومك للمرح يجعلني أعتقد أنني في خطر مميت».

اتجهت نحو النافذة مبتسمة. كانت الشوارع مزدحمة بالناس، فراقبتهم وهم في حالة هرج ومرج بينما يتدافعون نحو مركز مدينة فوا للمشاركة في الاحتفالات. كانوا يرتدون ملابس زرقاء، وهو لوننا المفضّل، وبنفسجية، وخضراء، مُدرّعين ومسلّحين، ووجوههم مُلوّنة وأعناقهم ومعاصمهم مُغطاة بالمجوهرات المزيفة أو تيجان من الزهور الهشّة.

في الاحتفالات ستحدث تحديات علنية في المدرّج، وسيحضر زوار من كواكب أخرى، وستمثل لحظات مهمة من تاريخ الشوتيت، كل ذلك بينما يعمل طاقم سفينة الإقامة المؤقتة على التنظيف والإصلاح. وفي اليوم الأخير، سأتحرك ورايزك من قصر نوفاك إلى سفينة النقل، التي سوف تأخذنا إلى سفينة الإقامة المؤقتة كأول راكبيْن رسمييْن فيها. وبعدها سيلحق بنا الآخرون. كان إيقاعاً أعرفه جيداً، وكنتُ أحبه، رغم أنّ والديَ لم يعودا موجودين كي يرشداني خلاله.

قلتُ وأنا أهزّ رأسي: «كما تعرف فإنّ حكم عائلتي قديم نسبياً، وفي الوقت الذي وُلدتُ فيه، كان الشوتيت قد تغيروا، في عهد حكم أبي، أو هكذا قرأت».

سألني: «هل قرأتِ كثيراً؟».

«نعم». كنتُ أحبُ أن أمشي وأقرأ. فذلك يساعدني على إلهاء نفسي. «هكذا

ندرك كيف كانت الأمور من قبل، بخصوص الاحتفال وسفينة الإقامة المؤقتة». كان هناك أطفال يركضون ضاحكين وأيديهم متشابكة على طول خط السور، ووجوه أخرى كانت ضبابية من هذه المسافة، وهي تتجه نحو قصر نوفاك. «ذات مرة كنا رحالة، وليس...».

«قتلة ولصوصاً؟».

أمسكتُ بذراعي اليسرى، فحفر الدرع على راحة يدي.

سألني: «إذا كنتِ تستمتعين بالاحتفال إلى هذه الدرجة فلماذا لا تذهبين؟».

قلتُ بتذمّر: «وأقف بجانب رايزك كل اليوم؟ كلا».

وقف إلى جانبي، ونظر عبر الزجاج. كان هناك امرأة عجوز تسير وسط الشارع، وقد لفت وشاحاً لامعاً حول رأسها، أصبح غير مرتّب وسط الفوضى، وكانت أصابعها غريبة الشكل. وبينما كنا نراقبها، وضع شاب يحمل ملء ذراعيه تيجاناً من الزهور واحداً على رأسها فوق الوشاح.

قال أكوس: «لا أستطيع فهم الترحال، والبحث عن الأشياء المفيدة، كيف تحدّدون الوجهة التي تذهبون إليها؟».

أجبته: «أستطيع أن أُريك إذا أردت، يتوجب عليهم أن يبدؤوا قريباً».

بعد قليل من الوقت، توارينا في الممرات الخفية لمنزل نوفاك، من خلال الباب السري في جدار غرفة نومي. أرشدنا مصباح فينزو إلى الاتجاه الذي يجب أن نسلكه، لكن مع ذلك كنت أخطو بحذر لأن بعض الألواح الأرضية كانت مرتخية هنا، والمسامير بارزة من العوارض الداعمة. فتوقفتُ حيث يتشعّب الممر، وتحسستُ عارضة شقوق المؤشر. فأحد الشقوق على يسار العارضة كان يعني أنه يؤدي إلى الطابق الأول. مددتُ يدي إلى الخلف نحو أكوس، فوجدت طرف قميصه، فسحبته بقوة ورائي وأنا أتبع الممر اليساري.

لمس معصمي، وهو يبحث عن يدي ليضعها في يده، فمشينا وأصابعنا

متشابكة. كنتُ آمل أن يختفي صوت القرقعة الناتج من الألواح الأرضية قد يخفي صوت أنفاسي.

مشينا عبر الممرات إلى الغرفة حيث يعمل المحققون، قرب قاعة الأسلحة، حيث رأيتُ أكوس وإيجيه للمرة الأولى. ضغطتُ اللوح إلى الأمام، ثم حركته بما يكفي كي نخرج. كانت الغرفة شديدة الظلمة ولم ينتبه المحققون إلينا؛ كانوا يقفون بين الصور الثلاثية الأبعاد في وسط الغرفة، ويقيسون المسافات بأشعة دقيقة من الضوء الأبيض، أو يتفحصون الشاشات الموضوعة على معاصمهم، ويستخدمون الإحداثيات. مع ذلك، قادني كبريائي للابتعاد عنه، فأفلت يدي.

كانوا يُعايرون نموذج المجرة. وبعد التحقق من دقة النموذج، سوف يبدؤون بتحليلاتهم الخاصة بالتيار. فمدّه وجزره يخبرهم بالموقع التالي للبحث عن الأشياء المفيدة.

قلتُ بهدوء: «نموذج المجرة».

كرّر أكوس قولي: «المجرة. لكنه يُظهر نظامكم الشمسي فقط».

فذكّرته بقولي: «الشوتيت رحالة، وقد ذهبنا إلى ما بعد حدود نظامنا، ووجدنا نجوماً فقط، لا كواكب أخرى. وبرأينا هذا النظام الشمسي هو الوحيد في المجرة».

كان النموذج ثلاثي الأبعاد يملأ الغرفة من كل زواياها، وهناك شمس ساطعة في المركز وحطام قمري يطوف عند الأطراف. بدت هذه المجسمات الثلاثية الأبعاد صلبة إلى أن مشى أحد المحققين عبرها ليقيس شيئاً آخر، ثم تحركت وكأنها تطلق زفيراً. مرّ كوكبنا أمامي وأنا أراقب، إنه الأكثر بياضاً من كل الكواكب المحاكاة، مثل كرة من البخار. وكانت محطة المجلس تعوم أقرب ما يمكن إلى الشمس، وهي سفينة أكبر حتى من سفينة إقامتنا المؤقتة، المركز الرئيسي لحكومة مجرتنا.

قال أحد المحققين: «كل شيء سيصبح مُعايراً ما إن تجعل كوكب أوثير

في أقصى مكان بعيداً عن الشمس بمقدار إيزيت واحدة أو اثنتين». كان طويلاً بكتفين مقوستين، وكأنه كان يحنيهما كي يحمي قلبه.

«إيزيت»، كان تعبيراً عامياً عن IZ، وهو وحدة قياس بحدود عرض أصغر أصابعي. في الواقع، كنت أستخدم أصابعي أحياناً لقياس أشياء عندما لا يكون معي مقياس شعاعي.

أجاب أحد المحققين: «إنه قياس دقيق حقاً». كان قصيراً، بكرش صغير أعلى سرواله. «(إيزيت واحد أو اثنان)، صدقاً، هذا مثل أن تقول (كوكب واحد أو اثنان)».

قال المحقق الأول: «1.467IZ، وكأنّ ذلك سيشكّل فارقاً بالنسبة إلى التيار».

قالت إحدى النساء وهي تخطو عبر الشمس كي تقيس مسافتها عن كوكب أوثير، الأقرب إلى مركز المجرة، «أنت لم تتبنَ حقيقةً دقة هذا الفن». كل شيء فيها كان صارماً، من الحد الفاصل لشعرها القصير، إلى فكّها، إلى كتفي سترتها المنشاة. وللحظة، كانت مغطاة بضوء أبيض مصفّر، تقف في مركز الشمس. «إنه فن حقاً بالرغم من أنّ بعض الناس يدعونه علماً. الآنسة نوفاك، كم تشرّفنا بقدومك إلينا. مع... رفيقك؟».

لم تنظر إليّ وهي تتكلّم، انحنت نحو نقطة شعاع الضوء عند حزام خط استواء كوكب أوثير. وقفز المحققون الآخرون عندما رأوني، تراجعوا خطوة إلى الوراء بانسجام، رغم أنهم كانوا في الجانب الآخر من الغرفة. لو أنهم عرفوا كم هو الجهد الذي بذلته كي أقف في مكان واحد دون قلق وصراخ، ربما لم يقلقوا.

قلتُ: «إنه خادم، تابعوا عملكم، فأنا أُعاين فقط».

تابعوا عملهم، بطريقة ما، وانتهت ثرثرتهم العفوية. وضعت قبضتي يديّ بين ظهري والجدار، وضغطتُ بشدّة حتى أنّ أظافري انغرزت في راحة يديّ. لكني نسيتُ كل شيء عن الألم عندما شغل المحققون مجسم التيار الثلاثي الأبعاد، فقد تمايل في طريقه مثل الأفعى بين الكواكب المحاكاة، لكن من دون بنية واضحة، بنية أثيرية. لمس كل الكواكب في المجرة، ثم شكّل حزمة قوية

حول طرف الغرفة مثل طوق يحمل الكواكب في داخله. دائماً بضوء مُتغيّر، ساطع جداً في بعض الأماكن حتى أنه أصاب عيني بالأذى عندما حدّقتُ إليه، وخافت جداً في أماكن أخرى.

لقد جلبتني أوتيجا إلى هنا عندما كنتُ طفلة، كي تخبرني كيف يعمل البحث عن الأشياء المفيدة. وهؤلاء المحققون سوف يمضون أياماً وهم يراقبون تدفّق التيار.

بصوت خافت قلت لأكوس: «ضوء التيار ولونه دائماً أقوى فوق كوكبنا، وقد التف حوله ثلاث مرات، حسب ما تقول أسطورة الشوتيت، ولهذا السبب اختار أسلافنا الاستقرار هنا. لكنّ شدّته تتذبذب حول الكواكب الأخرى، ماسحاً إياها كوكباً بعد آخر، لكن ليس لديه مسار ثابت. لذا نتبع مساره كل موسم، ثم نحطّ، ونبحث عن الأشياء المفيدة».

تساءل أكوس متمتماً: «الماذا؟».

نحن نقطف الحكمة من كل كوكب ونجلبها، هذا ما قالته أوتيجا، وهي تجثم بجانبي في أحد دروسنا. وعندما نفعل ذلك، نريهم ما هو المفيد لديهم والجدير بالتقدير. نحن نكشفهم أمام أنفسهم.

كأنّه استجابة للذاكرة، تحركت الظلال التيارية بشكل أسرع تحت جلدي، في اندفاع وانحسار، ورافق الألم حركتها.

قلتُ له: «تجديد، البحث عن الأشياء المفيدة شيء له علاقة بالتجديد». لم أعرف كيف أشرح الأمر بغير ذلك. فأنا لم أفعل ذلك من قبل. «نحن نجد أشياء رمتها الكواكب الأخرى، ونعطيها حياة جديدة. هذا... ما نؤمن به».

قال المحقق الأول وهو ينحني أخفض من كتل الصخور قرب طرف المجرة: «أرى نشاطاً حول النقطة P1104». لقد بدا جسده مثل حشرة ميتة، متكورة ضمن قشرة. فلمس قسماً من التيار حيث اللون – أخضر الآن، مع آثار من الأصفر – يدور مثل الدوامة بشكل أكثر قتامة.

قالت المرأة: «مثل موجة على وشك الاصطدام بشاطئ، ربما تتجمع أو

تصبح جامدة، هذا يعتمد على شيء ما. ضعها تحت المراقبة. لكن، الآن لا أزال أخمن أنّ أفضل كوكب للبحث هو أوجيرا».

همست أوتيجا في أذني عندما كنتُ طفلة، البحث عن الأشياء المفيدة هو إحسان، بالنسبة إليهم وكذلك بالنسبة إلينا. فالبحث عن الأشياء المفيدة هو أحد استعمالات التيار بالنسبة إلينا. قال المراقب الأول: «سوف يفي تخمينك بالغرض تماماً، ألم تقولي إن جلالته طلب معلومات بشكل محدد عن نشاط التيار فوق بيثا؟ لكني أشك بأنّ ذلك يهمّه».

قالت المرأة بعد أن نظرت إليّ بشكل خاطف: «لجلالته أسبابه الخاصة لطلب هذه المعلومات، ولا شأن لنا بها لنسأل عنها».

بيثا، كان هناك شائعات عن ذلك المكان المدفون عميقاً تحت المحيطات، حيث التيارات ليست بتلك القوة، وحيث الأسلحة المتطورة لا تشبه أيّا مما رأيناه من قبل. وبتصميم رايزك على السيطرة ليس على أمة الشوتيت فقط، بل على كل الكوكب، فبالتأكيد ستكون الأسلحة مفيدة.

كان الألم يتجمّع خلف عينيّ. لقد بدأ بهذا الشكل، عندما كانت هبتي التيارية على وشك مهاجمتي بشكل أقوى من المعتاد. وكان يهجم عليّ بشكل أقوى من المعتاد كلما فكّرتُ بـرايزك وهو يشنّ حرباً بشكل جدّي بينما أقف متبلّدةً بجانبه.

قلت لأكوس: «يجب أن نذهب». ثم توجهتُ نحو المحققين قائلةً: «أفضل الأمنيات بشأن معايناتكم». عندئذٍ ومن دون تفكير مسبق أضفتُ: «لا توجهونا إلى المكان الخطأ».

كان أكوس هادئاً عندما عدنا أدراجنا عبر الممرات. لقد أدركتُ أنه لطالما كان هادئاً، ما لم يكن يطرح سؤالاً. لم أعرف أنّ باستطاعتي أن أكون فضولية بشأن شخص أكرهه، رغم أنّ هذا هو القصد: يحاول تحديد ما إذا كان يكرهني.

تلاشت أصوات قرع الطبول في الخارج، كما يحصل دائماً. لكن بدا الصمت وكأنه يُشير إلى شيء ما بالنسبة إلى أكوس –الواقف تحت أحد أضواء

فينزو. لم يكن هناك سوى حشرة واحدة تتحرك في الكرة الزجاجية فوقنا، وهي تشعّ بلون أزرق شديد الخفوت، وتلك علامة أنها على وشك الموت. كان هناك كومة من القواقع الميتة تحتها، حشرات بأرجل محنية في الهواء.

قال لي: «دعينا نذهب إلى الاحتفال». كان نحيلاً جداً على ما أعتقد. وهناك سواد تحت عظمتي خديه حيث يجب أن لا يكون في وجه يضجّ بالشباب. «من دون رايزك، أنت وأنا فقط».

حدّقت ملياً نحو راحة يده المقلوبة إلى الأعلى. لقد عرض لمسة عليّ بشكل حر تماماً، دون أن يُدرك كم كان ذلك نادراً. وكم كان هو نادراً، بالنسبة إلى شخص مثلي.

سألته: «لماذا؟».

«ماذا؟».

رفعتُ حاجبي ووضحت سؤالي: «لقد كنتَ تعاملني بلطف مؤخراً، وأنت لطيف معي الآن. لماذا؟ ما غايتك من ذلك؟».

«لقد سبب ترعرعك هنا بتشوه أحاسيسك، أليس كذلك؟».

«ترعرعي هنا؟ جعلني أعرف حقيقة الناس».

تنهّد وبدا أنه لا يوافقني الرأي، لكنه لم يرد الدخول في نقاش قد يزعجه ويزعجني. غالباً ما يتنهد على هذا النحو. «لقد أمضينا وقتاً طويلاً معاً يا سايرا. الطاقة مرتبطة بالبقاء على قيد الحياة».

«سأكون معروفة. فالظلال التيارية غير قابلة للنسيان، حتى إن كان وجهي قابلاً للنسيان».

«لن يكون لديك أي ظلال تيارية. سوف تكونين معي». ثم أمال رأسه بشكل جانبي وأضاف، «أم أنك غير مرتاحة للمساتي؟».

كان ذلك تحدياً، وربما مناورة. لكني تخيلتُ جلدي في حالة حياد بين الحشود، وأناس يلمسونني من دون أن يشعروا بالألم، وأنا أشم رائحة العرق في الهواء، وأترك نفسي للاختفاء بينهم. آخر مرة كنتُ فيها قريبة من حشد كهذا كانت

قبل رحلة إقامتي المؤقتة الأولى، عندما رفعني والدي في الهواء. وحتى لو كان لـرايزك دوافع خفيّة، ربما كان ذلك يستحق المخاطرة، إذاً يجب عليّ الذهاب. وضعتُ يدي في يده، وبعد لحظات عدنا إلى الممرات مرة أخرى، مرتديان ملابس احتفالية. ارتديتُ ملابس بنفسجية اللون - هذه المرة لم يكن رداءً من أفضل ما لدى أمي، لكنه رخيص فلم أهتم لخرابه - ولوّنتُ وجهي كي أخفيه، بخطوط قطرية عريضة غطّت عيناً واحدة بأكملها وجزءاً من العين الأخرى. ورفعتُ شعري، ولونته بالأزرق كي يبقى مكانه. فمن دون الظلال التيارية، لن أبدو مثل سايرا نوفاك التي تعرفها مدينة فوا.

ارتدى أكوس ثياباً سوداء وخضراء، لكن بما أنه لم يكن معروفاً، لم يُكلّف نفسه عناء التنكّر.

عندما رآني، حدّق إليّ طويلاً.

كنتُ أعرف كيف أبدو، فوجهي ليس مريحاً للعيون، كسائر وجوه الناس البسيطة، كان يوحي بالتحدي، مثل لون الدفق التياري المُسبّب للعمى. لم يكن مهماً كيف أبدو، بما أنّ مظهري كان غامضاً دائماً بشكل خاص بسبب العروق المتغيرة للتيار. لكنّ الأمر المستغرب هو أن يلاحظ ذلك.

قلتُ له: «ضع عينيك في مؤخرة رأسك يا كيرسيث، فأنت تحرج نفسك».

شابكنا ساعدينا من المرفق إلى اليد، وقدته نحو الطرف الشرقي للمنزل ثم إلى أسفل السلالم. تحسّستُ عوارض الدوائر المحفورة التي تشير إلى المخارج السرية. مثل المخرج الذي بالقرب من المطابخ.

لقد نما العشب الريشي بالقرب من المنزل، وتوجّب علينا التقدم عبر العشب كي نصل إلى البوابة التي كانت مغلقة برمز سري، وكنتُ أعرفه، فهو تاريخ مولد أمي. كل رموز رايزك السرية كانت مرتبطة بأمي بطريقة ما -يوم ميلادها، ويوم وفاتها، ويوم زواج والديّ، وأرقامها المفضّلة - ماعدا رموز الأبواب الأقرب إلى غرفه، فهي لا تفتح إلا من خلال وضع قطرة من دمه. وأنا لم أقترب من هناك، فلم أمضِ وقتاً معه أكثر مما يجب.

شعرتُ بعيني أكوس تنظران إلى يدي بينما أُدخل الرقم السري. لكنه كان الرمز الخاص بالبوابة الخلفية فقط.

مشينا عبر ممر ضيّق ينتهي عند الشوارع الرئيسية لمدينة فوا. فانكمش جسدي لبرهة من الوقت، عندما نظر رجل وامرأة وطفل إلى وجهي بثبات. ففي كل مكان كانت العيون تلتقي بعيني ثم تشيح بعيداً.

أمسكتُ بذراع أكوس وجذبته نحوي لأهمس له: «إنهم يُحدّقون. وهم يعرفون من أنا».

قال لي: «لا، إنهم يحدّقون لأنّك طليت وجهك بلون أزرق براق».

لمستُ وجهي بلطف حيث جفّ الطلاء. وبدا جلدي قاسياً ومتحرشفاً. لم يخطر ببالي من قبل أنه في حال حدق إليّ الناس اليوم لن يكون لتحديقهم أي معنى.

قال لي: «لديك نوع من جنون العظمة، هل تعلمين ذلك؟ وأنت تبدين مغرورة نوعاً ما، بالنسبة إلى شخص تعودتُ ضربه بشكل دائم».

ضحك ثم سأل: «إذاً إلى أين نذهب؟».

أجبته: «أنا أعرف أحد الأمكنة، تعال».

قدتُه نحو شارع أقل ازدحاماً جهة اليسار بعيداً عن مركز المدينة. كان الهواء مشبعاً بالغبار، لكنّ سفينة الإقامة المؤقتة ستنطلق قريباً، وستهب عاصفة جراء ذلك، ما سينظف المدينة ويلطخها باللون الأزرق.

حدثت نشاطات الاحتفال الرسمي المُجاز من الحكومة داخل المدرج وحوله وسط مدينة فوا، لكن لم يكن ذلك هو المكان الوحيد الذي يحتفل الناس فيه. وبينما كنا نتفادى مرافق الناس في الشوارع الضيقة حيث تقترب الأبنية بعضها من بعض مثل العشاق، كان هناك أناس يرقصون ويغنون. أوقفتني إحدى النساء التي تزين يدها مجوهرات مزيفة، وهذا ترف لم أكن أتمتع به، كاد يُشعرني بالقشعريرة. فوضعت إكليلاً من أزهار الـفينزو – سُمّيت كذلك لأنّ ألوانها مثل ألوان أجنحة الحشرات تماماً، رمادية زرقاء –على رأسي، وهي تضحك.

دخلنا سوقاً مزدحمة. وكانت الخيام المنخفضة الارتفاع أو الأكشاك ذات المظلات البالية في كل مكان، والناس يتجادلون والنساء الشابات يلمسن بأصابعهن العقود التي ليس باستطاعتهن شراءها. وهناك جنود شوتيت يتجولون بين الناس بدروعهم البارقة في ضوء النهار. شممتُ رائحة لحم مشوي ودخان، وأدرتُ وجهي كي أبتسم لأكوس.

كانت تعابيره غريبة. بدا مرتبكاً، لأنه لم يتخيل أن تكون هكذا.

مشينا يداً بيد في الممرات بين الأكشاك. فتوقفتُ عند طاولة فيها سكاكين بسيطة - لم تكن شفراتها مُخدّدة، وبذلك لن يتدفّق التيار حولها - بمقابض محفورة.

سألني الرجل العجوز في الكشك بلغة الشوتيت: «هل تعرف السيدة كيفية التعامل مع سكين بسيطة؟». كان يرتدي عباءة رمادية فضفاضة لزعيم ديني من زولد، بكمين طويلين. كان أهل زولد المتدينون يستخدمون سكاكين بسيطة لأنهم يؤمنون بأنّ السكاكين التيارية هي استعمال طائش للتيار، الذي يستحق احتراماً أكبر، وهو الإيمان الأساسي نفسه الذي يتشاركونه مع معظم الشوتيت المتدينين.

خاطبته بلغة زولد: «أفضل منك». كنتُ أتكلم اللغة الزولدية بركاكة ولكنني سعدت بممارستها.

قال ضاحكاً: «هل هذا صحيح؟ لكنتك فظيعة».

اقترب أحد جنود الشوتيت منا ونقر بطرف سكينه التيارية طاولة الرجل العجوز، فنظر الرجل الزولدي إلى السلاح بقرف. قال الجندي: «مهلاً! الكلام باللغة الشوتيتية فقط. وإذا تكلمت معك بلغتك...» نخر قليلاً ثم تابع، «لن يكون الوضع جيداً بالنسبة إليها».

أخفضت رأسي كي لا يمعن الجندي النظر إلى وجهي.

قال الرجل الزولدي بلغة شوتيتية خرقاء: «أنا آسف، الخطأ خطئي».

أبقى الجندي سكينه هناك لبعض الوقت، ونفخ صدره كأنه يعرض ريش

التزاوج. ثم أغمد سكينه وتابع المشي بين الحشود.

أدار الرجل العجوز وجهه نحوي، وبدت نبرته الآن أكثر عملية: «هذه أفضل السكاكين التي يمكن إيجادها في الساحة...».

أخبرني عن كيفية صنع السكاكين -من طرق المعدن في القطب الشمالي لكوكب زولد، والخشب من مدينة زولديا -وكان جزء مني يُصغي إليه، لكنّ الجزء الآخر كان مع أكوس الذي كان يُحدّق إلى الساحة.

اشتريتُ خنجراً من الرجل العجوز، خنجراً متيناً بنصل داكن وقبضة مصنوعة للأصابع الطويلة. وقدّمته لأكوس.

قلتُ له: «هذه من زولد، إنه مكان غريب، نصفه مغطى بغبار رمادي من حقول الأزهار. قد تستغرق بعض الوقت كي تعتاد عليه. لكنّ المعدن مرن بشكل غريب، رغم أنه قوي... ماذا؟ ماذا هناك؟».

قال: «كل هذه المواد»، وهو يشير إلى الساحة نفسها: «هي من كواكب أخرى؟».

«نعم». كانت راحة يدي متعرّقة بسبب احتضان راحته لها. «يُسمح للبائعين من الكواكب الأخرى البيع في فوا أثناء الاحتفال برحلة الإقامة المؤقتة. وبعض تلك الأشياء المباعة أتى من البحث عن الأشياء المفيدة. فنحن نعيد استخدام الأشياء المُهملة».

توقف وسط كل ذلك ونظر إليّ.

قال: «هل تعرفين مصدر هذه المواد بمجرد النظر إليها؟ هل ذهبتِ إلى كل تلك الأماكن؟».

لقد تفحّصت السوق ذات مرة. فبعض البائعين كان مُغطى من رأسه حتى إصبع رجله بالقماش، بعضهم ذكي وبعضهم غبي، بعضهم يرتدي خوذاً ليلفتوا الانتباه إليهم، أو يتكلمون بصوت عالٍ، ويُثرثرون بلغة شوتيتية بالكاد أفهمها بسبب اللكنات. اندفعت أضواء من أحد الأكشاك في الطرف، فأمطرت الهواء بشرارات اختفت بسرعة مثلما جاءت. والمرأة التي كانت واقفة وراءها لمعت

تقريباً بسبب كل الجلد الفاتح الذي أظهرته. وهناك منصة أخرى كانت محاطة بغمامة من حشرات كثيفة لدرجة أني بالكاد استطعتُ رؤية الرجل الواقف عندها. فتساءلتُ ما الذي يريده أي شخص من سرب الحشرات.

قلتُ وأنا أهزّ رأسي بالموافقة: «لقد زرت كل الأمم الكوكبية التسع في المجلس، لكنني لا أعرف مصدر هذه المواد كلها. رغم أنّ بعضها واضح. انظر إلى هذا...».

بجانب المنضدة كانت هناك أداة دقيقة. شكل تجريدي، مختلف من كل زاوية، مُكوّنة من ألواح زجاجية صغيرة من مادة قزحية بدت وكأنها شيء بين الزجاج والحجر.

قلتُ: «اصطناعي، كل شيء من بيَثا هو كذلك، بما أنه مغطى بالمياه. فهم يستوردون مواد من جيرانهم ويدمجونها...».

نقرتُ على الألواح الزجاجية الصغيرة، فأتى صوت يشبه الرعد من وسطها. ومرّرتُ أصابعي فوق بقية الألواح، فخرجت موسيقى مثل صوت الأمواج. كان اللحن خفيفاً، مثلما كانت لمستي، لكن عندما ضربتُ ضرباً خفيفاً على أحد الألواح الزجاجية، صدر صوت مثل صوت الطبل. وكل لوح بدا أنه يشع بنوع من الضوء الداخلي.

قلتُ: «من المفترض أن يُحاكي صوت المياه للمسافرين الذين يشعرون بحنين إلى الوطن».

عندما نظرتُ إليه مرة أخرى، كان يبتسم لي بتردد.

قال: «أنت تحبّين كل تلك الأماكن، وكل هذه الأشياء».

قلتُ: «صحيح»، بالرغم من أنني لم أفكر بذلك من قبل. «أظن أني أحبها».

قال: «ماذا بشأن ثوفية، هل تحبينها أيضاً؟».

ذكر اسم موطنه، مرتاحاً لتلعثمي بالمقاطع اللفظية الزّلقة، كان من الأسهل التذكّر أنه رغم تكلّمه اللغة الشوتيتية بطلاقة، إلا أنه لم يكن واحداً منا. فقد ترعرع

وهو مغمور بالصقيع، وبيته مُضاء بالحجر الناري. وربما لا يزال يحلم باللغة الثوفية.

كرّرتُ كلامه: «ثوفية». أنا لم أذهب إليها، لكني درستُ لغتها وحضارتها. ورأيتُ صوراً ومقاطع فيديو. «أزهار الجليد والأبنية المصنوعة من الزجاج الحاوي على الرصاص». لقد كانوا شعباً يحب النماذج الهندسية المُعقّدة والألوان الساطعة. «المدن العائمة، والبياض اللامتناهي. نعم، هناك أشياء أحبها في ثوفية».

بدا وكأنه مكروب بشكل فجائي. فتساءلتُ إن كنت جعلته يشعر بالحنين إلى الوطن.

أخذ الخنجر الذي قدمته له ونظر إليه ملياً، مُتفحصاً النصل بطرف إصبعه وقبض على مقبضه.

قال: «لقد سلّمتِ هذا السلاح بسهولة بالغة، لكن بإمكاني استخدامه ضدك يا سايرا».

صحّحتُ كلامه بهدوء: «بإمكانك محاولة استخدامه ضدي، لكن لا أظن أنك ستفعل ذلك».

«أظنّ أنك ربما تكذبين على نفسك بشأن ما أنا عليه».

كان محقاً. ففي كثير من الأحيان كان من السهل عليّ نسيان أنه أسير في منزلي، وأني عندما أكون معه، أكون بمثابة مأمور سجنه.

لكن إذا تركته يهرب في هذه اللحظة، ويحاول أخذ أخيه إلى وطنه، كما كان يريد، فهذا يعني أني سأترك نفسي للعذاب طوال حياتي مرة أخرى. حتى إنني لم أستطع مجرد التفكير في ذلك. فقد تركتني سنوات كثيرة من الذكريات بالإضافة إلى ما حل بأوزول زيتسيفيس، ومن التهديدات المُبطّنة من رايزك، نصف ثملة بجانبه.

حدّقتُ إلى الممر مرة أخرى وقلتُ: «هذا وقتُ زيارة الراوي».

عندما كان أبي مشغولاً بتحويل رايزك إلى وحش، تركت لأوتيجا لتعلمني.

وكانت بين الحين والآخر تسربلني بالقماش من الرأس حتى أخمص القدمين، كي تُخفي الظلال التي تحرقني، وتأخذني إلى أجزاء من المدينة لم يكن والداي يسمحان لي بالذهاب إليها.

كان هذا المكان واحداً من تلك الأجزاء. وهو في أبعد وأكثر مناطق فوا فقراً، حيث نصف الأبنية مُنهارة والنصف الآخر على وشك الانهيار. وهناك أسواق أيضاً، لكنها مؤقتة، فهي عبارة عن صفوف من الأشياء مُرتّبة على بطانيات، وبذلك يمكن جمعها وحملها بعيداً لحظة الإبلاغ عنها.

سحبني أكوس من مرفقي نحوه بينما كنا نمشي مارين بإحداها، بطانية بنفسجية وعليها بعض القناني. كان فيها شيئاً شبيهاً بالغراء.

سألني: «هل هذا دواء؟ فهي تبدو وكأنها من أوثير».

أومأت غير واثقة مما سأقوله.

سألني: «لأي داء يُستخدم؟».

أجبته: «Q900X، معروف أكثر بالعامية كـ (ارتجاف واعتراف)، كما تعلم فهو يؤثر على التوازن».

عبس في وجهي. فتوقفنا هنا في الزقاق، وبدا الاحتفال بعيداً جداً. «هل يمكن تجنّب ذلك المرض. أليس هناك لقاحاً له؟».

عبستُ في وجهه، بالمقابل وقلتُ له: «أنت تدرك أننا بلد فقير، أليس كذلك؟ ليس لدينا تصدير حقيقي، وبالكاد لدينا ما يكفي من الموارد كي نُحافظ على أنفسنا بشكل مستقل. فبعض الكواكب الأخرى تُرسل مساعدات –من ضمنها أوثير – لكنّ تلك المساعدات تقع في الأيادي الخطأ، ويتم توزيعها بناءً على المكانة وليس الحاجة».

«أنا لم...» صمت قليلاً ثم تابع، «أفكّر بذلك من قبل».

قلتُ له: «ولماذا يجب أن تفكر بذلك؟ فهو ليس في أعلى قائمة مخاوف ثوفية».

قال: «لقد ترعرعتُ ثرياً في منطقة فقيرة أيضاً، وهذا شيء مشترك بيننا».

بدا مُتفاجئاً لوجود أي شيء مشترك بيننا.

سألني وهو يشير إلى الأبنية حولنا: «ألا يمكنك فعل شيء لأجل هؤلاء الناس؟ أنتِ أخت رايزك، ألا تستطيعين...».

أجبته مدافعة عن نفسي: «إنه لا يصغي إليّ».

«هل حاولتِ؟».

«أتظن ذلك سهلاً»، شعرتُ بدفء في وجهي فتابعت: «أتظن أنه بمجرد اجتماعك بأخي والطلب منه أن يعيد ترتيب كل نظامه سيفعل ذلك».

«لم أقل أنّ ذلك سهل...».

قلتُ له، وأنا أشعر بدفء أكبر الآن: «الطبقات العليا من الشوتيت هي التي تحول دون قيام ثورة عليه، ومقابل ولائهم، يمنحهم الدواء والطعام والثراء التي لا يحصل عليها الآخرون. ومن دونهم سوف يموت. وبدم نوفاك الذي يجري في عروقي، أموت معه. ولذلك لا... لا، أنا لم أُباشر مثل هذه المهمة الكبيرة لأنقذ المرضى والفقراء من الشوتيت!».

بدوتُ غاضبة، لكن في داخلي كنتُ واهنة من الشعور بالخزي جراء ذلك. كدتُ أتقيّأ في المرة الأولى التي جلبتني فيها أوتيجا إلى هنا، من رائحة جثث الذين ماتوا جوعاً في أحد الأزقة. لقد قامت بتغطية عينيّ عندما مررنا بها، ولذلك لم أستطع إلقاء نظرة عن قرب، فأنا شعرت برغبة بالتقيؤ بمجرد أن رأيت جثة واحدة، وأنا المعروفة بسوط رايزك وفنانة القتال المبدعة.

قال ويده تمسح برفق على ذراعي: «ما كان عليّ أن أذكر ذلك، دعينا نذهب. دعينا نذهب لزيارة ذلك... الراوي».

فأومأتُ موافقة، واستمررنا بالمشي.

كان هناك مدخل مطلي بأشكال زرقاء معقّدة مدفون في متاهة من الأزقة الضيقة. طرقتُ الباب، ففُتح بصرير يكفي لينبعث منه سحابة من الدخان الأبيض التي تشبه رائحة سكر محروق.

بدا ذلك المكان مقدساً بمعنى ما، وربما كان كذلك. حيث أخذتني أوتيجا

للمرة الأولى إليه لأتعلم تاريخنا، منذ عدة مواسم، في اليوم الأول لاحتفالات رحلة الإقامة المؤقتة.

فتح الباب رجل طويل شاحب اللون، شعره قصير إلى حد أنّ فروة رأسه كانت ظاهرة. فرفع يديه وابتسم.

قال: «آه، نوفاك الصغيرة، لم أكن أتصور أنني سأراك مرة أخرى. ومن ذلك الذي جلبته لي؟».

قلتُ له: «هذا أكوس. أكوس، هذا هو الراوي. على الأقل هذا ما يُحب أن يُدعى به».

قال أكوس: «مرحباً». وباستطاعتي التنبؤ بأنه كان عصبياً من طريقة تغير وضعيته، باختفاء الجندي الذي بداخله. فتوسّعت ابتسامة الراوي ودعانا للدخول.

دخلنا غرفة معيشة الراوي، فانحنى أكوس كي يلائم السقف المُنحني، الذي في أعلاه كرة فينزو مضيئة. كان هناك فرن صدئ بمواسير عادمة تمتد إلى نافذة الغرفة الوحيدة، لتُخرج الدخان منها. كنتُ أعرف أنّ الأرضية مصنوعة من الطين المُقسّى لأنني نظرت خلسةً تحت السجاد المهترئ عندما كنت طفلةً كي أرى ما تحته. وهذه الألياف القاسية جعلتني أحك ساقيّ.

قادنا الراوي للجلوس على كومة من الأرائك، حيث جلسنا بشكل غير ملائم بعض الشيء ممسكة بيده. فتركت يد أكوس كي أمسح يدي بردائي، وعندما اندفعت الظلال التيارية في جسدي، ابتسم الراوي مرة أخرى.

قال: «ها هي الظلال هناك، لم أستطع التعرف إليك تقريباً من دونها، يا نوفاك الصغيرة».

وضع وعاء معدنياً على الطاولة التي أمامنا – وكانت الطاولة مصنوعة من كرسيين مربوطين أحدهما معدني والآخر خشبي –وزوج من الأكواب غير المتجانسة. فقمتُ بصبّ الشاي لنا. كان بنفسجياً باهتاً، وردياً قليلاً، وكانت رائحته تعبق بالمكان.

جلس الراوي قبالتنا. وبدا الطلاء الأبيض على الجدار أعلى رأسه متقشراً، كاشفاً عن الطلاء الأصفر القديم تحته. وكانت هناك شاشة أخبار مُثبتة بشكل مُعوج على الجدار بجانب الفرن. هذا المكان مليء بأشياء جُلبت من كواكب أخرى، فمن الواضح أنّ إبريق الشاي القاتم كان من تيبس، وحامل الوقود في الفرن مصنوع في بيثا، وثياب الراوي نفسها حريرية وكأنها تعود لأحد أثرياء أوثير. وفي الزاوية هناك كرسي، أصله غير معروف بالنسبة إليّ، كان الراوي مُنشغلاً بالإصلاح.

قال الراوي وهو يرفع حاجبه للمرة الأولى: «رفيقك...أكوس، أليس كذلك؟... رائحته مثل زهرة هشفلور».

قلتُ له: «إنه من ثوفية، ولا يقصد الإساءة».

قال أكوس: «الإساءة؟».

قال الراوي: «نعم، فأنا لا أسمح للناس الذين تناولوا زهرة هشفلور مؤخراً أو أي مادة أخرى مُبدّلة للتيار، بدخول منزلي، رغم أنه مرحب بهم ليعودوا ما إن تتغلغل في جهازهم الهضمي. ففي النهاية ليس من عادتي صد الزوار».

قلتُ لأكوس: «الراوي زعيم ديني شوتيتي، ونحن ندعوهم رجال دين».

عبس الراوي وهو يقول: «هل هو ثوفي حقاً؟» ثم أغمض عينيه وتابع: «بالتأكيد أنت مُخطئ يا سيدي. فأنت تتكلم لغتنا المقدسة وكأنك من السكان الأصليين».

أجاب أكوس بتوتر: «أظن أني أعرف وطني وهويتي».

قال الراوي: «لم أقصد الإهانة، لكنّ اسمك أكوس وهو اسم شوتيتي، ولذا بإمكانك أن تُدرك سبب حيرتي. فالآباء الثوفيون لن يسموا أبناءهم بمثل هذا الصوت القاسي عفوا. ماذا يسمى أشقاؤك؟».

قال أكوس زافراً: «إيجيه». من الواضح أنه لم يفكر بذلك من قبل، «وسيسي».

أحكمت يده القبض على يدي من دون قصد حسبما أظن.

قال الراوي: «حسناً، ليس مهماً، من الواضح أنك أتيت إلى هنا لهدف ما،

وليس لديك وقت كافٍ قبل العاصفة كي تُنجزه، ولذلك سنمضي إلى الأمام. ما سبب هذه الزيارة يا نوفاك الصغيرة؟».

قلتُ له: «ظننت أنك تستطيع إخبار أكوس القصة التي أخبرتني إياها عندما كنت صغيرة، فأنا لستُ جيدة برواية القصص».

«نعم، أستطيع أن أرى أن هذه حالك». رفع الراوي كوبه عن الأرض بجانب قدميه، اللتين كانتا عاريتين. كان الهواء جافاً في الخارج لكنه دافئ هنا، وتقريباً خانق. «بالنسبة إلى القصة، في الواقع ليس لها بداية. فنحن لم نكن نعلم أنّ لغتنا إيحائية، ومحمولة في الدم، لأننا كنا دائماً معاً، نتحرك مثل شخص واحد عبر المجرة كرحالة. ولم يكن لدينا وطن، وكنا رُحّلاً. نتبع التيار حول المجرة، إلى أي مكان يجده ملائماً ليقودنا إليه. ونحن نعتقد أنّ هذا، هو التزامنا ومهمتنا».

ارتشف الراوي من كأس شايه ثم وضعه أرضاً، وهزّ أصابعه في الهواء. عندما رأيته يفعل ذلك للمرة الأولى، ضحكتُ، معتقدةً أنه يتصرف بشكل غريب. لكني الآن أعرف ما الذي يجب أن أتوقعه: هناك أشكال باهتة ومُبهمة تظهر أمامه. كانت مليئة بالدخان، وليست مضاءة مثل الأجسام ثلاثية الأبعاد في المجرة التي رأيناها مسبقاً، لكنّ الصورة هي نفسها: كواكب مُرتّبة حول الشمس، وخط من تيار أبيض يلتف حولها.

توسعت عينا أكوس الرماديتان –اللون نفسه كما معظم الدخان–.

«ثمّ تراءت رؤيا لأحد الكهنة، بأنّ عائلتنا الحاكمة سوف تقودنا إلى وطن دائم. وقد فعلوا ذلك...قادونا إلى كوكب بارد غير مأهول دعوناه (أوريك) لأنّ ذلك يعني (فارغ)».

سأل أكوس: «أوريك، هل ذلك هو الاسم الشوتيتي لكوكبنا؟».

قلتُ بتذمّر: «حسناً، أنت لا تتوقع منا أن ندعوه (ثوفية) كما يدعوه قومك، أليس كذلك؟».

«ثوفية، هو الاسم الرسمي المعترف به من قبل المجلس لكوكبنا، الذي

يضم الشعبين الثوفي والشوتيتي معاً. لكنّ هذا لا يعني أنه يجب علينا أن ندعوه كذلك».

تغيرت هلوسة الراوي وهو يركّز على دائرة وحيدة من الدخان الكثيف.

«كان التيار أكثر قوة هنا من أي مكان آخر كنا فيه. لكننا لم نرد أن ننسى تاريخنا، وترحالنا، واستعادتنا للأشياء المُكسّرة، ولذا بدأنا بالذهاب في رحلات الإقامة المؤقتة. ففي كل موسم، كل القادرين سيعودون إلى السفينة التي حملتنا في أرجاء المجرة لفترة طويلة من الزمن، ونتبع التيار مرة أخرى».

لو لم أكن أمسك بيد أكوس، لكنتُ شعرت بالتيار وهو يطنّ في جسدي. لم أكن أفكر دائماً بشأنه، لأن مع الطنين يأتي الألم، لكنه كان أمراً مشتركاً أتقاسمه مع كل الأشخاص عبر المجرة. حسناً، كل الأشخاص ماعدا الشخص الذي بجانبي.

تساءلتُ إن شعر بالاشتياق إليه، وإذا كان يتذكّر كيفية الإحساس به.

انخفض صوت الراوي، وبدت نبرته كئيبة عندما تابع كلامه: «لكن في إحدى رحلات الإقامة المؤقتة، تجرّأ أولئك الذين يقطنون شمال فوا من أجل حصاد الأزهار الجليدية، والذين يدعون أنفسهم ثوفيين، بالتوغل بعيداً نحو الجنوب. فأتوا إلى مدينتنا ورأوا أننا تركنا كثيراً من أطفالنا هنا، بانتظار عودة آبائهم من رحلة الإقامة المؤقتة. فأخذوا أطفالنا من أسرّتهم ومن شوارعهم. لقد سرقوا شباننا، وأخذوهم شمالاً كأسرى وخدم».

رسمتْ أصابعه شارعاً منبسطاً، وشكلاً غير منتظم لشخص يركض عبره، تُطارده غيمة دوّامية. وفي نهاية الشارع ابتلعت الغيمة الشخص الذي يركض.

قال: «عندما عاد من كانوا في الرحلة المؤقتة وجدوا أنّ أبناءهم قد فُقدوا، فشنوا حرباً من أجل استعادتهم. لكنهم لم يكونوا مُدرّبين على القتال، فهم مُدرّبون فقط على البحث عن الأشياء المفيدة وعلى الترحال، فقتلت أعداد كبيرة منهم. وهكذا ظننا أنّ أولئك الأطفال قد فُقدوا إلى الأبد، لكن بعد جيل، وفي رحلة إقامة مؤقتة، تجرّأ واحد من مجموعتنا على الذهاب وحيداً إلى كوكب

أوثير، وهناك – من بين أولئك الذين لم يعرفوا لغتنا – تحدّثت طفلة معه بلغة الشوتيت. كانت طفلة أحد الأسرى الشوتيت، لم تُدرك بأنها استعملت لغة بدل الأخرى. فاستعيدت الطفلة وجُلبت إلينا».

أمال رأسه.

تابع: «بعد ذلك، نهضنا وأصبحنا جنوداً، وهكذا لن نُهزم مرة أخرى».

بينما كان يهمس، وعندما اختفى دخان هلوساته، قُرعت طبول مركز المدينة بشكل أعلى وأعلى، وشاركتها طبول القطاع الفقير. فهدرت وقعقعت بينما نظرتُ إلى الراوي الذي كان فمه مفتوحاً.

قال: «إنها العاصفة، وذلك أفضل بكثير لأنّ قصتي انتهت».

قلتُ له: «شكراً، آسفة لأنني...».

قال الراوي بابتسامة: «اذهبي يا نوفاك الصغيرة، لا تضيّعيها».

أمسكتُ بذراع أكوس وسحبته ليقف على قدميه. كان مُتذمراً من الراوي، ولم يلمس كوب الشاي البنفسجي الحلو الذي سكبته له. جررته بقوة كي يتبعني إلى أعلى درجات منزل الراوي ومنه إلى الزقاق. وحتى من هنا، كان بإمكاني رؤية السفينة وهي تتحرك نحو فوا من البعيد. كنتُ أعرف شكلها بالطريقة التي أعرف فيها صورة أمي، حتى من بعيد. كيف انحنت عند الوسط واستدقّت عند المُقدَمة. وأعرف أية أشياء مفيدة جمعتها من صفائحها غير المتساوية وكيف كانت مُهترئة أو كيف كانت ألوانها البرتقالية والزرقاء والسوداء. كانت سفينتنا المرقّعة كبيرة بما يكفي لتُظلّل مدينة فوا بكاملها.

كنتُ أسمع الهتافات حولنا وفي كامل أرجاء المدينة.

على غير عادتي، رفعتُ يدي إلى السماء. عندما صدر صوت عالٍ وحاد من مكان ما قريب من باب التحميل في السفينة، فانتشرت ألوان زرقاء قاتمة مشكّلةً ألواناً جديدة. كانت مثل حبر سقط في الماء، منفصلة في البداية ثم اندمجت فيما بعد، واختلطت معاً إلى أن غطت المدينة بغطاء من ضباب أزرق قاتم. هبة السفينة لنا.

ثم – كما في كل موسم من مواسم حياتي – بدأت السماء تُمطر مطراً أزرق اللون.

مُبقيةً يداً واحدة في يد أكوس، رفعتُ راحة يدي الأخرى كي أمسك نقاطاً من المطر الأزرق. كان قاتماً، وحيثما انزلق على جلدي كان يترك بقعاً باهتة. وكان الناس في نهاية الزقاق يضحكون ويبتسمون ويغنون ويتمايلون. أرجع أكوس رأسه إلى الخلف وهو ينظر إلى وسط السفينة، ومن ثم إلى يده، إلى المطر الأزرق الذي ينزلق فوق براجمه. فالتقت عيناه بعيني. كنت أضحك.

قلتُ: «الأزرق لوننا المفضّل، لون مجرى التيار عندما نقوم بالبحث عن الأشياء المفيدة».

بتعجب أجاب: «عندما كنتُ طفلاً، كان لوني المفضّل أيضاً، رغم أنّ كل ثوفية تكرهه».

أخذتُ راحة يدي المليئة بالمياه الزرقاء التي جمعتها، ومسحتُ بها خدّه، ما جعله أكثر قتامةً. فبصق أكوس على الأرض، رفعتُ حاجبيّ بانتظار رد فعله، فألصق يده ليمسك بجدول من المياه النازلة من سطح أحد الأبنية واندفع نحوي.

عدوتُ بسرعة في الزقاق، ليس بسرعة كافية كي أتجنّب الماء البارد الذي ينزل على ظهري، بصرخة مثل الأطفال. أمسكت ذراعه من مرفقه وركضنا معاً عبر الحشود التي تُغني، مارين بالكبار المتمايلين، الرجال والنساء يرقصون قريبين جداً بعضهم من بعض، نزقين من الزوار الآتين من خارج الكوكب الذين يحاولون تغطية سلعهم في السوق. عبرنا فوق برك المياه الزرقاء، مُبلّلين ثيابنا. وضحكنا معاً للمرة الأولى.

الفصل الثاني عشر سايرا

تلك الليلة، كشطتُ البقع الزرقاء عن جلدي وشعري، ثم توجهت إلى طاولة العطارة كي نصنع المهدئ لأستطيع النوم. لم أسأله عن رأيه بقصة الراوي عن تاريخ الشوتيت، التي تلوم الشوفيين وليس الشوتيت بشأن الصراع بين شعبينا، وهو لم يبدِ أي رد فعل. وعندما انتهينا من صنع المهدئ، حملته إلى غرفتي وجلستُ على طرف سريري كي أشربه. وهذا كان آخر ما أتذكره.

عندما استيقظتُ، كنتُ نائمة عند جانب السرير، فوق الملاءات. وكانت كأس المهدئ المقلوبة نصف فارغة، ولاحظت تبقع الملاءات باللون البنفسجي حيث انسكب المهدئ. ومن خلال الضوء القادم عبر الستائر قدرت أن الشمس قد أشرقت.

شعرت بالألم، فأجبرتُ نفسي على القيام. «أكوس؟».

لقد طرحني المهدئ فاقدة الوعي؛ ضغطتُ بظاهر يدي على جبيني. لكني ساعدته في صنعه، هل صنعته بهذه القوة؟ تعثّرتُ في مشيتي في الممر وطرقت باب غرفته. لا، من غير الممكن أني صنعته بهذه القوة، فأنا حضّرتُ السويقات فقط، وهو أكمل التحضير.

لقد خدّرني.

لم يأتني رد منه. فدفعت الباب وفتحته. كانت غرفة أكوس فارغة، والأدراج مفتوحة، والثياب مفقودة، ولم يكن هناك أثر للسكين.

شككت بلطفه بما أنه أقنعني بالخروج من المنزل، وكنت على حق في شكّي.

جذبتُ شعري للخلف وربطته بعيداً عن وجهي. ثم عدتُ إلى غرفتي، وحشرتُ قدميّ بحذائي طويل الساق. ولم أهتم لربطه.

لقد خدّرني.

تجوّلت في الأرجاء، وبحثتُ عن الجدار البعيد عن اللوح الذي عبرنا من خلاله البارحة كي نخرج من المنزل. كان هناك فراغ صغير بينه وبين بقية الجدار. فضغطتُ على أسناني من شدة الألم. لقد أرادني أن أخرج من المنزل معه كي أريه كيف يخرج. وأنا سلّحته بتلك السكين الزولدية، لقد عهدتُ إليه بجرعة دوائي، والآن... الآن سأعاني جراء ذلك.

لقد قال لي من قبل، أظن أنك تكذبين على نفسك بشأن ما أنا عليه.

لا علاقة للشرف بالبقاء على قيد الحياة، لقد علّمته ذلك.

اندفعتُ نحو الرواق. كان هناك حارس يمشي باتجاهي. استندتُ إلى الباب. ما الذي أتى ليقوله؟ لم أكن أعرف ما يجب أن أتمناه؛ هرب أكوس أو القبض عليه.

وقف الحارس بالقرب من بابي، وأحنى رأسه. كان من بين الحراس الأقصر والأكثر شباباً، وجه طفولي ويحمل سكيناً. واحد من القلة الذين لايزالون يحدقون إلى ذراعي بعينين مفتوحتين عندما تنتشر الخطوط السوداء فيهما.

«ماذا؟» سألته بشكل آمر وأنا أكزّ على أسناني. لقد عاد الألم، تقريباً بالسوء نفسه الذي كان بعد أن عذّبتُ أوزول زيتسيفيس. «ماذا هناك؟».

قال الحارس: «خادم الملك، فاس كوزار، يخبرك أنه قبض على خادمك وهو يحاول الهرب مع أخيه الليلة الماضية، وهو الآن محجوز بانتظار العقوبة

التي يحددها الملك. وفاس يطلب حضورك لجلسة الاستماع الخاصة خلال ساعتين، في قاعة الأسلحة».

مع أخيه... هذا يعني أنّ أكوس وجد طريقة ليُخرج إيجيه فيها أيضاً. فتذكّرتُ صرخات إيجيه أول وصوله إلى هنا، وشعرتُ بالقشعريرة.

ذهبتُ إلى «جلسة الاستماع الخاصة» بسلاحي الكامل، مرتدية لباس الجندي. كان رايزك قد أسدل الستائر في قاعة الأسلحة، ولذا كانت مظلمة مثل الليل، ومضاءة بضوء مرتعش من أضواء فينزو في الأعلى. وقف على المنصة، ويداه خلف ظهره، يحدّق إلى جدار الأسلحة الذي فوقه. لم يكن هناك أحد في القاعة بعد.

قال في الوقت الذي أُغلق فيه الباب بعد دخولي: «كان هذا المفضل عند أمنا». لمس العصا التيارية المعلّقة بشكل قطري على الجدار. كانت عصا طويلة ورفيعة فيها سكين من كلا طرفيها. وكل من السكينين يحتوي على قضيب مُخدّد، ولذا في حال لمس السلاح الجلد، تلتف ظلال تيارية قاتمة حول العصا بأكملها، من طرف لآخر. كانت طويلة بمقدار طولي تقريباً.

قال من دون أن يلتفت حوله: «خيار أنيق، أكثر للعرض مما هو لأي شيء آخر، هل تعرفين أنّ أمنا لم تكن محترفة في القتال؟ هذا ما أخبرني به أبي. لكنها كانت ذكية، واستراتيجية. وتجد وسائل كي تتجنّب الشجارات الجسدية، التي تُظهر ضعفها».

استدار، وهو يبتسم ابتسامة الراضي عن نفسه.

تابع: «يجب أن تكوني أكثر شبهاً بها يا أختي، فأنت محاربة ممتازة. لكن هنا...» نقر على طرف رأسه، «حسناً، تكمن نقطة ضعفك».

تحركت الظلال بشكل أسرع تحت جلدي، متدافعة نتيجة غضبي. لكنني أبقيتُ فمي مغلقاً.

«هل أعطيتِ كيرسيث سلاحاً؟ هل أخذته عبر الأروقة؟» هزّ رايزك رأسه ثم تابع: «هل كنتِ نائمة أثناء هربه؟».

قلتُ بتوتر: «لقد خدّرني».

قال رايزك بلطف وهو لايزال يتكلّف الابتسام: «أوه؟ وكيف فعل ذلك؟ هل ثبّتك وصبّ جرعة الدواء في فمك؟ لا أظن ذلك. أظن أنك شربته بكل ثقة. شربتِ مخدراً قوياً مُحضراً من قبل عدوّك».

قلتُ له «رايزك...».

انتفض رايزك قائلاً: «كدتِ تكلفينا كاهننا، ولماذا؟ لأنك حمقاء بما يكفي كي تدعي قلبك يرفرف لأول مُهدّئ يحوم حولك؟».

لم أجادل. فقد أمضى وقتاً طويلاً وهو يفتش المجرة بحثاً عن كاهن، مع والدي ومن دونه. وفي ليلة واحدة كاد هذا الكاهن يهرب، بسببي. ربما كان محقاً. ربما مهما تكن الثقة التي شعرتُ بها اتجاه أكوس قليلة، ومهما تكن الجاذبية التي يحملها، فقد أتت لأنه يسبب لي الراحة. لأني كنتُ شديدة الامتنان لأخذ مهلة من الألم – ومن العزلة – لقد كنتُ غبيّة.

قلتُ له وصوتي يرتجف من الخوف: «لا تستطيع لومه لرغبته بإنقاذ أخيه، أو لرغبته بالخروج من هنا».

قال رايزك وهو يضحك قليلاً: «أنتِ لا تفهمين ما يحصل، أليس كذلك؟ دائماً يريد الناس أشياء سوف تحطمنا، يا سايرا. وهذا لا يعني أن نجعلهم يعملون على تحقيق ما يريدون».

أشار رايزك إلى جانب القاعة.

قال: «قفي هناك ولا تنبسي بكلمة، لقد جلبتك إلى هنا كي تراقبي ما يحصل عندما لا تُبقين خدمك تحت السيطرة».

كنتُ أرتجف، وبدوتُ وكأني أقف تحت غطاء من نبات الكرمة، معلّمة بظلالها. فتعثرتُ في المشي نحو جانب القاعة، ويداي تقبضان بإحكام على جسدي. سمعتُ أمر رايزك بالدخول.

فُتحت الأبواب الضخمة في الجانب الآخر من الغرفة. دخل فاس أولاً، مدرعاً، وكتفاه للخلف. ثم دخل خلفه أكوس مُحاطاً بالجنود وكان يمشي

باضطراب. كان نصف وجهه مغطى بالدماء، جراء جرح بليغ في حاجبه، ووجهه مُتورماً وشفته مشقوقة. لقد ضُرب، لكن...

مشى إيجيه خلفه، وبدا أنه ضرب هو الآخر وكان وجهه خالٍ من التعابير. كان وجهه خشناً بلحية غير مكتملة، وكان نحيلاً. لقد كان أثراً من ذلك الشاب الذي رأيته من مكاني الخفي قبل موسمين.

استطعت سماع لهاث أكوس من مكاني، لكنه انتصب عندما رأى أخاه.

قال رايزك وهو ينزل الدرجات ببطء: «يا لمنظرك، كم ابتعد يا فاس؟ هل اجتاز السور؟».

أجابه فاس: «لم يصل إلى هناك، لقد قبضنا عليه في المطابخ قادماً من الممرات».

قال رايزك: «حسناً، دعني أوضح لك شيئاً عن سوء حساباتك، يا كيرسيث، بالرغم من أن أمي الراحلة كانت تستمتع بالطراز القديم لهذا المنزل، هذا لا يعني أني لم أُجهز منزلي بإجراءات أمنية أكثر تقدماً بعد رحيلها. من ضمنها حساسات للحركة حول الغرف الآمنة، مثل غرفة أخيك».

قال أكوس عبر أسنانه التي تكزّ على بعضها: «لماذا تبقيه هناك؟ فهو لا يملك أي هبة تيارية؟ أو أنك سوف تُخرجها منه بحرمانه من الطعام؟».

بشكل عرضي ضرب فاس أكوس بظاهر يده. فانحنى أكوس ممسكاً بخدّه.

قال إيجيه وصوته مثل نسمة خفيفة: «أكوس، لا».

قال رايزك: «لماذا لا تُخبره يا إيجيه؟ هل اكتسبت هبة تيارية؟».

نظر أكوس إلى أخيه من خلال أصابعه. فأغمض إيجيه عينيه لبرهة، وعندما فتح عينيه مرة أخرى، أومأ بالموافقة.

تمتم أكوس باللغة الشوتيتية: «كاهن صاعد». في البداية لم أكن أعرف ماذا كان يعني بذلك –فهذه العبارة لم نكن نستخدمها. لكنّ الثوفيين لديهم كلمات مختلفة بشأن الكهنة الثلاثة؛ واحد هابط، قريب من الاستقالة، وواحد جالس، يقوم بالتنبؤات من المعبد، وواحد صاعد، في طور اكتمال قوته أو قوتها.

قال رايزك: «إنك محق بافتراضك أنني لم أكن قادراً على جعله يستخدم هبته لمصلحتي، ولذا بدلاً من ذلك أعتزم أخذها».

سأله أكوس مردداً صدى أفكاري: «تأخذها؟».

اقترب رايزك من أكوس وجثم أمامه، وأسند مرفقيه إلى ركبتيه.

قال بلطف: «هل تعلم ما هي هبتي التيارية؟».

لم يُجب أكوس.

قال رايزك وهو يهزّ رأسه باتجاهي: «أخبريه عنها يا عزيزتي سايرا، فأنت تعرّفتِ إليها بشكل وثيق».

رفع أكوس الذي يسند نفسه بيد واحدة عينيه ونظر إليّ. كان هناك دموع ممتزجة بالدم على وجهه.

قلتُ له وقد شعرت بالغباء: «يستطيع أخي تبادل الذكريات، فهو يعطيك واحدة من عنده ويأخذ واحدة من عندك بالمقابل».

بقي أكوس بلا حراك.

قال رايزك: «هبة الأشخاص تعبّر عن ماهياتهم. وإذا استوليت على ذكرياتهم فأنت تستولي على الأشياء التي شكّلتهم، وتستولي على هبتهم، وفي نهاية المطاف...». مرّر رايزك أصابعه على جانب وجه أكوس، وجمع بعض الدم ثم فركه بين إبهامه وسبابته مُتفحّصاً إياه. «في النهاية، لن أعتمد على شخص آخر كي يخبرني عن المستقبل».

رمى أكوس بنفسه على رايزك مُتحركاً بسرعة كي يتفادى الجنود، ويداه ممدودتان. فضغط إبهامه بقوة على جانب حنجرة رايزك، شابكاً ذراعه اليمنى باليسرى، مبرزاً أسنانه مثل حيوان.

في غضون ثوانٍ أصبح فاس فوقه، فجذبه من تلابيبه ولكمه بقوة على أضلاعه. وعندما تمدّد وظهره على الأرض، ضغط فاس بحذائه على حنجرته، ورفع حاجبه.

قال فاس: «لقد سبق لأحد جنودي أن فعل بك هذا ذات مرة، قبل أن أقتل أباك. ابقَ ساكناً وإلا سوف أسحق قصبتك الهوائية».

ارتعش أكوس، لكنه توقف عن التحرّك بعنف. رفع رايزك نفسه وهو يُدلّك حنجرته وينفض الغبار عن بنطاله ويتفقّد أحزمة درعه. ثم اقترب من إيجيه، كان الجنديان اللذان دخلا مع أكوس يحيطان بـإيجيه الآن، كل منهما يقبض بثبات على إحدى ذراعيه، وكأنّ ذلك ضروري. بدا إيجيه مُصاباً بدوار وكنت مندهشة لأنه لايزال واعياً.

رفع رايزك يديه ولمس بهما رأس إيجيه، عيناه مُركزتان وقلقتان، تتوقان للفرار.

لم يكن هناك كثير لمشاهدته. لقد كانت يدا رايزك صلة الوصل بينه وبين إيجيه.

عندما شاهدتُ رايزك يفعل هذا للمرة الأولى كنتُ صغيرةً جداً لأفهم ما الذي يحدث، لكني تذكّرتُ أنّ مُبادلة ذكرى تستغرق لحظة منه. فالذكريات تحصل بلمح البصر، ليس مثل ما هي مرسومة في الواقع، واستغربت كيف يمكن لشيء مهم وجوهري بالنسبة إلى شخص ما أن يختفي بسرعة فائقة.

كنتُ ألهث، فكل ما أستطيع فعله الآن هو المشاهدة.

عندما حرّر رايزك إيجيه، كانت نظرته غريبة ومرتبكة. فقد تراجع إلى الخلف، ونظر حوله وكأنه غير واثق أين هو، وتحسّس جسده وكأنه غير واثق من هو. فتساءلتُ إذا فكّر كم ستكلفه مبادلة ذكرياته، وهل هو ذو شخصية قوية تتيح له التحايل على رايزك

في هذه الأثناء، بدا إيجيه في قاعة الأسلحة، وكأنه أدرك ما حصل. هل كنتُ فقط أتخيّل المعرفة في عينيه وهي تتبع الخطوات إلى أعلى المنصة؟

أشار رايزك إلى فاس كي يبعد قدمه عن حنجرة أكوس. فنفذ فاس ما أُمر به. بقي أكوس ساكناً، وهو يُحدّق إلى رايزك، الذي جثم بجانبه مرة أخرى.

قال رايزك بلطف: «هل مازال خدّاك يتوردان بسهولة؟ أم أنك تخلصت من هذا الشيء في نهاية المطاف؟».

لوى أكوس وجهه.

قال رايزك: «لن تهينني مرة أخرى بخطط هرب سخيفة، والعقوبة على محاولة هربك الأولى، والوحيدة، ستتمثل بإبقاء أخيك هنا، وانتزاع جزء تلو الآخر منه حتى لا يعود الشخص الذي تود إنقاذه».

ضغط أكوس بجبينه على الأرض، وأغمض عينيه. لم يكن من المستهجن القول إن إيجيه كيرسيث قد انتهى.

الفصل الثالث عشر سايرا

تلك الليلة لم أستطع تناول المهدّئ. ففي النهاية، لم أعد أستطيع الاعتماد على أكوس كي يعدّه بعد الآن، وبالمقابل لم تكن لديّ الثقة لأعده بنفسي.

عندما عدتُ إلى غرفتي، وجدت السكين التي أعطيتها لأكوس على وسادتي. ربما تركها رايزك هناك كتحذير، عندها أقفلت باب غرفة أكوس من الخارج.

من الصعب القول من منا لم يكن يكلم الآخر أنا أم هو؛ فالنتيجة واحدة. كان الاحتفال برحلة الإقامة المؤقتة لايزال مستمراً، واستُدعيت في بعض الأنشطة الاحتفالية كي أقف إلى جانب أخي، مُخطّطة بالسواد وصامتة. وقف أكوس دائماً خلفي، وكانت لمسته العرضية قسرية، ونظرته باردة. وفي كل مرة يلمس فيها جلده جلدي ليمدّني بالراحة، كنت أميل للابتعاد، لقد فُقدت الثقة.

أمضيت معظم الوقت في الحلبة، أترأس التحديات بجانب رايزك. تحديات الحلبة –قتال علني –كانت تقليداً شوتيتياً قديماً، كانت في الأصل رياضة من أجل تعزيز مهاراتنا القتالية في الأيام التي كنا فيها ضعفاء ويُساء إلينا من قبل جميع من في المجرة تقريباً. والآن، أثناء احتفال رحلة الإقامة المؤقتة، كان من القانوني تقريباً دعوة أي شخص لديك معه مظلمة للقتال الذي يستمر إلى أن يستسلم أحد المتحديين، أو يموت.

لكنّ الشخص لا يستطيع تحدي شخص آخر يفوقه مكانة اجتماعية يتم تحديدها بشكل استبدادي من قبل رايزك، أو شخص يُعيّنه وبالنتيجة، غالباً ما يستفز الناس أعداءهم الحقيقيين باستهداف الناس المحيطين بهم، أصدقائهم أو أحبابهم. وبتقدّم الاحتفال، تُصبح التحديات أكثر دموية ومعظمها ينتهي بموت أحد المتحديين.

لذلك حلمتُ بالموت، والموت ملأ أيامي.

في اليوم التالي لبلوغي السادسة عشرة، قبل يوم من صعودنا إلى سفينة الإقامة المؤقتة، وبعد خمسة أيام من بدء رايزك بتبادل الذكريات مع إيجيه، تلقّى أكوس الدرع الذي اكتسبه منذ وقت طويل، في معسكر الجنود.

كنتُ قد أنهيتُ للتو العدو السريع في النادي الرياضي، ولذا كنتُ أخطو جيئةً وذهاباً في غرفة نومي، وأنا ألتقط أنفاسي، والعرق يتساقط خلف عنقي. طرق فاس الباب، ويتدلى درع صدري مصقول من يديه.

سأل فاس: «أين كيرسيث؟».

قدته في الممر، وفتحت باب غرفة أكوس. كان أكوس جالساً على سريره، من خلال النظر إليه بدا مُخدّراً بزهرة هشفلور، التي يستهلكها الآن بتلة بعد أخرى بشكل خام. لقد كان يخفي أزهار الهشفلور في جيوبه.

رمى فاس بالدرع على أكوس، الذي أمسكه بكلتا يديه. كان يعامله وكأنه يمكن أن يتحطّم، فقلّبه بين يديه، ومرّر أصابعه فوق كل بقعة زرقاء داكنة.

قال فاس: «هذا ما كسبته كما قيل لي، عندما كنت تتعلم تحت إشراف فاركيز في الموسم الماضي».

قال أكوس بصوت مبحوح: «كيف حال أخي؟».

قال فاس: «لم نعد نقفل باب غرفته، فهو هناك بملء إرادته».

«هذا غير صحيح. هذا غير ممكن».

عندها قلتُ: «اذهب يا فاس».

كنت أشعر بالتوتر عندما يتصاعد. ولم تكن لديّ رغبة بمراقبته.

أمال فاس رأسه عندما نظر إليّ، ثم انحنى قليلاً وغادر.

رفع أكوس الدرع نحو الضوء. كان مزوداً بأحزمة قابلة للتغيير كي تستوعب نموّ جسده المحتوم، وكان مرناً عند القفص الصدري، ومزوداً بلبادات إضافية عند المعدة، التي طالما نسي حمايتها عندما كنا نتدرب. وهناك غمد داخل غطاء الكتف اليمنى وبذلك يستطيع سحب السكين فوق رأسه بيده اليسرى. كان شرفاً كبيراً، ارتداء مثل هذا النوع من الدروع، خاصةً في هذا العمر الصغير.

قلتُ له: «سأعيد إغلاق الباب».

سألني أكوس وكأنه لم يكن يسمعني: «هل هناك من طريقة لإبطال ما فعله رايزك؟». لقد بدا وكأنه فقد قدرته على الوقوف، ففكرّت برفض الإجابة.

«ما من طريقة، سوى الطلب من رايزك إعادة الذكريات، وهذا لن يحدث ما لم يكن رايزك بمزاج يتقبل الأمر، وشخصياً لا أظن أنه سيفعل».

وقف أكوس ومرر الدرع فوق رأسه. وعندما حاول تثبيت الحزام الأول على قفصه الصدري، جفل من الألم، ونفض يده. كانت الأحزمة مصنوعة من مادة الدرع نفسه، ومن الصعب شدّها. أمسكتُ الحزام بأصابعي وجذبتُ أكوس نحوي بقوة. كانت أصابعي متصلبة مسبقاً.

سحبت الحزام إلى الأمام والخلف إلى أن أحكمتُ رباطه حول خاصرته.

قال أكوس بهدوء: «لم أقصد أن أُدخلك بالأمر».

قلتُ بتوتر: «أوه، لا تتفضّل عليّ، فتلاعبك بي كان جزءاً حاسماً في خطتك. وهو بالضبط ما توقعته».

انتهيتُ من الأحزمة وتراجعتُ. أوه، ظننتُ ذلك. لقد كان طويلاً –طويلاً جداً– وقوياً ومُدرّعاً، فالجلد الأزرق القاتم للمخلوق الذي اصطاده لايزال زاهي اللون. بدا مثل جندي شوتيتي، مثل شخص يمكنني الرغبة به، إذا ما كان بإمكاننا إيجاد طريقة للوثوق أحدنا بالآخر.

قال أكوس «هذا جيد». ثم أردف بصوت هادئ: «لقد قصدتُ إدخالك. لكنني لم أتوقع الشعور بالندم جراء ذلك».

شعرتُ بأني مخنوقة، ولم أعرف السبب.

سألته: «وأنت تريدني مساعدتك كي تشعر بندم أقل، هل هذا ما تريده؟».

وقبل أن ينبس ببنت شفة، خرجتُ من الغرفة، وأغلقت الباب خلفي.

خلف سور معدني طويل، انتظرنا حشد صاخب وكبير في شوارع فوا المغبرة، خرج رايزك وتبعته برفقة أكوس. رفع أخي ذراعه الشاحبة الطويلة كي يحيي الحشد، فأطلقوا صرخة غير مُتناغمة.

كان حفل رحلة الإقامة المؤقتة على وشك الانتهاء. فاليوم سيصعد كل القادرين جسدياً والمناسبين عمرياً من الشوتيت على متن رحلة الإقامة المؤقتة، وبعد وقت قليل من ذلك، سنغادر الكوكب.

لحق فاس بـرايزك خارج الباب، ثم تبعه إيجيه، وهو يرتدي قميصاً أبيض نظيفاً ويبدو أكثر حضوراً مما رأيته في حياتي على الإطلاق. كانت كتفاه للخلف، وخطواته أوسع، وكأنها لرجل أكثر طولاً، وفمه معوّج. مرّت عينا إيجيه على أخيه وتفحّصت الشارع وراء قصر نوفاك.

همس أكوس بصوت واهن: «إيجيه».

لقد فضح وجه إيجيه بعض الإدراك، وكأنه شاهد أخاه من مسافة بعيدة. فأدرتُ وجهي نحو أكوس.

قلتُ بشكل قاسٍ وأنا أمسك بمقدمة درعه، «فيما بعد». لم يكن بوسعي تركه ينهار وكل هؤلاء الناس يراقبوننا. «ليس هنا، وليس الآن. هل تعي ذلك؟».

انسحبتُ بعيداً بعد أن تركتُ درعه، فراقبتُ حنجرته تحاول ازدراد شيء. كان لديه نمش تحت فكّه، بجانب أذنه، لم أكن قد رأيته من قبل. وكانت عيناه لا تزالان على إيجيه، فأومأ برأسه.

هبط رايزك الدرجات، وتبعناه جميعاً. ظلّلتنا سفينة الإقامة المؤقتة، وظلّلت فوا. لقد ولّدت عقود من الرحلات تلك المدينة التي تحيط بنا. خليط من الهياكل الحجرية القديمة مُدعّمة بالطين وتقنية حديثة آتية من حضارات وبلاد أخرى: أبنية منخفضة بأبراج زجاجية مبنية فوقها، تعكس صوراً لكواكب أخرى، وشوارع

مغبرّة مرصوفة بالطين مع سفن ملساء عاكسة تتزلّج فوقها، وعربات شوارع تبيع تعويذات مُوجّهة للتيار إلى جانب عربات تبيع شاشات يمكن غرسها تحت جلد المرء.

في ذلك الصباح، وبين اندفاعات الألم، خطّطتُ وظلّلتُ عينيّ القاتمتين بمسحوق أزرق، وجدّلتُ شعري الكثيف. ولبستُ الدرع الذي اكتسبته عند نهاية الحد الفاصل عندما كنتُ أصغر عمراً، ووضعت الحماية حول ساعدي الأيسر.

نظرتُ إلى أكوس. كان مدرعاً هو الآخر، وينتعل حذاء جديداً طويل الساق ويلبس قميصاً رمادياً طويل الكمين مشدوداً بإحكام عند ساعديه. بدا خائفاً، فقد أخبرني ذلك الصباح، بينما كنا نمشي باتجاه مدخل القصر، بأنه لم يذهب أبداً خارج الكوكب من قبل. وهناك كان إيجيه، بشكل متغير، يمشي أمامنا تماماً. كان هناك كثير من الخوف.

عندما عبرنا البوابة، أومأتُ له، فترك ذراعي. كان وقت مسيري الحادي عشر، وأردتُ الوصول إلى سفينة النقل بقوتي الخاصة.

أخيراً أصبحت داخل سفينة النقل، حيث كان إيجيه وفاس ينتظران. كان إيجيه يُعدّل أحزمته بسهولة شخص فعلها عشرات المرات من قبل. سحبتُ أكوس نحو مقعد في الخلف، فأنا أريد إبقاءه منفصلاً عن أخيه. صدر هدير كبير من الحشد عندما لوّح رايزك بيده عند المدخل.

بعد إغلاق الفتحة تماماً، جلس إيجيه في مقعده، وكانت عيناه جاحظتين وبدتا خاويتين وكأنه يحدق إلى شيء لا نستطيع رؤيته. وبينما كان رايزك يثبت أحزمته، فكها وغيّر مكان جلوسه بحيث أصبح وجهه لا يبعد عن وجه إيجيه سوى عدة إنشات.

سأله رايزك: «ماذا هناك؟».

أجابه إيجيه: «رؤيا لها علاقة بالمشاكل، عمل له علاقة بالدفاع. جمهور».

«هل يمكن منعها؟» بدا تقريباً وكأنهما أجريا المحادثة نفسها من قبل. ربما فعلا ذلك.

قال إيجيه، وهو يركّز الآن على رايزك: «يمكن، لكن في هذه الحالة، يجب أن تدعها تأتي، وباستطاعتك أن تستخدمها لصالحك. لديّ خطة».

ضيّق رايزك عينيه: «أخبرني بها».

«سوف أفعل، لكن معنا جمهور». هزّ إيجيه رأسه مشيراً إلى الجهة الخلفية من السفينة، حيث يجلس أكوس قبالتي.

حرك رايزك لسانه وقال: «نعم، أخوك يشكّل عقبة لنا، أليس كذلك؟».

لم يخالفه إيجيه. فقد استند إلى الخلف في مقعده، وأغمض عينيه بينما كنا في حالة انطلاق.

رصيف التحميل في سفينة الإقامة المؤقتة هو واحد من أماكني المفضلة، فهو واسع ومفتوح، متاهة معدنية. وأمامنا أسطول من سفن النقل الجاهزة لتأخذنا إلى سطح أحد الكواكب –مصقولة إلى حد الكمال الآن، لكنها سوف تعود قريباً ملطخة بالوحل والدخان والمطر والغبار النجمي، وتلك علامات مميزة عن المكان الذي كانت فيه.

لم تكن سفن الأسطول مُدوّرة وقصيرة مثل عوامات الركاب، أو مسنّنة وضخمة مثل سفينة الإقامة المؤقتة. بل كانت ناعمة وملساء، مثل الطيور وهي تطوي أجنحتها للخلف. وهي متعددة الألوان، مصنوعة من عدة معادن، وكبيرة بما يكفي لتحمل ستة ركاب على الأقل، رغم أنّ بعضها كان أكبر.

احتشد الميكانيكيون ببذلاتهم القاتمة حول سفينتنا عندما حطّت على الأرض. في البدء قفز رايزك خارجاً، حتى قبل أن تبرز السلالم من الباب.

وقف أكوس على قدميه، ويداه مقبوضتان بإحكام إلى درجة كان بإمكاني رؤية الأوتار وهي تبرز من عظام براجمه.

سأل أكوس إيجيه بهدوء: «هل ما زالت موجودة؟».

تنهّد إيجيه، وأخذ ينظّف ظفره بظفر آخر. كنتُ أراقبه بعناية. فقد كان رايزك مهووساً بالأظافر النظيفة، وهو يفضل اقتلاعها على أن يبقى الوسخ تحتها. هل هذه إشارة، إيجيه يقوم بتنظيف أظافره، هل هو شيء من عنده أيضاً، أو هو من

عند رايزك، وتلك إشارة إلى تحوّل إيجيه؟ ما هو مقدار ما ينبض من أخي الآن داخل إيجيه كيرسيث؟

أجابه: «لستُ أدري ما الذي تعنيه».

«بل تدري». ضغط أكوس بيده على صدر أخيه ودفعه إلى الخلف ليستند إلى جدار السفينة المعدني ليس بعنف، بل باستعجال، واقترب منه: «هل تتذكرني؟ وتذكر سيسي؟ وأبانا؟».

«أنا أتذكر...» رمش إيجيه ببطء وكأنه استيقظ من نومه للتو، «أتذكّر أسرارك». وعبس في وجه أكوس. «الوقت الذي كنت تسرقه مع أمنا بعد أن ننام. وكيف كنت تلحق بي في كل مكان وكل وقت لأنك لم تستطع الاهتمام بنفسك. هل هذا ما تعنيه؟».

تلألأت الدموع في عينيّ أكوس.

قال أكوس: «هذا ليس كل شيء، هذا ليس كل ما تعرفه عني. يجب أن تعرف ذلك. أنت».

«كفى». مشى فاس إلى مؤخرة السفينة. «سيرافقني أخوك يا كيرسيث».

كانت يدا أكوس ترتعشان بجانبه، تتلهّفان للخنق. لقد أصبح بطول فاس الآن، ولذا تلاقت أعينهما على المستوى نفسه، لكن كان بنصف ضخامة فاس. ففاس آلة حربية، كتلة من العضلات. ولم أستطع حتى تخيّل الاثنين يتقاتلان، فكل ما باستطاعتي تخيله تكوم أكوس على الأرض جراء ذلك.

اندفع أكوس وكذلك أنا. كانت يداه تمتدان صوب حنجرة فاس عندما وصلتُ إليهما، ودفعت بيديّ صدريهما مبعدة كل منهما عن الآخر. كانت الدهشة وليس القوة هي ما مكنني من الفصل بينهما، فتراجعا إلى الخلف، فحشرتُ نفسي بينهما.

قلتُ لأكوس: «تعالَ معي، الآن».

ضحك فاس قائلاً: «من الأفضل أن تصغي لها يا كيرسيث. ليست وشوماً قلبية تلك التي تخفيها تحت ذراعها المحميّة».

عندئذٍ أمسك بذراع إيجيه وغادرا السفينة. ولم أبتعد عن أكوس قبل اختفاء وقع خطوات فاس وإيجيه.

عندها قلتُ لأكوس: «إنه أحد أفضل جنود الشوتيت، فلا تكن غبياً».

انتفض أكوس قائلاً: «ليس لديك أي فكرة، هل سبق لك الاهتمام بأناس بما يكفي لكي تكرهي الشخص الذي أخذهم منك يا سايرا؟».

خطرت صورة أمي ببالي، وقد برز شريان عند جبهتها، كما يحصل دائماً عندما تكون غاضبة. كانت تؤنّب أوتيجا لأنها أخذتني أثناء الدروس إلى أماكن خطيرة خلال دروسنا، أو لقصّ شعري حتى مستوى ذقني، لا أستطيع أن أتذكّر أياً منهما. لقد كنتُ أحبها حتى في تلك اللحظات، لأني أعلم بأنها تهتم، بخلاف أبي، الذي حتى لم ينظر إلى عيني.

قلتُ: «مهاجمة فاس بسبب ما حصل لإيجيه لن ينتج عنه سوى تأذيك وتفاقم استيائي منك. لذا تناول بعض أزهار الهشفلور وتمالك أعصابك قبل أن أدفع بك خارج أبواب رصيف التحميل».

للحظة بدا وكأنه سيرفض الامتثال لما قلته، لكنه مدّ يده إلى جيبه وأخذ واحدة من بتلات الهشفلور التي يبقيها هناك. وضغطها على خدّه.

قلتُ له: «جيد، حان وقت الذهاب».

رفعت مرفقي فطوقه بيده. فمشينا عبر الممرات الفارغة لسفينة الإقامة المؤقتة، التي كانت مصنوعة من معدن مصقول، وهذا ما يسبب بتردد صدى وقع الأقدام لمسافة بعيدة.

لم يكن مسكني في السفينة الحربية شبيهاً على الإطلاق بجناحي في قصر مانور. فالأخير فيه أرضيات قاتمة ومصقولة، وجدران بيضاء نظيفة، لكنّ الأول كان مليئاً بأشياء من العوالم الأخرى. فهناك شتلات غريبة تتدلى من السقف مثل ثُريّا. وهناك حشرات ميكانيكية مضيئة تطنّ بدوائر حولها. وأطوال من الألياف التي تغيّر لونها اعتماداً على وقت النهار. كما أنّ هناك فرناً وبراداً معدنياً، لذا لم أكن مضطرّة للذهاب إلى الكافتيريا.

بجانب الجدار الطويل، بعد الطاولة الصغيرة حيثُ كنتُ أتناول وجباتي، هناك مئات من الديسكات القديمة التي تحتوي على صور ثلاثية الأبعاد لرقص رياضي، وقتال، في أماكن أخرى. كنتُ أحب محاكاة تقنيات السقوط والتمايل لراقصي أوجرا أو الرقصات ذات البنية الطقسية الصلبة لكوكب تيبس. فقد ساعدتني على التركيز خلال الألم. واحتوت الديسكات أيضاً على أفلام عن الكواكب الأخرى ودروس تاريخ بالإضافة إلى نشرات أخبار قديمة، وأفلام وثائقية طويلة عن العلوم واللغات، وتسجيلات لحفلات موسيقية. لقد سبق لي أن شاهدت كل ما تحتويه هذه الديسكات.

كان سريري في الزاوية، تحت فتحة وشبكة من مصابيح الحجارة النارية الصغيرة، وكانت الملاءات مجعّدة منذ آخر مرة نمت فيها على السرير. فأنا لا أسمح لأحد بالدخول إلى مسكني في سفينة الإقامة المؤقتة، حتى للتنظيف.

يتدلى من إحدى فتحات السقف، بين الشتلات الاحتياطية، حبل يقود إلى الغرفة التي في الأعلى، والتي أستخدمها للتدريب، من بين أمور أخرى.

تنحنحتُ وقلتُ: «سوف تقيم هنا»، فلوّحتُ بيدي على الحساس الذي بالقرب من الباب المغلق، ففُتح ليُظهر غرفة أخرى لها فتحة وحيدة تطل على الخارج. «لقد كانت هذه خزانة كبيرة جداً. تلك كانت مسكن أمي الخاص، قبل أن تموت». كنتُ أُثرثر. لم أعد أعرف كيف أتكلم معه بعد أن خدّرني واستغل لطفي، خصوصاً بعد فقدانه لما كان يقاتل من أجله وعدم تدخلي في الأمر. هذا كان أسلوبي: الوقوف جانباً وترك رايزك يعيث فساداً.

توقف أكوس بجانب الباب كي ينظر إلى الدرع الذي يُزيّن الجدار. لم يكن يُشبه الدرع الشوتيتي، لقد كان كبيراً ومزيناً بشكل مبالغ فيه.

لقد بدت الغرفة شبيهة كثيراً بتلك التي تركها خلفه في قصر نوفاك: كل اللوازم والمعدات الضرورية لتحضير السموم وجرعات الدواء كانت على جدار واحد، مرتبة بالطريقة التي يُحبها. في الأسبوع الذي سبق خيانته، كنتُ قد أرسلتُ صورة عنها لكي تُرتّب بالطريقة نفسها. كان هناك سرير بملاءات رمادية قاتمة. معظم

قماش الشوتيت كان بلون أزرق، ولذا كان من الصعب إيجاد هذه الملاءات. وخُلطت الأحجار النارية في المصابيح الموجودة فوق السرير بمسحوق زهرة الغيرة ولذا كانت تحترق بلون أصفر. وهناك كتب عن الإلميتاهاك وحضارة الشوتيت في خزانة الكتب الصغيرة بجانب السرير. ضغطتُ على الزر الموجود بجانب الباب، فظهرت على السقف خريطة ثلاثية الأبعاد تحدد موقعنا، في الوقت الحالي كانت تعرض فوا، بما أننا لا نزال نحوم فوقها، لكنها سوف تحدد موقعنا عبر المجرة عندما نسافر.

قلتُ له: «أعرف أنّ مسكنينا متقاربان هنا، لكنّ المساحة محدودة في السفينة. وحاولتُ أن أجعلها صالحة للعيش بالنسبة إلينا».

قال وهو يدير وجهه نحوي: «هل أنتِ من صمّم هذا المكان؟». لم أستطع قراءة تعابير وجهه، فأومأتُ بالموافقة.

قلتُ وأنا لا أزال أثرثر: «لسوء الحظ، يجب أن نتشارك الحمام، لكن ليس لوقت طويل».

قاطعني قائلاً: «سايرا، لا شيء لونه أزرق. ولا حتى الملابس. والأزهار الجليدية مُصنّفة باللغة الثوفية».

قلتُ بهدوء: «يعتقد قومك أنّ اللون الأزرق لون ملعون. وأنت لا تستطيع قراءة لغة الشوتيت». بدأت ظلالي التيارية تتحرك بسرعة أكبر، وهي تتمدّد تحت جلدي وتتجمّع تحت خدّيّ. وأخذ رأسي ينبض بشكل قاسٍ فاضطُررت أن أذرف الدموع. «لسوء الحظ، الكتب الخاصة بالإلميتاهاك مكتوبة باللغة الشوتيتية، لكن هناك وسيلة ترجمة بجانبها. ضعها فقط فوق الصفحة، و...».

بدأ بالقول: «لكن بعد ما فعلته بك...».

أجبته: «لقد أمرتُ بذلك قبلاً».

جلس أكوس على طرف السرير.

قال: «شكراً لك، وأنا آسف بشأن... كل شيء. لقد أردتُ فقط أن أُخرجه. وهذا كل ما استطعتُ التفكير به».

كان حاجباه بشكل خط مستقيم منخفض فوق عينيه ما سهّل رؤية حزنه وغضبه، وكان قد جرح نفسه أثناء الحلاقة.

همس مهمهماً: «لقد كان آخر شيء تركته».

أجبته: «أعرف»، لكني لم أكن أعرف، ليس تماماً. لقد شاهدتُ رايزك يقوم بأشياء جعلت معدتي تنقبض. لكن الأمر بدا مختلفاً عندما طبقها على أكوس. فأنا على الأقل أعرف أني كنتُ قادرة على مثل هذه الأهوال. لكنه لم يكن يعرف الحال التي آل إليها إيجيه.

قال: «كيف يمكنك الاستمرار بهذا، وكل شيء فظيع جداً؟».

فظيع. هل هذا ما كانت الحياة عليه؟ لم أضع أبداً كلمة تصف ذلك. فالألم له أسلوب لتحطيم الوقت. فكّرتُ باللحظة التالية، والساعة التالية. لم يكن هناك مساحة كافية في عقلي كي أجمع كل هذه الأجزاء معاً، وأجد كلمات تختصر ذلك كله. لكن الجزء المتعلق بـ«الاستمرار»، أنا أعرف معنى الكلمة.

قلتُ: «أجد سبباً آخر للاستمرار، وليس بالضرورة سبباً جيداً، أو نبيلاً. يجب أن يكون سبباً فحسب».

كنتُ أعرف السبب الخاص بي: كان توقاً في داخلي، ولطالما كان ذلك التوق أقوى من الألم، وأقوى من الرعب. إنه لا يزال يتحرك حتى بعد أن استسلم كل شيء آخر في داخلي. لم يكن أملاً، ولم يكن يطير، إنه يسعى كالحيّة ويخدش ويجرف، ولن يدعني أقف.

وعندما أطلقت اسماً عليه في النهاية، وجدتُ أنه شيء بسيط جداً: الرغبة بالحياة.

تلك الليلة كانت الأخيرة في حفل رحلة الإقامة المؤقتة، فيها حطت آخر سفن النقل المتبقية على رصيف التحميل فتناول الجميع الطعام في سفينة الإقامة المؤقتة معاً. وكان يفترض بالأشخاص المرافقين لنا أن يكونوا في غاية النشاط. فقد عززت الأنشطة الاحتفالية للأسبوع الفائت من ثقتهم وعزمهم، وهذا ما بدوا

عليه. كان الحشد الذي حملني وأكوس نحو رصيف التحميل مُبتهجاً وصاخباً. وكنتُ حريصةً على إبقاء جلدي العاري بعيداً عنهم، ولم أكن أريد أن ألفت الانتباه إليّ من خلال إلحاق الألم بالناس.

مشيتُ نحو المنصة حيث يقف رايزك ويداه مثبتتان على الدرابزين، وإيجيه على يمينه. أين كان فاس؟!

ارتديتُ درعي الشوتيتي، المصقول إلى حدّ الكمال، فوق فستان أسود طويل عديم الكمين. كان القماش يلمس أطراف حذائي الطويل عندما كنتُ أتحرك.

كانت علامات القتل الخاصة بـرايزك ظاهرة بوضوح، فقد أبقى ذراعه مُنثنية كي يظهرها بأفضل صورة. سوف يبدأ في يوم ما نزاعاً ثانياً، مثل أبي. عندما وصلتُ، ابتسم لي ما جعلني أرتعش.

أخذتُ مكاني إلى يساره عند الدرابزين. كان يفترض بي أن أعرض هبتي التيارية في أوقات مثل هذه، كي أذكّر جميع من حولنا أنه بالرغم من سحر رايزك، إلا أننا لن نلهو بذلك. حاولت تقبّل الألم، وامتصاصه كما أفعل بالرياح الباردة عندما أنسى ارتداء المعطف المناسب، لكني وجدتُ التركيز مرهقاً. فتمايل الحشد المُنتظر أمامي. ولم يكن من المفترض بي أن أجفل، لن أفعل ذلك، لن أفعل...

زفرت بارتياح عندما وصلت آخر سفينتي نقل إلى فتحة رصيف التحميل. هتف الجميع عندما فُتحت أبواب السفينتين ودخلت المجموعة الأخيرة من جنود الشوتيت. رفع رايزك كلتا يديه كي يُهدّئ الحشود. فقد حان وقت خطابه الترحيبي.

لكن ما إن فتح رايزك فمه، تقدّمت إحدى الشابات من المجموعة التي غادرت لتوها سفينة النقل. كان شعرها أشقر طويلاً ومجدولاً، ولم تكن ترتدي الألوان الزاهية التي يرتديها عموم الشوتيت في الحشد في الأسفل بل رداءً رمادياً مزرقاً يتلاءم مع لون عينيها. وهو لون شائع بين طبقة أثرياء الشوتيت.

كانت ليتي زيتيسفيس، ابنة أوزول. وهي ترفع سكيناً تيارياً في الأعلى،

والحلزونات القاتمة تلتف حول يدها مثل السلاسل، رابطةً السكين إلى جسدها.

صرختْ قائلةً: «الابن الأول لعائلة نوفاك، سوف يُهزم على يد عائلة بينيسيت!».

كان قدر أخي وقد قيل بكل صراحة.

صرختْ ليتي: «ذلك هو قدرك يا رايزك نوفاك، أن تخذلنا، وتسقط!».

أمسك فاس، الذي اندفع بين الحشود، بمعصمها بثقة المحارب المحترف. فانحنى فوقها، وهو يضغط يدها للخلف مُجبراً إياها على الركوع. فرمتْ سكينها على الأرض محدثة صوت قعقعة.

قال رايزك: «ليتي زيتسيفيس». خيم الهدوء على القاعة لدرجة أنه لم يكن بحاجة ليرفع صوته. كان يبتسم وهي تُصارع قبضة فاس، بينما تحول لون أصابعها إلى الأبيض من شدة الضغط.

قال: «ذلك القدر... هو كذبة يتداولها الناس الذين يريدون تدميرنا». كان إيجيه بجانبه يهزّ رأسه قليلاً وكأنّ صوت رايزك هو أغنية يحفظها عن ظهر قلب. ربما كان ذلك السبب في عدم دهشته لرؤية ليتي راكعةً على ركبتيها تحتنا –لأنّ إيجيه تنبأ بذلك. وبفضل كاهنه، عرف رايزك مسبقاً ما يجب قوله وما يجب فعله.

تابع رايزك فقال: «إنهم أناس يخشوننا بسبب قوتنا ويسعون إلى تقويضنا: المجلس، وثوفية. من علّمكِ تصديق مثل هذه الأكاذيب يا ليتي؟ وأنا أتساءل لماذا تعتنقين الآراء نفسها التي يعتنقها الناس الذين أتوا إلى منزلكم ليقتلوا أباكِ؟».

كانت هذه هي الطريقة التي يلوي بها رايزك عنق الأمور. فالآن، بدلاً من إعلان ليتي لقدر أخي، المدافع عن الحقيقة، هي الآن تُطلق الأكاذيب نفسها التي ربما يقولها أعداؤنا الثوفيين. لقد كانت خائنة، وربما هي الشخص الذي سمح للقتلة باختراق منزل عائلتها كي يتمكنوا من قتل أبيها. في الواقع، ذلك سخيف، لكن أحياناً، يُصدّق الناس ما يُقال لهم فقط. فمن الأسهل البقاء على قيد الحياة بهذه الطريقة.

قالت ليتي بصوت منخفض: «والدي لم يُقتل، لقد انتحر لأنك عذّبته، لقد عذّبته بذلك \الشيء الذي تدعوه أختاً، فقد دفعه الألم إلى الجنون».

ابتسم رايزك لها وكأنها كانت هي الشخص المجنون، الذي ينطق بالهراء. وجال بعينيه على كل من حوله الذين يحبسون أنفاسهم بانتظار سماع ردّه.

قال وهو يُلمح إلى ليتي: «هذا، هذا\هو السّم الذي يرغب أعداؤنا باستخدامه كي يُحطمونا، من الداخل وليس من الخارج. إنهم يقولون الأكاذيب كي يحرضون بعضنا ضد بعض، ويحرضونا على عائلاتنا وأصدقائنا. ولهذا السبب يجب أن نحمي أنفسنا ليس فقط ضدّ تهديداتهم المحتملة على حياتنا، بل ضدّ كلامهم. لقد كان شعبنا ضعيفاً في ما مضى ولا يجب أن يعود ضعيفاً مجدداً».

لقد أحسستُ بتلك القشعريرة التي سرت في الحشود جراء كلامه. لقد أمضينا أسبوعاً ونحن نتذكّر كيف ابتعد أسلافنا، وهوجموا عبر المجرة، وسبي أطفالنا، وأُستهزئ بمعتقداتنا وتجديداتنا بالبحث في كل الكون. لقد تعلمنا كيف نردّ العدوان موسماً بعد موسم. ورغم أني أعرف أنّ رايزك لم يكن ينوي حماية الشوتيت، بل حماية نفسه وسلالة نوفاك الحاكمة، ورغم ذلك كنتُ على وشك التأثر بالمشاعر الجياشة التي أثارها بما قاله.

هزّ رأسه وتابع: «ولن يكون هناك ضربة أقوى من تلك الضربة التي تُوجّه ضدي، أنا زعيم شعبنا العظيم، ولا يمكن السماح لهذا السّم بالسريان في نسيج مجتمعنا. يجب تجفيفه، نقطةً نقطة، حتى لا يعود باستطاعته تشكيل أي أذى لنا».

كانت عينا ليتي تقطران كرهاً.

تابع رايزك: «لأنك ابنة إحدى أحب العائلات إلينا، ولأنه من الواضح أنك في حالة حزن وألم بعد فقدان والدك، سوف أُعطيك فرصة القتال للحفاظ على حياتك في الحلبة بدلاً من الحكم عليك بخسارتها، وهذه من ستنازلك، آمل أنك سوف تنظرين لهذا الأمر بأنه عين الرحمة».

كنتُ مصعوقة جداً كي أعترض، وواعية جداً للعواقب التي سوف تنتج عن ذلك: غضب رايزك. وهو يبدو مثل الجبان أمام كل أولئك الناس. فقد كنت

مجبرة على القيام بما طلبه كي لا يفضح حقيقة ما حصل لأمي.

تذكّرتُ الطريقة التي كان الناس يهتفون بها باسم أمي عندما كنا نعبر شوارع فوا خلال مسيرتي الأولى. فقد أحبها شعبها، نظراً إلى الطريقة التي أمسكت بها السلطة والرحمة التي أبدتها في أوقات الشدة. وإذا علموا بأني كنتُ مسؤولة عن موتها، فسوف يحطمونني.

تلطّخ جلدي بعروق قاتمة بينما كنت أحدّق إلى ليتي. وهي تكزّ على أسنانها وتبادلني التحديق. أعرف أنها سوف تستمتع بالقضاء عليّ.

عندما كان فاس يرفع ليتي كي تقف على قدميها، كان الناس بين الحشود يصرخون: «خائنة! كاذبة!» لم أشعر بشيء ولا حتى بالخوف. ولا حتى بيد أكوس، التي تقبض على ذراعي من أجل تهدئتي.

سألني أكوس: «هل أنت بخير؟».

فهززتُ رأسي.

وقفنا في القاعة التي تقع تماماً خارج الحلبة. كان الضوء خافتاً إلا من ضياء مدينتنا الواصل من الفتحة الخارجية الصغيرة، التي ستعكس ضوء الشمس لعدة ساعات أخرى. كانت القاعة مزينة بلوحات تخص عائلة نوفاك فوق الباب: جدتي لاسما نوفاك، التي قتلت كل إخوتها وأخواتها كي تضمن أنّ سلالتها فقط هي المفضّلة قدرياً، وأبي، لازمت نوفاك، الذي شوّه طيبة أخي بسبب قدره الضعيف، ورايزك نوفاك، الشاب الشاحب، نتاج جيلَيْن متوحشيْن. كانت بشرتي الأكثر قتامةً وبنيتي الجسدية القوية تشيران إلى أنني اكتسبتهما من عائلة أمي التي هي فرع من سلالة راديكس، التي تربطها صلة قرابة بالرجل الأول الذي قتله أكوس. كانت كل اللوحات تحمل الابتسامات نفسها، ومحاطة بالإطار الخشبي القاتم نفسه والألبسة الأنيقة.

كان رايزك وكل جنود الشوتيت ينتظرون في الخارج. وباستطاعتي سماع ثرثرتهم من خلال الجدران. لم تكن التحديات مسموحة أثناء رحلة الإقامة المؤقتة، لكن كان هناك حلبة في السفينة على أية حال، لمباريات التدريب والأداء

العرضي. لقد أعلن أخي بأنّ التحدي سوف يحصل بعد خطابه الترحيبي فقط، وقبل الوليمة. ففي النهاية ليس هناك مثل قتال جيد حتى الموت يجعل جنود الشوتيت في حالة جوع.

سألني أكوس: «هل ما قالته المرأة صحيح؟ هل فعلتِ ذلك بأبيها؟».

أجبته: «نعم»، لأني اعتقدتُ أنه من الأفضل عدم الكذب. لكنه لم يكن أفضل، فأنا لم أشعر بالتحسّن.

قال أكوس: «ما الذي يُمسكه رايزك عليك؟ كي يجعلكِ تقومين بأشياء تستطيعين الاعتراف بها بصراحة؟».

فُتح الباب، وشعرتُ بالقشعريرة، فقد حان الوقت. لكنّ رايزك أغلق الباب وراءه وهو يقف تحت لوحة صورته الشخصية. التي لم تعد تشبهه تماماً، فالوجه فيها مُدوّر للغاية ومُرقّط.

سألته: «ماذا تريد؟ غير الإعدام الذي أمرتَ به حتى من دون أن تستشيرني».

أجابني رايزك سائلاً: «ما الذي أكسبه من استشارتك؟ هل كان عليّ الاستماع إلى اعتراضاتك المزعجة أولاً، ومن ثم أُذكّرك كم كنت حمقاء عندما وثقتِ بهذا الشخص» – هنا أشار إلى أكوس –«وكيف أنّ هذه الحماقة كادت تُفقدني كاهني، وعندما أعرض عليك تحدّي الحلبة هذا كطريقة لردّ الجميل لي، تقبلين».

أغمضتُ عينيَ لبرهة.

قال رايزك: «أتيتُ لأقول لك إنه يجب عليكِ ترك سكينك».

سأله أكوس مستهجناً: «من دون سكين؟ سوف تُطعن قبل أن تتاح لها فرصة وضع يدها على تلك المرأة! هل تريدها أن تموت؟».

لا، أجبتُ في نفسي. فهو يريدني أن أقتل، لكن من دون سكين.

قال رايزك: «هي تعلم ما أريد، وهي تعلم ما الذي سوف يحدث إذا لم أحصل عليه. أتمنى لكِ كل التوفيق يا أختي الصغيرة».

خرج من القاعة. كان محقاً: كنتُ أعرف، ولطالما كنتُ أعرف. لقد أراد أن يرى الجميع بأنّ الظلال التي تتحرك تحت جلدي ليست للألم فقط بل تجعلني

مُميتة أيضاً. أراد من الجميع أن يعلموا أنني لست سوط رايزك فقط. فقد حان الوقت لترقيتي إلى رتبة جلاد رايزك.

تمتمتُ قائلةً: «ساعدني على خلع درعي».

«ماذا؟ ما الذي تقولينه؟».

انتفضتُ قائلةً: «لا تستجوبني، ساعدني على خلع درعي».

سألني أكوس: «لا تريدين درعك؟ هل ستدعيها تقتلك؟».

بدأتُ بالحزام الأول، كانت أصابعي مُتصلّبة، لكنّ الأحزمة كان مشدودة بإحكام ولا تزال تلسع أطراف أصابعي. فبدأتُ أشدها جيئةً وذهاباً، كانت حركات عصبية. فغطّى أكوس يدي بيده.

قلتُ له: «لا، لا أحتاج درعاً ولا سكيناً».

كانت الظلال تتلوّى حول براجمي، قاتمة وكثيفة مثل الطلاء.

لقد تحمّلتُ كثيراً من الآلام كي لا يكتشف أحد ما الذي حصل لأمي، ما الذي فُعل بها. لكن كان من الأفضل أن يعرف أكوس، قبل أن يعاني في معرفتي، أكثر مما عاناه من قبل. من الأفضل ألا ينظر إليّ بشفقة مرة أخرى من أن يُصدّق كذبة ما.

ضحكت قائلةً: «أتعرف كيف ماتت أمي؟ لقد لمستها، ودفعتُ كل الضوء وكل الألم في داخلها، كل ذلك لأنني غضبت من وجوب ذهابي إلى طبيب آخر من أجل معالجةٍ غير فعالة أخرى لهبتي التيارية. كل ما أرادت أن تفعله هو مساعدتي، لكن تملّكتني نوبة غضب، وقتلتها». سحبتُ الوقاية التي على ساعدي بقوة بما يكفي لأكشف ندبةً محفورة تحت مرفقي تماماً، على الطرف الخارجي لذراعي. أول علامة قتل لي. «لقد حفر أبي العلامة. وكرهني لأجلها، لكنه كان أيضاً... فخوراً».

كدتُ أختنق بهذه الكلمة.

«هل تريد أن تعرف ما يُمسكه رايزك عليّ؟» ضحكتُ مرة أخرى، والدموع تملأ عينيّ. سحبتُ آخر حزام لدرعي الصدري وأرخيته، ونزعته من فوق رأسي

ورميتُ به بكلتا يديّ على الجدار. وعندما اصطدم بالمعدن، كان الصوت مسبباً للصمم في القاعة الصغيرة.

وقع الدرع على الأرض، دون أن يتضرر. حتى أنه لم يفقد شكله.

كان صوتي عالياً: «أمي. محبوبتي، الأم الموقّرة أُخذت منه، من الشوتيت، لقد أخذتها. لقد أخذتها من نفسي».

كان من الأسهل لو أنه نظر إليّ باشمئزاز أو قرف. لكنه لم يفعل. فقد مدّ يده إليّ، يده التي تحمل الراحة، فخرجتُ من القاعة إلى الحلبة. لم أكن أريد هذه المساعدة. لقد استحققت هذا الألم.

هدر الجمهور عندما خرجت. كانت أرضية الحلبة السوداء تلمع مثل الزجاج، ربما تم تلميعها لهذه المناسبة فقط. رأيتُ خيال حذائي الطويل فيها، كان إبزيماه مفتوحتين. ومن حولي صفوف من المقاعد المعدنية المزدحمة بالمشاهدين الذين كانت وجوههم أكثر قتامةً من أن أُميزها بوضوح. كانت ليتي هناك، مرتديةً درعها الشوتيتي، ومنتعلة حذاءً ضخماً مقدّمته معدنية، وهي تهزّ يديها.

قمتُ بتقييمها في الحال، حسب تعاليم الإلميتاهاك: كانت أقصر مني، لكنها نامية العضلات. وشعرها الأشقر مربوط بإحكام في مؤخرة رأسها. لقد كانت طالبة في مدرسة زيفاتاهاك، ولذا سوف تكون سريعة ورشيقة، في الثواني التي تسبق هزيمتها.

نظرت ليتي إليّ بسخرية وقالت: «أنت لم تزعجي نفسك بارتداء درعك؟ سوف يكون هذا سهلاً».

نعم سوف يكون.

سحبتْ سكينها التيارية ويدها ملتفة بتيار قاتم مثل لون ظلالي التيارية، لكن لا يُشبهه بالشكل. ورغم أنها ملفوفة حول معصمها، إلا أنها لا تلمس جلدها. لكنّ تياري كان مدفوناً في داخلي. فتوقفت بانتظار أن أسحب سكيني.

دعوتها للنزال بقولي: «هيا».

هدر الجمهور مرة أخرى، ثم لم يعد باستطاعتي سماعهم ثانيةً فقد انصب تركيزي على ليتي، بالطريقة التي كانت تقترب فيها مني ببطء محاولةً قراءة استراتيجيتي في حركاتي. لكني كنت واقفة هناك فقط، وذراعاي تترنحان بجانب خاصرتيّ، جاعلةً قوة هبتي التيارية تتجمّع مع خوفي.

أخيراً، قررتْ أن تقوم بحركتها الأولى، فقد رأيتُ ذلك في ذراعيها وساقيها قبل أن تتزحزح فتنحيْتُ عن طريقها عندما اندفعت نحوي وانحنيتُ بعيدة عنها مثل إحدى راقصات أوجرا. لقد أجفلتها تلك الحركة، فتعثّرت في تقدّمها وثبّتتْ نفسها على جدران الحلبة.

كانت ظلالي التيارية في غاية الكثافة الآن، ومؤلمة كثيراً لدرجة أنه كان من الصعب عليّ الرؤية بشكل مستقيم. فقد زأر الألم في داخلي ورحبتُ بزئيره. لقد تذكّرتُ وجه أوزول زيتسيفيس المتلوّي من الألم بين يديّ المبرقعتين، لقد رأيته في ابنته، بحاجبها المرفوع من شدّة التركيز.

اندفعتْ مرة أخرى، وهذه المرة وجهت سكينها نحو أضلاعي، فدفعتها جانباً بساعدي وقبضتُ بيدي على معصمها ولويته بشدّة وأجبرتها على حني رأسها إلى الأسفل. وركلتها بركبتي على وجهها فتدفقّ الدم من شفتيها فصرختْ، ليس من الجرح، بل من لمستي.

سقطت السكين التيارية بيننا. وبإبقاء يدي على ذراعها، دفعتها بيدي الأخرى لتركع، وتحرّكتُ لأقف خلفها. وجدتُ رايزك بين الجمهور يجلس على المنصة المرتفعة وإحدى ساقيه تعلو الأخرى وكأنه يشاهد محاضرة أو يستمع لخطاب بدلاً من جريمة قتل.

انتظرتُ حتى التقتْ أعيننا ثم ضغطتُ، دافعةً كل الظلال وكل الألم في جسد ليتي زيتسيفيس ولم أُبقِ منها شيئاً لي. كان الأمر سهلاً، بل شديد السهولة وسريعاً. فأغمضت عينيّ بينما كانت تصرخ وترتعش، قبل أن تلفظ أنفاسها.

لبرهة بدا كل شيء مبهماً. فتركتُ جسدها المترنّح ثم التفتُ كي أدخل إلى القاعة الصغيرة مرة أخرى. كان الجمهور بأكمله صامتاً. وعندما مشيتُ في

مدخل القاعة، كنتُ خاليةً من الظلال للمرة الأولى. لكن بشكل مؤقت، فهي ستعود قريباً.

ومن حيثُ لا أعلم، مدّ أكوس يده لي وجذبني نحوه. وضمني بقوة إلى صدره بما يُشبه العناق وقال شيئاً لي بلغة أعدائي.

قال هامساً باللغة الثوفية: «لقد انتهى الأمر، انتهى الآن».

لاحقاً تلك الليلة، أغلقتُ مكان سكني كي لا يستطيع أحد الدخول. وقام أكوس بتعقيم سكين على نار الفرن في غرفته ثم برّدها بماء الصنبور. وضعتُ ذراعي على الطاولة، ثم فككتُ مشابك واقي ساعدي واحداً بعد آخر مُبتدئةً بالمعصم ومُنتهيةً بالمرفق. كان الواقي صلباً وقاسياً، ورغم بطانته إلا أنه جعل جلدي مُبللاً بالعرق في نهاية اليوم.

جلس أكوس قبالتي، والسكين المُعقمة في يده، وراقبني وأنا أخلع أطراف واقي المعصم كي أكشف الجلد العاري من تحته. لم أسأله ما الذي تخيّله. فلربما افترض، مثل معظم الناس، أنّ الواقي كان يخفي صفوفاً من علامات القتل. وأني اخترت تغطيتها لأنّ إضفاء الغموض حولها يجعلني بطريقة ما أكثر خطراً. أنا لم أحاول أبداً التصدّي لتلك الشائعة. فالحقيقة كانت أسوأ بكثير.

كان هناك علامات أعلى وأسفل ذراعي، من المرفق وحتى المعصم، صفاً بعد صف. خطوط قاتمة بعض الشيء، مُتباعدة بعضها عن بعض بإتقان، وكلها بالطول نفسه. وتخلل كل خط علامة بشكل قطري، وهذا يعني أنها ملغاة في ظل القانون الشوتيتي.

رفع أكوس حاجبه، وأخذ ذراعي بكلتا يديه ماسكاً إيايّ بأنامله فقط. فقلبَها ومرّر أصابعه على أحد الصفوف. وعندما وصل إلى النهاية، لمس بسبابته إحدى علامات، وأدار ذراعه كي يقارنها بما عنده. فشعرتُ بالقشعريرة لرؤية جلدي الأسمر المُصفر بجانب جلده الباهت.

قال بهدوء: «هذه ليست علامات قتل».

قلتُ بهدوء مماثل: «لقد علّمتُ موت أمي فقط، فلا تخطئ، لأني مسؤولة

عن كثير من حالات الموت، لكني توقفتُ عن تسجيلها بعد موتها. إلى حين زيتسيفيس على أية حال».

ضغط على ذراعي قائلاً: «وبدلاً من ذلك أنت سجّلتِ... ماذا؟ ماذا تعني هذه العلامات؟».

«الموت رحمة مقارنةً بالعذاب الذي سبّبته. لذا أنا أحتفظ بسجل للألم، وليس القتل. فكل علامة هي لشخص آذيته لأنّ رايزك طلب مني القيام ذلك». لقد قمتُ بتعداد العلامات في البداية، وكنت واثقة من عددها دائماً. ولم أكن أعلم حينها لكم من الوقت سوف يستخدمني رايزك كمحقق بالنسبة إليه. لكن مع مرور الوقت، توقفت عن الاحتفاظ بالسجلات، لمعرفتي بأنّ الرقم سوف يجعل الوضع أسوأ.

«كم كان عمرك عندما طلب منك أن تفعلي ذلك للمرة الأولى؟».

لم أستطع فهم الرقة التي تجلت في صوته. فقد أريته للتو دليلاً على وحشيتي، ولاتزال عيناه مثبتتين على عينيّ بتعاطف بدلاً من إطلاق أحكام. ربما لم يكن يفهم ما أقوله له، لينظر إليّ بتلك الطريقة. أو أنه اعتقد بأني كنتُ أكذب، أو أُبالغ.

انتفضتُ قائلةً: «كبيرة بما يكفي لأعرف بأنّ ذلك أمر خاطئ».

«سايرا»، بشكل رقيق مرة أخرى، «كم كان عمرك حينها؟».

أسندتُ ظهري إلى الكرسي واعترفتُ قائلةً: «عشرة أعوام، ولقد كان أبي وليس رايزك، هو من طلب مني ذلك أول مرة».

هزّ رأسه ولمس رأس السكين بالطاولة ثم حركها بشكل دائري سريع فترك أثاراً على الخشب.

أخيراً قال: «عندما كنتُ في العاشرة لم أكن أعرف قدري بعد. ولذا أردتُ أن أكون جندياً في مدينة هيسا مثل الذين يقومون بدوريات في حقول أزهار أبي الجليدية. لقد كان مزارعاً». وضع أكوس ذقنه على إحدى يديه وهو ينظر إليّ. «لكن في أحد الأيام دخل مجرمون إلى الحقول بينما كان أبي يعمل، كي يسرقوا

بعض المحصول، فحاول أبي منعهم قبل أن يصل الجنود إلى هناك. وعندما عاد إلى المنزل كان هناك جرح بليغ على خده. فبدأت أمي بالصراخ عليه». ضحك قليلاً ثم تابع: «إنني لا أفهم لماذا تصرخين على شخص تأذى؟».

قلتُ: «حسناً، لقد كانت قلقة عليه».

نعم، وأنا كنتُ خائفاً أيضاً على ما أعتقد، لأني قررتُ في تلك الليلة ألا أكون جندياً، إذا كان عملي سوف يُسبّب لي جرحاً كهذا».

لم أستطع تجنّب الضحك قليلاً.

قال وشفته تميل إلى الزاوية: «أنا أعلم، أعلم قليلاً كيف سأمضي أيامي الآن».

نقر على الطاولة فانتبهتُ للمرة الأولى، كم كانت أظافره خشنة، وكل الجروح على بشرته، سوف يتوجّب عليّ جعله يتخلّى عن عادته في قضم أظافر يديه.

تابع حديثه: «أقصد بقولي، أنه عندما كنتُ في العاشرة كنت أخاف جداً حتى من رؤية الألم إذا فأنا بالكاد كنت أستطيع تحمّله. في تلك الأثناء، عندما كنتِ في العاشرة من عمرك، أجبرتِ على التسبّب بذلك الألم مرة إثر أخرى، من قِبل شخص أكثر قوة مما كنتِ عليه. شخص كان من المفترض أن يرعاكِ».

لبرهة، آلمتني الفكرة. لكن لبرهة فقط.

«لا تحاول تبرئتي من ذنبي». لقد قصدتُ أن أبدو حادةً، وكأني كنتُ أوبخه، لكن بدلاً من ذلك بدوتُ وكأني أتوسل إليه. فتنحنحتُ قائلةً: «هل تفهم؟ هذا لا يجعلني أفضل».

قال: «حسناً».

سألته: «هل تعلّمت هذا الطقس؟».

أومأ موافقاً.

قلتُ له بثبات: «احفر العلامة».

مددتُ ذراعي مشيرةً إلى بقعة من الجلد بلا علامات في ظاهر معصمي،

تحت عظم الرسغ. لمس رأس سكينه هناك وحدَدها بحيث تكون بفاصل مشابه للعلامات الأخرى، ثم غرزها. ليس عميقاً جداً.

ذرفت الدموع، دموعاً غير مرحّب بها، وتدفق الدم من جرحي. فسال من جانب ذراعي بينما كنتُ أعبث في أحد دروج المطبخ باحثةً عن القارورة المناسبة. نزع السدادة، وغمستُ الفرشاة الصغيرة التي أُبقيها فيها. وتلفظتُ باسم ليتي زيتسيفيس بينما كنتُ أطلي الخط الذي حفره بالسائل القاتم.

كان حارقاً. وفي كل مرة ظننت أني سأعتاد على لسعه، كنتُ مخطئة. كان يتوجب عليه أن يلسع، ويجب عليه أن يُذكر بأنَ إزهاق حياة شخص ما وحفر خسارةٍ ما ليست بالأمر التافه.

قال أكوس مشيراً إلى الصلاة في نهاية الطقس: «أنتِ لا تقولين الكلمات الأخرى؟» فهززتُ رأسي بالنفي.

قال: «ولا أنا».

عندما هدأ الإحساس اللاذع، لفّ أكوس الضماد حول ذراعي ثلاث مرات وثبّته بقطعة من شريط لاصق. لم يلقَ أي منا بالاً لتنظيف الدماء عن الطاولة. لربما سوف تجفّ هناك، ويجب عليّ قشطها بسكين فيما بعد، لكني لم أهتم.

تسلقّت الحبل الواصل إلى الغرفة التي فوقنا مُتجاوزةً الشتلات المحفوظة في المادة الصمغية والعناكب الميكانيكية الجاثمة بينها، وتبعني أكوس.

كانت سفينة الإقامة المؤقتة تهتز، فمحركاتها تستعد للانطلاق نحو الغلاف الجوي. وسقف الغرفة الذي فوقنا مُغطى بشاشات تُظهر كل ما هو فوقنا في هذه الحالة كانت سماء الشوتيت. وهناك أنابيب وفتحات تهوية في كل الجوانب. في الواقع كانت كبيرة بما يكفي لشخص واحد كي يتحرك فيها، لكن على طول الجدار الخلفي كان هناك مقاعد متحركة مُخصصة للطوارئ، مطوية على الجدار. فسحبتها وجلستُ وأكوس عليها.

ساعدته في تثبيت الأحزمة حول صدره وساقيه ما سيبقيه ثابتاً أثناء الإطلاق، وأعطيته كيساً ورقياً في حال شعر برغبة بالتقيؤ جراء حركة السفينة. ثم حزّمتُ

نفسي. وسوف يقوم كل الشوتيت الآخرين في السفينة بفعل الشيء نفسه، حيث يتجمعون في الأروقة ليسحبوا الكراسي المتحركة من الجدران ويُثبتوا بعضهم بعضاً فيها.

انتظرنا معاً لحظة انطلاق السفينة ونحن نصغي للعد التنازلي عبر نظام الاتصال الداخلي. عندما وصل العد إلى «عشرة»، مدّ أكوس يده إلى يدي، فضغطتُ عليها بشدة إلى أن قال الصوت «واحد».

مرّت غيوم الشوتيت من حولنا بسرعة، وضغطت القوة علينا بشدة، حاشرةً إيانا في مقاعدنا. تأوّه أكوس، لكني كنتُ أراقب الغيوم ونحن نبتعد عنها وتلاشى الغلاف الجوي الأزرق إلى فضاء أسود. وكل ما حولنا كان سماءً مليئةً بالنجوم.

قلتُ وأنا أشبك أصابعي بأصابعه: «هل ترى؟ إنه منظر جميل».

الفصل الرابع عشر سايرا

بينما كنت مستلقية على سريري ووجهي مدفون في الوسادة سمعت نقراً على بابي. جررتُ نفسي للنهوض طرفاً بعد آخر كي أفتح الباب. كان هناك جنديان ينتظران عند المدخل، أحدهما ذكر والآخر أنثى، وكلاهما نحيل. في بعض الأحيان تكون مدرسة المرء القتالية واضحة من نظرة واحدة؛ كانا طالبين في مدرسة زيفاتاهاك، سريعين ومُميتيْن. كانا خائفين مني، ولا عجب في ذلك.

مشى أكوس بتعثر إلى داخل المطبخ كي يقف إلى جانبي. فتبادل الجنديان نظرة معرفة، وتذكّرتُ ما قالته أوتيجا عن أنّ أفواه الشوتيت تحب الثرثرة. لم يكن بالإمكان تجنّب ذلك: أنا وأكوس متقاربان، ولذا كان هناك دافع للتحدّث عما كنا عليه، وعما نفعله وراء الأبواب المغلقة. وأنا لم ألقِ بالاً لتكذيب ذلك. فأياً يكن الأمر، من الأفضل أن يتم الحديث عنك بهذا الشأن بدلاً من القتل والتعذيب.

قالت المرأة: «نحن آسفان لإزعاجك في هذا الوقت يا آنسة نوفاك، فالملك يود التحدث معك في الحال، وبمفردك».

كان مكتب رايزك في السفينة يشابه مكتبه في فوا، لكن بشكل مُصغّر. فالخشب الداكن الذي يُكوّن الجدران والأرضيات، والمُلمّع إلى حد الكمال، كان شيئاً أصيلاً بالنسبة إلى الشوتيت. هذا الخشب ينمو في الغابات الكثيفة عند

خط الاستواء في كوكبنا، والذي يفصلنا عن الثوفيين الذين غزوا الشمال منذ عدة قرون. وفي البراري، كانت حشرات فينزو التي نحبسها الآن في الثريات الكروية تطنّ في أعالي الأشجار، لكن لأنّ معظم كبار السن في الشوتيت يستخدمونها من أجل الإضاءة، ضمنتْ عائلة زيتسيفيس - التي تقودها إيما وحدها الآن - توفر محصول فينزو بأعداد كبيرة لأولئك المستعدين لدفع الثمن المرتفع لأجلها، وكان رايزك مستعداً. لقد أكّد بأنّ ضياءها أكثر إبهاجاً من الأحجار النارية، رغم أني لم أرَ كثيراً من الاختلاف بينهما.

عندما دخلتُ، كان رايزك واقفاً أمام شاشة كبيرة يُخفيها عادةً وراء لوح مُنزلق. كانت تعرض فقرة من نص، ولقد استغرقتُ لحظات لأدرك أنه كان يقرأ نسخة من إعلان زعيم المجلس عن الأقدار. تسع سلالات من تسع عائلات، تنتشر عبر المجرة، ومسارات أعضائها محددة مسبقاً وغير قابلة للتغيير. كان رايزك يتجنّب عادة كل الإشارات التي تدل على «ضعفه»، كما سمّاها أبي، ذلك القدر الذي طارده منذ ولادته: بأنه سوف يُقتل على يد عائلة بينيسيت. لم يكن أمراً قانونياً عند الشوتيت التحدث عن ذلك أو قراءته، وعقاب ذلك يكون السجن أو حتى الإعدام.

لقد كان رايزك يقرأ الأقدار عندما يكون في مزاج سيئ، وهذا يعني أنه عليّ الخطو بخفة. لكن الليلة، تساءلتُ لماذا يجب عليّ أن أقلق بشأن هذا الأمر.

طوى رايزك ذراعيه، وأمال رأسه وتكلّم.

قال: «(أنتِ لا تعلمين كم أنتِ محظوظة، لأنّ قدركِ غامض جداً، الطفل الثاني من عائلة نوفاك سوف يعبر الحد الفاصل). ولأي غاية سوف تعبرين الحد الفاصل إلى ثوفيه؟» فرفع إحدى كتفيه، «لا أحد يعرف همومنا. أنتِ محظوظة، محظوظة».

ضحكتُ قائلةً: «هل أنا محظوظة؟».

واصل رايزك كلامه وكأنه لم يسمعني: «لذلك من المهم جداً أن تساعديني، وأنت تستطيعين فعل ذلك. فلستِ بحاجة للقتال ضد ما يتوقعه العالم منكِ».

كان رايزك يقيس حياته مقابل حياتي بما أني كنتُ طفلة. لكن عقله لم يسجل أنني في ألم دائم، وليس باستطاعتي الاقتراب من أحد، وأني اختبرتُ خسارةً فادحةً تماماً مثل خسارته. كل ما رآه هو أنّ والدنا تجاهلني بدل أن يُعرضني للمخاطر، وأنّ قدري لم يجعل الشوتيت يشككون بقوتي. فبالنسبة إليه، كنت الطفلة المحظوظة، وليس هناك من طائل في المجادلة بشأن ذلك.

«ما الذي حصل يا رايزك؟».

«تقصدين إلى جانب تذكير جميع الشوتيت بقدري السخيف عن طريق ليتي زيتسيفيس؟».

ارتعشتُ بشكل لاإرادي عند ذكر اسمها، وتذكرتُ كم كان جلدها دافئاً وهي تموت. فشبكتُ يديّ إحداهما بالأخرى كي أمنعهما من الارتجاف. لم ينجح المهدئ الذي أعدّه أكوس في إخماد الظلال بشكل كامل، فهي تتحرك وتضرب الآن تحت جلدي وتسبب ألماً حاداً.

قلتُ وأنا أُركّز عينيّ على ذقنه: «لكنك كنتَ مستعداً لذلك، ولا أحد يجرؤ على تكرار ما قالته الآن».

«لا يقتصر الأمر على ما قالته»، قال رايزك هذا وذكرني صوته بما كان عليه عندما كان أصغر عمراً، قبل أن يغرس أبي أسنانه فيه. «لقد تتبّعتُ أثر اعتراف أوزول زيتسيفيس ووصلت إلى مصدر حقيقي للمعلومات. وعلمت بوجود مستعمرة للمنفيين في مكان ما في الخارج. وربما هناك أكثر من واحدة، ولديهم أصدقاء بيننا».

شعرت بالانفعال فقد تأكدت الشائعات حول وجود تلك المستعمرة. وللمرة الأولى لم يُشكل ذلك تهديداً بالنسبة إليّ، بل هو شيء مثل... أمل.

«إنّ استعراضاً واحداً للقوة أمر جيد، لكننا نحتاج إلى أكثر من ذلك. فلا يجب أن يشك أحد في أننا مسيطرون، وأننا سنعود من هذه الرحلة أكثر قوة». ترك يده تحوم فوق كتفي، «سوف أحتاج إلى مساعدتك الآن أكثر من أي وقت مضى يا سايرا».

أنا أعرف ماذا تريد، فكّرتُ بين نفسي. كان يريد أن يسحق كل همسة شك به، ويفترض بي أن أكون الأداة التي يستخدمها لتحقيق مآربه؛ كرباج رايزك.

أغمضت عينيّ قليلاً بينما ذكرى ليتي تخطر في بالي، فكبتها.

«اجلسي رجاءً»، أشار إلى أحد المقاعد بجانب الشاشة. كان قديماً وتنجيده مزخرف. لقد تذكّرته من مكتب أبي القديم. والسجاد الذي تحته كان من صناعة شوتيتية، من أعشاب خشنة محبوكة. في الواقع، لم يكن أي من محتويات الغرفة من الفضلات التي كنا نبحث عنها. كان أبي يكره هذه الممارسة، ويقول إنّ ذلك جعلنا ضعفاء وإنه يجب التخلي عنها بشكل تدريجي، ووافقه رايزك الرأي. لقد كنتُ الوحيدة التي أُشبه فضلات الشعوب الأخرى.

جلستُ على طرف المقعد، كانت أقدار السلالات المُفضّلة تتوهج بجانب رأسي. لم يجلس رايزك قبالتي. بل وقف خلف المقعد الآخر مُتّكئاً على مِسنده العالي. كان قد رفع كُمّ ذراعه الأيسر ليُظهر علامات القتل.

نقر بسبابته على أحد الأقدار في الشاشة، فأصبحت الكلمات أكبر.

أقدار عائلة بينيسيت هي كالتالي:

الطفلة الأولى لعائلة بينيسيت سوف ترفعها نحو السلطة بشكل مُضاعف.

الطفلة الثانية لعائلة بينيسيت سوف تحكم ثوفية.

قال رايزك: «لقد سمعتُ تمتمات عن أنّ الطفلة الثانية» –قام بالنقر على القدر الثاني، ومسح بإصبعه على كلمة تحكم– «سوف تُعلن نفسها قريباً، وأنها ثوفية المولد، وأنا لا أستطيع تجاهل الأقدار أكثر من ذلك– مهما تكن طفلة بينيسيت هذه، فالأقدار تقول إنها ستحكم ثوفية، وستكون مسؤولة عن هلاكي».

لم يسبق لي أن جمعتُ الأجزاء بعضها مع بعض من قبل. فقدر رايزك أن يُهزم على يد عائلة بينيسيت، ومن المُقدّر لعائلة بينيسيت أن تحكم ثوفية. وبالطبع هو يُركّز عليها الآن بعد أن أصبح الكاهن بحوزته.

أضاف قائلاً: «أريد أن أقتلها بمساعدة كاهننا الجديد قبل أن تعلن عن نفسها».

أمعنتُ النظر بالقدر المكتوب على الشاشة. فطوال حياتي تعلّمتُ أنّ كلّ قدر سوف يتحقّق مهما حاول أي شخص إيقافه. لكن كان ذلك ما يقترحه بالضبط: يريد أن يُعيق قدره الذاتي عبر قتل الشخص الذي من المُفترض أن يتسبّب في إحداثه. وهو لديه إيجيه ليخبره كيف يفعل ذلك.

«هذا... هذا مستحيل»، قلتُ ذلك قبل أن أتمكّن من إيقاف نفسي.

رفع حاجبه قائلاً: «لماذا؟ ألأن أحداً لم ينجح بذلك من قبل». قبض بيديه على مِسند المقعد، «أتظنين أنني لن أستطيع أن أكون أول من يتحدى قدره؟».

قلتُ له وأنا أحاول البقاء مُسيطرة على نفسي في مواجهة غضبه: «لم أقصد ذلك، كل ما قصدته أني لم أسمع بحدوث ذلك من قبل، هذا كل شيء».

انتفض قائلاً وقد تجهم وجهه: «ستسمعين بذلك عما قريب، وسوف تُساعدينني».

فجأةً فكّرتُ بأكوس وهو يشكرني على طريقة ترتيبي لغرفته، عندما دخلنا إلى سفينة الإقامة المؤقتة، وملامحه الهادئة عندما أخذ ذراعي الموسومة بعلامات القتل، والطريقة التي ضحك بها عندما طاردنا بعضنا تحت المطر الأزرق. كانت تلك هي اللحظات الأولى من الراحة التي اختبرتها منذ رحيل أمي. وأنا كنتُ أريد المزيد منها والقليل من... هذا.

أجبته: «لا، لن أفعل».

تهديده القديم – إني إذا لم أفعل ما يقوله، فسوف يقول لكل الشوتيت عما فعلته بأمي الحبيبة – لم يعد يُخيفني بعد الآن. هذه المرة، ارتكب خطأً: لقد اعترف بحاجته إليّ.

وضعتُ ساقاً فوق أخرى، وجمعت يديّ على ركبتيّ.

قلتُ له: «قبل أن تُهدّدني، دعني أقل لك هذا: لا أعتقد أنك سوف تُخاطر بخسارتي حالياً، ليس بعد أن حاولتَ جاهداً التأكّد من أنهم يخافونني».

هذا كان الهدف من النزال مع ليتي، فقد أراده استعراضاً للقوة؛ قوّته هو. لكن في الحقيقة كانت قوتي وليست قوته.

لقد تعلّم رايزك تقليد أبينا منذ كان طفلاً، وأبي كان رائعاً في إخفاء ردود أفعاله. فهو يعتقد أنّ أي تعابير غير مُسيطر عليها تجعله عرضة للهجوم، فهو مُدرك بأنه مُراقب دائماً، في أي مكان يكون فيه. ولقد أصبح رايزك أفضل في هذه المهارة منذ شبابه، لكنه مازال غير مُتمكّن منها. وبينما كنتُ أحدّق إليه دون أن ترفّ عيناي، تلوّى وجهه من الخوف والغضب.

قال بهدوء: «أنا لا أحتاج إليك يا سايرا».

قلتُ له وأنا أقف: «هذا ليس صحيحاً، لكن حتى لو كان... يجب أن تتذكّر ماذا سوف يحصل في حال قرّرتُ أن أضع يدي عليك».

أريته راحة يدي، مُوجّهةً هبتي التيارية نحو السطح. وللمرة الأولى، أتت عند دعوتي لها. مُتموّجةً داخل جسدي –للحظة –تلتف حول كل إصبع من أصابعي مثل ديدان سوداء. كانت عينا رايزك تنظران إليها، ومن دون إذن على ما يبدو.

قلتُ له: «سوف أستمر بلعب دور أختك الوفية، من أجل هذا الأمر المُخيف، لكني لن أسبّب الألم لأحد بعد الآن».

قلت ذلك وتوجهت نحو الباب، كان قلبي ينبض بقوة.

قال رايزك وأنا أمشي مُبتعدةً: «ستندمين على هذه اللحظة».

قلتُ له دون أن ألتفت إليه: «أشك في ذلك، ففي النهاية لستُ أنا من يخشى الألم».

قال بشكل مُقتضب: «ولا أنا».

التفتُ إليه وقلتُ: «حسناً، أرني، كيف تعالَ إلى هنا وأمسك يدي».

مددتها إليه، وراحة يدي موجهة إلى الأعلى وهي مُلطّخة بالظلال، ووجهي يتلوّى من الألم الذي لايزال موجوداً. فلم يتزحزح رايزك من مكانه.

قلتُ له وأنا أُغادر: «كنتُ واثقة من ذلك».

عندما عدتُ إلى غرفتي، كان أكوس جالساً على السرير وعلى حضنه كتاب عن الإلمياتاهاك، والمُترجم يتوهّج فوق إحدى الصفحات. نظر إليّ بحاجب

مرفوع. كانت الندبة التي على فكّه لاتزال قاتمة اللون، وخطّها مستقيم تماماً كأنها تتبع فكّه. سوف تذبل بمرور الوقت وتختفي في ثنايا جلده.

ذهبتُ إلى الحمام كي أنثر بعض الماء على وجهي.

قال أكوس وهو يتكئ على جدار الحمام بجانب المغسلة: «ما الذي فعله بك؟».

نثرتُ الماء على وجهي مرة أخرى، ثمّ اتكأتُ على المغسلة. انزلقت قطرات الماء على خديّ وفوق رموشي ثم إلى الحوض من تحتي. نظرتُ ملياً إلى انعكاس صورتي في المرآة، كانت عيناي متوحشتين وفكّي مشدوداً.

قلتُ له وأنا أسحب خرقةً من الخزانة التي بجانب المغسلة وأُمررها فوق وجهي، «لم يفعل شيئاً». كانت ابتسامتي مثل تكشيرة الخوف تقريباً. «لم يفعل شيئاً لأني لم أسمح له. لقد هدّدني، وهددته بالمقابل».

كانت شبكات اللون القاتم كثيفة على يديّ وذراعيّ، مثل رذاذ من طلاء أسود. جلستُ على أحد المقاعد في المطبخ وضحكتُ. ضحكتُ حتى شعرتُ بالدفء في كل أرجاء جسدي. فلم يسبق لي أن واجهت رايزك، ولن أكون متواطئة معه بعد الآن.

جلس أكوس قبالتي.

قال: «ماذا... ماذا يعني ذلك؟».

قلتُ: «هذا يعني أنه سوف يدعنا وشأننا»، «أنا...» كانت يداي ترتجفان. «أنا لا أعرف لماذا أنا...».

غطّى أكوس يديه بيديّ. «لقد هدّدتِ لتوّك الشخص الأكثر قوةً في البلاد. أظنّ أنه من الطبيعي أن تكوني متوترة قليلاً».

لم تكن يداه أكثر ضخامةً من يديّ، ولو أنها أكثر ثخانةً عند البراجم، بأوتار بارزة تصل حتى معصميه. كان بإمكاني رؤية عروق خضراء مُزرقّة، أكثر شحوباً من التي عندي. لقد كانت الشائعات حول أنّ الثوفيين يملكون جلداً رقيقاً صحيحة، لكن جلد أكوس لم يكن ضعيفاً.

سحبتُ يديّ من يديه.

الآن، بما أنّ رايزك لم يعد عقبةً في طريقي، وأكوس هنا، تساءلتُ كيف سنقضي أيامنا. لقد كنتُ معتادةً على قضاء وقت رحلات الإقامة المؤقتة وحيدةً. كانت هناك بقعة على جانب الفرن منذ آخر رحلة إقامة مؤقتة، عندما كنتُ أطهو الطعام لنفسي كل ليلة، وأقوم باختبارات بمكونات من كواكب مختلفة، بشكل غير ناجح معظم الوقت، بما أني لستُ موهوبة بالطهي. كنتُ أُمضي لياليّ وأنا أشاهد مقاطع فيديو عن كواكب أخرى، وأتخيل أشكال حياة أخرى غير حياتي.

مشى في الغرفة كي يجلب كوباً من الخزانة ويملأه بالماء من الصنبور. فأملتُ رأسي إلى الخلف لأرى النباتات المُتدلية فوق رؤوسنا، وهي تشعّ بأقفاصها الصمغية. بعضها كان يتوهّج عندما تُطفأ الأنوار، وبعضها الآخر قد يتفسّخ حتى في الصمغ، ويذوي بألوان برّاقة. لقد راقبتها على مدى ثلاث رحلات سابقة.

مسح أكوس فمه ووضع الكوب على الطاولة.

قال: «لقد اكتشفتُ الأمر، أقصد السبب للاستمرار».

ثنى ذراعه اليسرى حيثُ حفر علامة القتل الأولى.

«أوه؟».

«نعم»، هز رأسه، «شيء ما قاله رايزك لا يزال يزعجني... قال إنه سيُحوّل إيجيه إلى شخص لن أرغب بإنقاذه. حسناً، لقد عقدت العزم فما من شيء سيحول دون رغبتي بإنقاذ إيجيه». منذ عدّة أيام، كان يبدو خاوياً بالنسبة إليّ، أما الآن فهو مُتخم، مثل كوب ممتلئ عن آخره. «ليس هناك نسخة من إيجيه لن أرغب بإنقاذها».

كان هذا ثمن الرّقة نفسها التي جعلته ينظر إليّ بتعاطف في وقت سابق من ذلك اليوم بدلاً من الاشمئزاز: هذا جنون. فأن تستمرّ بحب شخص ما إلى حد أبعد من المساعدة، وأبعد من الفداء، كان جنوناً.

قلتُ له: «كلامك لا يعني لي شيئاً، فهو من قبيل أنك كلما اكتشفت أن شخصاً أكثر فظاعة وأكثر ضرراً بالنسبة إليك كنتَ أكثر لطافةً معه. إنها مازوخية».

قال بامتعاض: «هذا ما تقوله من كانت تخاف من نفسها بسبب أشياء كان مُجبرة على القيام بها».

لم يكن مُضحكاً ما نقوله، ولكنني ضحكتُ، وبعدها ضحك هو الآخر. ضحكة جديدة؛ ليس تلك التي أخبرتني بأنه كان فخوراً بنفسه، أو التي يُجبر نفسه عليها عندما يشعر بأنه بحاجة ليكون مُهذّباً، بل ضحكة من الضحكات المخبولة والمُتعطشة.

قلتُ وأنا أرفع ذراعي اليسرى: «صحيح أنك لا تكرهني».

«أنا، لا أكرهكِ».

لقد سبق لي وأن شعرت بكره من تأذوا من يدي وخوف من لم يعانوا منها ولكنهم ربما سيعانون وسعادة من استخدمني لمصلحته، ولكنني لم أشعر بأن هناك من لا يكرهني، لا أظن أكوس سيفهم ما أقصده.

قلتُ له بهمس تقريباً، وأنا خائفة من سماع الرّد: «أنت لا تكرهني أبداً».

لكنّ ردّه أتى بثبات، وكأنه كان واضحاً بالنسبة إليه: «أبداً».

عندها شعرت بزوال غضبي منه لخيانته لي من أجل إنقاذ أخيه. فقد فعل ذلك بسبب الميزة نفسها الموجودة فيه، التي جعلته يتقبّلني إلى أبعد الحدود الآن. كيف كان باستطاعتي لومه على ذلك؟

تنهّدتُ قائلةً: «حسناً، استيقظ باكراً في الغد لأننا يجب أن نتدرّب بشكل أقوى في حال كنتَ تأمل بإخراج أخيك من هنا».

أخذت كوب الماء الذي كانت بصماته ظاهرة على قاعدته.

عبس في وجهي وسألني: «سوف تساعديني؟ حتى بعد ما فعلته بكِ؟».

«نعم». أفرغتُ كوب الماء، وأرجعته إلى مكانه. «أظنّ ذلك».


3

الفصل الخامس عشر أكوس

استعاد أكوس تفاصيل ذكرى فراره السابق مع إيجيه مرة بعد أخرى:

كان يركض عبر الأروقة وراء جدران منزل عائلة نوفاك، ويتوقّف حيث تتصل الجدران بعضها ببعض كي يختلس النظر من الشقوق ويعرف أين كان. لقد أمضى كثيراً من الوقت في الظلام، يسفّ الغبار ويُمسك الشظايا بين أصابعه.

أخيراً، وصل إلى الغرفة التي يوجد فيها إيجيه، ما سبّب في تشغيل بعض الحساسات دون قصده، كما قال له رايزك فيما بعد. لكن في ذلك الوقت لم يكن يعرف ذلك. أدخل أصابعه في القفل الذي يُبقي باب إيجيه مغلقاً. فمعظم الأبواب هذه الأيام كانت تُقفل عن طريق التيار، وباستطاعة لمسته أن تفتحها. وتفتح قيود المعصمين أيضاً. فهو بهذه الطريقة تمكّن من الإفلات وقتل كالميف راديكس في العشب الريشي. كان إيجيه واقفاً بجانب نافذة ذات قضبان حديدية، تعلو البوابة الخلفية للقصر، وكان هناك عشب ريشي أيضاً، تتمايل سنابله مع الريح. كان أكوس يتساءل عما يراه إيجيه هناك –هل هو أبوهما؟ لم يكن يعلم كيف تؤثر الأعشاب الريشية في الأناس الآخرين بما أنها لم تعد تؤثر فيه.

التفت إيجيه نحوه وأخذ يتفحّصه ببطء. فقد مرّ موسمان تماماً على رؤية أحدهما للآخر، إلا أنّ كليهما تغيّر. أصبح أكوس أطول وأضخم، بينما أصبح

إيجيه شاحباً ونحيلاً، وشعره الأجعد مُتلبّد في أماكن كثيرة. تردّد قليلاً، فأمسك به أكوس من مرفقيه.

همس إيجيه: «أكوس، أنا لا أعرف ماذا يجب أن أفعل، أنا لا...».

قال أكوس: «لا بأس، لا بأس، سوف نخرج من هنا، ولا يفترض بك القيام بأي شيء».

«هل... قتلتَ ذلك الرجل، ذلك الرجل الذي كان في منزلنا...».

«نعم». لقد عرف أكوس اسم ذلك الرجل: كالميف راديكس، هو الآن مجرّد ندبة على ذراعه.

«لماذا حصل هذا الشيء؟» كان صوت إيجيه مُتقطّعاً، وقلبُ أكوس مُتحطماً. «لماذا لم تتنبّأ أمي بهذا الشيء؟»

لم يُذكّره أكوس بأنها ربما تنبّأت، فلا جدوى حقاً تُرتجى من ذلك.

قال: «لا أدري، لكنني سوف أُخرجك من هنا حتى لو تسبب ذلك بقتلي».

وضع أكوس ذراعه حول أخيه ليُبقيه مُنتصباً قدر الإمكان بينما كانا يمشيان خارج الغرفة معاً. وضع يده أعلى رأس إيجيه بينما تواريا في الممر، كي يُجنّبه الارتطام بسقفه. كان وقع أقدام إيجيه ثقيلاً، وأكوس مُتأكد من أنّ أحداً ما سوف يسمعهما من خلال الجدران. همس إيجيه، أو ما يقرب من الهمس، فلطالما كان فظيعاً في التسلّل، وقال: «من المُفترض أن يكون أنا من يُنقذك».

«من هو الذي يقول ذلك؟ هل هناك كُتيّب عن السلوك الأخوي؟».

ضحك إيجيه وقال: «أنتَ لم تقرأ كُتيبك؟».

دفع أكوس الباب في نهاية الممر وهو يضحك أيضاً. كان فاس كوزار بانتظارهما في المطبخ وهو يُطقطق براجمه.

بعد أسبوع من انطلاق سفينة الإقامة المؤقتة في رحلتها باتجاه الدفق التياري، ذهب أكوس إلى غرفة التدريب العمومية كي يتمرن. كان بإمكانه استخدام الغرفة الفارغة فوق مقر سكن سايرا، لكنها اعتادت مؤخراً على مشاهده مقاطع الفيديو

هناك. والتي كانت على الأغلب حول أناس يتصارعون من كواكب أخرى، لكن قبل أسبوع أمسك بها وهي تُقلّد راقصة أوثيرية، كانت كل أصابع يديها وقدميها ترتعش. وبعد هذه الحادثة أصبحت حانقة عليه كثيراً، فلم يُخاطر بذلك مرة أخرى.

حتى أنه لم يحتج لتفحّص الخريطة المُجعّدة التي رسمتها له سايرا في ليلتهما الثانية. كانت غرفة التدريب خافتة الضوء وفارغة تقريباً، إلا من بعض الأشخاص الذين يرفعون الأوزان في الطرف البعيد منها. تساءل في نفسه، يا إلهي، فالشوتيتيون يعرفون بأنه الثوفي المخطوف، الشخص الذي ليس بإمكان كرباج رايزك أن يؤذيه. فلم يوجه له أحد أي انتقاد – ربما لأنهم كانوا خائفين من سايرا – لكنه لم يكن سعيداً بتحديقهم إليه، جعل ذلك وجهه يُصاب بالاحمرار.

كان يُحاول لمس أصابع قدميه –مُشدّداً على المحاولة– عندما اكتشف بأنَ أحدهم يراقبه. لم يعرف كيف، لكنه عندما نظر إلى الأعلى، كان جوريك كوزار يقف هناك.

جوريك كوزار، ابن سوزاو كوزار.

لقد التقيا مرة واحدة من قبل، عندما أحضره فاس إلى جناح سايرا في قصر نوفاك. كانت ذراعاه النحيلتان عاريتين. وقد اعتاد أكوس البحث عن علامات القتل كلما التقى شخصاً، ولم يكن لـجوريك أي منها. عندما انتبه لتحديق أكوس، خدش جانب عنقه، تاركاً خطوطاً حمراء من أظافره هناك.

«هل تحتاج شيئاً؟»، سأله أكوس وكأنه سوف يكون هناك مشكلة فيما لو كان جوريك يحتاج شيئاً.

«هل هناك شخص لأتدرّب معه؟». كان جوريك يحمل سكّيني تدريب مثل التي لدى سايرا، صلبة واصطناعية.

نظر أكوس إليه ملياً. هل حقاً كان يتوقع من أكوس أن... يتدرّب معه؟ هو ابن الرجل الذي ضغط بحذائه الطويل ذات مرة على وجه أكوس؟

قال أكوس: «كنتُ على وشك الخروج».

رفع جوريك حاجبه وقال: «أنا أعلم أنّ كل هذا» - لوّح بإحدى يديه على جذعه النحيل - «مروع بكل ما في الكلمة من معنى، لكنّ ذلك للتمرين فقط يا كيرسيث».

لم يُصدّق أكوس بأن كل ما أراده جوريك هو «شخص ليتدرّب معه»، لكن ربما ليكتشف أيضاً ما هي الحقيقة. إضافةً إلى أنّ الشخص لا يختار سلالته.

قال أكوس، «حسناً».

مشيا نحو إحدى غرف التمرين. كان هناك دائرة مطلية تحدد المكان، بطلاء عاكس ومتقشر في بعض الأماكن. والهواء دافئ بفضل جريان الماء عبر الأنابيب العليا، ولذا كان أكوس متعرّقاً. فأخذ السكين التي قدّمها جوريك له.

قال جوريك: «لم يسبق لي أن رأيت شخصاً حذراً جداً من سكين مزيف». لكنّ أكوس لم يكن يوفّر أي وقت من أجل المزاح. فضرب ضربة قوية على الرأس مُتفحّصاً سرعة خصمه، فتراجع جوريك قافزاً من هول المفاجأة.

انزلق أكوس مُتفادياً أول لكمة من جوريك، وضربه على ظهره بمرفقه. فسقط جوريك على الأرض، مُثبّتاً نفسه بأطراف أصابعه، ثم استدار ليضرب مرة أخرى. وهذه المرة أمسكه أكوس من مرفقه وجرّه من الجنب طارحاً إياه على الأرض، لكن ليس لفترة طويلة.

انحنى جوريك قليلاً، وأصاب معدة أكوس برأس سكين التدريبي.

قال أكوس: «هذا ليس مكاناً جيداً لتُصوّب عليه يا كوزار، ففي القتال الحقيقي سوف أكون مرتدياً الدرع».

«يُنادونني (جوريك) وليس (كوزار). هل كسبت درعاً؟».

«نعم». استغل أكوس إلتهاء جوريك، فضرب مقدمة حنجرة جوريك بالجانب المُسطّح لسلاحه. فاختنق جوريك، وهو يقبض بيديه على عنقه.

قال لاهثاً وهو يُظهر راحة يده: «حسناً، حسناً، لقد أجبتَ عن سؤالي».

استند أكوس على طرف الحلبة كي يبتعد عنه قليلاً: «أي سؤال؟ بشأن درعي؟».

«كلا، اللعنة، هذا مؤلم»، دلّك عنقه قليلاً، «أتيتُ إلى هنا متسائلاً عن مدى الكفاءة التي أصبحت عليها بعد التدرّب مع سايرا. فقد قال أبي إنك لم تكن تعرف اليد من القدم عندما رآك للمرة الأولى».

كان غضب أكوس على وشك الظهور، مثل مياه تتحول إلى جليد.

بدأ بقوله: «أبوك –»، لكنّ جوريك قاطعه.

«إنه أسوأ أنواع الرجال، نعم، وهذا ما أردتُ الحديث معك بشأنه».

قلّب أكوس سكين التدريب في يده مرة بعد أخرى، مُنتظراً قدوم الرّد الصحيح، رغم أنه لم يبدُ أنه سوف يأتي بسهولة. فنظر إلى الأشخاص الذين يرفعون الأثقال في الجهة الأخرى من الغرفة. لم يكونوا ينظرون إليه، ولم يبدُ أنهم يستمعون لما يحدث.

قال جوريك: «أعلم ما فعل أبي بك وبعائلتك، وأعلم أيضاً ما فعلت للرجل الآخر الذي كان هناك». أشار لذراع أكوس الموسومة بعلامة القتل. «وأريد أن أطلب منك شيئاً».

بحسب معلومات أكوس، كانت عائلة جوريك تشعر بالخيبة منه. فبالرغم من أنه سليل إحدى أهم العائلات الشوتيتية إلا أنه يعمل في الصيانة. فقد كان مُلطخاً بالزيت حتى في ذلك الحين.

سأله أكوس وهو يقلب سكّينه مرة أخرى: «ماذا تريد بالتحديد؟».

قال جوريك بصراحة: «أريدك أن تقتل والدي».

سقطت السكين على الأرض مُحدثةً قعقعة.

كانت ذكرى والد جوريك لا تزال عالقة في ذهنه. فقد كان سوزاو كوزار هناك عندما سال دم أبيه في غرفة المعيشة. وهو من وضع القيود في معصمي أكوس.

ردّ أكوس بعنف: «أنا لستُ أحمق، وليس مهماً ما تظنونه أنتم بالشوفيين»، ثم توهج خدّاه باللون الأحمر بعد أن التقط سكين التمرين، «هل تظن أنني سأدعك تخدعني بكل بساطة؟».

أجاب جوريك، «أنا في خطر مثلك تماماً، لأني أعرف أنّ بإمكانك الهمس في أذن سايرا نوفاك عما طلبته منك للتو، وقد يصل هذا لرايزك أو أبي. لكنني اخترتُ أن أثق في بالكره الذي تختزنه. كما يجب عليك أن تثق بالكره الذي أختزنه.

سأله أكوس: «أتقصد أن أثق بالكره الذي تختزنه تجاه أبيك. لماذا -لماذا قد ترغب بذلك؟».

كان جوريك أقصر من أكوس بكثير، وليس بعرضه حتى. أصغر منه عمراً. لكنّ عينيه كانتا ثابتتين.

قال جوريك: «أمي في خطر، وربما أختي أيضاً. وكما رأيت، فأنا لست ماهراً بما يكفي كي أقاتله دفاعاً عن نفسي».

قال أكوس بصوت مُنخفض: «وبما أنك لست ماهراً تقرر قتله؟ ما الذي يحدث معكم أيها الشوتيتيون؟ إذا كانت عائلتك في خطر حقاً، ألا تستطيع إيجاد طريقة تُخرج بها أمك وأختك من هنا؟ أنت تعمل في الصيانة، وهناك المئات من العوامات في رصيف التحميل».

قال جوريك بشكل حاسم: «لن تذهبا، بالإضافة إلى أنه، طالما هو على قيد الحياة، فهو يُشكل خطراً عليهما. أنا لا أريد أن يُفرض عليهما العيش بهذه الطريقة، أن يكونا في حالة هرب وخوف دائمين».

«أليس هناك من شخص آخر يستطيع مساعدتك؟».

ضحك جوريك قائلاً: «ليس بإمكان أحد إجبار سوزاو كوزار على فعل أي شيء لا يريد فعله. ماعدا رايزك، وسوف أدعك تخمن لمرة واحدة كيف سيتفاعل ملك الشوتيت مع هذا الطلب».

دعك أكوس علامات القتل بمرفقه، وفكّر بهمجية ما ترمز إليه. فهو لا يبدو بهذه الأهمية، كما قالت عنه أم أوسنو، وهو لطيف بما يكفي، كما أجاب أوسنو. حسناً، لم يعرف أي منهما ماذا بإمكانه أن يفعل بسكين، أليس كذلك؟

قال أكوس، وكأنه يقلب الأمر في عقله: «أنت تريدني أن أقتل رجلاً».

«رجلاً ساعد في اختطافك. نعم».

«ماذا، بدافع من طيبة قلبي؟». هزّ أكوس رأسه بالنفي وقدّم مقبض السكين لـجوريك كي يأخذه. «كلا».

قال جوريك: «بالمقابل، بإمكاني أن أعرض عليك حريتك. وكما أنتَ قلت، هناك المئات من العوامات في رصيف التحميل. سوف يكون أمراً في غاية السهولة أن أُساعدك في أخذ واحدة، وأفتح الأبواب لك، وأتأكّد من أنّ أحداً ما ينظر إلى الناحية الأخرى».

الحرية. لقد عرضها مثل شخص لا يعرف معناها، شخص لم تُؤخذ منه أبداً. لكنها لم تعد موجودة عند أكوس بعد الآن، ولم تكن منذ اليوم الذي اكتشف فيه قدره. ربما حتى منذ أن وعد أباه بأنه سوف يُعيد إيجيه إلى المنزل.

لذلك هزّ أكوس رأسه مرة أخرى: «ليس هناك من اتفاق».

«ألا تريد العودة إلى الوطن؟».

«عندي عمل غير مُنجز بعد هنا. ويجب أن أعود إليه حقاً، لذا...».

لم يكن جوريك قد أمسك بسكين التدريب، لذلك تركها أكوس تسقط بينهما ومشى نحو الباب. لقد تعاطف مع والدة جوريك، وربما حتى مع جوريك نفسه، لكن لديه ما يكفي من المشاكل العائلية، وعلامات القتل هذه لاتزال صعبة الاحتمال.

قال جوريك: «إذاً، ماذا بشأن أخيك؟ ذلك الذي يستنشق عندما يزفر رايزك؟».

توقف أكوس وهو يشدّ على أسنانه. وقال لنفسه، إنه خطؤك. فأنتَ من ألمحتَ إلى «العمل غير المُنجز». لقد علم بطريقة ما أنّ ذلك لم يجعل الأمر أسهل عليه.

قال جوريك: «أستطيع إخراجه، وإعادته إلى الوطن، حيث يستطيعون إصلاح أي شيء أفسده عقله».

فكّر بمحاولة الهروب الوشيكة مرة أخرى، وصوت إيجيه المتقطع يسأله،

«لماذا حدث هذا الشيء؟»، وخدّيه الغائرين، وجلده الشاحب. لقد كان يتلاشى يوماً بعد آخر، وموسماً بعد آخر. وقريباً لن يبقَ الكثير منه لإنقاذه.

«حسناً». خرجت من فمه مثل همسة، وليس كما عناها.

بدا جوريك لاهثاً: «موافق؟ أتعني أنك ستقتله؟».

أجبر أكوس نفسه على قول: «نعم».

من أجل إيجيه، كان الجواب دائماً نعم.

لم يتصافحا، كما يمكن أن يفعل اثنان من ثوفية، عندما يتفقان على صفقة. فهنا، مجرد قول الكلمات باللغة التي يعتبرها الشوتيت مقدسة، كان كافياً.

أن يكون هناك حارس مُتمركز عند نهاية المدخل إلى غرفة سايرا، فهذا لم يكن يعني شيئاً بالنسبة إلى أكوس. فلا أحد يستطيع التفوق على سايرا في القتال. حتى الحارس بدا أنه موافق على ذلك؛ فهو لم يتفحّص أكوس بحثاً عن سلاح عندما كان يمرّ به.

كانت سايرا متكومة أمام الفرن، وهناك وعاء بجانب قدمها ومياه مُتجمّعة على الأرض. وتجاويف منحنية في راحتيها –علامات أظافر من قبضات شديدة الإحكام –وخطوط تيارية داكنة بإمكان أكوس رؤيتها. اندفع نحوها فكاد قدمه تزل على الأرضية المبللة.

أمسك أكوس بمعصميها فاختفت الخطوط مثل نهر يتدفّق عائداً إلى منبعه. لم يشعر بشيء كما هي العادة دائماً. غالباً ما كان يسمع عن طنين التيار، والأماكن والأوقات التي يتضاءل فيها، لكنّ ذلك كان مجرد ذكرى بالنسبة إليه، وحتى ليست ذكرى واضحة.

أحسّ بجلدها ساخناً في يديه. نظرت إلى عينيه، اكتشف أكوس باكراً بأنها لا تبدو «غاضبة» كما يبدو الناس الآخرون، فهي أما تبدو غاضبة أو لا تبدو كذلك. لكن الآن بعد أن أصبح يعرفها بشكل أفضل، بإمكانه رؤية الحزن ظاهراً من خلال شقوق الدرع.

سألها وهو يحرّك قبضته قليلاً ليُمسك بيديها وإصبعاه الأولان يتحسسان شقوق إبهامها: «هل تفكرين بليتي؟».

أشارت إلى الوعاء وقالت: «لقد أوقعته للتو، هذا كل شيء».

فكّر في نفسه، هذا ليس «كل» شيء، لكنه لم يُصر. فجأةً، مرر يده على شعرها، كان كثيفاً ومُجعّداً، ويغريه في بعض الأحيان ليلفّه حول أصابعه من دون سبب معين.

لقد جلبت تلك اللمسة الخفيفة طعنة ذنب معها. فلم يكن من المفترض به أن يفعل شيئاً كهذا. لم يكن يفترض به أن يسير نحو قدره الخاص بدلاً من أن يُجرّ نحوه. ففي ثوفية، كل من ستتلاقى عيناه به سيراه خائناً. وهو لم يكن بإمكانه تركهم يظنون أنهم على حق باعتقادهم هذا.

رغم أنه في بعض الأحيان كان يشعر بألم سايرا وكأنه ألمه، إلا أنه لم يستطع سوى التعتيم عليه لأجلهما.

قلبت سايرا يديها داخل يديه، فلامست بأناملها راحة يده. كانت لمستها ناعمة، وغريبة. ثم دفعته بعيداً عنها.

قالت وهي تمسك بخرقة كي تُجفف الأرض: «لقد أتيتَ باكراً». كانت المياه على وشك التسرّب من خلال نعلي حذاء أكوس. أصبحتْ مليئة بالظلال مرة أخرى وهي تجفل من ألمها، لكن إذا لم تكن تريد مساعدته، فهو لن يفرض عليها ذلك.

أجابها: «نعم، لقد التقيتُ جوريك كوزار».

داستْ فوق الخرقة كي تمتصّ مياهاً أكثر وسألته: «ماذا يريد؟».

«سايرا؟».

رمت الخرقة المبللة في المغسلة وقالت: «نعم؟».

«كيف أستطيع قتل سوزاو كوزار؟».

زمت سايرا شفتيها، كما تفعل دائماً عندما تُفكّر بشيء ما ملياً. أقلقها أن يسأل هذا السؤال بهذه الطريقة، وتكون ردة فعلها على هذا النحو.

لقد كان بعيداً جداً جداً عن الوطن.

أجابته: «كما تعلم، يجب يحصل في الحلبة كي يُصبح قانونياً. ومن الأفضل لك أن يكون قانونياً، وإلا سينتهي بك الأمر ميتاً. يحظر تحدي الحلبة من الوقت الذي تغادر فيه السفينة الغلاف الجوي إلى ما بعد البحث عن الأشياء المفيدة، ما يعني أنه يجب عليك الانتظار. فهذا جزء آخر من تراثنا الديني». ثم قطبت حاجبيها وتابعت: «لكنك لا تملك المكانة لتتحدى سوزاو، لذا يجب عليك استفزازه كي يتحداك هو».

بدا وكأنها فكّرت بالأمر من قبل، لكنه يعرف أنها لم تفعل. في مثل هذه الأوقات، كان يفهم لماذا يخافها الجميع. أو لماذا يجب عليهم أن يخافوها، حتى من دون هبتها التيارية.

«برأيك هل أستطيع النيل منه إن نازلته في الحلبة؟».

أجابته: «إنه مقاتل جيد، لكنه ليس ممتازاً، ربما تتفوق عليه بالمهارة وحدها، ولكن إن كان يظنك ذلك الفتى الصغير الذي رآه ذات مرة فهذا يعطيك الأفضلية».

أومأ أكوس موافقاً: «إذاً يجب عليّ تركه موهوماً بذلك».

«نعم».

وضعت الوعاء الذي أصبح فارغاً الآن تحت الفرن كي تملأه مرة أخرى. كان أكوس حذراً من طبخ سايرا، فهي دائماً تحرق الطعام عندما تحاول الطبخ، وتملأ الغرفة الصغيرة بالدخان.

قالت: «تأكد مما تريد القيام به، فأنا لا أرغب برؤيتك مثلي».

لم تقل ذلك لأنها تريده أن يواسيها أو يناقشها، بل لأنها مقتنعة به، بدا اقتناعها بشناعتها لا يقبل النقاش.

«هل تظنين أنني سأصبح سيئاً بهذه السهولة؟» سألها أكوس ذلك مُجرباً أسلوب طبقة الشوتيت الشعبية الذي سمعه في معسكر الجنود، فهي لا تبدو سيئة.

سحبت شعرها للخلف وربطته بشريط تضعه حول معصمها العاري. والتقت عيناها بعينيه مرة أخرى. «أظنّ أنّ الجميع يصبح (سيئاً بهذه السهولة)».

كاد يضحك لعدم ملائمة الكلمات عندما قالتها.

قال: «أنتِ تعلمين، أنّ حالة السوء - أو الشناعة، ربما كما تسمينها - لا يُفترض بها أن تكون دائمة».

بدت وكأنها تفكّر بما قاله. هل سبق لها وأن فكرت بما قاله؟

«أتوافقين أن أطبخ؟». أخذ الوعاء منها. ففاضت المياه واندلقت على حذائه. «ثقي أنني لن أحرق الطعام».

قالت له: «لم أحرق الطعام سوى مرة واحدة، لماذا تعتبرينني خطراً يمشي ويتكلّم».

مثل الكثير مما تقوله عن نفسها، كانت عبارتها الأخير تراوح بين الجد والمزاح.

قال بجدية: «أعلم ذلك»، ثم أضاف، «ولهذا ستساعدينني بتقطيع الفاكهة المملحة».

بدتْ غارقة في التفكير -ملامح غريبة لوجه يعبس بسهولة شديدة- بينما كانت تجلب الفاكهة المُملّحة من البراد وتستعد لتقطيعها على الطاولة.

الفصل السادس عشر | سايرا

من الناحية التصميمية، كان مقر إقامتي قريباً من غرف المحركات، ولذلك فهو بعيد عن مكتب رايزك. لقد استدعاني كي يعطيني خط سير رحلة الإقامة المؤقتة: سوف أنضمّ إليه إضافةً لنخبة الشوتيت الأخرى في اللقاء الاجتماعي الذي يسبق البحث عن الأشياء المفيدة، كي أساعده في مناقشة الأمور السياسية مع قادة بيثا. فوافقت على الخطة لأنها تتطلب قدرتي على التظاهر، وليس هبتي التيارية.

كما تنبأ المحقق الساخر عندما قمت وأكوس بزيارة غرفة الكواكب، قرّر رايزك أن يكون الكوكب المائي بيثا مقصدنا المعروف بتكنولوجيته الابتكارية في مقاومة الطقس. وإذا كانت الشائعات حول مخازن الأسلحة السرية في بيثا صحيحة، فأنا أجزم أن إيجيه كيرسيث أكّد له ذلك، بما أنه أصبح الآن مُغلّفاً بذكريات رايزك. وفي حال ساعد إيجيه رايزك على إيجاد بعض أسلحة المجلس الأكثر قوة، سيسهل على أخي شن حرب على ثوفية، ليخضع الكوكب بأكمله لسلطته كما حلم دائماً.

كنتُ في وسط غرفتي عندما أطفئت الأضواء، وعم الظلام، واختفى الطنين البعيد للتحكم بطاقة السفينة.

سمعتُ صوت طرقٍ، بإيقاع نموذجي. نقرة واحدة، ثم ثلاث، ثم واحدة. نقرة واحدة، ثم ثلاث، ثم واحدة.

التفتُ، وظهري مُتّجه نحو الجدار.

نقرة واحدة، ثلاث نقرات، ثم واحدة.

تسابقت الظلال التيارية نحو ذراعيّ وكتفيّ. وعندما بدأت أضواء الطوارئ بالتوهج، رأيتُ جسداً يندفع نحوي، فانحنيت، مُوجّهةً مرفقي نحو أي كائن قادم. فأطلقتُ شتيمةً عندما اصطدم مرفقي بأحد الدروع، ثم التففتُ على قدمين خفيفتين، فالرقصات التي مارستها على سبيل المتعة تحولت إلى غريزة. سحبتُ سكيني التيارية، واندفعتُ نحو مُهاجمتي، دافعةً إياها نحو الجدار والنصل على حنجرتها. تدحرجت سكينها على الأرض بين قدميها مصدرة قعقعة.

كانت تضع قناعاً يغطي وجهها ويحجب إحدى عينيها، وغطاء مصنوعاً من مادة سميكة يُغلّف رأسها. كانت أقصر مني بكثير، ودرعها مُكتسباً، فهو مصنوع من جلد المخلوق المُدرّع.

كانت تئنّ من لمستي.

قلتُ: «من أنتِ؟».

فرقع صوت شبكة الاتصال الداخلية الاحتياطية في السفينة حالما طرحت سؤالي. كانت شبكة قديمة، فهي من الآثار الباقية لرحلات الإقامة المؤقتة الأولى، وهي تجعل الأصوات تبدو وكأنها مشوّهة، مثل النقر على الصفائح.

قال الصوت: «الطفل الأول لعائلة نوفاك سيُهزم على يد عائلة بينيسيت. يمكن طمس الحقيقة لكن لا يمكن إلغاؤها».

انتظرتُ سماع المزيد، لكن القرقعة انتهت، والمذيع فصل الصوت. بدأت السفينة بالطنين مرة أخرى، والمرأة التي حنجرتها أسيرة ذراعي وسكيني كانت تئن بهدوء.

همستُ قائلةً: «يجب أن أقبض عليكِ. وأستجوبكِ». ثم ملتُ برأسي، «هل تعلمين كيف يستجوب أخي الناس؟ إنه يستخدمني لذلك الأمر. إنه يستخدم

هذه». دفعتُ كثيراً من الظلال نحوها، فتجمّعتْ حول ساعدي، وصرختْ.

بدت للحظة وكأنها ليتي زيتسيفيس تماماً.

تركتها، وابتعدتُ عن الجدار.

عادت الأضواء إلى السطوع في الأرضيات، ما جعلنا نتوهج من الأسفل. واستطعتُ أن أرى عيناً براقةً واحدة في رأسها، تحدق إليّ. اشتغلت الأضواء من فوقنا، فركضت سريعاً نحو المدخل، واختفت وراء إحدى الزوايا.

لقد تركتها تذهب.

قبضتُ يديّ كي أمنعهما من الارتجاف. ولم أستطع تصديق ما قمت به. ماذا سيحل بي إن علم رايزك أنني تركتها تفر...

التقطتُ سكينها - إن صح وصفها بالسكين، فقد كانت قضيباً معدنياً خشناً، سُنّ يدوياً، بشريط ملفوف في أسفله ليُشكّل قبضة له - وبدأتُ بالمشي. لم أكن واثقة في أي اتجاه أذهب، لكنني شعرت بضرورة التحرك. تمنيت أن يكون الظلام الدامس قد حال دون التقاط الكاميرات صور ترك الخائنة تذهب بسلام خصوصاً أنه ما من دليل على حصول الهجوم، فأنا لم أجرح.

ماذا فعلت؟

ركضتُ عبر ممرات السفينة، وتردّد صدى وقع خطواتي لعدة ثوانٍ قبل أن أندفع ضمن الحشد، ضمن الفوضى. كان كل شيء صاخباً ومتسارعاً، مثل قلبي. أدخلتُ يديّ في كُمّيّ قميصي كي لا ألمس أحداً من دون قصد. لم أكن ذاهبة إلى مقر إقامتي. كنتُ بحاجة إلى رؤية رايزك قبل أن يراه أي شخص آخر؛ كنتُ أريد أن أتأكد أنه يصدق أن لا يد لي بما حدث. فأن ترفض تعذيب الناس شيء، لكن أن تشارك في تمرّد هو شيء آخر. وضعتُ سكين المُنشقة في جيبي، بعيداً عن العيون.

تراجع الجنود خطوةً عندما وصلتُ إلى غرفة رايزك في الجانب الآخر من السفينة، الجانب الأقرب إلى الدفق التياري. قادوني إلى مكتبه، وعندما وصلتُ إلى الباب لم أكن واثقة من أنه سيدعني أدخل، لكنه أمر بدخولي في الحال.

وقف رايزك عاري القدمين في مكتبه وهو يواجه الجدار. كان وحده، مُمسكاً بكوب من خلاصة زهرة الهشفلور المُخفّفة –أعرفها فور رؤيتها هذه الأيام – لم يكن يرتدي درعه، وعندما نظر إليّ، بدت عيناه مشوشتان.

سألني بلهجة آمرة: «ماذا تريدين؟».

«أتيت...» توقفتُ عن الكلام، إذ لم أكن أعرف ماذا أريد سوى حماية نفسي. «لأطمئنّ عليك».

قال: «بالطبع أنا بخير، لقد قام فاس بقتل المُنشقين الاثنين اللذين حاولا الدخول إلى هذا الجزء من السفينة قبل حتى أن يتمكنا من الصراخ». جذب إحدى الستائر بعنف بعيداً عن النافذة – كانت أكبر من معظم النوافذ، وبطوله تقريباً – وحدّق إلى الدفق التياري، الذي تحوّل إلى اللون الأخضر الداكن. تقريباً أزرق، وهذا ما يشير إلى أن وقت الغزو، والبحث عن الأشياء المفيدة، وتقليد أسلافنا قد حان. «أتظنين أنّ الأفعال الصبيانية لبعض المُنشقين تستطيع إيذائي؟».

خطوتُ نحوه، حذرةً وكأنه حيواناً برّياً. «من الطبيعي أن تكون مشوشاً عندما يهاجمك الناس».

صرخ بكل كلمة من كلماته وضرب كوبه بعنف على إحدى الطاولات القريبة، «لستُ مشوشاً!» انتشر خليط زهرة هشفلور في كل مكان، ولطّخ طرف كُمّه باللون الأحمر.

عندما حدّقتُ إليه، دُهشت من ذكرى يديه السريعتين والواثقتين، وهي تُثبّتُ المشابك فوق حضني قبل رحلة إقامتي الأولى، وكيف ابتسم عندما كان يمازحني لكوني متوترة. لم يكن خطؤه أنه تحوّلَ بهذه الطريقة، فأصبح مرعوباً جداً وخلاقاً جداً في وحشيته. لقد دربه والدنا ليُصبح الشخص الذي هو عليه. أعظم ما منحني إياه لازمت نوفاك على الإطلاق، حتى أعظم من الحياة نفسها، أنه تركني وشأني.

لقد أتيتُ إلى رايزك بتهديدات وغضب وازدراء وخوف، لكنني لم أحاول التقرب منه بلطف. في الوقت الذي اعتمد فيه أبي على التهديدات الموجهة بدقة

والصمت المُخيف كأسلحة له، استخدمت أمي اللطف دائماً برشاقة السكين. وبعد كل هذا الوقت، كنتُ أكثر شبهاً بـلازمت منه بإليرا، لكنّ ذلك يمكن أن يتغير.

قلتُ بأكبر قدر من اللطف استطعت التظاهر به: «أنا أختك، ولا يجدر بك معاملتي بهذه الطريقة».

كان رايزك يُحدق إلى البقعة التي في كُمّ قميصه. لم يرد عليّ، ما اعتبرته علامة جيدة.

قلتُ له: «هل تتذكر كيف كنا نلعب بالتماثيل الصغيرة في غرفتي؟ وكيف علمتني حمل السكين؟ كنتُ أقبض على السكين بقوة ما يعيق جريان الدم في أصابعي، وأنت من علمتني كيف أقبض عليها بطريقة صحيحة».

عبس في وجهي. فتساءلتُ إن كان يتذكر، أم أنها كانت إحدى الذكريات التي قايضها مع إيجيه؟ مع ذلك، ربما اكتسبَ بعضاً من لطافة إيجيه عندما قايض ألمه بما عنده.

قلتُ له: «نحن لم نكن دائماً بهذا الشكل».

خلال صمته، تركتُ نفسي آمل – عندما رأيت الطريقة الهادئة التي غيّر بها نظرته إليّ– بتغير بطيء إنما ثابت في علاقتنا بمجرد أن يتخلى عن خوفه لا أكثر. التقت عيناه بعينيّ وكان هناك بعض الأمل، فبإمكاني رؤيته وسماعه، وبإمكاننا أن نكون كما كنا ذات مرة.

قال بهدوء: «لقد قتلتِ أمنا وقتها، أما الآن فهذا كل ما يمكن أن نكون عليه».

ما كان عليّ أن أتفاجأ، وما كان عليّ أن أتعجّب من الطريقة التي استطاعت فيها الكلمات أن تصدمني مثل لكمة قاسية على المعدة. لكنّ الأمل جعلني حمقاء.

أمضيتُ الليلة مستيقظة فزعة أتكهن ما سيفعله بشأن الهجوم.

في الصباح، أتى الجواب عندما صدح صوته الهادئ والواثق من نفسه من شاشة الأخبار على الجدار المقابل. فنهضتُ من السرير وعبرتُ الغرفة كي أُشغّل

الفيديو. لقد ملأ أخي الشاشة، شاحباً ونحيلاً. وعكس درعه الضوء ما أضفى بريقاً غريباً على وجهه.

«لقد واجهنا البارحة اضطراباً، كان عملاً صبيانياً، فمرتكبو هذا العمل المتهور عرّضوا أمن السفينة من خلال إيقاف رحلتها، وهذا يفترض بنا إيجادهم واستئصالهم». تغيرت نبرته فأصبحت شريرة. «سنستجوب بطريقة عشوائية أشخاصاً من مختلف الأعمار، وسنفرض حظراً للتجول في شتى أرجاء السفينة بين الثامنة مساء والسادسة صباحاً، يشمل الجميع ويستثنى منه الأشخاص الضروريين لعمل السفينة، وسيستمر الحظر حتى معرفة الفاعلين. وستُؤخّر رحلة الإقامة المؤقتة إلى أن يتم التأكد من أمان السفينة».

قال أكوس من خلفي: «استجواب، هل هذا رمز لـ (استجواب يتضمّن تعذيباً)؟».

أومأتُ بالموافقة.

قال رايزك: «يُفضل بمن يعلم عن هوية المتورطين الإدلاء بمعلوماته طواعية، ومن يثبت إخفاءه معلومات سيعاقب. مصلحة شعب الشوتيت فوق كل اعتبار. وليطمئن الجميع سلامة وأمن سفينة الإقامة المؤقتة في أعلى قائمة اهتماماتي».

تذمّر أكوس.

قال رايزك: «إن لم يكن عندكم شيء تخفونه، فليس عندكم شيء تخشونه، دعونا نستمر في التحضير لنري كل الكواكب الأخرى في المجرة قدرتنا ووحدتنا».

بقي رأسه ظاهراً في الشاشة للحظات، ثم عادت نشرة الأخبار، هذه المرة باللغة الأوثيرية، التي أعرفها بشكل لا بأس به. كان هناك نقص مياه في تيبيس، في القارة الغربية. وهذه المرة الوحيدة التي تكون فيها الترجمة باللغة الشوتيتية صحيحة.

قلتُ مقتبسةً كلام رايزك لنفسي أكثر مما هو لأكوس، «نُري كل الكواكب

الأخرى في المجرة قدرتنا ووحدتنا، هل هذا هو الهدف من رحلة الإقامة المؤقتة الآن؟ أم أن هناك هدفاً آخر؟».

كان المجلس يُناقش المتطلبات الأخرى للكهنة في كل كوكب على حدة، كي يصوت عليها خلال أربعين يوماً. والترجمة بالشوتيتية: «يحاول المجلس فرض هيمنة استبدادية على الكهنة من خلال إجراء استغلالي، كي يتم إصداره في نهاية اليوم الأربعين». ترجمة دقيقة لكنها مُنحازة.

لقد حُكم على مجموعة سيئة السمعة من قراصنة الفضاء بالسجن خمسة عشر موسماً. والترجمة بالشوتيتية: «حُكم على مجموعة من الزولديين التقليديين بالسجن لخمسة عشر موسماً بسبب التحدث علناً ضدّ أنظمة تقييدية للمجلس لا داعي لها». ترجمة ليست دقيقة تماماً.

قلتُ بهدوء: «من المفترض برحلة الإقامة المؤقتة أن تكون اعترافاً منا باعتمادنا على التيار ومن يتحكّم فيه، فهي مكونة من 197 طقساً دينياً، وطريقة لتقديم الاحترام لأسلافنا».

قال أكوس: «الشوتيت الذين تصفينهم ليسوا أولئك الذين رأيتهم».

نظرتُ إليه وقلتُ: «ربما رأيتَ ما تود رؤيته».

قال أكوس: «ربما فعل ذلك كلانا، تبدين قلقة. هل تظنين أنّ رايزك سيتوقف عن تركك وشأنك؟ في حال ساءت الأمور؟ وفي حال رفضتِ مساعدته؟ ما أسوأ ما يستطيع فعله؟».

تنهدتُ قائلةً: «لا أظن أنك تفهم. كانت أمي محبوبة، كانت إلهة بين البشر. وعندما ماتت، حزن جميع الشوتيت. وكأنّ العالم قد تحطّم». أغمضت عينيّ لبرهة، تاركةً خيال وجهها يعبر في ذهني. «إذا اكتشفوا ماذا فعلتُ لها، سيقطعونني إرباً إرباً. ورايزك يعرف هذا، وسيخبرهم عندما يبلغ منه اليأس مبلغاً».

تجهّم وجه أكوس. لم تكن المرة الأولى التي أتساءل فيها كيف سيشعر لو مُتُّ. ليس لأني اعتقدتُ أنه يكرهني، لكن لأني كنتُ أعرف أنّ قدره يترددُ في رأسه كلما نظر إليّ. ربما أكون أحد النوفاك الذين سوف يموت من أجلهم

في أحد الأيام، نظراً للوقت الطويل الذي قضيناه معاً. ولم أستطع الإيمان بأني أستحق ذلك، أستحق حياته.

قال: «حسناً، لنأمل ألا يصل إلى هذا المستوى من اليأس».

كان يميل إلى جهتي، ولم يكن يفصلنا سوى إنشات قليلة. كنا غالباً متقاربين، عند الملاكمة والتدريب، وعند تحضير فطورنا، وكان عليه أن يلمسني ليُبقي ألمي عند حدود آمنة. ولذا لم يكن غريباً الشعور بأنّ وركه كان قريباً جداً من مغدتي، إذ كان باستطاعتي رؤية عضلته تبرز من ذراعه. إنه شعور غريب.

سألته وأنا أتراجع إلى الخلف: «كيف حال صديقك سوزاو؟».

أجابني: «لقد أعطيتُ جوريك جرعة منومة كي يدسها في الدواء الذي يتناوله سوزاو في الصباح».

سألته متفاجئة: «هل سيخدر جوريك والده؟ كم هذا مثير».

«نعم، إن سقط سوزاو وهو يتناول فطوره فسيغضب بما يكفي ليتحداني في الحلبة».

قلتُ له: «أُفضّل أن يحصل هذا عدة مرات قبل أن تكشف نفسك، يجب أن يكون خائفاً إضافةً إلى كونه غاضباً».

«من الصعب التفكير بأنّ رجلاً كهذا يخاف».

تنهّدتُ قائلةً: «نعم، حسناً، جميعنا خائفون، وأعتقد أنّنا غاضبون أكثر من معظم الناس».

تحوّل الدفق التياري بشكل بطيء من اللون الأخضر إلى الأزرق، ومع ذلك، لم نهبط على بيثا، ولايزال رايزك يؤجل رحلة الإقامة المؤقتة. تحرّكنا بسهولة بجوار طرف المجرة، بعيداً عن موقع المجلس. كان نفاد الصبر مثل غيمة رطبة استقرت فوق السفينة، كنتُ أشعر به كلما غادرتُ مقر إقامتي المُنعزل الذي نادراً ما أغادره هذه الأيام.

لم يكن بإمكان رايزك أن يؤخر هبوطنا إلى ما لا نهاية –لا يمكنه التخلي عن

رحلة الإقامة المؤقتة كلياً، وإلا سيكون الملك الأول الذي يتجاهل تقاليدنا خلال أكثر من مئة موسم.

لقد وعدته بالمحافظة على ظهوري، ولهذا السبب وجدتُ نفسي مرة أخرى بعد عدة أيام من الهجوم في أحد اجتماعات أقرب شركائه، عند لوحة المراقبة. كان أول شيء رأيته من خلال النوافذ عندما دخلت ظلمة الفضاء وكأننا نحلّق داخل فم مخلوق ضخم. ثم رأيتُ فاس، وهو يُمسك كوباً من الشاي وبراجمه دامية. وعندما انتبه للدماء، مسحها بمنديل ثم أعاده إلى جيبه.

قلتُ له: «أعرف أنك لا تشعر بالألم يا فاس، لكن هناك فائدة ما من الاهتمام بجسدك».

رفع حاجبه ثم وضع كوبه. كان الآخرون مجتمعين في الجانب الآخر من الغرفة، يحملون كؤوساً، ويقفون ضمن مجموعات صغيرة. ومعظمهم يتحلّق حول رايزك مثل أنقاض حول حفرة تصريف. إيما زيتسيفيس – بشعر أبيض يُشع تقريباً بتناقض مع خلفية الفضاء الداكن – كانت من ضمنهم، وبدا جسدها متوتراً بوضوح.

عدا ذلك، كانت الغرفة فارغة، والأرضيات السوداء مُلمّعة، والجدران عبارة عن نوافذ مُنحنية فقط.

خاطبني فاس: «أنتِ تعلمين القليل جداً عن هبتي، بالنسبة للوقت الطويل الذي عرفنا فيه أحدنا الآخر. هل تعلمين بأنه يجب عليّ أن أضبط المنبه من أجل الأكل والشراب؟ وأن أتفحص نفسي بشكل دائم بحثاً عن العظام المكسورة والكدمات؟».

لم أفكر أبداً بالأشياء التي فقدها فاس عندما فقد القدرة على الإحساس بالألم.

قال فاس: «ولهذا أترك الجروح الصغيرة على حالها. إنه لأمر مرهق أن تبذل كثيراً من الاهتمام بجسدك».

قلتُ: «إمم، ربما أعرف بعض الشيء عن هذا».

هذه ليست المرة الأولى التي أندهش فيها بمدى تناقضنا، وكم جعلنا ذلك متشابهين! فحياة كلينا تدور حول الألم بطريقة أو بأخرى، وكلانا يصرف كمية كبيرة من الطاقة على الناحية الجسدية. وهذا جعلني فضولية للبحث عن أي شيء آخر مشترك بيننا.

سألته: «متى اكتسبت هذه الهبة؟ وما حدث وقتها؟».

«كنتُ في العاشرة». اتكأ على الجدار ومرّر يده فوق رأسه. كان شعره قصيراً لدرجة أن فروة رأسه كانت ظاهرة. وقرب إذنه، هناك بعض الجروح من شفرة الحلاقة، ربما لم يتنبه لها.

«قبل أن أُقبل في خدمة أخيكِ، كنتُ أذهب إلى مدرسة عادية. وكنتُ هزيلاً حينها، أي أني كنتُ هدفاً سهلاً. وكان الأولاد الأكبر مني يعتدون عليّ». ابتسم ثم تابع: «ما إن أدركتُ بأني لا أستطيع الشعور بالألم، ضربتُ أحدهم حتى أوشك على الموت. فلم يلاحقوني مرة أخرى».

لم يكن في خطر، وجسده استجاب لذلك. وعقله استجاب. كانت قصته مثل قصتي.

قال فاس: «تنظرين إليّ كما أنظر إلى كيرسيث، تعتقدين أنني حيوان رايزك المُدلّل الصغير، كما هو أكوس بالنسبة إليك».

رددت عليه: «جميعاً نخدم أخي، أنت وأنا وكيرسيث. جميعنا سواسية». اختلستُ نظرةً إلى الحشد الذي يتجمع حول رايزك. «لماذا إيما هنا؟».

أجابني فاس: «تقصدين بعد أن تلطّخت بالعار بسبب زوجها وابنتها؟ لقد أُشيع أنها حبتْ على يديها وركبتيها راجيةً السماح بسبب إثمهما. بالطبع، ربما هناك بعض المبالغة».

انسللت من دون أن ينتبه، واقتربتُ من الآخرين. كانت يد إيما على ذراع رايزك، تنزلق إلى مرفقه. توقعتُ منه أن ينسحب بعيداً عنها، فهو دائماً يفعل ذلك تقريباً عندما يحاول الناس لمسه. لكنه سمح بالمداعبة، وربما استجاب لها.

كيف باستطاعتها النظر إليه، بعد أن أمر بموت ابنتها وزوجها، ما بالك بأن

تلمسه؟ راقبتها وهي تضحك على شيء قاله رايزك. فقد تقطب حاجباها وكأنها كانت تشعر بألم. أو بيأس، كما ظننتُ. فالتعابير غالباً هي نفسها.

قالت إيما: «سايرا!» فلفتت انتباه الجميع إليّ. أجبرت نفسي على النظر إلى عينيها، لكنّ ذلك كان صعباً، نظراً لما فعلته بليتي. كنتُ أحلم بإيما عندما أحلم بابنتها، أحياناً، أتخيلها وهي تنحني فوق جثة ليتي، وتصرخ ملء فيها. «لقد مرّ زمن طويل. أين كنت طوال الفترة الماضية؟».

تلاقت عيناي بعيني رايزك للحظة.

قال رايزك بطلاقة: «كانت تؤدي مهمة خاصة، وهي أن تبقى قريبة من كيرسيث».

كان يهزأ بي.

سألتني إيما وهي ترسم ابتسامة غريبة على شفتيها: «هل كيرسيث الصغير بهذه الأهمية؟».

أجبتها: «سنرى ذلك. لكنه في النهاية ثوفي المولد، ويعرف عن أعدائنا ما لا نعرفه».

قالت إيما برفق: «آه، ظننتُ أنك قدّمتِ خدماتك أثناء هذه الاستجوابات يا سايرا، بالطريقة التي قدمتها من قبل».

ربما شعرتُ بالغثيان.

قال رايزك: «لسوء الحظ، تتطلب الاستجوابات لساناً لبقاً وعقلاً بارعاً في البحث عن الخفايا. وهذان أمران لطالما افتقدتهما».

كنتُ ملسوعة، فلم أستطع التفكير برد. ربما كان محقاً بشأن عدم لباقة لساني.

وهكذا تركتُ ظلالي التيارية تتمدّد، وعندما انتقل الحديث إلى موضوع آخر، مشيتُ نحو نهاية الغرفة لأنظر إلى الظلام الذي يلفنا.

كنا عند حافة المجرة، ولذا فالكواكب الوحيدة - أو أجزاء منها - التي لم نرها بعد لم تكن مزدحمة بالسكان لكي تنضم إلى المجلس. كنا ندعوها

«كواكب محيطية»، أو بشكل مهمل أكثر «الحافة». وكانت أمي تحثّ الشوتيت على اعتبارها كإخوتنا وأخواتنا في الصراع نفسه من أجل الحصول على الشرعية. أما أبي فقد سخر سراً من الفكرة، قائلاً إنّ الشوتيت أعظم من أي نسل عند الحافة.

رأيتُ أحد هذه الكواكب، وهو عبارة عن بقعة ضوء أمامنا، كبيراً جداً ليكون واحداً من نجومنا. امتدّ خط برّاق من الدفق التياري نحوه والتفّ حوله مثل حزام.

قالت إيما زيتسيفيس وهي ترتشف من كأسها: «الكوكب الذي تنظرين إليه يسمى P11040170187».

«هل ذهبتِ إليه؟» كنتُ متوترة، وأنا أقف إلى جانبها، لكني حاولتُ أن أحافظ على هدوء صوتي. في تلك الأثناء عم الضحك خلفنا على شيء قاله ابن عمي فاركيز.

أجابتني إيما: «بالطبع لا، فآخر ملكين من الشوتيت لم يأذنا بالسفر إلى كواكب الحافة. أرادا وضع مسافة بيننا وبينها في عيون المجلس. فلا يمكن أن نكون مرتبطين بمثل تلك المجموعة إذا ما أردنا أن يُنظر إلينا بجدية».

كانت تتحدث مثل شخص مخلص لعائلة نوفاك، أو بدقة أكثر، مدافع عن عائلة نوفاك. لقد عرفت السيناريو بشكل جيد.

قلتُ: «هذا صحيح، إذاً... أظنّ أنّ الاستجوابات لم تُفضِ إلى أي نتائج».

«لقد عرفنا بعض المُنشقين صغار الأهمية، لكن لا أحد من اللاعبين الأساسيين. ولسوء الحظ، الوقت ينفد منا».

قلتُ في نفسي منا؟ إنها تضع نفسها بثقة بالغة كواحدة من أقرب مساعدي أخي. ربما توسّلت إليه حقاً من أجل المسامحة. وربما وجدت طريقة أخرى لتُوصل نفسها ببراعة إليه. ارتعشت من الفكرة.

قلتُ: «أعلم ذلك. الدفق التياري أزرق تقريباً وسيتغير في غضون يوم».

«حقاً. لذا يحتاج رايزك أن يجد أحداً ما، ويجعل ذلك علنياً. ويُظهر القوة أمام رحلة الإقامة المؤقتة. فبالطبع، الاستراتيجية مهمة في مثل هذه الأوقات».

«وما هي الاستراتيجية إذا لم يتمكن من إيجاد شخص ما في الوقت المناسب؟».

حوّلت إيما ابتسامتها الغريبة نحوي. «أظن أنك تعرفين الاستراتيجية مسبقاً. ألم يُطلعكِ عليها أخوكِ رغم مهمتك الخاصة؟».

شعرتُ بأنّ كلينا يعرف أنّ مهمتي الخاصة كذبة.

قلتُ بسخرية: «بالطبع أعرف، لكنّك تعلمين أنه بعقل بليد مثل عقلي، أنا أنسى أشياء مثل هذه دائماً. وربما نسيتُ أن أطفئ فرني هذا الصباح».

قالت إيما: «لا أظن من الصعوبة على أخيك إيجاد الشخص المطلوب بحلول الوقت المحدد للبحث عن الأشياء المفيدة، فكل ما يجب عليهم فعله هو مراقبة منطقة أحد المُنشقين، أليس كذلك؟».

قلتُ لها: «هل سيقوم أخي بنصب فخ ما لأحدهم؟».

شعرت بالبرودة لفكرة موت شخص بريء لأنّ رايزك يحتاج كبش فداء، ولم أكن واثقة من السبب. فمنذ أشهر عدة –وحتى منذ أسابيع عدة– ما كان هذا ليُزعجني. لكنّ شيئاً ما قاله أكوس كان يعتمل في داخلي: الشيء الذي كنتُ عليه يجب ألا يستمر.

ربما يمكنني التغير، وربما أنا قيد التغير، لا لشيء إلا لأنني آمنت بقدرتي على ذلك.

فكّرتُ بالمرأة ذات العين الواحدة التي تركتها تذهب، يوم الهجوم. حجمها الصغير، وحركاتها الواضحة. وإذا أردتُ، بإمكاني إيجادها، فقد كنتُ واثقة من ذلك.

هزّت إيما رأسها قائلةً: «تضحية صغيرة من أجل مصلحة نظام أخيكِ. يجب علينا جميعاً أن نُضحي من أجل مصلحتنا».

سألتها: «ما نوع التضحيات التي قمتِ بها؟»

أمسكتْ بمعصمي وضغطت عليه بشدة. أكثر مما ظننتُ أنها قادرة. ورغم

أني عرفتُ بأنّ هبتي التيارية قد أحرقتها، إلا أنها لم تترك يدي، وسحبتني قريباً منها، فكان باستطاعتي شمّ أنفاسها.

همستْ لي: «لقد حرمتُ نفسي من متعة مشاهدتكِ وأنت تنزفين حتى الموت».

تركتني وقفلت عائدة إلى المجموعة، مترنحة. كان شعرها الشاحب الطويل المربوط مُنسدل تماماً. كانت مثل عمود أبيض من الخلف، حتى فستانها الأزرق الفاتح كان ملائماً تقريباً.

دلّكتُ معصمي، فقد احمرّ من قبضتها. سوف تظهر كدمة، وأنا واثقة من ذلك.

توقفتْ خشخشة الأوعية عندما مشيتُ داخل المطابخ. هناك مجموعة تعمل في سفينة الإقامة المؤقتة وهي أصغر من طاقمنا في قصر نوفاك، لكني عرفتُ بعض الوجوه، والهبات أيضاً. واحد من الذين يقومون بجلي الأوعية كان يجعلها تطفو، ورغوة الصابون تقطر من أسفل يديه، وإحدى اللواتي يقمن بقطع الخضار كانت تفعل ذلك وعيناها مغمضتين، والسكين تقطع بسهولة وبشكل متساوٍ.

كانت أوتيجا تبحث في البراد. وعندما حلّ الصمت، انتصب ظهرها ومسحت يديها بمئزرها.

قالت: «آه، سايرا، لا أحد يجعل الغرفة هادئة مثلكِ». حدّق بقية الطاقم إليها لعدم تكلّفها، لكني ضحكتُ قليلاً فقط. حتى عندما لم أكن أراها لفترة من الوقت – لقد تفوقت على قدرتها في تعليمي الموسم الماضي، فنحن نادراً ما نرى بعضنا الآن – كانت تعود إلى إيقاعاتها القديمة من دون مشكلة.

أجبتها: «يا لها من موهبة فريدة، رجاءً هل أستطيع التحدث معك على انفراد؟».

قالت أوتيجا وهي تحرك حاجبيها: «تصوغين كلماتك مثل سؤال بينما هو في الحقيقة أمر، اتبعيني. أرجو أن لا تمانعي إجراء الحديث في حجرة النفايات».

قلتُ ساخرةً: «أُمانع؟ لطالما رغبتُ بتمضية بعض الوقت في حجرة

النفايات». ثم تبعتها عبر ممر ضيق نحو باب في الخلف.

كانت الرائحة العفنة في الحجرة شديدة لدرجة أنّ عينيّ دمعتا. أظن أنها تأتي من قشور الفاكهة العفنة واللحوم القديمة. كان هناك مساحة لكلينا فقط، ونحن نقف معاً. وبجانبنا كان الباب الكبير الذي يُطل على محرقة النفايات، كان ساخناً، مما جعل الرائحة النتنة أكثر سوءاً.

كنتُ أتنفّس من فمي، ووعيتُ فجأةً كم نظرتُ إليها بلطف ودلال. أظافري نظيفة دائماً، وقميصي الأبيض لايزال زاهياً. وأوتيجا، المغطاة ببقع الطعام، بمظهر امرأة كان من المفترض أن تكون أطول وأكثر بدانة لكنها لم تحصل على الطعام الكافي لتصبح كذلك.

«ما الذي بإمكاني فعله لك يا سايرا؟».

«أريد منك خدمة؟».

«هذا يعتمد على الخدمة».

«يتضمن ذلك الكذب على أخي في حال سألكِ عنها».

ضمّت أوتيجا ذراعيها وقالت: «ما الذي ستطلبينه ويستدعي الكذب على رايزك؟».

تنهّدتُ. أخرجتُ سكين المُنشقة من جيبي وعرضتُها عليها.

قلتُ لها: «خلال هجوم المُنشقة، كان هناك محاولة لقتلي في أحد الممرات المنعزلة. لقد تغلّبتُ عليها، لكن فيما بعد.... تركتها تذهب».

قالت: «لماذا فعلتِ ذلك بحق الجحيم؟ عندما يتدفق التيار يا فتاة، حتى أمكِ لم تكن بهذه الدرجة من اللطافة».

«لا – ليس الأمر مهماً». أعدتُ السكين إلى يدي. والشريط الذي يكوّن القبضة كان ناعماً وخفيفاً، وهو محني بحسب أصابع مالكه. كانت يدها أصغر بكثير من يدي. «أريد إيجادها. لقد أوقعت هذا الشيء، وأنا أعرف أنك تستطيعين استخدامه لتجديها».

كانت هبة أوتيجا التيارية واحدة من أكثر الهبات التي رأيتها غموضاً.

فبإعطائها غرضاً ما، تستطيع تقفي أثر الشخص الذي يملكه. لقد طلب منها والدي إيجاد مالكي الأسلحة بهذه الطريقة. أحياناً يصعب قراءة الآثار، كما كانت تقول، عندما يكون هناك أكثر من شخص يدّعي أنّ الغرض ملكه، لكنها كانت ماهرة في تفسيرها. وفي حال وجود شخص باستطاعته إيجاد المُنشقّة فحتماً هو أوتيجا.

قالت: «ولا تريدين أن يعرف أخوك بالأمر».

قلتُ لها: «أنتِ تعلمين ما الذي سوف يفعله أخي بها، فالإعدام سوف يكون الجزء الأكثر لطافةً».

زمّت أوتيجا شفتيها. فكّرتُ بأصابعها الماهرة في شعري وهي تقوم بتجديله تحت إشراف أمي قبل مسيري الأول. وبملاءاتي المليئة بالدم وهي تنزعها عن فراشي، في اليوم الذي بدأت فيه دورتي الشهرية عندما لم تكن أمي على قيد الحياة لتساعدني.

«لن تخبريني لماذا تريدين إيجادها أليس كذلك؟».

أجبتها: «لا».

«هل للأمر علاقة بانتقام شخصي؟».

ابتسمتُ وأنا أقول: «انظري، إنْ أجبتك عن هذا السؤال فأنا أخبرك بطريقة أو بأخرى عن سبب رغبتي بإيجادها، وأنا للتو قلت لك إنني لن أخبرك، هيا يا أوتيجا. أنتِ تعلمين أني أستطيع الاهتمام بنفسي. فأنا لست قاسية مثل أخي».

أخذت السكين مني وقالت: «حسناً، حسناً، أحتاج لأمضي بعض الوقت مع السكين. تعالي إلى هنا قبل موعد حظر التجول غداً، وسآخذكِ إلى صاحب السكين».

«شكراً لكِ».

رتّبتْ إحدى خصلاتي المُنفلتة من شعري وراء أذني وابتسمت قليلاً، كي تخفي جفلتها جراء لمسي.

قالت: «أنتِ لستِ مخيفة إلى هذا الحد يا فتاة، لا تخافي، فلن أُخبر طاقمي».

الفصل السابع عشر أكوس

لم يكن هناك كثير من النجوم عند حافة المجرة. كانت سايرا تحب ذلك، أدرك أكوس ذلك بسبب هدوء الظلال التيارية عندما حدّقت خارج النافذة. لقد أشعره كل ذلك الفضاء وكل ذلك الظلام بالقشعريرة. لكنهم كانوا قريبين من حافة الدفق التياري، ولذا كان هناك لون أرجواني خافت في زاوية المجسم ثلاثي الأبعاد في السقف.

لم يكن بيثا الكوكب الذي قادهم التيار إليه. وسايرا وأكوس عرفا ذلك، في اليوم الذي ذهبا فيه لرؤية المحققين، الذين كانوا يُفكرون بأوجرا، أو حتى P1104. لكن يبدو أن رايزك رأى في رأي المحققين نوعاً من الشكليات فقط. فقد اختار الكوكب الذي قدّم له التحالف المفيد، كما قالت سايرا.

لقد كان لها نقرة مميزة على الباب، أربع تربيتات خفيفة. فقد عرف أنها هي دون أن ينظر.

قالت: «يجب أن نُسرع وإلا سوف يضيع منا».

قال أكوس بابتسامة: «تُدركين أنك تُصبحين غامضة عن عمد، أليس كذلك؟ فحتى الآن لم تُخبريني ما هذا الشيء».

ردّت الابتسامة وقالت: «نعم، أُدرك ذلك».

كانت ترتدي فستاناً أزرق يصل كماه إلى أعلى مرفقيها، ولذا عندما تحركت يد أكوس لتُمسك بذراعها، تأكد بأنّ قبضته تستقر عند نهاية القماش. لقد اعتقد أنّ لون الفستان لم يكن مناسباً لها حقاً. فقد بدت أكثر شبهاً بنفسها عندما ارتدت فستانا أرجوانياً في احتفال رحلة الإقامة المؤقتة، أو في لباس التدريب الداكن. لكن أيضاً في ذلك الوقت، لم يكن هناك الكثير باستطاعة سايرا نوفاك فعله ليُقلل من مظهرها، وكان يعرف تمام المعرفة أنها تعرف ذلك. ففي النهاية لا جدوى من إنكار الأمر الواضح.

مشيا بسرعة عبر الممرات، وهما يأخذان طرقاً أخرى غير تلك التي كان أكوس يسلكها. هناك علامات مُثبّتة على الجدران حيثما تتقاطع الممرات، قالت إنهما ذاهبان إلى سطح السفينة الجديد. تسلقا بعض السلالم الضيقة، ورفعت سايرا يدها أمام شق في الجدار الذي في الأعلى، ففُتح بابان صلدان. فاستقبله جدار من الزجاج. وفوقه: فضاء. نجوم. وكواكب. والدفق التياري يزداد لمعاناً كل ثانية.

هناك عشرات الأشخاص يعملون في صفوف من الشاشات أمام الزجاج تماماً. كانت ألبستهم الموحدة نظيفة وبدت مشابهة لدرع الشوتيت قليلاً: لون أزرق أكثر قتامةً، فضفاض عند الكتفين، لكن بقماش مرن بدلاً من جلد المخلوق المُدرّع القاسي. وقع نظر أحد أكبر الرجال سناً إلى سايرا فانحنى لها.

قال: «آنسة نوفاك، ظننت أني لن أراكِ هذه المرة».

قالت سايرا: «لن أفوت الأمر عليَ أيها الملاح زيفو». وأضافت قائلةً لأكوس: «كنتُ آتي إلى هنا منذ طفولتي. زيفو، هذا أكوس كيرسيث».

قال العجوز: «لقد سمعتُ قصة أو اثنتين عنك يا كيرسيث».

نظراً لنبرة صوته، كان أكوس واثقاً من أنه يعني أكثر من «قصة أو اثنتين»، وهذا جعله متوتراً بما يكفي لكيَ يحمرّ خدّاه.

قالت سايرا له: «أفواه الشوتيت تحب الثرثرة، وخصوصاً عن المفضلين قدرياً».

«صحيح»، حاول أكوس أن يقول. مفضل قدرياً! كان كذلك، أليس كذلك؟ بدا ذلك غبياً بالنسبة إليه الآن.

قال زيفو وهو يشير بيده نحو الجدار الزجاجي: «باستطاعتك الوقوف في مكانك المعتاد يا آنسة سايرا». فمرّ التيار مُنحنياً فوق رؤوسهم على سقف السفينة.

ذهبت سايرا إلى مكان أمام الشاشات. ومن حولهم كان الطاقم يصرخ باتجاهات أو أرقام على بعضهم بعض. لم يعلم أكوس ما يحصل على الشاشات. جلست سايرا على الأرض، وذراعاها مضمومتان على ركبتيها.

«لماذا نحن هنا؟».

قالت وهي تضحك: «قريباً ستعبر السفينة من خلال الدفق التياري، أعدك بأنك سترى ما لم ترَ مثله أبداً. سوف يكون رايزك عند لوحة المراقبة مع أقرب مناصريه لكني أتيت هنا بدلاً منه، كي لا أصرخ أمام ضيوفه. يمكن أن يصبح... شديداً. سوف ترى».

من هذه المسافة، بدا الدفق التياري مثل طليعة الرعد[1]، مليئاً باللون بدلًا من المطر. فجميع الناس في المجرة يوافقون على وجوده -من الصعب إنكار شيء مرئي بوضوح من سطح أي كوكب -لكنه يعني أشياء مختلفة لعدد مختلف من الناس. لقد تحدث والدا أكوس عنه وكأنه دليل روحي لم يفهموه بشكل كامل، لكنه يعلم أن كثيراً من الشوتيت يعبدونه، أو أنّ شيئاً أعلى منه يوجهه، وهذا يعتمد على الطائفة. بعض الناس يظنون أنه ظاهرة طبيعية فقط، ولا شيء روحي فيه، وأكوس لم يسأل سايرا عما تعتقده.

كان على وشك سؤالها عندما صرخ أحدهم: «حضّروا أنفسكم!».

تمسّك كل من حوله بأي شيء يستطيع التمسك به. ملأ الدفق التياري الزجاج أمامه، وعندها، شهق الجميع معاً ماعدا أكوس. وكل إنش من جلد سايرا أصبح أسود مثل الفضاء، وأسنانها التي بدت بيضاء بخلاف هبتها التيارية، كانت

(1) Thunderhead: طليعة الرعد سحابة قزعية تظهر قبل العاصفة الرعدية.

تكز، لكنها بدت وكأنها تبتسم تقريباً. مدّ أكوس يده إليها، لكنها هزّت رأسها بما يفيد أنها لا تريده أن يلمسها.

ملأت دوامات ذات لون أزرق زاهٍ الزجاج. وكان هناك عروق من لون أخف أيضاً، تقريباً بنفسجي، ولون أزرق سماوي عميق. كان الدفق التياري ضخماً وبرّاقاً وفي كل مكان، وكأنك ملفوف بين ذراعي أحد الآلهة.

بعض الأشخاص مدوا أيديهم إلى الأعلى كنوع من الطقوس، وآخرون خروا على ركبهم، وآخرون قبضوا على صدورهم أو معداتهم. ولمعت يدا أحد الرجال باللون الأزرق مثل الدفق التياري نفسه، وكانت هناك كرات صغيرة مثل حشرات فينزو تسبح حول رأس إحدى النساء. أصبح الدفق التياري فوضوياً.

فكّر أكوس بالإزهار. لم يكن الثوفيون معبّرين بقدر تعبير الشوتيت أثناء طقوسهم، لكنّ الشعور به كان مماثلاً. الاجتماع من أجل الاحتفال بشيء يحصل لهم فقط، من بين كل الناس في المجرة، وفي وقت معين فقط. والاحترام الذي يحملونه تجاهه، بسبب نوع جماله الخاص.

يعلم الجميع أنّ الشوتيت يتبعون الدفق التياري حول الفضاء كعمل إيماني، لكن حتى ذلك الوقت، لم يكن أكوس يعلم لماذا، عدا أنهم شعروا بأنهم مجبرون على ذلك. لكن ما إن ترى ذلك عن قرب، كما اعتقد، كان من المستحيل تخيّل الحياة من دون رؤيته مرة أخرى.

رغم ذلك، شعر بأنه مُنفصل، ليس فقط لأنه ثوفي وهم شوتيت، بل لأنَ باستطاعتهم الشعور بطنين التيار وهو لا يستطيع. لم يكن التيار يعبر من خلاله. بدا وكأنه لم يكن حقيقياً مثلهم، وكأنه ليس حياً.

وبينما كان يفكر، مدّت سايرا يدها. فأمسك بها، كي يريحها من الظلال، وارتعش لرؤية الدموع في عينيها، لم يعرف سببها أهي من الألم أو من التعجّب.

ثم قالت شيئاً غريباً، لاهثةً وباحترام: «تبدو مثل الصمت».

كانت أخبار المجلس تُعرض على شاشة سايرا في مقر إقامتها عندما عادا.

ظنّ أكوس أن سايرا تركتها تعمل بالخطأ، وعندما ذهبت سايرا إلى الحمام، تحرّك كي يُطفئها. لكن قبل أن يتمكن من الضغط على الزر، انتبه إلى العنوان في أسفل الشاشة: الكهنة يجتمعون في تيبيس. جلس أكوس على طرف سرير سايرا، فربما يرى أمه.

لقد حاول معظم الوقت أن يقنع نفسه أنّها وسيسي قد ماتتا. فذلك أسهل من أن يتذكر أنهما ليسا كذلك، وأنه لن يكون باستطاعته رؤيتهما مرة أخرى، بقدره الذي هو عليه. لكن لم يكن باستطاعته إجبار نفسه على تصديق كذبته. لقد كانتا هناك، في الطرف المقابل للعشب الريشي تماماً.

كانت المشاهد في نشرة الأخبار موجهة عن تيبيس. وهو الكوكب الأقرب إلى الشمس، الكوكب الناري بالنسبة إلى كوكبهم الجليدي. علم أكوس أنه يجب على الشخص ارتداء رداء خاص كي يستطيع المشي هناك، وكأنه ليس باستطاعته المشي في الخارج في الزمن المتلاشي في هيسا دون أن تتجمّد حتى الموت. لم يستطع تخيّل ذلك –لم يستطع تخيّل جسده يحترق بتلك الطريقة.

قال صوت المُعلّق باللغة الأوثيرية: «يحظر الكهنة التدخل الخارجي في جلساتهم، لكنّ هذه الصور كانت مُرسلة من طفل محلي عند وصول السفن الأخيرة». معظم بث المجلس كان باللغة الأوثيرية بما أنّ معظم الناس ما عدا الشوتيت يفهمونها. «وتشير مصادر داخلية إلى أن الكهنة سوف يناقشون مجموعة أخرى من القيود القانونية التي فرضها المجلس في الأسبوع الماضي، عندما اقترب المجلس من طلب بث مناقشات الكهنة بشكل علني».

كانت تلك شكوى قديمة لأمه، إذ إنّ المجلس كان يحاول دائماً التدخل بالكهنة، فقد أرادهم أن يعلموا أنّ هناك شيئاً واحداً بقي في المجرة ليس باستطاعتهم تنظيمه. ولقد عرف أنّ أقدار العائلات المُفضّلة، ومستقبل الكواكب في تنوعاته اللانهائية، ليس بالأمر التافه. ربما اعتقد أنّ بعض التنظيم لن يضرّ الكهنة، وبدا ذلك مثل خيانة.

لم يتمكن أكوس من قراءة معظم حروف الشوتيت أسفل الشاشة التي تُترجم

صوت التعليق. فقط تلك المُتعلقة بالكهنة والمجلس. قالت سايرا إنّ هناك شيئاً ما في شخصية الشوتيت بخصوص المجلس يعبّر عن مرارتهم لعدم اعتراف المجلس بهم. فالقرارات حول الكوكب الذي يتشاركه الثوفيون والشوتيت – بشأن التجارة أو المساعدات، أو السفر – كان يُحدّدها الثوفيون وحدهم، تاركين الشوتيت تحت رحمة أعدائهم. ولذلك افترض أكوس أن لديهم ما يكفي من الأسباب التي تجعلهم يشعرون بالمرارة.

سمع خرير الماء؛ كانت سايرا تستحم.

لقد أظهرت صور تيبيس سفينتين. ومن الواضح أنّ الأولى لم تكن ثوفية – فهي ملساء جداً لتكون كذلك، بشكلها الانسيابي وألواحها الكاملة. لكنّ الأخرى بدت مشابهة لسفينة ثوفية، فحارقات الوقود مصفحة ضدّ البرودة بدلاً من الحرارة مع نظام تهوية. مثل الخياشيم كما كان يعتقد.

فُتحت كوّة تلك السفينة وهبطت منها إحدى النساء الرشيقات التي ترتدي بذلة عاكسة. وعندما لم ينضم إليها آخرون، عرف أنها يجب أن تكون سفينة ثوفية. ففي النهاية، لكل أمة كوكبية ثلاثة كهنة، ماعدا ثوفية. فبوجود إيجيه في الأسر والكاهنة الهابطة ماتت في غزو الشوتيت، لم يبقَ سوى أم أكوس.

غمرت الشمس السماء في كوكب تيبيس وكأنّ الكوكب كله ضمن النار، بألوان زاهية. وكانت الحرارة تنبعث من سطح الكوكب على شكل تموجات. لقد تعرّف على مشية أمه وهي تتحرك في الطريق إلى الدير حيث يجتمع الكهنة. ثم اختفت وراء أحد الأبواب وانقطعت الصورة، وانتقلتِ إلى أحد المجاعات في واحد من الأقمار الخارجية.

لم يكن يعرف كيف يجدر به أن يحس. لقد كانت أول لمحة حقيقية له عن الوطن منذ مدة طويلة جداً. لكنها كانت أيضاً لمحة عن المرأة التي لم تُحذّر عائلتها حقيقةً عما كانت تعرف بأنه قادم. والتي حتى لم تُظهر نفسها. لقد تركت زوجها يموت، وتركت الكاهنة الهابطة تُضحي بنفسها، وتركت ابناً –أفضل سلاح بيد رايزك الآن– يُختطف، بدل أن تقدّم نفسها مكانه. قال أكوس في نفسه،

اللعنة على الأقدار. فمن المُفترض أن تكون أمهم.

فتحت سايرا باب الحمام لتدع البخار يخرج، وتركت شعرها ينسدل فوق إحدى كتفيها. وفي هذا الوقت كانت ترتدي ملابس تدريب داكنة اللون.

سألته وهي تتبع نظرته إلى الشاشة: «ماذا هناك؟ أوه، أنت... رأيتها؟».

أجاب أكوس: «أعتقد ذلك».

قالت: «أنا آسفة، أعلم أنك تتجنّب الشعور بالحنين إلى الوطن».

الحنين إلى الوطن هي عبارة خاطئة. الضياع هي الكلمة الأصح؛ الضياع في العدم، بين أناس لا يفهمهم، بلا أمل في إعادة أخيه إلى الوطن سوى بقتل سوزاو كوزار حالما يُصبح ذلك شرعياً مرة أخرى.

وبدل أن يخبرها كل ذلك، قال: «كيف تعرفين ذلك؟». فرفعت إحدى كتفيها. «نحن لم نتكلّم بالثوفية رغم أنك تعرف أنّ بإمكاني التحدث بها. إنه السبب نفسه الذي يجعلني لا أحتفظ بأي شيء حولي يشبه أمي. أحياناً، من الأفضل... الاستمرار إلى الأمام فقط».

توارت سايرا في الحمام مرة أخرى. شاهدها وهي تنحني قريباً من المرآة لتفقأ إحدى البثرات على ذقنها. وتُنشّف الماء عن جبهتها وعنقها. الشيء نفسه الذي تفعله دائماً.

الفصل الثامن عشر | سايرا

قالت أوتيجا: «اتبعيني»، عندما التقيتُ بها خارج المطابخ تلك الليلة. وفي قبضتها سكين المُنشقة، والشريط الأبيض ظاهر بين أصابعها. لقد وجدتُ المُنشقة التي أبحث عنها.

وضعتُ غطاء رأسي ومشيتُ متبعةً خطواتها. كنتُ مغطاة بشكل جيد -السروال في داخل الحذاء الطويل، وكما السترة يغطيان يديّ، وغطاء الرأس يخفي وجهي -حتى لا يعرفني أحد. فليس كل الشوتيت يعرفون شكلي، بما أنّ وجهي لا يُغطي كل الأبنية العامة وكل الغرف الهامة كما هي الحال بالنسبة إلى رايزك، لكن ما إن يروا الظلال التيارية تتجمع في خدي أو ثنية ذراعي، كانوا يعرفونني. لم أكن راغبة أن يتعرف عليّ أحد اليوم.

خرجنا من جناح نوفاك، وتجاوزنا حلبات التدريب العامة والمسبح - حيث باستطاعة الشوتيت الصغار تعلّم السباحة تحضيراً لرحلات الإقامة المؤقتة إلى الكوكب المائي - ومررنا بالكافيتريا التي تنبعث منها رائحة الخبز المحروق، وعدد من حجرات البوابين. وبحلول الوقت التي تباطأت فيه مشية أوتيجا وأحكمت قبضتها على سكين المُنشقة، كنا قد مشينا كل الطريق حتى وصلنا إلى مكان المحركات.

كان المكان صاخباً جداً لقربنا من المحركات، وتوجب علينا الصراخ إن أردنا التكلم كي نستطيع سماع بعضنا، وكانت رائحة الزيت تعبق في الأجواء.

أخذتني أوتيجا بعيداً عن الضجيج بعض الشيء إلى مقر إقامة الفنيين قرب رصيف التحميل. كان أمامنا ممر طويل وضيق فيه مداخل من كلا الجانبين كل عدة أقدام، مدون عليها أسماء. بعضها كان مُزيناً بسلاسل من أضواء فينزو أو مصابيح تعمل بالحجر الناري بجميع الألوان المختلفة، أو بملصقات لرسمات كوميدية مرسومة على صفحات مخططات المحرك، أو بصور نافرة للعائلة والأصدقاء. شعرتُ أنني أدخل عالماً آخر، عالماً منفصلاً كلياً عما أعرفه بأنه شوتيتي. تمنيتُ لو أنّ أكوس هنا ليراه. لكان أحبّ وجوده هنا.

توقّفتْ أوتيجا عند باب مُزيّن بشكل طفيف قرب نهاية الممر. وفوق الاسم «سوروكتا» هناك حزمة من العشب الريشي المُجفّف مُثبّتة في مكانها بتعويذة معدنية. كان هناك بضع صفحات مما بدا أنه كُتيّب فني، مكتوب بلغة أخرى. لغة بيثار إذا كان تخميني صحيحاً. وذلك محظور قانونياً –امتلاك وثائق بلغة أخرى لأي غاية سوى الترجمة الموافق عليها حكومياً كان غير قانوني. لكن هنا، كنتُ واثقة من أن أحداً غير مهتم بتطبيق أشياء كهذه.

قالت أوتيجا وهي تطرق الباب برأس السكين: «هي تعيش هنا، رغم أنها ليست هنا الآن. لقد تبعتها إلى هنا هذا الصباح».

قلتُ لها: «إذاً، سوف أنتظرها، شكراً لمساعدتك يا أوتيجا».

«هذا من دواعي سروري، أعتقد أنه نادراً ما نتقابل».

«إذاً، تعالي لرؤيتي».

هزّت أوتيجا رأسها بالنفي وقالت: «الخيط الذي يفصل عالمك عن عالمي ثخين»، أعطتني السكين وقالت: «كوني حذرة».

ابتسمتُ لها بينما كانت تبتعد عني، وعندما اختفت خلف الزاوية في نهاية الممر، حاولتُ فتح باب المُنشقة، لم يكن مقفلاً. كنتُ أشكّ أن عودتها ستطول.

الداخل كان أحد أصغر مساحات المعيشة الذي وقفت فيه على الإطلاق؛

مغسلة محشورة في إحدى الزوايا، وسرير في زاوية أخرى. وتحت السرير هناك صندوق مقلوب مغطى بأسلاك ومفاتيح وبراغٍ. وعلى الجدار شريط مغناطيسي يحمل أدوات صغيرة جداً شككت أنني أعرف استخدامها. وبجانب السرير هناك صورة.

ملتُ كي أنظر إليها عن قرب. كانت صورة فتاة صغيرة ذات شعر أشقر طويل وذراعاها تطوقان امرأة ذات شعر فضي لامع لدرجة بدا مثل قطعة نقود. وبجانبهما فتى صغير يُظهر تعابير مضحكة على وجهه، ولسانه يخرج من طرف فمه. وفي خلفية الصورة يوجد عدة أشخاص –بشعر باهت على الأغلب مثل البقية –وجوههم غير واضحة.

سوروكتا، هل كان ذلك الاسم مألوفاً، أو هل كنتُ أخدع نفسي فقط؟

فُتح الباب من ورائي.

كانت صغيرة الحجم ونحيلة، كما كنتُ أذكرها تماماً. لم تكن بذلتها المكونة من قطعة واحدة مُزرّرة إلى الخصر، وكانت ترتدي أسفها قميصاً عديم الكمين. ولها شعر أشقر لامع مشدود للخلف، وكانت ترتدي عصابة على عينها.

«ماذا –».

انفردت أصابعها مشدودةً على خاصرتيها. كان هناك شيء ما في جيبها الخلفي –أدوات من نوع ما. راقبتُ يدها وهي تتحرك نحوها، ببطء، محاولةً إخفاء الحركة عني.

قلتُ لها: «هيا اسحبي مفك البراغي أو مهما يكن هناك، فأنا سعيدة بهزيمتك خلال ثانية».

كانت عصابة عينها سوداء، وغير ملائمة، فهي كبيرة جداً على وجهها. لكنّ عينها الأخرى كانت باللون الأزرق اللامع الذي أتذكره من الهجوم.

قالت: «إنه ليس مفك براغي، بل هو مفتح ربط، ما الذي تفعله سايرا نوفاك في مكان معيشتي المتواضع؟».

أنا لم أسمع اسمي يُلفظ بهذا الغل من قبل. وهذا كان يعبر عن شيئاً ما.

كانت متمرسة في إخفاء ارتباكها، ولو لم أكن واثقة أنها هي كانت لتخدعني. وبالرغم ما أكّده رايزك، فقد كنتُ قادرة على اكتشاف الخفايا.

سألتها: «ما اسمك؟».

تقدّمت نحوي أكثر وأغلقت الباب خلفها: «أنتِ التي اقتحمتِ مسكني وتريدين مني إخبارك باسمي؟».

كانت أقصر مني بكثير، لكنّ حركاتها كانت قوية ورشيقة. لم أشكّ أنها مقاتلة موهوبة، ومن المحتمل أنه لهذا السبب أرسلها المُنشقون خلفي في تلك الليلة. تساءلتُ فيما إذا أرادوها أن تقتلني. لم يكن هذا مهماً بعد الآن.

«تيكا سوروكتا».

وضعتُ سكينها على طرف المغسلة: «حسناً يا تيكا سوروكتا، أظنّ أنّ هذه تخصّك. وأنا أتيتُ لأُعيدها لك».

«أنا... لا أعرف عما تتكلمين».

«أنا لم أُسلّمكِ في تلك الليلة، إذاً ما الذي يجعلك تظنين أني سأُسلّمكِ الآن؟». حاولتُ أن أنحني مثلها، لكني لم أشعر بأنّ الوضع طبيعي بالنسبة إليّ. فقد علمني أبي وأمي أن أقف منتصبة، وركبتاي مشدودتان، واليدان مضمومتان عندما لا أستخدمهما. فلم يكن هناك مثل هكذا أحاديث عرضية عندما تكون أحد أفراد عائلة نوفاك، ولذا لم أتعلم أبداً هذا الفن.

لم تعد تبدو مرتبكة.

قلتُ لها مُلمحةً إلى الأدوات الدقيقة المعلقة مغناطيسياً على الجدار، «أتعلمين، ربما كان لديك حظ أفضل لو حملتِ معك بعضاً من أدواتك التي هناك كسلاح بدلاً من ذلك... الشيء الملفوف بشريط، فهي تبدو حادة مثل إبر».

أجابت تيكا: «إنها ذات قيمة عالية جداً، ما الذي تريدينه مني؟».

«أفترض أنّ هذا يعتمد على الجماعة التي تنتمين إليها». كان كل ما حولي عبارة عن صوت مياه مُنقّطة وأنابيب تحتك ببعضها. وكل شيء تنبعث منه رائحة العفونة والرطوبة الشديدة، مثل قبر. «إذا لم تؤدِ الاستجوابات إلى نتائج حقيقية

خلال الأيام القليلة القادمة، سيقوم أخي بتزييف الدلائل ويعدم بعض الأبرياء، فهو لا يقيم لبراءتهم شأناً».

قالت تيكا: «يدهشني اهتمامك، ألا يفترض بك أن تكوني سادية».

شعرتُ بألم حاد عندما انقضّت الظلال التيارية عبر خدّي وانتشرت عبر صدغي. رأيتُ ذلك على محيطي الخارجي، فكتمتُ الدافع للارتجاف جراء الألم الذي جلبه، وشعرت بألم حاد في جيوبي الأنفية.

قلتُ مُتجاهلةً تعليقها: «يفترض أنكم جميعاً تعرفون العواقب المحتملة لأفعالكم عندما اشتركتم بها، مهما تكن القضية التي تجمعكم، وأين يكن الأشخاص الذين سيختارهم أخي لتلقّي العقوبة لن يكونوا من ارتكب هذه المخاطرة المحسوبة. سوف يموتون لأنكم أردتم تنفيذ خدعة على رايزك نوفاك».

قالت تيكا: «خدعة؟ أهذا ما تسمين به الحقيقة؟ زعزعة استقرار نظام أخيكِ؟ وإظهار أنّ بإمكاننا التحكم بحركة السفينة نفسها؟».

قلتُ لها: «بالنسبة إلى أهدافنا، نعم». انتقلت الظلال التيارية إلى أعلى ذراعي وتجمّعت حول كتفي، وظهرت من خلال قميصي الأبيض. كانت عينا تيكا تتبعها. جفلتُ ثم تابعتُ: «إذا كان موت شخص بريء يعنيكِ، أقترح أن تأتي باسم حقيقي وتعطيني إياه بنهاية هذا اليوم. وإذا لم يعن لك الأمر، سأترك رايزك يختار هدفه فقط. الأمر منوط بك كلياً أما بالنسبة إليّ فالأمر سيان».

قالت: «حسناً، اللعنة».

بعد دقائق تبعتُ تيكا سوروكتا عبر نفق الصيانة باتجاه رصيف التحميل. كنتُ أقفز عند كل صوت ضجة، وكل صرير، ما يعني أني في هذا الجزء من السفينة كنتُ أقفز طوال الوقت. كان الضجيج الصاخب يعم المكان، رغم أننا كنا بعيدين عن معظم سكان السفينة.

كنا فوق منصة معدنية مرفوعة، عريضة بما يكفي ليمر اثنان نحيلان معاً في حال شدّا معدتيهما، معلّقة فوق كل الآلات وخزانات الماء والأفران والمحركات التيارية التي تُبقي السفينة في حالة حركة وصالحة للسكن. وإذا ما تُهتُ وسط

المسنّنات والأنابيب، لما كان بمقدوري إيجاد طريقي للخروج من هناك أبداً.

قلتُ لها: «أتعلمين، إذا كانت خطتكِ هي أن تُبعديني عن معظم الناس بحيث يمكنكِ قتلي، فربما تجدين أنّ ذلك أكثر صعوبة مما تتخيلين».

قالت تيكا: «أودّ أن أرى ماهيتك أولاً، فأنتِ لستِ كما توقّعتُ تماماً»

قلت بتجهّم: «أفترض أنه سيكون من المضيعة للوقت بالنسبة إليّ أن أسألكِ كيف نجحتِ في تعطيل إضاءة السفينة».

«لا، هذا سهل». توقفت تيكا، ولمست الجدار براحة يدها، وأغلقت عينيها، فبدأت الأنوار التي فوقنا تماماً، والموضوعة في أقفاص معدنية لحمايتها، بالوميض. مرة، ثم ثلاث مرات، بالإيقاع نفسه الذي سمعته يُتكتك عندما هاجمتني.

قالت تيكا: «أي شيء يعمل بالتيار. باستطاعتي تخريبه، ولهذا أنا أعمل كفنيّة. لسوء الحظ، تعمل خدعة (الضوء) هذه في سفينة الإقامة المؤقتة فقط. كل الأضواء في فوا هي فينزو أو حجر ناري، ولا أستطيع تخريبها».

«إذاً، لابدّ وأنك تحبين سفينة الإقامة المؤقتة كثيراً».

قالت: «من الخانق قليلاً أن تعيشي في غرفة بحجم خزانة على هذه السفينة».

وصلنا إلى منطقة مفتوحة، وهي عبارة عن شبك حديدي فوق أحد محولات الأوكسجين، والتي كانت أعلى من قامتي بثلاث مرات، وأعرض من محيطي بمرتين. هنا يعالج غاز ثاني أوكسيد الكربون الذي نُطلقه، ويُسحب عبر منافذ التهوية في السفينة، ثم يحول عبر عملية معقدة لم أفهمها. لقد حاولتُ أن أقرأ عنها في رحلة إقامتي المؤقتة الماضية، لكنّ اللغة كانت فنية كثيراً بالنسبة إليّ. فقليلة هي الأشياء التي أستطيع أن أكون خبيرةً فيها.

قالت: «ابقي هنا، سأذهب لإحضار أحد الأشخاص».

سألتها: «أبقى هنا؟». لكنها كانت قد غادرت.

عندما كنتُ أقف على الشبك الحديدي، تجمّعت قطرات العرق أسفل ظهري. كنت أستطيع سماع وقع خطوات تيكا، لكن بسبب الصدى لم أستطع

تحديد أي اتجاه تسلك. هل ستجلب معها مجموعة من المُنشقين كي تُنهي ما بدأته أثناء الهجوم؟ أو أنها صادقة بقولها إنها لا تريد قتلي بعد الآن؟ لقد أصبحت في هذا الوضع بشكل عفوي ولم أهتم بما يكفي لسلامتي الشخصية، حتى إنني لم أكن أعرف لماذا، سوى أني لم أرغب بمشاهده إعدام أحد الأبرياء في حين أنّ هناك كثيراً من المذنبين الذين يختفون بعيداً.

عندما سمعتُ وقع الأقدام على السلالم المعدنية، التفتُ لأرى امرأة نحيلة وطويلة لكنها أكبر في العمر تمشي باتجاهي. كان شعرها يلمع مثل واجهة عوامة نقل. كانت تلك التي تظهر في الصورة التي بالقرب من سرير تيكا.

قالت: «مرحباً آنسة نوفاك، اسمي زوسيتا سوروكتا». كانت زوسيتا ترتدي الملابس التي ترتديها ابنتها، بنطالها مرفوع ويُظهر كاحليها. وهناك خطوط عميقة على جبهتها جراء عمر بحاله من العبوس. وشيء ما فيها ذكّرني بأمي، واثقة من نفسها وأنيقة وخطيرة. لم يكن من السهل إخافتي، لكنّ زوسيتا أخافتني. فانتقلت ظلالي بشكل أسرع من المعتاد، مثل التنفس، ومثل الدم.

سألتها: «هل سبق لي أن تعرفت إليك في مكان ما؟ فاسمكِ يبدو مألوفاً بالنسبة إليّ».

أمالت زوسيتا رأسها مثل أحد الطيور. «لستُ أعرف كيف لي أن أتعرّف إلى سايرا نوفاك قبل الآن».

لم أصدقها تماماً. كان هناك شيء ما في ابتسامتها.

سألتها: «هل أخبرتكِ تيكا لماذا أنا هنا؟».

أجابتني زوسيتا: «نعم، رغم أنها لا تعرف بعد ما الذي سوف أفعله لاحقاً؛ سأسلم نفسي».

قلتُ وأنا أزدرد ريقي بصعوبة: «عندما سألتها عن أحد الأسماء، لم أكن أتوقع أنه سوف يكون لأمها...».

قالت زوسيتا: «جميعنا مستعدون لمواجهة عواقب أفعالنا، سوف أتحمّل كامل المسؤولية عن الهجوم، وسوف يكون ذلك قابلاً للتصديق، بما أني من

الشوتيت المنفيين. لقد اعتدتُ على تعليم صغار الشوتيت كيف يتحدثون باللغة الأوثيرية».

كان بعض الشوتيت الكبار في العمر لايزالون يعرفون لغات أخرى، ففي الماضي كان التحدث بها قانونياً. ولم يكن أبي أو رايزك يستطيعان القيام بالكثير بشأن ذلك – لم يكن بإمكانهما إجبار أحد على عدم تعلّم شيء ما. وكنتُ أعرف أنّ بعض الكبار كانوا يعلمون اللغات في صفوف، وكانوا يعرفون أن قيامهم بذلك قد يؤدي إلى نفيهم، لكنني لم أظن أني سوف ألتقي بأحدهم.

أمالتْ رأسها إلى الجهة الأخرى هذه المرة وأضافت: «بالطبع، كان صوتي هو الذي سُمع عبر شبكة الاتصال الداخلية».

تنحنحتُ قائلةً: «أتعلمين... أتعلمين أنّ رايزك سوف يعدمك بشكل علني؟».

«أعلم ذلك يا آنسة نوفاك».

جفلتُ حال انتشار الظلال التيارية وقلتُ: «حسناً، هل أنتِ مستعدة لتحمّل الاستجواب؟».

رفعت حاجبها وقالت: «أفترض أنه لا داعي لاستجوابي إن أتيتُ بملء إرادتي».

«إنه مهتم بمستعمرة المنفيين. سوف يحصل على كل المعلومات التي يستطيع استخراجها منكِ قبل أن...». لقد علقت كلمة يعدمكِ في حنجرتي.

قالت زوسيتا: «يقتلني، يا للمفاجأة، آنسة نوفاك. حتى أنك لا تستطيعين لفظ الكلمات؟ هل أنتِ بهذه الرقة؟».

تحوّلت عيناها إلى الدرع الذي يغطي ذراعي الموسومة بالعلامات.

انتفضتُ قائلةً: «لا».

قالت زوسيتا بشكل أكثر لطافة بقليل: «هذه ليست إهانة، فالقلوب الرقيقة تجعل الكون مكاناً يستحق العيش فيه».

وبشكل غير مُتوقَع، فكّرتُ بأكوس، وهو يهمس معتذراً باللغة الثوفية، بشكل غريزي، عندما لمسني وهو يمر بجانبي في المطبخ. لقد عرضتُ كلماته اللطيفة مراراً وتكراراً في ذهني تلك الليلة، وكأنها موسيقى لا أستطيع إخراجها من رأسي. لقد وقعت في نفسي بالسهولة نفسها الآن.

قلتُ: «أنا أعرف ما هو الشعور بفقدان الأم، ولا أتمناه لأحد، حتى لمتمردين بالكاد أعرفهم».

افترت شفتا زوسيتا عن ابتسامة خجولة وهي تهزّ برأسها.

قلتُ بشكل دفاعي: «ماذا؟».

قالت: «أنا... احتفلتُ بموت أمكِ». فأصابني الجمود.

«كما احتفلتُ بموت أبيكِ، وسوف أحتفل بموت أخيكِ. وربما سأحتفل بموتكِ». مرّرت أصابعها على السياج المعدني بجانبها. فتخيّلتُ بصمات أصابع ابنتها وهي تضغط هناك قبل دقائق، والآن تمسحها بلمسة منها. «يا له من شيء غريب أن تدرك أن أسوأ أعدائك محبوبون من قبل عائلاتهم».

أردتُ أن أُزمجر بقولي، أنتِ لم تعرفي أمي. وكأنّ ما تظنه هذه المرأة بإليرا نوفاك مهم، الآن أو في أي وقت على الإطلاق. لكنّ زوسيتا كانت قد تلاشت جزئياً في ذهني، مثل خيالها. وهي تزحف في هذه اللحظة نحو موتها. ومن أجل ماذا؟ من أجل ضربة مُوجّهة بدقة نحو أخي؟ لقد وقع اثنان من المُنشقين في قبضة فاس جراء ذلك الهجوم. فهل كان ذلك يستحق حياتهما؟

قلتُ بتجهّم: «هل الأمر مهم؟ لكي تفقدي حياتك من أجله؟».

كانت لاتزال تبتسم بتلك الابتسامة الغريبة نفسها.

قالت: «بعد أن فررتُ من الشوتيت، استدعى أخوكِ ما تبقى من عائلتي إلى منزله، وأنا كنتُ أعتزم الإرسال في طلب أطفالي عندما أصل إلى مكان آمن، لكنه وصل إليهم قبلي. فقتل ابني الكبير، واقتلع عين ابنتي جراء تهمة لم يكن لهما يد فيها». ابتسمت مرة أخرى ثم تابعت: «وكما ترين، أنتِ لستِ مصدومة حتى. فلا شك أنكِ رأيته ومن قبله والده يفعل أسوأ من ذلك. نعم ذلك يستحق. وهو بهذه

الأهمية للاثنين اللذين ماتا في محاولة قتل خادم أخيكِ. وأنا لا أتصور إمكانية أن تفهمي ذلك».

وقفنا هناك طويلاً، ولم يكن سوى همهمة الأنابيب وصوت الخطى البعيدة لتكسر الصمت. كنتُ شديدة الارتباك، وشديدة التعب لأُخفي جفلتي ورجفاني بينما تقوم هبتي التيارية بعملها.

قالت زوسيتا: «ولكي أُجيب عن سؤالك، نعم، أستطيع تحمل الاستجواب، فهل باستطاعتك الكذب؟» ابتسمتْ بتكلّف مرة أخرى. «أعتقد أنّ هذا سؤال سخيف. هل ستكذبين؟».

تردّدتُ في الإجابة.

متى أصبحتُ نوعاً من الأشخاص الذين يساعدون المُنشقين؟ فهي لتوها أخبرتني بأنها ستحتفل بموتي. فعلى الأقل يريد رايزك أن يحافظ على حياتي. ما الذي سوف يفعله المُنشقون بي في حال نجاحهم بقلب حكم أخي؟

بطريقة ما، لم أكن مهتمة.

«أقول الأكاذيب بشكل أفضل مما أقول الحقيقة». كان ذلك اقتباساً من أحد الأشعار التي قرأتها على جدار أحد الأبنية خلال واحدة من نزهاتي مع أوتيجا. أنا من الشوتيت. حاد كزجاج مُكسَّر، وهش بمقدار هشاشته. أكذب بشكل أفضل مما أقول الحقيقة. أنا أرى كل المجرة مع أني لم ألمحها أبداً.

قالت زوسيتا: «إذاً، دعينا نذهب لنُخبر بعض الأشخاص».

الفصل التاسع عشر
أكوس

انحنى أكوس فوق الوعاء، مُتّكئاً على الفرن في غرفته الصغيرة في سفينة الإقامة المؤقتة، واستنشق بعضاً من الدخان الأصفر، فأصبح كل شيء أمامه ضبابياً. هوى رأسه نحو الطاولة، ولكنه تدارك الأمر قبل أن يرتطم بها.

قال في نفسه، إذاً، هذا قوي بما يكفي. جيد.

كان عليه أن يطلب من سايرا أن تجلب له إحدى أوراق النبات لتعزيز فعالية الدواء، ليكون مفعوله أسرع. لقد اختبر الدواء بنجاح في الليلة الماضية، فغرق في النوم حالما شربه، حتى أنّ الكتاب الذي كان يقرؤه انزلق من بين يديه.

أطفأ الفرن ليبرد الإكسير، ثم ارتعش لسماع صوت طرق على الباب، فنظر إلى الساعة. لقد كان أكثر انتباهاً لإيقاع العالم من حوله في ثوفية، فهو مُظلم في وقت التلاشي وساطع عند الاستيقاظ. أما هنا، ومن دون شروق وغروب الشمس لإرشاده، فقد كان دائم النظر إلى الساعة. كانت تشير إلى الخامسة؛ إنه وقت جوريك.

عندما فتح الباب وجد الحارس يقف متوتراً، وجوريك خلفه.

قال الحارس: «كيرسيث، يطلب هذا الشخص رؤيتك».

قال أكوس: «نعم».

قال الحارس باستهزاء: «لم أكن أعتقد أنّ باستطاعتك استقبال الزوار، فهذا ليس مقر إقامتك، أليس كذلك؟».

قال جوريك وهو يُشدّد على كنيته: «اسمي جوريك كوزار. فاغرب عن وجهي».

نظر الحارس إلى زي جوريك الخاص بالميكانيكيين، ورفع حاجبيه.

قال أكوس: «ترفّق به يا كوزار، فهو مُكلّف بأكثر أنواع العمل مللاً: حماية سايرا نوفاك».

عاد أكوس إلى غرفته الضيقة التي تنبعث منها رائحة التخمير الدوائية. غمس إحدى أصابعه في المزيج ليتفحّص درجة حرارته. كان لايزال دافئاً، لكنه بارد بما يكفي ليُوضع في قارورة. فمسح إصبعه ببنطاله لأنه لا يريد لجلده أن يمتصّه. ثم بحث في الأدراج عن قارورة نظيفة.

كان جوريك يقف عند المدخل محدقاً، ويده خلف عنقه كالعادة.

سأله أكوس: «ماذا؟». ثم أخرج قطّارة ومس بها الدواء.

أجابه جوريك: «لا شيء... كل ما في الأمر أنني لم أتوقع أن تكون غرفة سايرا نوفاك بهذا الشكل».

همهم أكوس بعض الشيء -هو أيضاً لم يكن يتوقع ذلك - وهو يفرغ الإكسير الأصفر من القطّارة في القارورة.

سأله جوريك: «أنتما لا تنامان في السرير نفسه؟».

قال أكوس بتجهّم وقد ارتفعت حرارة خدّيه، «كلا. لماذا؟».

هزّ جوريك كتفيه قائلاً: «الشائعات. أعني أنكما تعيشان معاً، وتلمسان بعضكما».

قال أكوس: «أنا أُساعد في تخفيف ألمها».

«ومقدّر لك أن تموت من أجل عائلة نوفاك».

انتفض أكوس قائلاً: «شكراً لك على تذكيري بذلك فقد كدتُ أنساه. هل تريد مساعدتي أم لا؟».

تنحنح جوريك وقال: «نعم، أنا آسف. هل أستعمل هذه القارورة بالطريقة نفسها التي استعملت بها سابقتها؟».

لقد سبق له أن زوده بجرعة واحدة من قبل. إذ إنّ جوريك أعطى سوزاو جرعة دواء مُنوّم كي يسقط وهو يتناول فطوره. وهذا ما جعل سوزاو يستشيط غضباً، ويبحث عن الشخص الذي خدّره وأحرجه أمام الجميع. شعر أكوس أن الأمر لن يطول بسوزاو قبل أن يعرف أن له يداً في الأمر ويدعوه لنزال حتى الموت – لم يكن سوزاو رجلاً عاقلاً تماماً – لكنه لم يُرد أن يُخاطر، لذلك جعل جوريك يخدر والده مرة أخرى، كي يكون متأكداً تماماً. على أمل أنّ هذا سيهيج سوزاو، وبعد الانتهاء من البحث عن الأشياء المفيدة، يستطيع أكوس الاعتراف أنه كان وراء عمليات التخدير تلك، ومن ثم ينازله في الحلبة.

قال أكوس: «قبل يومين من بدء البحث، دُسّها في دوائه، واترك الباب مفتوحاً كي يبدو الأمر وكأنّ أحداً ما دخل من الخارج، وإلا سيشكّ بك».

قال جوريك بعد أن أخذ القارورة وتحسّس السدادة بإبهامه: «إنك محق، وبعدها...».

قال أكوس: «الأمور تحت السيطرة، فبعد الانتهاء من البحث عن الأشياء المفيدة، سوف أُخبره أنني أنا من كنت أخدره، وعندها سيتحداني ويدعوني إلى نزال، وعندها سأنهي الأمر». عضّ جوريك على شفته بقوة وقال: «هذا جيد».

«هل أمك بخير؟».

«أمممم...». نظر جوريك بعيداً، إلى ملاءات سايرا المُجعّدة وإلى مصابيح الحجر الناري المصفوفة على شكل سلسلة فوق السرير: «نعم، ستصبح بخير».

قال أكوس: «هذا جيد، من الأفضل أن تذهب».

وضع جوريك القارورة في جيبه، وبدا لأكوس أنه لا يريد الذهاب حقاً. فقد تلكّأ عند طرف الطاولة، وهو يكشطها بطرف إصبعه الذي ربما أصبح لزجاً. فلم تكن سايرا ولا أكوس مهتمين كثيراً بالتنظيف.

أخيراً، عندما فتح جوريك الباب، كان إيجيه وفاس عند المدخل وهما على وشك الدخول.

كان شعر إيجيه طويلاً بما يكفي لربطه، ووجهه ناتئ العظام. لقد بدا أكبر من أكوس بعشرة مواسم بدلاً من اثنين. ولدى رؤيته شعر أكوس بدافع قوي ليمسك به ويهربان معاً. لكن أفق الهرب كان مسدوداً لأنهما في سفينة فضائية بحجم مدينة عند طرف المجرة، لكن أكوس كان يتوق للهرب رفقة أخيه بشدة. لقد رغب أكوس بأشياء كثيرة لم يكن باستطاعته الحصول عليها في الوقت الحالي.

سأل فاس: «جوريك يا للعجب! ماذا تفعل هنا؟».

أجابه جوريك من دون تردّد: «اليوم تلاكمت وأكوس». كان بارعاً في الكذب. اعتقد أكوس بأنه يجب أن يكون كذلك، لترعرعه في عائلة كعائلته، مع كل هؤلاء الناس من حوله. «أردت التأكد إن كان يستطيع التعارك في جولة أخرى».

ضحك فاس قليلاً: «ملاكمة مع كيرسيث؟ حقاً؟».

قال أكوس وكأنّ الأمر لا يهمّه: «الجميع يحتاج إلى هواية ما، ربما نُخمّر شيئاً ما غداً يا جوريك».

لوّح جوريك بيده ومشى مبتعداً بشكل سريع. فانتظر أكوس حتى دلف وراء الزاوية قبل أن يلتفتَ مرة أخرى إلى إيجيه وفاس.

قال إيجيه مشيراً إلى الأدخنة الصفراء التي لاتزال تنبعث من الفرن: «هل علّمتك الوالدة أن تقوم بذلك؟».

«نعم». في ذلك الوقت احمر خدا أكوس، رغم أنه ليس هناك سبب ليكون خائفاً من أخيه. «لقد علّمتني أمي ذلك». لم يدعوها إيجيه «الوالدة» في حياته أبداً. فهذه الكلمة كانت لأولاد تشيسا المتعجرفين، أو للشوتيت، وليس لأطفال هيسا.

«كم كان لطيفاً منها أن تُحضّرك لما ينتظرك. يؤسفني أنها لم تقم بالأمر عينه معي». دخل إيجيه غرفة أكوس ومرّر أصابعه فوق الملاءات المشدودة، وأكداس

الكتب المتساوية. ثم سحب سكيناً مُثبّتاً على خاصرته، وأخذ يغزله في راحة يده ماسكاً إياها بإبهامه. كان ذلك ليصيب أكوس بالذعر لو أنه لم يرَ رايزك يفعل ذلك مرات كثيرة.

«ربما لم تُفكّر بأنّ هذا المستقبل سوف يكون موجوداً». لم يكن يصدق ذلك. لكنه لم يكن يعرف ماذا يقول غير ذلك.

«لقد فكّرتُ بذلك، وأنا أعرف أنها فعلت، فقد رأيتها وهي تتحدث عنه في إحدى الرؤى».

لم يتحدّث إيجيه عن رؤاه مع أكوس أبداً، فهو لم يحظَ بالفرصة نهائياً. ولم يكن بمقدور أكوس أن يتخيّل ذلك. فالمستقبل يتدخّل في حاضره. وهناك كثير من الاحتمالات المُشوّشة، فهو يرى عائلته لكنه غير مدرك إذا كانت الصور موجودة، وغير قادر على التحدث معهم. ولم يبدُ أنّ لذلك أهمية بالنسبة إلى إيجيه مطلقاً.

قال: «حسناً، يجب أن نذهب إلى المنزل ونسألها بشأن ذلك».

قال إيجيه: «أنا بخير هنا، وأظنك كذلك، فوسائل الراحة والتسلية متوفرة هنا».

قال أكوس: «أنتَ تتكلم مثله الآن، هل تدرك ذلك؟ أنت تتكلم مثل رايزك نوفاك، الرجل الذي قتل أبي. بإمكانك أن تكره أمي كما تشاء، لكن لا يحتمل أن تكره أبي».

تاهت عينا إيجيه. لم تكونا خاويتين من الإحساس تماماً، إنما بدتا بعيدتين، بعيدتين جداً فقال: «أنا لا أكرهه، لطالما أمضى وقته في العمل».

قال أكوس: «لقد كان في المنزل كل الوقت، وكان يعدّ العشاء ويتفحص فروضنا المنزلية ويحكي لنا القصص، ألا تذكر ذلك؟».

لكنه يعرف جواب سؤاله. كان الجواب في عينيّ إيجيه الخاليتين من التعبير. بالطبع، بالطبع، لقد أخذ رايزك ذكريات إيجيه عن أبيهم. لابدّ وأنه كان مذعوراً من والده فتوجب عليه سرقة ذكريات إيجيه بدلاً منها.

فجأةً قبض أكوس بيديه على قميص إيجيه، ودفع أخيه نحو الجدار، فأسقط صفاً من القوارير. لقد بدا صغيراً جداً بين يديّ أكوس، وخفيفاً جداً لدرجة أنه من السهل رفعه عن الأرض. وهذا ما جعله يترك أخاه بالسرعة نفسها التي أمسكه بها.

قال في نفسه، وهو يحدّق إلى براجم أصابعه الثخينة، متى أصبحتُ بهذا الحجم؟أصابع طويلة مثل أصابع أبيه، لكن أكثر ثخانة. إنها مناسبة لإيذاء الناس.

عدّل إيجيه قميصه وقال: «لقد علّمتك قساوتها، إن لم أستطع التذكر، هل تعتقد أنّ باستطاعتك جعلي أتذكر بهذه الطريقة؟».

تراجع أكوس وقال: «لو كان بإمكاني، كنتُ لأحاول ذلك من قبل. سوف أفعل أي شيء لأجعلك تتذكره». فالتفتَ إلى الخلف، ومرّر يده وراء عنقه كما يفعل جوريك في العادة. لم يعد باستطاعته النظر إلى إيجيه بعد الآن، ولم يعد بإمكانه النظر إلى أي من الرجلين الواقفين أمامه. «لماذا أتيتما إلى هنا؟ هل تريدان شيئاً؟».

قال إيجيه: «أتينا لسببين، أولاً، هناك خليط من الأزهار الجليدية التي تُعزّز صفاء الذهن. وأنا بحاجة إليه من أجل بلورة بعض من رؤاي. وأعتقد أنك تعرف كيفية إعداده».

«إذاً لم يحظَ رايزك بهبتك التيارية بعد».

«أظنّ أنه راضٍ بعملي حتى الآن».

قال أكوس بهدوء وهو يستند إلى الطاولة لشعوره بوهن في ساقيه: «أنتَ تخدع نفسك إذا ظننت أنه سيرضى فقط باستيلائه على قواك. أما بالنسبة إلى خليط الأزهار الجليدية... حسناً، لن أُعطيك شيئاً يُمكّن رايزاك نوفاك من شن حرب ضد ثوفية. أنا أُفضّل الموت على ذلك».

قال فاس: «يا لك من حاقد». وعندما نظر أكوس إليه، كان فاس يُربّتُ بطرف إصبعه على رأس السكين.

كاد ينسى أنّ فاس موجود هناك يُصغي إليهما. كان قلبه يتحرك في صدره

مثل منجل لسماعه صوته. فكل ما استطاع أن يراه عندما أغمض عينيه كان فاس وهو يمسح دم أبيه عن بنطاله في الطريق خارج منزلهم في ثوفية.

تحرّك فاس مقترباً من الموقد ليستنشق الأدخنة الصفراء - التي تتلاشى الآن - بقيّ مُنحنياً فوقها للحظة، ثم التفتَ بسرعة وضغط برأس سكينه على حنجرة أكوس. أجبر أكوس نفسه على البقاء ساكناً، وقلبه لايزال مثل المنجل. كان رأس السكين بارداً.

قال فاس: «لقد تمّ تخدير ابن عمي مؤخراً».

أجاب أكوس: «أنا لا أتسقط أخبار أبناء عمومتك».

قال فاس: «أراهن أنك تتسقط أخبار ذلك الشخص بالتحديد، سوزاو كوزار. فقد كان هناك عندما لفظ أبوك أنفاسه الأخيرة».

ألقى أكوس نظرة نحو إيجيه آملاً. بماذا كان يأمل؟ أيأمل أن يدافع عنه إيجيه؟ أيأمل أن يبدي ردة فعل على حديث فاس عن موت أبيهم. ولكن لم يبدُ أن الأمر يعني إيجيه.

قال أكوس ويداه تتململان عند جنبيه: «سايرا مُصابة بالأرق، وهذا يتطلّب جرعة قوية كي تجعلها تنام. لذا أنا أقوم بإعدادها من أجل ذلك».

حفر رأس السكين في جلد أكوس، فوق الندبة التي سبّبها له رايزك تماماً.

قال إيجيه: «فاس». وبدا متوتراً نوعاً ما. ظن أكوس، يبدو أنه سيشد أزري. لكن ظنه لم يكن في محله. «لا يمكنكَ قتله، فلن يسمح رايزك بذلك. لذا توقف عن التهديد بذلك».

همهم فاس وأبعد السكين.

شعر أكوس بألم يسري في جسده عندما هدأ. «هل اليوم عيد شوتيتي؟ لذا تزورون من تكرهونهم لتفسدوا عليهم فرحة العيد؟». مسح العرق البارد عن مؤخرة عنقه. «حسناً، أنا لستُ في حالة احتفال. دعوني وشأني».

قال فاس: «مطلوب منك الحضور إلى جانب سايرا لتشاهد معها استجواب أحد المنشقين الذين أدلوا باعترافاتهم».

قال أكوس: «ما فائدة حضوري الاستجواب؟».

أمال فاس رأسه، وانسلت ابتسامة عبر شفتيه «في البدء، جلبت إلى هنا من أجل إضفاء الراحة على سايرا بشكل دائم. وأفترض أنّ هذه هي الفائدة المرجوة منك».

قال أكوس: «هذا صحيح، أنا واثق من أنّ هذا هو السبب».

أغمد فاس سكينه؛ ربما أدرك أنه لا يحتاج إليها لإجبار أكوس على فعل ما طلبه. ففي النهاية، كانوا على متن سفينة. في الفضاء.

انتعل أكوس حذاءه طويل الساق ولحق بفاس إلى الخارج، وتبعهما إيجيه.

في الممرات المزدحمة ابتعد الناس عن فاس قدر المستطاع، ولم يجرؤوا حتى على النظر إلى حيث يسير، رغم أنهم نظروا إلى أكوس، وكأنّ كونه ثوفياً قد أعطاه علامة مميزة. كان ذلك نتيجة تناوله العفوي لبتلات زهرة الهشفلور المخفية في جيبه، ومشيته المُتأنية التي اعتادت الانزلاق على الجليد، والطريقة التي يرتدي بها قمصانه المُزرّرة حتى حنجرته بدلاً من فكّ بعضها عند ترقوته.

كانت خطى إيجيه ثقيلة الآن مثل خطى الشوتيت، وقميصه مفتوحاً أسفل تفاحة آدم.

لم يسبق لأكوس المجيء إلى هذا الجزء من السفينة. فالأرضيات هنا من الخشب المصقول وليست من الألواح الحديدية. شعر وكأنه عاد إلى قصر نوفاك، تائهاً بين الألواح الداكنة وأضواء فينزو المتغيّرة. كان صدى وقع الأقدام يتردد في الممر. تقدمهما فاس نحو باب كبير، وتفرّق الجنود كي يدعوهم يدخلون.

كانت القاعة وراء الباب خافتة الضوء مثل قاعة التدريب – التي فقد فيها إيجيه بسبب هبة رايزك– والأرضيات مُلمّعة، والنوافذ تغطي الجدار البعيد بالكامل، فظهر انحناء باهت من الدفق التياري بينما كانت السفينة تنحرف مبتعدة عنه. وقف رايزك ونظر إليه، ويداه مشبوكتان خلف ظهره، ووراءه امرأة مربوطة إلى كرسي. كانت سايرا هناك إلا أنها لم تنظر إلى أكوس عندما دخل، وهذا لوحده كان مؤشراً تحذيرياً. أُغلق الباب خلفه، وبقي أكوس حيث هو.

قال رايزك لسايرا: «وضّحي لي يا سايرا، كيف وجدتِ هذه الخائنة صدفةً».

قالت سايرا وذراعاها مكتوفتان: «عندما حصل الهجوم، تعرّفتُ إلى الصوت الذي ظهر على شبكة الاتصال الداخلية. الذي لم أعرف مصدره حتى الآن، ربما من رصيف التحميل، لكني علمتُ أن باستطاعتي إيجادها من صوتها. لذلك أصغيتُ ووجدتها».

عبس رايزك، لكن ليس في وجه أخته، بل في وجه المرأة المُنشقّة التي حدّقت إليه وقال: «ولكنك لم تخبريني شيئاً؟ لماذا؟».

أجابته سايرا: «اعتقدتُ أنك ستهزأ بي، وستعتقد أنني واهمة».

قال رايزك: «حسناً، لربما فعلتُ ذلك. ومع هذا ها نحن هنا الآن». لم تكن نبرة صوته كما توقّعها أكوس من شخص حصل للتو على ما يريد. لقد كان كلامه مقتضباً بكل ما في الكلمة من معنى.

«إيجيه». ارتعش أكوس لسماعه عدوه يتلفظ باسم أخيه. «هل هذا يُغيّر المستقبل الذي تحدّثنا عنه؟».

أغلق إيجيه عينيه. وتوسّع منخراه كما كانت تفعل أمه أحياناً عند تركيزها على نبوءة ما. ربما كان يُقلّدها، ما لم يكن الكهنة يحتاجون حقيقةً إلى التنفس بشكل قوي من أنوفهم لسبب ما. لم يكن أكوس يعلم، لكن من دون قصد، اندفع نحو أخيه، واصطدم مباشرةً بذراع فاس، التي بقيت ثابتة كعارضة فولاذية.

قال أكوس: «إيجيه». ففي النهاية عليه أن يحاول، أليس كذلك؟ «إيجيه، لا تجبه».

لكنّ إيجيه كان يجيبه في ذلك الحين: «يبقى المستقبل ثابتاً كما هو».

قال رايزك: «شكراً لك». ثم انحنى قريباً من المُنشقة. «أين كنتِ يا زوسيتا سوروكتا كل هذه المواسم بالضبط؟».

أجابته زوسيتا: «كنتُ في حالة حركة، فأنا لم أجد المنفيين، إذا كان هذا ما تسأل عنه».

وهو لايزال منحنياً، تفحّص رايزك سايرا ملياً، ونظر إلى الخطوط الحبرية

على ذراعيها. كانت مُحدودبة، ويدها تقبض على رأسها.

قال رايزك وهو يشير إلى زوسيتا: «سايرا، دعينا نكتشف إن كانت تقول الحقيقة».

قالت سايرا وهي تلهث: «كلا، لقد تحدّثنا عن ذلك. أنا لن... أنا لا أستطيع...».

«لا تستطيعين؟». مال رايزك قريباً من وجهها وتوقف قبل لمسها تماماً. «إنها تشوّه هذه العائلة، وتُضعف مكانتنا، وهي تتحالف مع أعدائنا وأنتِ تقولين إنك لا تستطيعين؟ أنا أخوكِ وملك الشوتيت. أنتِ تستطيعين وستفعلين ما آمرك به، هل تفهمين؟».

تجمعت الظلال فوق جلدها البني المائل إلى اللون الذهبي. كانت الظلال مثل نظام جديد للأعصاب أو الأوعية الدموية في جسدها. أصدرت صوتاً مخنوقاً، فشعر أكوس بالاختناق أيضاً، لكنه لم يتحرّك، فمن غير الممكن مساعدتها وفاس يقف في طريقه.

«كلا!» ومدّت يدها نحو رايزك، أصابعها محنية مثل المخالب. حاول رايزك أن يدفعها عنه، لكنها كانت سريعة للغاية وقوية للغاية، فأسرعت الظلال التيارية نحو يدها كما يتدفق الدم من الجرح، وصرخ رايزك وهو يتلوّى من الألم. ثم سقط على ركبتيه.

ركض فاس نحوها وأبعدها عنه ثم رماها جانباً. ومن مكانها على الأرض نظرت إلى أخيها وبصقت: «خذ عيني، واقتلع أصابعي، وخذ ما شئت. لكني لن أفعل».

بينما كانت سايرا تنكمش على نفسها من الألم الذي يحرق أحشاءها بالتيار، وقف رايزك محدقاً إليها. ثم حرّك إصبعين من يده باتجاه أكوس في إشارة كانت تعني «تعال». يعلم أكوس أنّ لا جدوى من تحديه. فسوف يحصل على ما يريد بطريقة أو بأخرى.

للحظة بدا لأكوس أنه فهم لماذا قضت سايرا المواسم وهي تمتثل لأوامره. فقد أدرك أن لا طائل من تحديه.

قال رايزك: «كنت أعرف أنك ستقولين ذلك. فاس، أمسك بأختي من فضلك».

أمسك فاس بذراعي سايرا وحملها على الوقوف. فالتقت عيناها الجاحظتين من شدة الرعب بعيني أكوس.

قال رايزك: «ربما تركتكِ تفعلين ما يحلو لك لبعض الوقت، لكني لم أتوقف عن الانتباه يا سايرا».

توجه رايزك إلى جانب القاعة وأخذ يتلمس أحد الألواح الجدارية بأصابعه. فانزلق كاشفاً عن جدار مليء بالأسلحة، مثل الجدار الموجود في قصر نوفاك لكنه أصغر. قال أكوس في نفسه، ربما هذه أشياؤه المفضلة، وشعر أنه مُنفصل عن جسده عندما اختار رايزك قضيباً طويلاً ونحيلاً. ولدى لمسه إياه، التف التيار حول النصل، بدفق داكن شبيه بذلك الذي يُعذِّب سايرا.

قال رايزك: «أتعلمين، لقد انتبهت إلى شيء غريب، وأودّ أن أعرف إذا كانت فرضيتي صحيحة. وإذا كانت كذلك، فستحل المشكلة قبل أن تُصبح مشكلة بحق».

قام بلي مفصلات في مقبض القضيب فأصبح التيار أكثر كثافة وقتامةً. لم يكن سلاحاً مميتاً كما لاحظ أكوس، لكنه مُصمّم لإحداث الألم.

ومضت الظلال التيارية عند سايرا، وارتعشتْ مثل اللهب الذي يشتعل في تيار هوائي. فضحك رايزك.

«إنه سلاح غير لائق تقريباً». قال وهو يضغط يده بشدة على كتف أكوس، فقاوم الرغبة في التخلص منه. لأنّ هذا سوف يجعل الأمور أكثر سوءاً. وبدا الآن واضحاً أنّ القضيب كان لأجله. وربما كان ذلك هو السبب الذي جُلب من أجله إلى هنا -كي يجعل سايرا تتعاون مرة أخرى. لكي يُصبح أداة رايزك الجديدة في السيطرة.

قال رايزك له بصوت مُنخفض: «ربما تريد أن تستسلم الآن وتركع».

قال أكوس له باللغة الثوفية: «كُل قذارتك».

لكن بالطبع كان لدى رايزك رد على ذلك. فقد ضرب أكوس بالقضيب بشدة على ظهره، فسرى الألم في جسده مثل الأسيد والنار. وصرخ ملء فيه.

قال في نفسه، ابق واقفاً على قدميك، ابقَ-

ضربه رايزك مجدداً، وهذه المرة على خاصرته اليمنى، فصرخ مرة أخرى. كانت سايرا بجانبه تجهش بالبكاء، لكنّ أكوس كان ينظر إلى إيجيه، الذي كان ينظر من النافذة غير مبالٍ. عندها ضرب رايزك أكوس للمرة الثالثة، فلم تعد ركبتاه قادرتين على حمله، لكنه كان هادئاً الآن، والعرق ينزلق من خلف عنقه وكل شيء من حوله يتأرجح. هذه الضربة الأخيرة أجفلت إيجيه.

ضربة أخرى، أسقطت أكوس فتأوه هو وسايرا في الوقت نفسه.

قال رايزك لسايرا وهو يلهث: «أريد معرفة ما تعرفه عن المنفيين. قبل أن تعدم غداً».

تملّصت سايرا من قبضة فاس وذهبت نحو زوسيتا التي لاتزال مُقيّدة بالكرسي من معصميها. فأومأت زوسيتا لسايرا وكأنها تعطيها الإذن.

وضعت سايرا يدها على رأس زوسيتا. كان أكوس ينظر، فرأى الشبكات القاتمة على ظاهر يدي سايرا، ووجه زوسيتا الذي يتلوّى من الألم، وابتسامة رايزك الراضية. لقد احتشد الظلام في زوايا رؤيته فحاول أن يتنفّس من خلال الألم.

كانت زوسيتا تصرخ، وسايرا تصرخ. فتداخل صوتاهما معاً، ثم أُغمي عليه.

استيقظ وسايرا بجانبه.

«هيا بنا». كان ذراعها على كتفيه فساعدته على الوقوف: «هيا بنا، دعنا نذهب، دعنا نذهب».

رمَشَ عينيه رويداً رويداً. كانت تنفس زوسيتا غير مُنتظم وشعرها يُغطي وجهها. وفاس يقف قريباً ويبدو ضجراً. أما إيجيه فكان جاثماً في الزاوية دافناً

رأسه بين ذراعيه. لم يمنعهما أحد من الخروج من الغرفة، فقد حصل رايزك على مُبتغاه.

شقّا طريقهما إلى غرفة سايرا. فرمت بـأكوس على سريرها، ثم جالت في الغرفة تجمع المناشف والثلج والمهدئات ذارفة الدموع. كانت الغرفة مُضمّخة برائحة الشعير من جرعة الدواء التي خمّرها في وقت سابق.

«سايرا، هل أخبرته بأي شيء؟».

أجابته وهي تصارع من أجل نزع سدادة قارورة المهدئ بيدين مرتجفتين: «كلا، إنها تجيد الكذب، لن تكون بمأمن مرة أخرى، هل تعلم ذلك؟ ولا واحد منا سيكون بمأمن».

نزعت السدادة، وقرّبت القارورة من فمه، وبالرغم من أنه يستطيع الإمساك بها بسهولة. وبالرغم من أنه لم يعرف محتواها إلا أنه باعد ما بين شفتيه وارتشفها.

«أنا لم أكن بمأمن. وأنتِ لم تكوني بمأمن أبداً». لم يفهم لماذا فقدت أعصابها. وكأنها المرة الأولى التي يقوم فيها رايزك بأمر فظيع. «أنا لا أفهم ما الذي حقّقه من استخدامي...».

لمست ساقاها ساقيه وهي تنهض لتقف بين ركبتيه. وبهذا الشكل كانا بالطول نفسه تقريباً، حيث هو جالس على سريرها المرتفع. وهي قريبة منه كما كانت أحياناً عندما يتقاتلان، وهي تضحك لأنها صرعته أرضاً، لكنّ الوضع اليوم مختلف. مختلف تماماً.

لم تكن تضحك، بدت رائحتها مألوفة، مثل رائحة الأعشاب التي تحرقها من أجل تنقية الغرفة من روائح الطعام، ومثل الرذاذ الذي تستخدمه لتُملّس به تشابكات شعرها. وضعت يدها على كتفه ثم مرّرت أصابعها المرتعشة على ترقوته مروراً بقفصه الصدري. وضغطت بلطف على صدره. ولم تنظر إلى وجهه.

همست قائلةً: «ربما أنت الشخص الوحيد الذي باستطاعته التحكّم بي الآن».

لمست ذقنه كي تثبّته ثم قبّلته. كان فمها دافئاً، ورطباً من الدموع. فخدشت أسنانها شفته السفلى عندما ابتعدت عنه.

لم يستطع أكوس التنفس. ولم يكن واثقاً أنّ باستطاعته تذكّر كيفية التنفس.

قالت بنعومة: «لا تقلق، لن أفعل ذلك مرة أخرى».

تراجعت، وأغلقت باب الحمام على نفسها.

الفصل العشرون | سايرا

في اليوم التالي، حضرتُ إعدام زوسيتا سوروكتا. كان حدثاً صاخباً وحاشداً، إنه الاحتفال الأول الذي سُمح به منذ احتفال رحلة الإقامة المؤقتة. وقفتُ جانباً مع فاس وإيجيه وأكوس، بينما كان رايزك يلقي خطاباً طويلاً عن الولاء وقوة وحدة الشوتيت، وحسد المجرة، وطغيان المجلس. وقفت إيما إلى جانبه، ويداها على الدرابزين، وأناملها تنقر إيقاع أغنية مرحة.

عندما مرر رايزك السكين على حنجرة زوسيتا، أوشكت أن أبكي لكنني حبست دموعي. لكن الحشد هدر عندما سقط جسد زوسيتا، أما أنا فأغمضت عينيّ.

عندما فتحتُ عينيّ، كانت يدي إيما ترتجفان على الدرابزين، وتلطخ رداء رايزك ببقعة من دماء زوسيتا، ورأيت في البعيد ضمن الحشد تيكا تضع يدها على فمها.

عندما سالت دماء زوسيتا على الأرض، كما سالت من قبل دماء والد أكوس وكثيرين غيرهما، شعرتُ بفداحة ما يجري.

شعرت بالراحة لأنني كنت قادرة على الشعور بذلك.

على طول رصيف التحميل، كان هناك أكوام من بذلات رمادية اللون، مُرتبة بحسب الحجم. ومن حيث كنتُ أقف، بدت وكأنها صف من الصخور الضخمة. كانت البذلات صامدة أمام الماء، ومُصمّمة خصيصاً من أجل رحلات الإقامة المؤقتة إلى بيثا. وهناك أكوام من الأقنعة المضادة للمياه على الجدار الخلفي من أجل حماية أعين الباحثين عن الأشياء المفيدة من المطر، بالإضافة إلى معدات قديمة من رحلات إقامة مؤقتة أخرى.

انتظرت مركبة الإقامة المؤقتة الخاصة بـرايزك بأجنحتها الذهبية الملساء في كوّة الإطلاق. وهي سوف تحمله بالإضافة إليّ وإيما وفاس وإيجيه وأكوس مع عدة أشخاص آخرين إلى سطح كوكب بيثا كي نتفاوض مع القيادة البيثارية. كان يريد إقامة علاقات وديّة... تحالف. وبالتأكيد، يريد مساعدات عسكرية أيضاً. لقد كان لديه موهبة في هذه الأمور لم تكن أبداً عند والدي. لا بدّ أنه اكتسبها من أمي.

قال أكوس من فوق كتفي: «يجب أن نذهب». كان يتصرّف بتصنّع اليوم.

ارتعشتُ من سماع صوته. فقد اعتقدتُ أنني سأتخلّص من مشاعر كهذه عندما قبّلته منذ عدّة أيام وأن القبلة ستزيل غموض المشاعر، لكنها جعلت الأمر أكثر سوءاً. فأنا الآن أعرف كيف كان شعوره، وكيف كان مذاقه، فتألّمتُ من شدّة الرغبة.

قلتُ: «أعتقد ذلك». ثم هبطنا السلالم إلى أرضية رصيف التحميل، متناكبين. وأمامنا سفينة النقل الصغيرة تلمع مثل زجاج تنعكس عليه أشعة الشمس. وتحمل في وسطها الحرف الشوتيتي الذي يرمز إلى نوفاك.

بالرغم من مظهرها الخارجي الفاخر، كان داخلها بسيطاً مثل أي سفينة نقل أخرى: في الخلف مرحاض صغيرة ومطبخ بالغ الصّغر. وعلى الجدران مقاعدة مطوية مع أحزمتها، أما المقدمة فمخصصة لأجهزة الملاحة.

لقد علّمني أبي الطيران، وهو أحد الأنشطة الفريدة التي قمنا بها معاً. وقتها وضعت قفازات سميكة كي لا تؤثر هبتي التيارية على آليات عمل السفينة. كنتُ

صغيرة الحجم نسبة إلى المقعد، لذلك جلست على وسادة. لم يكن أبي معلماً صبوراً – صرخ في وجهي أكثر من مرة – لكن عندما تعلمت الطيران بشكل جيد، كان يشيد بي دائماً بقوله: «جيد» بإيماءة ثابتة، وكأنه ينقل إطراءه إليّ بالقوة.

لقد مات عندما كنتُ في الموسم الحادي عشر من عمري، في إحدى رحلات الإقامة المؤقتة. لم يكن يرافقه وقتها سوى رايزك وفاس فقد هاجمهم القراصنة وبالكاد استطاعوا الهرب من فاس ورايزك. فقد عادا وقد وضعا مقل القراصنة في جرّة، إلا أن لازمت لم يكن معهما.

عدّل فاس من مشيته كي يجاريني بينما كنتُ أتوجّه نحو السفينة وقال: «أُمرتُ بتذكيرك أن تفعلي ما بوسعك من أجل البيثاريين».

انتفضتُ قائلةً: «ماذا، هل وُلدتُ البارحة في عائلة نوفاك؟ أنا أعرف كيف أُدير أموري بنفسي».

قال فاس: «ربما أنتِ من عائلة نوفاك، لكنك شرودك يزداد يوماً بعد يوم».

نهرته قائلة: «اذهب من هنا يا فاس» فقد كنت تعبة جداً لكي أختلق عذراً آخر. ولحسن الحظ تركني وذهب نحو مقدمة السفينة حيث كان ابن عمي فاركيز يقف مع أحد عمال الصيانة. فنبهني وميض شعر لامع إلى وجود تيكا – بالطبع لم تكن تعمل على سفينتنا، بل عند جانب السفينة ويداها مدفونتان في لوحة أسلاك، ولم يكن في يديها أي نوع من العدّة – كانت تضغط الأسلاك كلاً بدوره وعيناها مغمضتان.

تردّدتُ للحظة. فلم أشعر بقدرتي على القيام بأي شيء، رغم أني لم أكن واثقة بالضبط مما يجب عليّ القيام به. علمتُ فقط أنني أمضيتُ وقتاً طويلاً بلا حراك بينما الآخرون يتصارعون حولي وأن الوقت قد آن لأتحرك.

قلتُ لأكوس: «سوف ألتقيك في السفينة، أريد أن أتكلم مع ابنة زوسيتا قليلاً».

تردّد وإحدى يديه بالقرب من مرفقي، وكأنه كان على وشك مواساتي. ثم بدا أنه غيّر رأيه، فقد دسّ يده في جيبه وهرول باتجاه السفينة.

عندما أصبحتُ على مقربة من تيكا، سحبتْ يدها من علبة الأسلاك، وقامت بالإشارة إلى شيء ما على الشاشة الصغيرة المُثبتة بين ركبتيها.

سألتها: «ألا تسبّب لك الأسلاك صدمة أبداً؟».

قالت دون أن تنظر إليّ: «كلا، أشعر بها مثل طنين. ماذا تريدين؟».

قلتُ: «الاجتماع مع أصدقائك. وأنتِ تعلمين أي نوع من الأصدقاء أعني».

قالت بعد أن التفتت لي أخيراً: «أصغِ إليّ، لقد أجبرتني في الأساس على تسليم أمي، ومن ثم قتلها أخوكِ أمام الجميع منذ يومين». كانت عينها حمراء ومليئة بالدموع. «ما الذي يجعلك تظنين أنك تستطيعين طلب أي شيء مني؟».

أجبتها: «أنا لا أطلب، أنا أخبركِ بما أريده، وأظنّ أن الأشخاص الذين تعرفينهم يريدون ذلك أيضاً. افعلي ما تشائين، لكنّ الأمر لا يتعلق بك حقاً، أليس كذلك؟».

كانت العصابة التي تغطي عينها أكثر سماكة من المعتاد، والجلد الظاهر حولها يلمع وكأنها أمضت يومها متعرقة. ربما ما استنتجته صحيح، فأماكن إقامة عمال الصيانة كانت قريبة من الآلات التي تبقي السفينة في حالة حركة.

قالت بصوت منخفض: «كيف لنا أن نثق بكِ؟».

قلتُ: «أنتِ يائسة وكذلك أنا، والأشخاص اليائسون يتخذون قرارات غبيّة كل الوقت».

فُتحت كوة الدخول إلى سفينة النقل ولامست الأرض بخفّة.

قالت: «سأرى ما يمكنني فعله» ثم التفتت فجأةً نحو السفينة. وقالت: «هل تقومين بأي شيء مفيد داخل هذه السفينة؟ أو أنك تُنافقين السياسيين فقط؟».

هزّت رأسها: «لا أظن أنكم كأبناء عائلة مالكة تقومون بالبحث عن الأشياء المفيدة أليس كذلك؟».

قلت بشكل دفاعي: «في الواقع أنا أقوم بذلك». لكن كان من الغباء التظاهر، مع شخص مثلها، أن حياتي لم تكن مرفهة مقارنة بحياتها. ففي النهاية، كانت فتاة بعين واحدة وبدون عائلة يمكن الحديث عنها، وتعيش في حجيرة صغيرة.

همهمت تيكا قليلاً ثم عادت إلى الأسلاك.

كان أكوس ينظر إلى فاس، الذي يجلس قبالتنا، وكأنه على وشك الانقضاض على حنجرته. وعلى بعد مقعدين منه كانت إيما، بلباسها الأنيق كالعادة، وتنورتها الطويلة التي تغطي كاحليها. بدت وكأنها تشرب الشاي في فطور مع الملك بدلاً من أن تكون مقيدة إلى كرسي صلب في سفينة فضائية. جلس إيجيه في مقعد قريب من دورة المياه، وأغمض عينيه. وهناك أشخاص آخرون بين إيما وإيجيه: ابن عمنا فاركيز وزوجه، مالان، وسوزاو كوزار -كانت زوجته مريضة جداً كي تستطيع الذهاب في هذه الرحلة، كما ادعى- أما رايزك فجلس إلى جانب الكابتن ريل.

صرخت إيما موجهةً كلامها إلى رايزك: «ما هو الكوكب الذي اختاره المحققون في الأصل، بناءً على حركة التيار؟ هل هو أوجرا؟».

أجابها رايزك وهو يضحك: «نعم، أوجرا، وكأنّ هذا سوف يفيدنا».

قالت إيما وهي ترجع رأسها إلى الخلف: «أحياناً يقوم التيار بالاختيار وأحياناً نحن من يختار».

بدا كلامها ككلام الحكماء نوعاً ما.

هدرت المحركات لدى لمس بعض الأزرار، ثم قام ريل برفع ذراع الطيران فارتفعت السفينة عن الأرض، وهي تهتز قليلاً. ثم فُتحت أبواب رصيف التحميل وأظهرت نصف الكرة الشمالي للكوكب المائي من تحتنا.

كان مُغطى تماماً بالغيوم، وهناك عاصفة تتحرك فيه. وكانت المدن -لا يمكن رؤيتها الآن -عائمة، فهي مبنيّة بحيث تتحرك مع مستويات المياه التي ترتفع وتهبط، وتتحمل الرياح القوية والأمطار والصواعق. تقدم ريل بالسفينة داخل الفضاء، وعلقنا لبرهة في حضن الظلام.

لم نستغرق وقتاً طويلا كي ندخل الغلاف الجوي. فالضغط المُفاجئ جعلني أشعر وكأنّ رئتيّ ستنطبقان، وسمعتُ شخصاً ما في مؤخرة السفينة يتقيأ. كززتُ على أسناني وأجبرتُ نفسي على إبقاء عينيّ مفتوحتين. كان الهبوط هو الجزء

المفضّل عندي، عندما تنفتح تحتنا امتدادات كبيرة من الأرض، أو المياه في هذه الحالة، المياه، بما أنه عدا بعض قطع اليابسة الرطبة، كان المكان مغموراً بالماء تماماً.

لهثت فرحة عندما اخترقنا طبقة الغيوم. كان المطر ينقر على سطح السفينة، فقام ريل بتشغيل الفيجيولايزر كي لا يضطر إلى التحديق من خلال قطرات المطر. لكن من خلف القطرات وشاشة الفيجيولايزر، رأيتُ أمواجاً ضخمة زرقاء ورمادية وخضراء، وأبنية زجاجية كروية تنجرف على السطح، مُتحمّلةً صدمة المياه.

لم أستطع تجنب ذلك؛ ألقيتُ نظرة على أكوس، الذي كان جامداً جراء الصدمة.

قلتُ له على أمل مساعدته في استعادة وعيه: «على الأقل هذا ليس كوكب تريللا، حيث السموات مليئة بالطيور. التي تحدث ضرراً عند اصطدامها بالزجاج الأمامي. ويتوجّب عليك كشطها بسكين».

قالت لي إيما: «أنتِ فعلتِ ذلك بنفسكِ أليس كذلك؟ كم هو ساحر».

أجبتها: «نعم، لديّ قدرة عالية على احتمال الأشياء المقرفة، وأنا أستخدمها بانتظام. وأنا واثقة من أنكِ تفعلين ذلك أيضاً».

أغمضت إيما عينيها بدلاً من أن تجيب. لكن قبل أن تفعل كنتُ مُتأكدة أنها ألقت نظرة على رايزك. كواحد من الأشياء المقرفة التي تتحملها.

يجب عليّ أن أُبدي إعجابي بموهبتها في البقاء على قيد الحياة.

انطلقنا فوق الأمواج، لفترة طويلة انحدرت السفينة بعض الشيء بسبب الرياح القوية. ومن الأعلى، بدت الأمواج مثل جلد مُجعّد. مُعظم الناس يجدون كوكب بيثا مملاً، لكنني كنتُ أحبّ محاكاته لامتداد الفضاء.

طرنا فوق واحدة من أكوام الفضلات العائمة التي سوف يحطّ الشوتيت عليها قريباً من أجل البحث عن الأشياء المفيدة. كانت أكبر مما تخيّلتُ، فهي بحجم قطاع من إحدى المدن على الأقل، ومُغطاة بتلال من المعادن المختلفة.

رغبتُ بالهبوط عليها أكثر من أي شيء آخر، كي أبحث فيها عن أي آثار لأشياء ذات قيمة. لكننا تابعنا الطيران.

تقع عاصمة بيثا في القطاع السادس- لم يكن البيثاريون مشهورين بأسمائهم الشاعرية، هذا أقل ما يُقال - وهي تطفو على البحار السوداء الرمادية قرب خط استواء الكوكب. كانت الأبنية مثل فقاعات تتحرك بلا هدف، رغم أنها مُثبّتة ببنية داعمة مغمورة عميقاً، كما سمعت، فهي معجزة هندسية يُشرف عليها عمال صيانة يتلقون أعلى رواتب في كل المجرة. قاد ريل سفينتنا للهبوط في المكان المحدد، ومن خلال النوافذ شاهدتُ هيكلاً ميكانيكياً يمتدّ باتجاهنا من واحد من المباني المجاورة. -بدا مثل نفق، كي يقينا من البلل خلال عبورنا. يا للأسف، كنتُ أودّ الشعور بالمطر.

غادرت وأكوس مع الآخرين السفينة تاركين ريل وحده خلفنا. وتقدم المجموعة إيما ورايزك الذي سلّم على أحد المسؤولين في بيثا الذي انحنى له.

قال البيثاري بلغة شوتيتية ركيكة للغاية لدرجة أني بالكاد فهمت ما يقوله: «ما اللغة التي تُفضّل أن نستخدمها؟». كان شاربه أبيض رفيعاً بدا أكثر شبهاً بالقالب منه للشعر، وعيناه داكنتان سوداوان.

أجابه رايزك بنزق: «كلنا نتحدث الأوثيرية بطلاقة». من المعروف عن الشوتيتيين أنهم لا يتحدثون سوى لغتهم الخاصة، والفضل لسياسة والدي - ولأخي الآن - في إبقاء شعبنا جاهلاً بتعاملات المجرة الحقيقية، لكن لطالما كان رايزك حساساً بشأن التلميح لعدم معرفة لغات عدة، خشية أن يظنه الناس غبياً.

قال المسؤول، باللغة الأوثيرية الآن: «هذا شيء مُفرح يا سيدي. فأنا أخشى أن تكون خفايا اللغة الشوتيتية قد أفلتت مني. اسمح لي أن أرشدكم إلى أماكن نومكم».

بينما كنا نعبر النفق المؤقت، تحت وابل المطر، أحسستُ بدافع قوي لأُمسك بأحد البيثاريين القريبين مني وأرجوهم أن يخرجوني من هنا، بعيداً عن رايزك وتهديداته وذكرى ما فعله مع صديقي الوحيد.

لكن لم يكن بإمكاني ترك أكوس هنا، بينما كانت عيناه تركزان على مؤخرة رأس أخيه.

لقد فصلت أربع رحلات إقامة مؤقتة بين هذه الرحلة وتلك التي فقد فيها أبي حياته. والأخيرة أخذتنا إلى أوثير، الكوكب الأكثر ثراءً في المجرة، وهناك، أسس رايزك السياسة الشوتيتية الجديدة في الديبلوماسية. كانت أمي سابقاً تهتم بهذا الشأن، فهي تسحر قادة كل كوكب نزوره بينما يقود أبي عملية البحث عن الأشياء المفيدة. لكن بعد موتها، اكتشف لازمت أنه لا يملك موهبة السحر – وهذا ليس مُفاجئاً لأحد – فنحيت الدبلوماسية جانباً، وانتشرت التوترات بيننا وبين سائر كواكب المجرة. وبعدها سعى رايزك إلى تهدئة التوتر من كوكب لآخر، بابتسامة بعد أخرى.

استقبلنا أوثير بحفل عشاء، كان كل إنش في القاعة مغطى بالذهب، من الأطباق إلى طلاء الجدران وإلى النسيج الذي يُغطي الطاولة. لقد اختاروا هذه القاعة، كما قالت زوجة المستشار، لأنّ اللون سوف يتكامل مع لون درعنا الرسمي الأزرق القاتم. وفي الصباح التالي أخذونا جميعاً إلى جلسة مع طبيبهم الخصوصي، نظراً لامتلاكهم أفضل تقنية طبية في المجرة. لقد رفضت الذهاب معهم.

لقد علمتُ منذ البداية أنّ استقبال بيثا لن يكون باذخاً مثل استقبال أوثير. فكل ثقافة تُقدّس شيئاً ما: أوثير: الراحة، أوجرا: الغموض، ثوفيه: الأزهار الجليدية، شوتيت: التيار، بيثا، العملانية: وهلم جراً. لقد كانوا مُتصلّبين في ملاحقتهم للمواد الأكثر متانةً ومرونةً. والمستشارة –كان كنيتها ناتو، وأنا نسيت اسمها الأول، بما أنها لم تكن تُنادى به أبداً –كانت تعيش في مبنى تحت أرضي ضخم مصنوع من الزجاج. كما تمّ انتخابها من خلال تصويت شعبي.

كانت الغرفة التي أتقاسمها مع أكوس مطلة على المياه، حيث تعيش مخلوقات داكنة وتتحرك بعيداً عن مرمى النظر، وبدا كل شيء هادئاً. لكنّ هذا كان كل الزينة فيها؛ فالجدران بسيطة، والملاءات مُنشّاة وبيضاء. وهناك سرير

نقّال في الزاوية يستند إلى قوائم معدنية ذات نهايات مطاطية.

لم يحضر البيثاريون عشاءً فخماً، بل ما يمكن أن أدعوه حفلاً راقصاً إن صح وصفه بذلك. فقد كان هناك مجموعات من الأشخاص يرتدون ملابس بيثارية أنيقة وفق معايرهم مصنوعة من أقمشة قاسية مضادة للمياه بألوان زاهية، ولم تكن النساء يرتدين تنانير أو فساتين. فجأةً ندمتُ على ارتداء فستان أمي– الذي انسدل حتى أصابع رجليّ– ذي القبّة المرتفعة والسوداء، من أجل إخفاء معظم ظلالي التيارية.

كانت الغرفة مليئة بالهمهمات. وكان هناك خادم يتحرك بين المجموعات حاملاً صينيّة في يده، ويقدم مشروبات أو لقيمات طعام. كانت حركة المجموعات المتزامنة أقرب ما تكون إلى الرقص.

قال أكوس بنعومة وأصابعه تلتفّ حول مرفقي: «ثمّة هدوء هنا». فارتعشتُ وحاولتُ تجاهلها. إنه يُخفّف ألمكِ فقط، هذا كل ما في الأمر، لم يتغيّر شيء، فكل شيء هو نفسه كما كان دائماً...

أجبته: «لا يشتهر كوكب أثير برقصاته، أو أي شكل من أشكال القتال».

«إذاً ليسوا مُفضّلين بالنسبة إليكِ».

«أحبّ أن أتحرّك».

«لقد انتبهتُ إلى ذلك».

بإمكاني أن أشعر بأنفاسه بجانب عنقي، رغم أنه لم يكن قريباً إلى هذا الحد مني، إلا أنه لم يسبق لي أن اهتممت لأمره كاليوم. سحبتُ ذراعي منه كي آخذ المشروب الذي قدّمته الخادمة البيثارية.

قلتُ وقد انتبهتُ فجأةً إلى نبرة صوتي: «ما هذا؟». نظرت الخادمة بصعوبة إلى ذراعي المبقّعة بالظلال.

أجابت الخادمة: «تأثيره مشابه لخليط زهرة الهشفلور، إنه يهدئ الحواس، ويرفع المعنويات. حلو وحامض في آن».

أخذ أكوس مشروباً وابتسم للخادمة التي تابعت سيرها.

سألني: «إذا لم تكن مصنوعة من الأزهار الجليدية، فممّ هي مصنوعة إذاً؟». ففي النهاية، الثوفيون يُقدّسون الأزهار الجليدية.

قلتُ له: «لستُ أدري. ماء مالح؟ زيت محركٍ؟ جرّبه، أنا واثقة أنه لن يؤذيك».

تجرعنا الشراب. وفي الطرف الآخر من الغرفة، كان رايزك وإيما يبتسمان بتهذيب مع فيك، زوج المستشارة ناتو. كان وجهه مائلاً إلى اللون الرمادي، وجلده متراخياً عن عظامه وكأنه شبه سائل. ربما الجاذبية أقوى هنا. فقد شعرتُ بالتأكيد أني أكثر وزناً من المعتاد، رغم أنّ هذا ربما بسبب تحديق فاس الدائم وهو يطمئن إلى حسن تصرّفي.

قلت وأنا أحمل كأسي نصف الفارغة: «مقرف».

قال أكوس: «أشعر بالفضول، كم لغة تتكلمين حقاً؟».

قلتُ له: «في الحقيقة، فقط لغة شوتيت وثوفيه وأوثير وتريللا، لكني أعرف بعض الزولدية وبعض البيثارية وكنتُ أعمل على تحسين لغتي الأوجرانية قبل أن تأتي وتلهيني».

ارتفع حاجباه.

قلتُ له: «لماذا تفاجأت؟ ليس لديّ أصدقاء وهذا ما ترك لي كثيراً من أوقات الفراغ».

«أنتِ تعتقدين أنه من الصعب جداً أن تشعري بالإعجاب».

«أعرف ماهيتي».

«أوه، وما هي؟».

قلتُ له: «سكين، ومحراك نار ساخن، ومسمار صدئ».

لمس مرفقي كي يوجهني نحوه. كنتُ أعلم أني أنظر إليه بغرابة، لكن بدا أنّه ليس بإمكاني التوقّف. «أنت أكثر فعالية من كل هذه، أقصد»، وهو يرفع يده، «أنت تقومين بسلق لحم أعدائك على الدوام».

قلتُ له: «لا تكن غبياً، ففي حال أردتُ أكل لحم أعدائي كنت لأفضله مشوياً

وليس مسلوقاً. من ذا الذي يريد أن يأكل لحماً مسلوقاً؟ يا له من شيء مقرف».

ضحك لهذا وبدا كل شيء أفضل قليلاً.

قال: «يا لغبائي. من الواضح أني لم أكن أفكر، آسف لقولي هذا، لكني أظن أنّ الملك سوف يستدعيكِ».

وكما توقعت، فعندما نظرتُ إلى رايزك، كانت عيناه تراقبانني. فحرّك ذقنه إلى الأعلى.

قلتُ له دون إبعاد نظري عن أخي: «أنت لم تجلب أي سم، أليس كذلك؟ فبإمكاني محاولة دسّه في شرابه».

قال أكوس: «لن أعطيكِ إياه حتى لو كان معي». وعندما نظرت إليه نظرة شك، وضّح لي قائلاً: «لايزال هو الشخص الوحيد القادر على شفاء إيجيه. وبعد أن يفعل ذلك، سأسمّمه وأنا أغنّي».

قلتُ: «ما من أحد بعزيمتك يا كيرسيث. بغيابي ألّف أغنيتك المُسمِّمة كي أستطيع سماعها عندما أعود».

قال: «مهلاً، ها أنا ذاهب إلى التسميم...».

وأنا أتصنّع الابتسامة، ارتشفتُ آخر جرعة من زيت المحرك البيثاري المر، وأعطيتُ الكأس إلى أكوس ثم عبرتُ إلى الجانب الآخر من القاعة.

«آه، إنها أختي سايرا يا فيك». كان رايزك يرسم أحرّ ابتساماته، وذراعه ممدودة نحوي كأنه يعتزم معانقتي. لكنه لم يفعل بالطبع، لأنّ ذلك سيؤذيه، كانت الظلال التي تلوّن خدي وطرف أنفي خير تذكير له. أومأتُ برأسي نحو فيك، الذي حدّق إليّ بعينين خاليتين من التعبير ولم يحيني.

قال: «كان أخوكِ يشرح لي للتو المنطق الشوتيتي الذي يُبرّر الخطف المترافق مع (الباحثين عن الأشياء المفيدة) الشوتيتيين خلال العقود الماضية، وقال إنّ بإمكانك تأكيد هذه السياسة».

أوه لقد شرح ذلك، هل فعل؟

عندئذٍ، كان غضبي مثل عيدان حطب جافة يمكن أن تشتعل بسرعة. لم

أستطع إيجاد طريقة للتعبير، فاكتفيت بالتحديق إلى رايزك للحظات. فابتسم لي، ولاتزال تلك النظرة اللطيفة في عينيه. بدورها كانت إيما تبتسم من حيث تقف إلى جانبه.

قال رايزك برفق: «بسبب معرفتك التامة بخادمك، طبعاً».

آه، نعم معرفتي بأكوس –أداة رايزك الجديدة في التحكّم.

قلتُ له: «هذا صحيح، حسناً، من الواضح أننا لا نعتبر ذلك خطفاً. فالشوتيت يدعونه (استعادة) لأنّ كل من استُعيد إلينا يتكلّم اللغة الإيحائية، أي لغة الشوتيت، بطلاقة. بلا لكنة ولا نقص في المفردات. فأنت لا تستطيع التحدّث باللغة الشوتيتية بهذه الطريقة، وبهذه الفطرية، من دون أن يكون لديك دماء شوتيتية. ومن دون أن تكون مُنتمياً إلينا، إن صح التعبير. وأنا رأيتُ ذلك... بوضوح».

سألني فيك: «بأية طريقة؟». عندما رفع كأسه إلى فمه، رأيتُ خواتمه، خاتم في كل إصبع. وكلها بسيطة خالية من الزخرفة، فتساءلتُ لماذا يضعها.

أجبته: «لقد أثبت خادمي بشكل فطري أنه من الشوتيت بشكل فطري، فهو مقاتل جيد، وذو نظرة طيبة ما يجعل شعبنا مُميّز. كما أنّ قابليته لتبنّي ثقافتنا... مدهشة».

تناغمت إيما معي في الحديث وعلقت: «هذا تأكيد على ما كنت أقوله لك، إنه دليل على وجود ذاكرة ثقافية وتاريخية في الدماء الشوتيتية تؤكّدان على أنّ كل الناس الذين يُسمّون (مخطوفين) –الناس الموهوبين باللغة الشوتيتية –والذين ينجحون بالعودة إلى أرضنا يظهرون انتماء حقيقياً».

كانت جيدة بالتظاهر بكونها مُخلصة.

قال فيك: «حسناً، إنها نظرية مثيرة للاهتمام».

«يجب أن نعرف أيضاً بشأن الجرائم الماضية عن واحد من... هل نقول، واحد من الكواكب الأكثر نفوذاً في المجرة... ضدّ شعبنا. وغزو أرضنا، وخطف أطفالنا، والعنف اتجاه– وأحياناً حتى قتل– مواطنينا». تغضّن جبين رايزك وكأن

الفكرة بحدّ ذاتها آلمته. «بالتأكيد هذا ليس خطأ كوكب بيثا، الذي لطالما كنا على أفضل العلاقات معه. لكن التعويضات جاهزة بالتأكيد. ومن ثوفيه على وجه الخصوص».

أجاب فيك وهو ينقر خواتمه بعضها ببعض: «مع ذلك، لقد سمعتُ إشاعات عن أنّ الشوتيت مسؤولون عن موت واحد من كهنة ثوفية وخطف آخر».

أجاب رايزك: «لا صحة لما تتفضل به. فنحن لا نعرف سبب انتحار الكاهنة الثوفية السابقة، فنحن لا نعرف أسباب أي شيء يفعله الكهنة، أليس كذلك؟».

كان يلتمس العملانية البيثارية في فيك. فلا أهمية للكهنة هنا، فقد كانوا مجرد مجانين يصرخون فوق الأمواج.

نقر فيك بأصابعه على الكأس التي يحملها بيده الأخرى وقال بفتور: «نعم، ربما نستطيع مناقشة فرضيتك بشكل أوسع. وربما هناك مجال للتعاون بين كوكبنا وبين... أمّتك».

قال رايزك بابتسامة: «أمة، نعم، هذا كل ما نطلب أن نُدعى به. أمة مستقلة، قادرة على تحديد مستقبلها».

قلتُ وأنا ألمس ذراع رايزك برفق، على أمل أن تتسبب لمستي بلسعه: «عذراً منك، سأذهب للبحث عن شراب آخر».

قال رايزك لي: «لكِ ما أردتِ». وعندما التفتُ، سمعته يقول لـفيك: «هبتها التيارية تُسبّب لها ألماً دائماً، كما تعلم. نحن دائماً في بحث عما يحسن من حالها، مع أنها تكون في بعض الأحيان أفضل حالاً».

مشيت وأنا أكزّ على أسناني إلى أن أصبحتُ بعيدة جداً ولم يعد باستطاعتي أن أسمع. شعرتُ أني سأتقيّأ. لقد أتينا إلى البيثاريين بسبب أسلحتهم المتطورة، ولأنّ رايزك يريد حليفاً. وبطريقة ما، ساعدته على تحقيق ذلك. وأنا أعلم لأي غرض يريد رايزك الأسلحة؛ كي يستخدمها ضدّ ثوفية، وليس «كي نصبح أمة مستقلة» كما أوهم فيك. كيف بإمكاني مواجهة أكوس الآن، مع علمي بأني ساعدتُ أخي لشنّ حرب ضد وطنه؟ لم أبحث عنه.

سمعتُ صوت قعقعة بعيدة مثل الرعد. فظننتُ في البداية أننا نسمع أصوات العاصفة عبر المياه التي تفصلنا عن السطح. ثم رأيتُ، من خلال الفراغات بين الحشد، صفاً من الموسيقيين في مقدمة القاعة. عُتمت الإضاءة السقفية في كل مكان ماعدا تلك الموجودة فوقهم. جلس كل واحد منهم وراء طاولة متوسطة الارتفاع، وعلى كل واحدة منها آلة معقّدة كنتُ قد أريتها لأكوس عندما كنا في سوق الشوتيت. لكنّ هذه كانت أكبر بكثير وأكثر تعقيداً من التي رأيناها وقد تلألأت في الضوء الخافت.

تلت قعقعة الرعد ضربة قوية، مثل ضربة صاعقة. وعند ذلك، بدأ الموسيقيون الآخرون بالعزف، مولدين أصواتاً مثل صوت المطر الخفيف، والإيقاع العميق لحبات المطر الأكبر حجماً. وآخرون عزفوا أصوات الأمواج المتلاطمة، وارتطام الماء بالشاطئ. كل ما حولنا كان أصوات مياه، تقطر من صنابير، وتتدفّق من شلالات. فأغمضت إحدى النساء البيثاريات الواقفة بجانبي عينيها وتمايلت في مكانها.

ومن دون أن أبحث عنه، وجدتُ أكوس بين الحشد، وهو لايزال يحمل كأسين، وكلتاهما فارغة الآن. فابتسم قليلاً.

قلتُ في نفسي، يجب عليّ أن أُخرجكَ من هنا، وكأنّ بإمكانه سماعي. وسوف أفعل ذلك.

الفصل الحادي والعشرون أكوس

لم يستطيع أكوس النوم في الغرف الباردة والفارغة في العاصمة البيثارية، فلم يسبق له أن نام من دون أن يكون هناك باب يفصله عن سايرا وبالتالي لم يكن يعلم أنها تحلم طوال النوم وتكز على أسنانها وتتأوه وتتمتم. لقد أمضى معظم الليل وعيناه مفتوحتان، بانتظار أن تهدأ، لكنّ ذلك لم يحدث.

لم يسبق له أن نام في غرفة فارغة كهذه؛ أرضيات رمادية متلائمة مع الجدران الباهتة. والأسرة من دون جوانب تغطيها ملاءات بيضاء. وفي ساعات الصباح المبكرة، عندما عاد الضوء إلى العالم، استطاع أن يرى متاهةً من السقالات تحت المياه، ورأى طيناً أخضر ونباتاً متعرّشاً أصفر ومرناً يلتف حولها. كانت تلك السقالات تشكل دعامة المدينة العائمة.

حسناً، كان هناك شيء مشترك بين بيثار وثوفية، في هذه الساعات المبكرة، كان أكوس مشغولاً بسؤال لم يفارقه: لماذا لم يبتعد عندما قبّلته سايرا؟ فلم يبدُ الأمر وكأنها فاجأته؛ مالت نحوه، ويدها الدافئة تضغط على صدره، وكأنها كانت تدفعه تقريباً. لكنه لم يحرّك ساكناً. لقد قلّب الأمر في عقله مراراً وتكراراً.

ربما أحببتُ ذلك، فكّر في نفسه، عندما كان يضع رأسه تحت صنبور الحمام ليُبلّل شعره.

لكنه كان خائفاً حتى من الاستمتاع بالفكرة. فهذا يعني أنّ القدر الذي يقلقه، القدر الذي يشدّ على الأوتار التي تربط قلبه بثوفيه والوطن، قد انزاح فجأة عن وجهه.

قالت سايرا، وهما يمشيان نحو رصيف الهبوط جنباً إلى جنب: «أنت هادئ، هل أثّر فيك زيت المحرك الذي شربته الليلة الماضية؟».

قال: «كلا». بدا من الخطأ ممازحتها بشأن التكلم أثناء نومها، عندما عرف على الأرجح أنواع الأشياء التي تلازمها. «إنه... مكان جديد فقط، هذا كل شيء».

قالت مُعبّرةً بوجهها: «هذا صحيح، حسناً، لا أزال أتجشأ أشياء حامضة، ولذا يجب أن أقول إني لستُ مُتيّمة بيبثا».

«عدا...» بدأ قوله ليضيف شيئاً ما حول الحفلة الموسيقية في الليلة الماضية.

قاطعته قائلةً: «الموسيقى، نعم».

لامست أصابعه أصابعها، فأبعدها بسرعة. لقد كان واعياً جداً لأي لمسة الآن، رغم أنّ سايرا وعدتْ بأنها لن تقوم بحركة أخرى، وهي لم تتكلم عن الأمر منذ ذلك الحين.

وصلا إلى الممر الخارجي المسقوف حيث وجدوا بعض الأشخاص يرتدون ملابس صامدة للماء وأحذية عالية. لم يكن رايزك وإيما وفاس وسوزاو وإيجيه هناك، إنما فاركيز ومالان. ومالان يبحث بين الأحذية ليجد واحداً مناسباً له. كان رجلاً قصيراً ونحيلاً بلحية كظل تحت فكّه، وعينين برّاقتين.

قال مالان: «سايرا» وهو يومئ برأسه بينما كان فاركيز ينظر إلى أكوس الواقف بشكل مستقيم رافعاً ذقنه. لايزال بإمكانه تذكر صوت فاركيز يوبّخه بسبب مشيته المتثاقلة، وجرّه لقدميه، وتلفّظه بالكثير من اللعنات باللغة الثوفية.

قال فاركيز: «كيرسيث، تبدو أضخم».

«هذا لأني أغذّيه في الحقيقة، بخلاف مطبخ ثكناتك». دفعت سايرا ببذلة خضراء لامعة بين ذراعي أكوس عليها علامة حرف L. عندما فردها كان طولها

وعرضها متناسبين تقريباً، ولكن لم يكن من داعٍ للشكوى طالما لن يدخل ماء في حذائه.

قال مالان بصوته الرفيع: «ها أنت ذا».

علق فاركيز وهو يدفعه بمرفقه: «لقد اعتدت أن تأكل هناك من دون شكوى».

قال مالان: «هذا فقط لأني كنتُ أحاول جعلك تنتبه إليّ، وأنا لم أعد إلى هناك منذ ذلك الوقت».

راقب أكوس سايرا وهي ترتدي بذلتها كي يقلدها. بدا الأمر سهلاً للغاية بالنسبة إليها وتساءل إن سبق لها زيارة بيثا، لكنه شعر أنه من المستغرب طرح الأسئلة عليها بوجود فاركيز هناك. أدخلتْ ساقيها في البذلة وشدّت الأحزمة التي لم ينتبه لها من قبل حول كاحليها، وضمّت القماش حول جسدها. وفعلت الشيء نفسه بالأحزمة التي حول معصميها، ثم ثبّتت البذلة حتى حنجرتها. كانت بذلتها بلا شكل مثل بذلته.

قال فاركيز لسايرا: «نحن نخطّط للانضمام لإحدى المجموعات التي تذهب للبحث عن الأشياء المفيدة، لكن إذا كنتِ تفضّلين أن نذهب بسفينة منفصلة...».

قالت سايرا: «كلا، أُفضّل الاندماج مع جنودك شكراً لك». ليس هناك من أفكار دقيقة، هذا هو أسلوب سايرا.

ما إن ارتدى الجميع بذلاتهم وحزموا أحذيتهم العالية، حتى مشوا في النفق المسقوف نحو السفينة. ليست السفينة التي طاروا بها في اليوم الفائت، لكنها إحدى العوامات الدائرية الأصغر حجماً، ذات سطح على شكل قبّة بحيث تنزلق المياه عنها عندما تطير.

بعد وقت قصير، كانوا يطيرون فوق الأمواج، التي بدت مثل أكوام الثلج بالنسبة إلى أكوس. كان معهم الكابتن نفسه الذي طار بهم البارحة – كان اسمه ريل – وأشار إلى المكان الذي يتوجهون إليه: جزيرة كبيرة، بحجم قطاع من مدينة، فيه أكوام عالية من الأنقاض والخردوات حيث يحتفظ البيثاريون بنفاياتهم عائمة. من بعيد، بدت كومة النفايات مثل كتلة رمادية مائلة للبني، لكن ما إن

اقتربوا منها حتى رأوا الأجزاء التي جعلتها مرتفعة: صفائح معدنية معقوفة، وعوارض معدنية صدئة بمسامير وبراغٍ لاتزال معلقة فيها، وأقمشة مبللة من جميع الألوان، وزجاج مشقوق راحة اليد. كانت كتيبة فاركيز مُتجمّعة عند إحدى الأكوام الكبيرة، وجميعهم يرتدون البذلات نفسها.

هبطوا خلف الكتيبة، وخرجوا من العوامة واحداً بعد آخر، وكأن ريل آخرهم. ربتت قطرات المطر الثقيلة، على رأس أكوس وكتفيه وذراعيه، فشعر بدفئها على خدّيه وهذا أمر غير مُتوقَع.

قال أحد أفراد الكتيبة:

«جدوا الأشياء ذات القيمة الحقيقية، كمحركات وآلات تيارية حديثة، وخردوات معدنية سليمة، وأسلحة مُعطّلة أو مُهملة. لا تتسببوا بأية مشاكل، وإذا صادفتم مراقبين محليين، عاملوهم بلياقة ودعوهم يأتون إليّ أو إلى القائد نوفاك، الذي انضم إلينا للتو. أهلاً بك يا سيدي».

أومأ له فاركيز برأسه، وأضاف: «تذكّروا، إنّ سمعة ملككم وسمعة الشوتيت نفسها على المحك هنا. إنهم ينظرون إلينا كبرابرة وجهلة. يجب عليكم أن تحسنوا التصرّف».

ضحك بعض الجنود، ولم يكونوا واثقين أنه يجب عليهم الضحك، بما أنّ فاركيز لم يكن يبتسم ولو قليلاً. لم يكن أكوس واثقاً من أنّ وجه القائد يتذكر كيفية الابتسام.

«باشروا العمل!».

اندفع بعض الجنود إلى الأمام لتسلّق الكومة التي أمامهم مباشرةً، وهي مُكوّنة من قطع خاصة بالعوامات. بحث أكوس بين الأشخاص المُتلكّئين في الخلف عن وجوه كان يعرفها من أيام التدريب، لكن كان من الصعب التميز – فهم يرتدون أغطية للرأس بدت مثل خوذات، وأقنعة لحماية أعينهم من المطر. لم يكن وسايرا يرتديان أياً منها – بقي يرمش بسبب قطرات المطر التي تدخل في عينيه.

قال مالان: «خوذات، أعرف أننا نسينا شيئاً ما. هل تودين أن أطلب من أحد الجنود أن يعطيك خوذته يا سايرا؟».

أجابت سايرا بعنف بعض الشيء: «كلا، أقصد... لا. شكراً لك».

تساءل مالان: « لماذا تبدو تلك الكلمات البسيطة مثل (رجاءً) و(شكراً) غير طبيعية على الإطلاق وهي تخرج من أفواه آل نوفاك؟».

«لابدّ أنّ ذلك يجري في دمائنا، تعال يا أكوس، أظنني رأيت شيئاً مفيداً».

وضعت يدها في يده وبدا الأمر عادياً. وربما وجب أن يكون كذلك، فهو يريح ألمها فقط، مثلما يفترض أن يكون. لكن بعد الطريقة التي لمسته بها في غرفتها في سفينة الإقامة المؤقتة، بحماس ووقار، كيف بإمكانه أن يضع يده بيدها بشكل عرضي مرة أخرى؟ فكل ما كان بإمكانه التفكير بشأنه هو مقدار الضغط وشدته. مشيا بين كومتين من قطع العوامات، نحو امتداد من الخردة المعدنية، بعضها ذو ألوان مثل الجلد الملسوع بأشعة الشمس. مشى أكوس نحو طرف الجزيرة، حيث حافظت العوارض المعدنية الضخمة على شكل الأرض التي صنعها الإنسان. لم يكن يبحث عن أسلحة، أو خردوات، أو آلات. كان يبحث عن أشياء صغيرة تروي قصصاً: مثل ألعاب مكسورة، وأحذية قديمة، وأوانٍ مطبخية.

جثمت سايرا بالقرب من عمود محنيّ وكأنه كان ضحية اصطدام. وعندما جذبته، بقي ينسحب فوق العلب الفارغة والأنابيب المتصدّعة. وفي نهاية العمود - الذي كان أطول من أكوس بمرتين - كان هناك علم مُمزّق بخلفية رمادية ودائرة من الرموز في وسطه.

ابتسمت وهي تخاطبه: «انظر إلى هذا، هذا هو علمهم القديم، قبل قبولهم في مجلس الكواكب التسعة. عمره على الأقل ثلاثون موسماً».

سألها وهو يقبض على الزاوية المهترئة: «لماذا لم يفتته المطر؟».

أجابته:»كوكب بيثا مشهور بالمواد المتينة؛ زجاج لا يتحطم ومعدن لا يصدأ، وقماش لا يتمزّق، ومنصّات عائمة يمكنها حمل مدن بأكملها».

«أليس مشهوراً بعدة صيد السمك؟».

هزّت رأسها بالنفي وقالت: «لا يوجد أسماك بالقرب من السطح تصلح للصيد التقليدي. لقد سمعتُ بأنّ مراكب الصيد في البحار العميقة تقوم ببعض العمل؛ بإمكان سمكة واحدة إطعام المدينة بأكملها».

«هل دائماً تذكرين أشياء مهمة تعلمينها عن أماكن تكرهينها؟».

ردت عليه: «كما أخبرتك البارحة، ليس هناك من أصدقاء، وهناك الكثير من الوقت. دعنا نجد آثاراً طينية قديمة، هلا فعلنا ذلك؟».

بحث في طرف الجزيرة عن... حسناً، لا شيء محدّد، في الواقع. بعد فترة من الوقت، بدا كل شيء يشبه بعضه بعضاً، فالمعدن الباهت مفيد كالأشياء اللامعة، وكل الأقمشة باهتة باللون نفسه. لقد وجد في الطرف المقابل هيكلاً عظمياً لطائر متعفن نوعاً ما، لديه قدمان شبكيتان- إنه طائر سابح -ومنقار معقوف بشكل مؤذٍ.

سمع صرخة خلفه، فاستدار برشاقة ليطمئنّ أنّ سايرا بخير، لكنّ أضلاعه المصابة بالكدمات أزعجته. رأى أسناناً وامضة... كانت تبتسم، وتصرخ على شخص آخر. عندما عاد إليها، توقّع أن يرى شيئاً لامعاً ومفيداً، لكنه كان معدناً بلون رمادي باهت.

قال الجندي الذي وصل إلى جانب سايرا أولاً: «يا للهول... القائدة نوفاك!».

كانت عيناها جاحظتين من خلف القناع المبقّع بالمطر، فهرول فاركيز إلى هناك.

قالت سايرا بحماس: «رأيتُ جانباً منه، فحفرتُ أكثر عمقاً، أعتقد أنها قطعة كبيرة».

كان بإمكانه أن يتكهن بما قصدته... جانب الشي الذي وجدته كبير، وهناك في كومة الخردة وميض بالظل نفسه. بدا أنّ الشراع كان بطول عمود العلم. لم يفهم لماذا كانت شديدة الحماس بشأنه.

قال لها: « سايرا، آنسة نوفاك؟»

قالت وهي تجذب القماش بعيداً عن المعدن: «هذا أكثر المواد قيمةً في بيثا. إنه أجينتو، قوي بما يكفي لتحمّل صدمات من كويكبات. ويتحمّل بشكل جيد

عند مرورنا عبر الدفق التياري. إنه الشيء الوحيد الذي استخدمناه طيلة السنوات العشر الماضية، في إصلاح سفينة الإقامة المؤقتة، لكن من النادر إيجاده».

أتى نصف أفراد الكتيبة راكضين، وساعدوها في إخراج الشراع من الأرض، والكل يتبسم مثلما كانت تفعل. وقف أكوس في الخلف بينما هم يحفرون عميقاً، وأخيراً أظهروا ما يكفي من الشراع كي يمسكوا به جيداً. وسحبوه معاً من الركام، ثم حملوه إلى سفينة النقل، التي فيها مكان كبير بما يكفي للأجينتو.

لم يعرف ماذا يفعل عند رؤيتهم يعملون معاً؛ سايرا وفاركيز نوفاك هناك مع جنود عاديين، وكأنهما ليسوا من العائلة المالكة. بدا مظهر سايرا شبيهاً بمظهرها عندما يعدان خليط الأزهار الجليدية معاً وتنجح بمهمتها في نهاية الأمر. ظن أنها تبدو كذلك لأنها تشعر بالفخر من قيامها بأمر مفيد؛ لقد بدت جميلة.

عندما كان طفلاً، كان يحلم بالذهاب خارج الكوكب، وجميع أطفال هيسا حلموا مثله، لأنّ معظمهم كانوا فقراء جداً كي يسافروا. عائلة كيرسيث كانت أكثر ثراءً من معظم سكان هيسا، لكنهم بالرغم من ذلك، لم يكونوا يمتلكون شيئاً مقارنة بمالكي المزارع في شيسا أو أوسوك، في الشمال. مع ذلك، وعده والده بأنه يوماً ما سوف يأخذه إلى الفضاء، وبإمكانهم أن يزوروا كوكباً آخر، من اختيار أكوس.

لم يكن الكوكب المائي خياره الأول، أو حتى الثاني. لم يكن الثوفيون يعرفون السباحة أبداً، لأنّ كل الماء الذي عندهم يأتي على شكل جليد. لكنه الآن موجود في بيثا. كان على مرمى السمع من الأمواج المتلاطمة، ورأى السطح المزبد في الأعلى، وشعر بمدى صغره عندما وقف على مهبط الطيران والمياه تحيط به من كل اتجاه، والمطر الدافئ يطرق على رأسه.

عندئذٍ، وحالما بدأ يتعود ذلك، انتهى كل شيء. كان يقطر ماءً على أرضية العوامة، حاملاً قارورة من مياه المطر. كانت سايرا من أعطته إياها عندما حمّلوا الأجينتو في سفينة النقل. قالت وهي تهزّ كتفيها، وكأنّ ذلك لا يعني شيئاً: «ربما تكون تذكاراً لك من زيارتك الأولى لكوكب». اكتشف أكوس أنه لم يكن هناك

كثير من الأشياء التي لا تعني أي شيء لسايرا.

لم يعرف في البداية معنى تذكار، ذلك أنه ليس ثمة أحد يريه إياه، ولن يكون بمقدوره رؤية عائلته مرة أخرى. وسوف يموت بين الشوتيت.

لكن عليه الاحتفاظ بفسحة الأمل على الأقل لأجل أخيه. ربما باستطاعة إيجيه أن يأخذها معه إلى الوطن، عندما يتمكن جوريك من إخراجه.

وضعت سايرا قطعتين من العلم القديم في حضنها، وبالرغم من أنها لم تكن تبتسم، إلا أنها كانت تملك طاقة شرسة في وجهها، بسبب عثورها على الأجينتو.

قال أكوس عندما تأكد أن فاركيز ومالان لا يستمعان إليه: «أظنّ أنكِ قمتِ بعمل جيد».

أومأت برأسها مرة واحدة موافقة: «نعم، نعم أظن ذلك». وبعد لحظة، أضافت «أظن أنه كان من المُحتّم أن يحصل ذلك في نهاية الأمر».

قال وهو يميل رأسه إلى الخلف: «ظلالك التيارية ليست بهذه القتامة». كانت هادئة حينها. طوال طريق العودة إلى سفينة الإقامة المؤقتة حدقت إلى خطوط الظلال – تبدو الآن رمادية أكثر منها سوداء –التي تسري فوق راحة يدها.

لقد استطاعوا العودة في وقت مبكر، وجميعهم مبللون تماماً. كما عادت بعض السفن الأخرى من البحث عن الأشياء المفيدة في وقت مبكر، لذا كان هناك أناس بملابس مبللة يتجولون في كل مكان، وهم يتبادلون القصص. فنزع الجميع البذلات الصامدة للمياه عن أجسادهم ورموها على شكل أكوام من أجل تنظيفها.

في طريق عودتهما إلى مكان إقامتها سأل سايرا: «إذاً في حوزة الشوتيت مجموعة صغيرة من الملابس الصامدة للمياه فقط؟».

أجابت: «لقد سبق لنا زيارة بيثا. فلكل ملك باحثون يقومون بتحضيرات لكل كوكب مسبقاً، لكن بشكل أساسي، يعرف كل شخص في عمر معين كيف يبقى على قيد الحياة في شتى البيئات المختلفة؛ في الصحراء والجبال والمحيطات والمستنقعات...».

«الصحراء، أنا لا أتخيل حتى المشي فوق رمال ساخنة».
قالت: «ربما ستفعل ذلك يوماً ما».
انهارت ابتسامته، فربما كانت محقة. كم عدد رحلات الإقامة المؤقتة التي سيقوم بها قبل أن يموت في سبيل عائلتها؟ اثنتان؟ ثلاثة؟ عشرون؟ وكم كوكباً سيزور؟
بدأت بالكلام: «ليس هذا ما...» ثم توقفت، «الحياة طويلة يا أكوس».
قال مرذداً كلام أمه: «لكن الأقدار مؤكدة». بعضها بدا أكثر تأكيداً من قدره أيضاً. الموت والخدمة وعائلة نوفاك. كان ذلك واضحاً بما يكفي.
توقفت سايرا. كانا قرب غرفة التدريب العامة، حيث الهواء برائحة العرق والأحذية القديمة. فلفّت ذراعها حول معصمه بقوة.
قالت له: «إذا ساعدتكَ في الخروج من هنا حالاً، هل تغادر؟».
نبض قلبه بعنف: «ماذا تقصدين؟».
أجابت سايرا وهي تتكئ عليه أكثر: «الفوضى تعم رصيف التحميل». كانت عيناها قاتمتين جداً، تقريباً سوداوين ومفعمتين بالحيوية أيضاً، وكأنَ الألم الذي عذّب جسدها أعطاها طاقة لتختزنها. «الأبواب تفتح كل بضع دقائق متيحة لسفينة جديدة الدخول. لا أظن أنهم يستطيعون إيقافك إذا سرقتَ عوامة الآن؟ يمكنك أن تصل هيسا في غضون أيام».
في هيسا في غضون أيام. لقد استرجع أكوس ذكرى هيسا التي بدت له مألوفة. حيث كانت سيسي تبتسم لوحدها وأمه تغيظهم بأحجيات تنبؤية. ومطبخهم الدافئ الصغير بمصباحه الأحمر من الحجر الناري. وبحر الأعشاب الريشية التي تنمو ملاصقةً لمنزلهم، والسنابل التي تلامس نوافذهم. والسلالم التي تُصدر صريراً، المؤدية إلى الغرفة التي يتقاسمها مع...
قال وهو يهزّ رأسه: «كلا، لن أغادر من دون إيجيه».
قالت سايرا بحزن وهي تبتعد عنه: «هذا ما كنتُ أظنه». عضّت على شفتها وبدا الألم في عينيها. ومشيا إلى مكان إقامتها من دون أن ينبسا ببنت شفة، وعندما

وصلت إلى هناك، ذهبت مباشرةً إلى الحمام كي ترتدي ملابس جافة. ووقف أكوس أمام شاشة الأخبار على غير عادته.

في العادة، يتم ذكر ثوفية في شريط الكلمات التي تظهر أسفل الشاشة، وحتى هناك، كما أخبرته سايرا، كانت الأخبار فقط عن محصول الأزهار الجليدية. فهي في الواقع الشيء الوحيد التي تهتم به الكواكب الأخرى، عندما يتعلق الأمر بكوكبهم البارد، بما أنها تُستخدم في كثير من الأدوية. لكن اليوم، أظهرت الصور كومة ضخمة من الثلج.

لقد عرف المكان، إنه أوسوك، المدينة التي تقع في أقصى شمال ثوفية، بيضاء ومُتجمّدة. كانت الأبنية هناك تعوم في السماء مثل غيوم مصنوعة من زجاج، محمولة عبر تقنية أوثيرية لم يكن يفهمها. وهي تشبه شكل قطرات المطر، مثل بتلات ذابلة، لها نتوء في طرفيها. لقد ذهبوا إلى هناك في إحدى السنين كي يروا أبناء عمهم وهم ملفوفون بملابسهم الدافئة، وبقوا في شقتهم في إحدى البنايات، المُعلّقة في السماء مثل فاكهة ناضجة لن تسقط أبداً. لاتزال الأزهار الجليدية تنمو في أقصى الشمال، لكنها كانت بعيدة، بعيدة في الأسفل، مثل لطخات ملونة من تلك المسافة.

جلس أكوس على طرف سرير سايرا، مُبللاً الملاءات بملابسه الرطبة. كان من الصعب عليه التنفّس. أوسوك، أوسوك، أوسوك، كانت الأنشودة في عقله. ندف ثلج بيضاء في مهب الريح. وأشكال مجمدة على النوافذ.

«ماذا هناك؟». كانت سايرا تُجدّل شعرها بعيداً عن وجهها، فأنزلت يديها عندما رأت الشاشة.

قرأت الترجمة بصوت عال: «المستشار المُقدّر لـثوفية يتخذ إجراءً».

نقر أكوس على الشاشة كي يرفع الصوت باللغة الأوثيرية، فتمتم الصوت: «... إنها تعد بموقف قوي ضد رايزك نوفاك نيابةً عن كهنة ثوفية، الذين فُقدوا من موسمين ماضيين كما زُعم في غزو شوتيتي للوطن الثوفي».

سألت سايرا: «أليست مستشارتكم مُنتخبة؟ أوليس لهذا السبب يستخدمون

كلمة (مستشار) بدلاً من (ملك) لأنّ المنصب يُنتخب بدلاً من أن يُورّث».

أجابها: المستشارون الثوفيون مُقدّرون. ويتم انتخابهم عن طريق التيار، كما هم يقولون، نحن نقول». لو أنها انتبهت لزلّته في كلامه من «نحن» إلى «هم» لما ذكرت ذلك. «ليس هناك مستشار في بعض الأجيال، ونحن لدينا ممثلون إقليميون فقط... وأولئك مُنتخبون».

«آه». التفتت سايرا نحو الشاشة وراقبتها وهي تجلس بجانبه.

كان هناك حشد عند منصة الهبوط، حيث حطّت سفينة عند طرفها وفُتحت الكوة. وما إن نزلت امرأة مُتشحة بالسواد، حتى هدر الحشد بالهتافات. اقتربت الكاميرات منها وأظهرت وجهها، وهو ملفوف بوشاح يُغطي أنفها وفمها. لكنّ عينيها كانتا داكنتين، بمُسحة من لون رمادي حول بؤبؤها – كانت الكاميرات قريبة جداً، تئزّ مثل الذباب على وجهها – فانسحبت بلطف.

لقد عرفها.

قال وهو يلهث: «أوري».

كان هناك امرأة أخرى خلفها مباشرةً، بنفس طولها ونحولها، ومُغطاة مثلها. عندما تحوّلت المشاهد إليها، رأى أكوس أنّ المرأة هي نفسها، حتى مثل رموش عينيها. لم يكونا أختين فقط، بل توأم.

أوري لديها أخت.

أوري لديها نسخة مطابقة لها.

بحث أكوس في وجهيهما عن أثر للاختلاف، فلم يجد شيئاً.

للحظة، كل ما استطاع فعله هو الإيماء برأسه. ثم تساءل في نفسه ما إذا كان يجب أن يفعل ذلك. فقد كانت أوري تُعرف باسم «أوريف ريدنيلز» فقط –هو ليس اسماً من المفترض أن يخصّ طفلاً مُفضلاً قدرياً – لأنّ هويتها الحقيقية كانت خطيرة. ما يعني أنه من الأفضل أن يحتفظ بذلك لنفسه.

لكنّه فكّر وهو ينظر إلى سايرا، ولم يستطع إنهاء الفكرة، لقد ترك الكلمات تندفع فقط:

«لقد كانت صديقة لعائلتنا عندما كنتُ طفلاً. وعندما كانت طفلة، كان لها اسم مستعار. أنا لم أكن أعرف أنّ لها... أختاً».

قالت سايرا وهي تقرأ الأسماء من الشاشة: «إيساي وأوريف بينيسيت».

دخل التوأم أحد الأبنية. بدت كلتاهما رشيقة مع النسيم من داخل المبنى الذي يدفع بمعطفيهما -المُزرّرين من الجانب، عند الكتف - المشدودين على جسديهما. لم يتعرّف إلى الفراء في وشاحيهما أو قماش المعاطف نفسها، الأسود والخالي من الثلج حتى الآن. إنها مواد من العالم الخارجي.

قال: «ريدنيلز هو الاسم الذي كانت تستخدمه. وهو اسم ينتمي إلى هيسا. واليوم الذي أُعلنت فيه الأقدار كان آخر يوم أراها فيه».

توقفت إيساي وأوريف لتحية الناس في طريقهما إلى الداخل، لكن ما إن ابتعدتا، وركّزت الكاميرات خلفهما، رأى طيف حركة. فقد وضعت الأخت الثانية ذراعها حول عنق الأخت الأولى، وجذبتها قريباً منها. إنها الطريقة نفسها التي كانت تفعلها مع إيجيه عندما تريد أن تهمس شيئاً ما في أذنه.

عندئذٍ لم يستطع أكوس رؤية الكثير، لأنّ عينيه كانتا مليئتين بالدموع. كانت تلك أوري، التي لديها مكان على طاولة عائلته، والتي عرفته قبل أن يُصبح... هذا! هذا الشيء القاتل المُدرّع والمُنتقِم.

قال: «بلادي لديها مستشار».

قالت سايرا: «مبروك». ثم سألت بتردد، «لماذا أخبرتني بكل هذا؟ ربما هذا ليس بالشيء الذي يجب أن تُذيعه هنا. اسمها المستعار، وكيف عرفتها، وكل ذلك».

رمش أكوس بعينيه بسرعة كي يرى جيداً وقال: «لا أدري، ربما لأنني أثق بك».

رفعت يدها وتردّدت في وضعها على كتفه، ثم أنزلتها، وهي تلمسه برفق. كانا يشاهدان الشاشة جنباً إلى جنب.

«لن أبقيكَ هنا أبداً، وأنت تعرف ذلك، صحيح؟». كانت بغاية الهدوء. وهو

لم يسمعها بذلك الهدوء من قبل. «ليس بعد الآن. وإذا أردتَ أن تغادر فسأساعدك في ذلك».

غطى أكوس يدها بيده. لمسة خفيفة فقط، لكنها مشحونة بالطاقة. مثل ألم لم يكن يمانع به.

سألها: «في حال تمكنت من إخراج إيجيه هل تغادرين معي؟».

قالت متنهدة: «أنت تعلم أنني سأفعل، لكن فقط إذا مات رايزك».

بينما كانت السفينة في طريقها إلى الوطن، وصلت أخبار نجاحات رايزك في بيثا بالتتالي. كانت أوتيجا هي مصدر معظم أقاويل سايرا، كما اكتشف أكوس، فهي على علم جيد بأشياء حتى قبل إعلانها.

قالت أوتيجا وهي تسكب الحساء ذات ليلة: «الملك سعيد، أظنه توصّل إلى تحالف. بين أمة تؤمن بالقدر تاريخياً مثل الشوتيت وكوكب علماني مثل بيثا، وهذا ليس بالأمر السهل». ثم نظرت إلى أكوس بطريقة غريبة وقالت: «كيرسيث، أفترض أنّ سايرا لم تقل إنك كنت...» وتوقفت عن الكلام.

رفعت سايرا حاجبيها وكأنهما كانا على نوابض. كانت تتكئ على الجدار وذراعاها مطويتان وهي تمضغ إحدى خصلات شعرها، فهي تضعها في فمها أحياناً من دون أن تنتبه. ثم بصقتها بنظرة استغراب وكأنها زحفت إلى فمها من تلقاء ذاتها.

«طويلاً جداً». أنهت أوتيجا عبارتها. فتساءل أكوس ما الكلمة التي اختارتها، في حال شعرتْ بالراحة كونها صادقة.

أجابها أكوس: «لستُ واثقاً من سبب ذكرها لذلك». من السهولة الإحساس بالارتياح بوجود أوتيجا، فتابع كلامه دون تفكير مطول بما سوف يقوله، «في النهاية هي طويلة أيضاً».

قالت أوتيجا من بعيد: «نعم، طويلة تماماً، مثلك، حسناً، استمتع بذلك الحساء».

عندما غادرتْ، توجّهت سايرا إلى شاشة الأخبار كي تُترجم له العناوين

الشوتيتية. هذه المرة كان اختلافها يدعو للّعثمة. فالكلمات الشوتيتية تقول ظاهرياً: «افتتح المستشار البيثاري مفاوضات دعم ودّية في ضوء زيارة الشوتيت إلى العاصمة البيثارية». لكنّ التعليق بالأوثيرية يقول: «تُهدّد بينيسيت، مستشارة ثوفية بفرض حظر على تجارة الأزهار الجليدية ضد بيثا عشية محادثاتهم الأولية بشأن مساعدات مع القيادة الشوتيتية».

علّقت سايرا قائلةً: «من الواضح أنّ مستشارتكم ليست سعيدة أنّ رايزك قد سحر البيثاريين، فهي تهدد بحظر تجاري، وكل شيء».

قال أكوس: «حسناً، يحاول رايزك هزيمتها».

همهمث سايرا قائلةً: «تلك الترجمة لا تحمل أسلوب مالان، لابدّ أنهم استخدموا شخصاً آخر. فـمالان يحبّ تحوير المعلومات، لا أن يهملها كلياً».

كاد أكوس أن يضحك فقال: «هل بإمكانك أن تعرفي من هو عن طريق الترجمة؟».

قالت سايرا وهي تكتم صوت الأخبار: «هناك فن في الهراء الذي يخرج من آل نوفاك، لقد تعلمنا ذلك منذ الولادة».

كانت أماكن إقامتهم – بدأ أكوس يفكر بهم بهذه الطريقة، التي أصابته بالتشوّش – في عين العاصفة، هادئة ومستقرة في خضم الفوضى. فالجميع بدؤوا بالتحضير للهبوط. ولم يُصدّق بأنّ رحلة الإقامة المؤقتة شارفت على نهايتها، فقد شعر أنهم أقلعوا للتو. وفي ذلك الوقت، عندما فقد الدفق التياري آخر خطوطه الزرقاء، أدرك أن الوقت حان ليفي بوعده لجوريك.

قال أكوس لـسايرا: «هل أنتِ واثقة من أنه لن يُسلّمني إلى رايزك لأنني خدرته؟».

قالت سايرا لما يقرب الآن من مئة مرة: «سوزاو جندي في جوهره». ثم قلبت صفحة من كتابها وأضافت، «إنه يفضّل حلّ الأمور بنفسه، وتسليمك بهذا الشكل يُعتبر مناورة من أحد الجبناء».

انطلق أكوس نحو الكافتيريا. وكان على علم بدقات قلبه المتسارعة،

وأصابعه المضطربة. ففي هذا الوقت من الأسبوع يقوم سوزاو بتناول الطعام في الكافتيريات السفلية -كان واحداً من أقرب مناصري رايزك الأدنى مرتبةً، مما يعني أنه الشخص الأقل أهمية في معظم الأماكن التي يذهب إليها. لكن في الكافتيريات السفلية، قرب هدير محركات السفينة، يكون في مرتبة متفوقة ولو لمرة واحدة. كان المكان المثالي لاستفزازه – لن يُصاب بالعار أكثر من إهانة خادمه له أمام مرؤوسيه، أليس كذلك؟

لقد وعد جوريك بتقديم المساعدة في اللمسات الأخيرة. كان يسبق والده في الطابور عندما دخل أكوس إلى الكافتيريا، وهي غرفة كبيرة وشديدة الرطوبة في أحد أدنى سطوح السفينة. كما أنها ضيقة ومليئة بالدخان، لكن الهواء كان يعبق برائحة التوابل ما أسال لعابه.

وعلى طاولة مجاورة، كان هناك مجموعة من الشوتيت أصغر منه سناً، أزاحوا صوانيهم جانباً وهم يلعبون بآلات صغيرة بحجم راحة يد أكوس. مجموعة من المسننات والأسلاك المثبتة على عجلات، واحدة بمجموعة كبيرة من الكماشات المثبتة في مقدمتها، وأخرى بشفرة، وثالثة بمطرقة بحجم إبهام اليد. كانوا قد رسموا دائرة على الطاولة بالطبشور، وفي داخلها، تُطارد الآلات بعضها بعضاً، ويتم التحكم بها عن بعد. وعند اصطدامها ببعض، يصرخ المتفرجون ناصحين: «انتقل للعجلة اليُمنى! استخدم الكماشات، هل هناك فائدة منها في أي شيء آخر؟». كانوا يرتدون ملابس غريبة زرقاء وخضراء وبنفسجية، بأذرع عارية ملفوفة بأشرطة ذات ألوان مختلفة، وشعورهم محلوقة ومُضفّرة ومرفوعة إلى الأعلى. انتابه شعور غامر وهو يراقبهم، صورة لنفسه كطفل شوتيتي، يحمل جهاز تحكم عن بعد، أو أنه مُتكئ فقط على الطاولة وهو يراقب.

لم يحصل ذلك أبداً، ولن يحصل. لكن للحظة، بدا أنّ ذلك ممكن الحدوث.

التفتَ إلى كومة الصواني قرب طابور الطعام والتقط واحدة. كان معه قارورة صغيرة في يده، فاندس في الطابور مقترباً من سوزاو. وفي الوقت المناسب تماماً، تعثّر جوريك بالرجل الذي أمامه ما أسقط صينيته على الأرض. وأصاب الحساء

المرأة التي أمامه مباشرة بين كتفيها، فأطلقت شتيمة. ووسط الهياج الحاصل، استطاع أكوس وضع الإكسير في كأس سوزاو من دون أن ينتبه أحد له.

تجاوز جوريك بينما كان يساعد المرأة التي تلطّخت بالحساء في تنظيف نفسها. كانت تدفعه بمرفقها وهي تشتم.

عندما جلس سوزاو على طاولته المعتادة وشرب من كأسه الملوّث، توقف أكوس ليلتقط أنفاسه.

لقد اقتحم سوزاو منزله مع الآخرين، وكان يقف هناك يراقب بينما فاس يقتل والده. كانت بصماته على جدران منزل أكوس وآثار قدميه على الأرض، لقد وُسِم أكثر أمكنة أكوس أماناً بالعنف من أسفله إلى أعلاه. تلك الذكريات الهشة كما كانت من قبل، جهّزت أكوس ذهنياً لما سوف يحتاج إلى فعله.

وضع صينيته على الطاولة مقابل سوزاو، الذي مسح عينيه بذراعه.

قال أكوس: «هل تتذكرني؟».

كان سوزاو أصغر منه حجماً الآن، لكنه عريض المنكبين جداً فهو لم يبدُ بهذا الشكل عندما كان يجلس. وأنفه مُلطّخ بالنمش. لم يبدُ بأنه يشبه جوريك كثيراً، الذي كان يشبه أمه. وهذا أمر جيد أيضاً.

قال سوزاو وهو يعضّ على شوكته: «الطفل المثير للشفقة الذي جررته عبر الحد الفاصل؟ ثم أشبعته ضرباً قبل أن نصل حتى إلى سفينة النقل؟ نعم. أذكرك. والآن أبعد صينيتك عن طاولتي».

جلس أكوس طاوياً ذراعيه أمامه. فأعطته دفعة من الأدرينالين رؤية بحجم ثقب دبوس وكان سوزاو في مركزها تماماً.

«كيف تشعر الآن؟ هل أنتَ نعس قليلاً؟» قالها وهو يرمي بالقارورة أمامه.

تشقق الزجاج لكن بقيت القارورة على حالها، ولاتزال رطبة من جرعة المنوم التي سكبها في كأس سوزاو. خيّم الصمت في الكافتيريا وحدق الجميع إلى طاولتهما.

حدّق سوزاو إلى القارورة وأصبح وجهه أكثر تبقعاً بمرور الثواني، وعيناه مثل الزجاج من شدة الغضب.

مال أكوس مقترباً منه وهو يبتسم. «ربما كان مكان إقامتك ليس آمناً بالقدر الذي تحبه. ما هذا، هل هي المرة الثالثة التي تُخدّر فيها خلال شهر؟ أنت لست يقظاً كثيراً، أليس كذلك؟».

اندفع سوزاو وأمسك بحنجرته ثم رفعه وضربه على الطاولة بعنف، فوق صينية طعامه تماماً. حرق الحساء جلد أكوس من فوق قميصه. ثم سحب سوزاو سكينه وأمسك بطرفها فوق رأس أكوس وكأنه سوف يغرزها في عينيه.

زمجر سوزاو واللعاب يتطاير من فمه قائلاً: «يجب أن أقتلك».

فتحداه قائلاً: «هيا اقتلني، لكن ربما يجب أن تنتظر إلى الوقت الذي لا تكون فيه على وشك السقوط».

بالتأكيد، بدا سوزاو قليل التركيز. فقد أفلت حنجرة أكوس.

قال: «حسناً، إذاً سوف أتحدّاك في الحلبة لقتال بالسكاكين حتى الموت».

لم يخيب سوزاو الآمال المعقودة عليه.

انتصب أكوس ببطء وهو يُظهر يديه المرتجفتين وقميصه المُلطّخ بالطعام. فقد أخبرته سايرا بضرورة أن يتأكد من أن سوزاو يستخف به قبل وصولهما إلى الحلبة، إذا كان بإمكانه ذلك. مسح رذاذ اللعاب عن خدّه، وأومأ بالموافقة.

قال أكوس: «أنا موافق»، ثم تراجع، فالتقت عيناه بجوريك الذي بدا مرتاحاً.

الفصل الثاني والعشرون | سايرا

لم يمرر المنشقون رسالة لي في الكافتيريا، أو يهمسوا بواحدة في أذني بينما كنتُ في سفينة الإقامة المؤقتة. ولم يخترقوا شاشتي الشخصية أو يسببوا اضطراباً أو يختطفوني. بعد انقضاء عدة أيام على البحث عن الأشياء المفيدة، كنتُ في طريق عودتي إلى مكان إقامتي فرأيتُ شعراً أشقر يلوح أمامي، إنها تيكا، وهي تحمل خرقة قذرة وآثار الزيت على أصابعها، نظرت إليّ، وأشارت بأصبع معقوف، فتبعتها.

لم تقدني إلى غرفة سرية أو ممر، بل إلى رصيف التحميل. كان الظلام مخيماً، وبدت خيالات سفن النقل مثل مخلوقات ضخمة احتشدت لتنام. وفي الزاوية البعيدة، ترك أحدهم أحد المصابيح المعلقة بجناح إحدى أكبر سفن النقل مضاءً.

إذا كان المطر والرعد هما الموسيقى بالنسبة إلى البيثاريين، فإنّ هدير المحركات هو الموسيقى بالنسبة إلى الشوتيت. كان صوت سفينة الإقامة المؤقتة، وصوت حركتنا جنباً إلى جنب مع الدفق التياري. ولذا بدا منطقياً أنّ هذا الجزء من السفينة، هو المكان المناسب لإخفاء أحاديثهم بسبب طنين الآلات وهديرها في المستوى الذي تحتنا، كان تجمعاً صغيراً للمرتدين.

ارتدوا جميعاً بذلات عمال الصيانة - ربما كانوا عمال صيانة في الحقيقة، عندما أفكّر الآن بهذا الشأن - وقد غطّوا وجوههم بالقناع الأسود نفسه الذي كانت ترتديه تيكا عندما هاجمتني في الرواق.

سحبت تيكا سكيناً وثبّتتها على حنجرتي. كانت باردة، وذات رائحة طيبة، ليست مختلفة عن خلطات أكوس.

قالت تيكا: «إذا اقتربتِ منهم أكثر فسأجز عنقك».

«أخبريني أنهم ليس كل الأعضاء». وفي ذهني كنتُ أفكر كيف أخلّص نفسي، مبتدئةً بالدوس على أصابع قدميها.

قالت تيكا: «لن نخاطر بفضحك لنا أمام أخيك».

فقد المصباح المشبوك بجناح سفينة النقل أحد أربطته فتمايل على شريطه مُتدلياً الآن من مشبك واحد.

قال أحد الموجودين: «أنتِ من أرادت اللقاء». بدا كبيراً في السن وفظاً. بدا رجلاً مثل الصخرة، بلحية كثةٍ بما يكفي لتضيع الأشياء في داخلها. «فماذا تريدين بالضبط؟».

أجبرتُ نفسي على ابتلاع ريقي. وسكين تيكا لاتزال على حنجرتي، لكن لم يكن ذلك هو الذي يجعل الكلام صعباً. فقد توضّح أخيراً الكلام الذي كنتُ أفكر به منذ عدة شهور. وأخيراً هناك شيء يُعمل بدلاً من مجرد التفكير به، للمرة الأولى في حياتي.

قلتُ: «أريد نقلاً آمناً لأحدهم خارج الشوتيت، شخص لا يريد المغادرة».

قال الشخص الذي تكلم سابقاً، «لأحدهم. من هو؟».

قلتُ، «أكوس كيرسيث».

كان هناك تمتمات.

قال الرجل: «هو لا يريد المغادرة؟ إذاً لماذا تريدين إخراجه؟».

قلتُ: «إنه... أمر معقد. أخوه هنا، وأخوه ضائع أيضاً. دون أمل بالشفاء». توقفتُ قليلاً: «بعض الناس يكونون حمقى في سبيل الحب».

همست تيكا: «آه، أفهم هذا الوضع».

شعرتُ أن الجميع يسخرون مني، وأنهم يبتسمون وراء أقنعتهم. لم أكن أحب ذلك. فأمسكتُ بمعصم تيكا ولويته بقوة إلى درجة أنها لم تستطع توجيه السكين نحوي. فتأوهت من لمستي، فأمسكتُ بالنصل بين أصابعي وسحبته من يدها. ثم قلبته بيد واحدة فأصبح في قبضتي، كانت أصابعي لزجة من الشيء الذي كان النصل مطلياً به.

قبل أن تستطيع تيكا استعادة وعيها، اندفعتُ نحوها وثبّتها على صدري بواسطة ذراعي ووجهت ُ السكين إلى خاصرتها. حاولتُ أن أُبقي ألم الهبة التيارية قدر الإمكان لنفسي، وأنا أكزّ على أسناني كي لا أصرخ. كنتُ أتنفس بصعوبة قرب أذنها، وكانت ساكنة.

قلتُ: «ربما أنا حمقاء أيضاً، لكني لستُ غبية. أتظنون أنني لا أستطيع التعرّف إليكم من الطريقة التي تقفون بها، والطريقة التي تتكلمون بها؟ إن كنت سأخونكم، سواء ارتديتم أقنعة ووجهتم سكيناً أم لا. وجميعنا يعرف أني لا أستطيع خيانتكم دون أن أخون نفسي. ولذا...». نفختُ خصلة من شعر تيكا بعيداً عن فمي. «هل سنكمل هذا الحديث بثقة متبادلة أم لا؟».

أطلقتُ سراح تيكا، وأعدت لها السكين. كانت تنظر إليّ بسخط وهي تقبض على معصمها، لكنها أخذتها.

قال الرجل: «حسناً».

نزع الحجاب الذي يغطي فمه. كانت لحيته الكثة تصل حتى حنجرته، وتبعه في ذلك بعضاً منهم. كان جوريك أحدهم، يقف على يميني مكتوف الذراعين. لم يكن هذا مفاجئاً، بما أنه طلب بجرأة غير معهودة قتل أبيه الوفي لعائلة نوفاك في الحلبة.

لم يعبأ الآخرون بنزع أغطية وجوههم، لكنّ ذلك ليس مهماً -كنتُ مُهتمة بالمُتحدّث باسمهم.

قال الرجل: «أنا توس، وأظن أنني أستطيع تنفيذ ما تطلبينه، وأظن أنك تدركين أننا سنطلب شيئاً بالمقابل».

قلتُ له: «اطلبوا؟».

كتّف توس ذراعيه الثخينتين وقال: «نريد مساعدتكِ لتمكيننا من الدخول إلى قصر نوفاك في فوا، بعد انتهاء رحلة الإقامة المؤقتة». كانت ملابسه مصنوعة من أنسجة من خارج الكوكب، فهي خفيفة الوزن بالنسبة إلى برودة شوتيت.

قلتُ وأنا أعبس في وجهه: «هل أنت أحد المنفيين؟ فما ترتديه هو من خارج الكوكب».

هل كان المنشقون على اتصال بالمنفيين، الذين يسعون إلى الحصول على الأمان من نظام نوفاك في كوكب آخر؟ هذا معقول، لكنني لم أفكر بالتداعيات من قبل. من دون شك، كان المنفيون أكثر قوة من الشوتيت المتمردين الذين انقلبوا على أخي، وأكثر خطورة بالنسبة إليّ شخصياً.

أجاب توس: «بالنسبة إلى نوايانا وأهدافنا، ليس هناك من فرق بين المنفي والمنشق. فكلانا يريد الشيء نفسه: خلع أخيكِ وإعادة المجتمع الشوتيتي إلى ما كان عليه قبل أن تلوّثه عائلتكم بالظلم».

كررتُ قوله: «تلوثه بالظلم، يا لها من جملة ضمنية أنيقة».

قال توس بجدية: «لستُ أنا من ابتكرها».

قالت تيكا: «لأقولها بطريقة أقل أناقة، أنتم تجوّعوننا وتخزّنون الأدوية، من دون ذكر اقتلاع مُقل أعيننا، أو أي شيء آخر يجعل دورة دم رايزك تتحرك هذه الأيام».

كنتُ على وشك الاحتجاج إذ إني لم أُجوّع أحداً أو أمنع عنه الرعاية الطبية الملائمة، لكن بدا فجأة أنه لا طائل من الجدال. فأنا في الواقع لم أصدّق ذلك على أية حال.

«هذا صحيح، إذاً... قصر نوفاك. ما الذي تعتزمون فعله هناك؟». إنه المبنى الوحيد الذي بإمكاني تحديداً مساعدة أي شخص على دخوله. فأنا أعرف كل

الرموز التي يحب رايزك استخدامها، وأكثر من ذلك، كانت الأبواب الأكثر مناعةً، مقفلة برموز جينيّة، وهو جزء من النظام الذي قام رايزك بتركيبه بعد موت والدينا. وكنتُ الوحيدة الباقية التي تشترك معه بالجينات، وباستطاعة دمي أن يأخذهم إلى أي مكان يريدونه.

«لا أعتقد أنك بحاجة إلى معرفة ذلك».

رفعتُ حاجبي. كان هناك بضعة أشياء يمكن لمجموعة من المنشقين – أو المنفيين – أن يريدوها داخل قصر نوفاك. فقررتُ أن أضع أحد الافتراضات.

قلتُ: «دعونا نكن واضحين، فأنتم تطلبون مني المشاركة في اغتيال أخي».

قال توس: «هل يزعجكِ ذلك؟».

أجبتُ: «كلا، ليس بعد الآن».

رغم كل ما فعله رايزك بي، إلا أني تفاجأتُ بالسهولة التي خرج بها الجواب من فمي. فقد كان أخي الذي يشاركني الدماء ذاتها. كما أنه أيضاً، الضمانة الوحيدة للأمان الذي أحظى به حالياً؛ لن يهتم أي من المنشقين الذين سيطيحون به بالحفاظ على حياة أخته، القاتلة. لكن في مكان ما بين إعطائي أمر المشاركة في استجواب زوسيتا وبين تهديد أكوس، فقد رايزك في نهاية المطاف أي ولاء بقي لدي.

قال توس: «هذا جيد، سوف نبقى على اتصال إذاً».

بينما كنتُ أرتّب تنورتي وأضع ساقاً فوق أخرى، بحثتُ في القاعة المزدحمة تلك الأمسية عن فوج سوزاو كوزار. كانوا جميعهم هناك، مصفوفين على طول الشرفة، وهم يتبادلون نظرات طائشة. فقلتُ في نفسي هذا جيد. كانوا يشعرون بثقة مفرطة بالنفس، ما يعني أنّ سوزاو كان كذلك، وهزيمته أكثر سهولة.

كانت القاعة تطن بالأحاديث الجانبية، وغير ممتلئة تماماً مثلما كان الحال عليه عندما قاتلتُ ليتي قبل عدة أشهر، لكنها تحوي على جمهور أكبر مما يأمل بجذبه معظم طالبي التحدّي على الإطلاق، وهذا أيضاً كان جيداً. ومن الناحية

التقنية، فإنّ كسب أي تحدٍ في الحلبة بإمكانه دائماً منح أي شخص مكانة اجتماعية أعلى، لكن لكي يأخذ هذا الأمر أهميته واقعياً، يجب على جميع الشوتيت أن يتوافقوا عليه بشكل مُتبادل. فكلما كثر عدد مشاهدي أكوس وهو يهزم سوزاو، ستكون مكانته الملموسة أفضل، وذلك يُمكّنه من إخراج إيجيه بسهولة أكثر.

بقي رايزك بعيداً عن تحدّي هذه الليلة، لكنّ فاس انضم إليّ في المنصة المحجوزة لمسؤولي الشوتيت ذوي المراتب العليا. جلستُ على أحد جانبيها وجلس هو على الجانب الآخر. فالنسبة إليّ، تجنّب النظرات المُحملقة أكثر سهولة في الأماكن المظلمة، حيث تُدفن هبتي التيارية في الظل. لكن لم يكن بإمكاني إخفاءها عن فاس، الذي كان قريباً بما يكفي ليرى جلدي يتوهّج بالحلقات القاتمة في كل مرّة أسمع فيها اسم أكوس يخرج من أفواه الجمهور.

قال فاس لي في اللحظة التي سبقت دخول سوزاو إلى الحلبة: «أنتِ تعلمين، أنا لم أخبر رايزك عن الطريقة التي تحدثتِ بها مع ابنة زوسيتا عند رصيف التحميل قبل بدء البحث عن الأشياء المفيدة».

بدأ قلبي بالخفقان. فقد شعرتُ وكأنّ اجتماع المنشقين ظاهر عليّ، ومرئي بالنسبة إلى أي شخص ينظر باهتمام كافٍ. لكني حاولتُ أن أبقى هادئة بينما كنتُ أجيب: «في آخر مرة تفقدتُ القواعد فيها، لم يكن التحدث إلى عمال الصيانة مخالفاً لقوانين رايزك».

«ربما لم يكن مهتماً من قبل، لكن من المؤكد أنه مهتم الآن».

«هل يفترض بي شكرك على تكتّمك؟».

«كلا. يفترض به اعتبار صمتي فرصة ثانية. تأكدي من أنّ كل هذه الحماقات كانت هفوات مؤقتة يا سايرا».

التفتُ نحو الحلبة، حيث خفتت الأضواء، وصاح المتحدثون عندما قام أحدهم بتشغيل الميكروفونات التي تدلّت فوق المقاتلين، لتكبير الصوت. دخل سوزاو أولاً على وقع صرخات وهتافات الجمهور، فرفع ذراعيه كي يستجلب صراخاً أكثر، وهذه الإيماءة فعلت فعلها: فقد ثار الجميع.

تمتمتْ قائلةً: «مغرور». ليس بسبب ما فعله، بل بسبب ما كان يرتديه: لقد تخلّى عن درعه الشوتيتي فقد كان يرتدي قميصه فقط. إذ لم يعتقد أنه بحاجة إلى درع. لكنه لم يرَ أكوس يقاتل منذ فترة طويلة.

دخل أكوس الحلبة بعد لحظة، مرتدياً الدرع الذي اكتسبه والحذاء الطويل المتين الذي كان ينتعله في بيثا. استُقبل بسخريات وإيماءات فاحشة، لكن لم يبدُ أنها أثّرت فيه. حتى القلق الذي كان دائماً في عينيه اختفى.

استلّ سوزاو سكينه، فبدت فجأة نظرات أكوس أشد قسوة وكأنه عزم على أمر ما، فاستل سكينه. وأنا أعرف أي سكين كان.. كان السكين التي أعطيته إياها، السكين البسيطة من زولد.

وبلمسته، لم يكن هناك حلقات تيارية حول النصل. بالنسبة إلى الجمهور، المعتاد كثيراً على رؤية الناس وهم يتقاتلون بسكاكين تيارية بدلاً من سكاكين بسيطة، كنتُ واثقة من أنّ الأمر يبدو وكأنّ السكين كانت ملفوفة بيد إحدى الجثث. كانت كل الهمسات بشأنه – عن مقاومته للتيار – مؤكدة الآن. وهذا أفضل، لأنّ هبته تتسبّب في إخافتهم –فالرهبة تعطي الشخص نوعاً مختلفاً من القوة.

رمى سوزاو بسكينه إلى الأعلى وهو يغزلها في راحة يديه. لابدّ وأنها خدعة تعلمها من أصدقائه الذين تدربوا في مدرسة زيفاتهانكا، إذ من الواضح أنه أحد طلاب مدرسة ألتيتاهاك، فعضلاته مُنتفخة من تحت قماش قميصه.

قال فاس: «تبدين متوترة، هل تحتاجين يداً لتُمسكي بها؟».

قلتُ: «أنا متوترة من أجل رجلك، احتفظ بيدك لنفسك، فأنا واثقة من أنك ستحتاج إليها لاحقاً».

ضحك فاس وقال: «أظن أنكِ لستِ بحاجة لي بعد الآن، بما أنكِ وجدتِ شخصاً آخر يستطيع لمسكِ».

«ما المُفترض بهذا أن يعني؟».

«أنتِ تعلمين ما أعني بالضبط». لمعتْ عينا فاس بالغضب. «من الأفضل أن

تُبقي عينيكِ على طفلكِ الثوفي المُدلّل فهو على وشك الموت».

قام سوازو بالهجوم أولاً على أكوس الذي تجنّب الحركة البطيئة دون أن يرفّ له جفن.

قال سوازو وصدى صوته يتردّد عبر مكبرات الصوت، «أوه، أنت سريع، تماماً مثل أُختك. فقد كادت تهرب مني أيضاً إذ أنها كانت على وشك فتح الباب الأمامي عندما أمسكتُ بها».

أمسكَ بعنق أكوس مرة أخرى، وحاول رفعه عالياً كي يضغط به على جدار الحلبة. لكنّ أكوس دفع بباطن معصمه بقوة على باطن معصم سوزاو واستطاع الإفلات منه. بإمكاني سماع قواعد استراتيجية الإلميتاهاك، وهي تُخبره بأن يُبقي على مسافة بينه وبين الخصم الأكبر حجماً.

غزل أكوس السكين مرة واحدة في راحة يده، وكانت الحركة باهرة بسرعتها. انعكس الضوء على نصلها وتبعثر على الأرض، فتبعه سوزاو بعينيه. استفاد أكوس من الإلهاء الآني، ولكمه بيده اليُسرى بقوة.

تقهقر سوزاو للوراء والدم ينزف من منخريه، إذ إنه لم يكن يعرف أنّ أكوس أعسر، أو أني كنتُ أجعله يقوم بتمارين الضغط طيلة الوقت الذي عرفته فيه.

لحقه أكوس طاوياً ذراعه وضغط عليه بمرفقه، وضربه مرة أخرى على أنفه. فتردد صدى صرخة سوزاو في المكان. ثم أخذ يضرب بشكل أعمى، وأمسك بمقدمة درع أكوس وبدأ يهزّه بشكل جانبي، فاختل توازنه واستطاع سوزاو تثبيته على الأرض بركبته ولكمه بقوة على فكّه.

ارتجفتُ. يبدو أكوس مصاباً بدوار، فجذب ركبته نحو وجهه وكأنه سوف يحاول رمي سوزاو بعيداً عنه. لكن بدلاً من ذلك، استلّ سكيناً من حذائه ودفع بالنصل داخل خاصرة سوزاو، بين اثنين من أضلاعه تماماً.

سقط سوزاو المشدوه على الأرض وهو يحدّق بقبضة السكين البارزة من خاصرته. فطعنه أكوس بسكينه الأخرى. كان هناك وميض أحمر على عنق سوزاو عندما انهار.

لم أُدرك كم كنتُ متوترة إلى أن انتهى القتال وارتختْ عضلاتي.

عم الضجيج حولي. انحنى أكوس فوق جسد سوزاو وانتزع سكينه الأخرى ثم مسح نصله بسرواله وأعاده مرة أخرى إلى حذائه. كان بإمكاني سماع أنفاسه المتلاحقة تتضخّم عبر الميكروفونات.

قلتُ في نفسي موجهةً الكلام له، لا تر تعب، وكأنّ بإمكانه سماعي.

مسح العرق عن جبينه بكمّ قميصه، ورفع عينيه نحو الناس الجالسين حول الحلبة. ودار بشكل بطيء وكأنه كان يحدّق إلى كل واحد منهم. ثم أغمد سكينه وتخطّى جسد سوزاو كي يمشي في الممر باتجاه المخرج.

انتظرتُ بضع ثوانٍ، ثم مشيتُ مبتعدةً عن المنصة باتجاه الجمهور. كانت ملابسي السميكة تتلاطم مبتعدةً عن جسدي وأنا أمشي. فرفعتُ تنورتي بكلتا يدي مُحاولةً اللحاق بـأكوس لكنه كان يسبقني كثيراً فلم أستطع رؤيته عندما كنتُ أسير عبر الممرات المؤدية إلى مكان إقامتنا.

ما إن وصلتُ إلى الباب، توقفتُ ويدي بجانب الحسّاس لأسترق السمع.

كل ما سمعته في البداية كان أنفاساً ثقيلة تحوّلت إلى تنهّدات. ثم صرخ أكوس وكان هناك صوت تحطّم عالٍ وتُبع بآخر. ثم صرخ مرة أخرى فدفعتُ بأذني إلى الباب لأُصغي، ودفعت شفتي السفلى بين أسناني. عضضتُ عليها بقوة كبيرة لدرجة أني تذوّقت الدم عندما تحولت صرخات أكوس إلى تنهدات.

لمستُ الحساس ففُتح الباب.

كان جالساً على الأرض في الحمام. وثمة أجزاء من مرآة مبعثرة في كل مكان حوله. كان قد انتزع ستارة الحمام من السقف وخزانة المناشف من الجدار. لم ينظر إليّ عندما دخلت أو حتى عندما مشيتُ بحذر بين شظايا الزجاج لأصل إليه.

ركعتُ بين الشظايا ومددتُ يدي فوق كتفه كي أُشغّل دش الحمام. فانتظرتُ حتى سخنت المياه ثم سحبته من ذراعه نحو المرشّة.

وقفت تحت الدش معه، بلباسي الكامل. فأتت أنفاسه بدفعات حادة على

خدّي. ثم وضعتُ يدي على مؤخرة عنقه وجذبتُ وجهه نحو الماء. فأغمض عينيه وترك الماء يرتطم بخدّيه. كانت أصابعه المرتجفة تسعى نحو أصابعي، فأمسك بيدي ودفعها إلى صدره، على درعه.

بقينا واقفين معاً لفترة طويلة، إلى أن هدأت دموعه. ثم أغلقت الماء، وقدته نحو المطبخ، وأنا أبعد أجزاء المرآة بأصابع قدمي بينما أمشي.

كان يحدّق حوله، وأنا لم أكن واثقة من أنه يعرف أين كان، أو ما الذي يحدث له. فحللتُ أحزمة درعه وأخرجته من فوق رأسه، ثم أمسكتُ بطرف قميصه وأبعدتُ القماش الرطب عن جسده، وفككتُ أزرار بنطاله وتركته ينزل على الأرض.

كنتُ أستغرق في حلم اليقظة حول رؤيته بهذه الطريقة، حتى أني حلمتُ بأني أنزع ثيابه عنه، وأبعد عني بعض الطبقات التي تفصلنا عن بعض، لكنّ هذا لم يكن حلم يقظة. كان يشعر بالألم وأنا أردتُ مساعدته.

لم أكن أعي ألمي، لكن عندما ساعدته في تجفيف نفسه، رأيتُ الظلال التيارية تتحرك بأسرع مما كانت منذ فترة طويلة. وكأنّ شخصاً ما حقنها داخل شراييني، وهكذا تنتقل جنباً إلى جنب مع دمي. لقد قال الدكتور فدلان إنّ هبتي التيارية تكون أقوى عندما أكون في حالة انفعال عاطفي. حسناً، لقد كان محقاً. لم أكن آبه لسوزاو – في الواقع، كنتُ أُخطّط كي أبصق على محرقة جثته في عزائه فقط كي أسمعها تئز – لكني أهتم بشأن أكوس، أكثر من أي شخص آخر.

في ذلك الوقت، استعاد إحساسه بجسده وكان مُتجاوباً بما يكفي كي يساعدني على تضميد ذراعه ودخل بنفسه غرفة نومه. تأكدتُ من أنه نائم في سريره، ثم وضعتُ وعاءً على أحد مواقد الفرن. لقد أعدّ ذات مرة دواءً ليُبقيني بعيدةً عن الأحلام، والآن جاء دوري.

الفصل الثالث والعشرون | أكوس

كان كل شيء ينساب بعيداً عن أكوس، مثل حرير على حرير، وزيتٌ ينتشر فوق الماء. فهو أحياناً يضيّع الوقت، إذ يُمضي ساعة في الحمام -يخرج بأصابع منتبجة وجلد برّاق -أو يُمضي ليلة نوم تستمر إلى ما بعد ظهر اليوم التالي. وفي أحيان أخرى يُضيّع المكان، فيقف في حلبة التحدي، مُلطّخاً بدماء رجل آخر، أو يقف في العشب الريشي مُتعثّراً فوق الهياكل العظمية لأولئك الذين ضاعوا هناك، أو ينسى بتلات أزهار الهشفلور داخل فمه ليبقى هادئاً ويحافظ على ثبات يديه، وثبات الكلمات التي في طريقها إلى فمه.

لقد تركته سايرا يستمر بهذا الأسلوب لبضعة أيام. لكن في اليوم الذي سبق هبوطهم المُفترض في فوا، وبعد تجاهله تناول عدة وجبات من الطعام، دخلتْ إلى غرفته وقالت: «انهض الآن».

نظر إليها مرتبكاً وكأنها تتكلم بلغة لا يعرفها.

طافت بعينيها وأمسكت بذراعه وجذبتها. كانت لمستها لاذعة فجفل.

قالت وهي تفلت يدها: «اللعنة، هل ترى ما يحدث؟ لقد بدأت تشعر بهبتي التيارية، ولأنك ضعيف جداً فإنّ هبتك التيارية تتداعى. ولهذا السبب أنت تحتاج إلى النهوض وأكل شيء ما».

انتفض وقد فقد صبره أيضاً: «وبهذا تسترجعين خادمك، أليس كذلك؟ حسناً، لقد انتهيت. وأنا مستعد للموت في سبيل عائلتك، مهما يعني ذلك».

انحنت فوقه فأصبح وجهاهما بالمستوى ذاته، وقالت: «أعرف معنى أن تُصبح شيئاً تكرهه. وأعرف كم يؤذي ذلك. لكنّ الحياة مليئة بالأذى». فتجمّعت الظلال في محجري عينيها وكأنها تُثبتُ وجهة نظرها. «كما أنّ قدرتك على تحمله أكبر بكثير مما تعتقد».

تلاقت عيناها بعينيه لثوانٍ ثم قال: «ما نوع هذا الخطاب الذي يرفع المعنويات، (الحياة مليئة بالأذى)؟».

قالت: «آخر مرة تفقّدت فيها أخاك كان موجوداً، لذا يجب أن تُبقي نفسك على قيد الحياة لتُخرجه من هنا إذا لم يكن هناك من شيء آخر».

تذمّر قائلاً: «إيجيه، وكأن الأمر يقتصر عليه».

لم يكن يفكر في إيجيه عندما أزهق حياة سوزاو. بل كان يفكر برغبته الشديدة في قتله.

طوت ذراعيها وقالت: «إذاً ما هو الأمر بالتحديد؟».

«كيف لي أن أعرف؟». رفع ذراعيه بشكل لافت وضرب الجدار بيديه، فتجاهل الألم في مفاصل أصابعه. «أنتِ من جعلني بهذا الشكل، لمَ لا تخبرينني؟ فلا مكان للشرف عند البقاء على قيد الحياة، أتذكرين؟».

أياً يكن البريق في عينيها فقد تبدّد عندما تذكّرت ذلك. كان على وشك استرجاع الكلمات عندما سُمعت طرقة على الباب. فراقبها من طرف سريره وهي تفتحه. كان الحارس ذو العمل الأكثر مللاً الذي يمكن تصوّره واقفاً هناك، وجوريك خلفه.

أسند أكوس وجهه إلى يده وقال: «لا تدعيه يدخل».

قالت سايرا بحدّة وهي تتراجع للخلف كي يتمكّن جوريك من الدخول: «أظنك نسيت مكان إقامة من هنا في الحقيقة».

«اللعنة، يا سايرا!». وقف ولم يكن قادراً على الرؤية للحظات، فتعثّر بإطار

الباب. ربما كانت على حق؛ هو بحاجة فعلاً ليأكل شيئاً ما.

توسّعت عينا جوريك عندما رآه.

«حظاً طيباً». قالت له سايرا وهي تغلق باب الحمام على نفسها.

جال جوريك بناظريه في كل مكان، على الجدران المُزيّنة بالدرع والشتلات المُتدليّة من السقف والأوعية البراقة المُتكدّسة فوق الفرن المُتهالك. ففرك عنقه تاركاً آثاراً وردية على جلده، كعادته عندما يكون متوتراً. توجّه أكوس نحوه، وكل جزء من جسده ثقيل. لقد انقطعت أنفاسه حتى وصل إلى أحد الكراسي وجلس.

قال له وهو يشعر بهمجيته: «ما الذي تفعله هنا؟». كان يريد أن يحفر بأظافره، ويرفض أن يدع أي شيء يفلت منها. حتى لو عنى ذلك إيذاء جوريك، الذي تحمّل أكثر من حصته من الأذى مسبقاً. «لقد نلت مبتغاك أليس كذلك؟».

قال جوريك بهدوء: «نعم». ثم جلس بجانب أكوس: «لقد أتيتُ لأشكرك».

«هذا لم يكن معروفاً، بل صفقة. أنا أقتل سوزاو وأنت تُخرج إيجيه من هنا».

قال جوريك بصوته المريع الهادئ وكأنه يحاول ترويض حيوان: «الذي سوف يكون القيام به أكثر سهولة عندما نحطّ في فوا». ربما، كما اعتقد أكوس، كان ذلك هو ما يحاول فعله. «اسمعني، أنا...» رفع حاجبيه. «أنا لم أكن أعرف حقاً ما الذي طلبته منك. كنتُ أظنّ... أظنّ أنّ ذلك سوف يكون سهلاً بالنسبة إليك. فقد بدوتَ من نوع الأشخاص الذين يسهل عليهم هذا الأمر».

«أنا لا أريد التفكير بهذا». وضع أكوس رأسه بين يديه. فلم يكن بإمكانه تحمّل التفكير بسهولة ما حدث. إذ لم يكن لسوزاو أي فرصة، وهو لم يعرف أين كان يخطو. لقد شعر أكوس الآن أنه أكثر شبهاً بقاتل مما كان عليه بعد قيامه بالقتل للمرة الأولى. فعلى الأقل كان موت كالميف همجياً ومجنوناً، مثل حلم تقريباً. وليس مثل هذا.

وضع جوريك يده على كتفه. فحاول أكوس هزّ كتفه ليُبعد يده عنها، لكنه لم يُبعدها، ليس قبل أن ينظر إليه.

قال جوريك: «لقد أرسلتني أمي بهذا». سحب سلسلة طويلة من جيبه فيها

خاتم يتدلى منها. كانت مصنوعة من معدن برّاق، زهري اللون، ومختوم برمز. «هذا الخاتم يحمل ختم عائلتها. وهي تريدك أن تحتفظ به».

مرّر أكوس أصابعه المرتجفة فوق حلقات السلسلة، التي كانت رفيعة لكنها مزدوجة لتُصبح أكثر متانة. فقبض على الخاتم إلى درجة أنّ رمز عائلة أم جوريك طُبع على راحة يده.

سأله: «أمك، تشكرني؟».

كان صوته متقطّعاً، فترك رأسه يرتاح على الطاولة.

قال جوريك: «عائلتي بأمان الآن، تعال لرؤيتنا في أي وقت تريده. نحن نعيش في أطراف فوا، بين الحد الفاصل ومعسكر التدريب. إنها قرية صغيرة على يمين الطريق مباشرةً. وستلقى كل الترحيب منا رداً لجميل صنعك».

شعر أكوس بسخونة خلف عنقه، كانت يد جوريك تضغط برفق. فجعلته يشعر براحة أكبر مما كان يعتقد.

«أوه. ورجاءً... لا تنسَ بأن تضع علامة والدي على ذراعك».

أُغلق الباب، فأمسك أكوس رأسه بيديه، والخاتم لايزال في قبضته. كانت براجمه مُتشقّقة من القتال، فقد شعر بجروحه تتشقّق عندما ثنى أصابعه. أصدر الباب صريراً عندما فتحته سايرا. ثم ذهبت إلى المطبخ لتحضير وجبة سريعة، فأحضرت قطعة كبيرة من الخبز ووضعتها أمامه. فتناولها بسرعة كبيرة لدرجة أنه كاد يختنق بها، ثم رمى بذراعه اليُسرى وأدارها بحيث أصبحت علامات القتل مواجهةً لها.

قال: «احفري العلامة». كان صوته أجش جداً لدرجة أنّ الكلمات كادت أن لا تخرج من فمه.

مرّرت سايرا يدها فوق شعره القصير وقالت: «يمكن لذلك أن ينتظر». فشعر بالقشعريرة جراء اللمسة الناعمة. لم تعد هبتها التيارية تؤذيه. ففي النهاية ربما سبّب جوريك له بعض الراحة. أو أنه الخبز فقط.

رفع رأسه وقال: «أرجوكِ، افعلي ذلك فقط... الآن».

مدّت سايرا يدها نحو السكين، وراقب أكوس عضلات ذراعها تتقلّص. لقد كانت كتلة عضلية صلبة، إنها سايرا نوفاك، مع القليل من الوقت لتضييعه. لكن من الداخل، تُصبح أكثر نعومة بمرور الوقت، مثل قبضة تتعلم الاسترخاء.

التقطت معصمه. فتهادت أصابعه على جلدها مُخفّفة الظلال التي تدفقت من خلاله. من دون الظلال كان من السهل رؤية مقدار جمالها وشعرها الطويل بتجعداته المتراخية يلمع في الضوء المتبدّل، وعيناها القاتمتان اللتان تبدوان سوداوين، وأنفها المعقوف بعظامه الدقيقة، وتلك اللطخة بجانب قصبتها الهوائية، تلك الوحمة الأنيقة الشكل بطريقة ما.

وضعت رأس السكين على ذراعه بجانب علامة القتل الثانية له، التي فيها علامة.

قالت: «هل أنت مستعد؟ واحد، اثنان...».

عندما وصلت إلى اثنين، غرست رأس النصل من دون رحمة. ثم وجدت العبوة الصغيرة في الدرج مع فرشاتها. فراقبها وهي تسكب السائل على جرحه الطري بدقة رسام. شعر بألم حاد في ذراعه ثم تبعه فورة من الطاقة – أدرينالين – دافعاً الوجع خارجاً، ونافضاً الركام من بقية جسده.

كانت تهمس بالاسم الذي في جلده: «سوزاو كوزار».

شعر بذلك، شعر بالخسارة والثقل والاستمرارية، تماماً كما يفترض به أن يشعر. لقد سمح لنفسه أن يجد بعض الراحة في الطقس الشوتيتي.

«أنا آسف». قالها وهو غير واثق من الشيء الذي يعتذر لأجله... لكونه كان لئيماً معها في وقت سابق، أو لكل شيء حصل منذ التحدي، أو لشيء آخر. لقد استيقظ في اليوم الذي تلى التحدي بينما كانت تكنس الزجاج المحطم في الحمام، ورآها تُثبّت خزانة المناشف على الجدار. لم يتذكّر أنه خلعها، وأكثر من ذلك، كان متلعثماً لعلمه بأنها تعرف كيفية استخدام الأدوات، مثل أي شخص من عامة الشعب. لكن هذا ما كانت سايرا عليه، محشوة عن آخرها بالمعرفة العشوائية.

قالت وهي تُشيح بنظرها بعيداً: «أنا لستُ مُنهكة للغاية ولا أذكر، فذلك الشعور مثل أي شيء مُحطَم، ويتحطَم».

وضعت إحدى يديها على يده، ورفعت الأخرى لتلمس عنقه برفق. ارتعش بداية الأمر، لكنه ارتخى فيما بعد. فهو لايزال يحمل علامة هناك حيث خنقه سوزاو في الكافتيريا.

عندئذٍ دفعت أصابعها إلى الخلف نحو أذنه، على طول الندبة التي خلّفها له رايزك في عنقه، وهو يميل مع لمستها. كان دافئاً، دافئاً جداً. فهما لم يتلامسا بهذا الشكل من قبل. وهو لم يعتقد أنه يريد ذلك.

قالت له: «أنا لا أفهمك».

كانت راحة يدها على وجهه، ثم انثنت أصابعها خلف أذنه. تلك الأصابع الطويلة والنحيلة المليئة بالعروق والأوتار. والبراجم الجافة جداً حيث تقشر في بعض الأماكن.

قالت: «كل ما حصل لك سيجعل شخصاً آخر قاسياً ويائساً،... كيف يمكن لهذا أن يكون ممكناً حتى؟».

أغمض عينيه متألماً.

«مع ذلك هذه حرب يا أكوس». قرّبت جبينها من جبينه. كانت أصابعها ثابتة على عظامه. «حرب بينك وبين من دمّروا حياتك. فلا تشعر بالعار من خوضها».

حينها شعر بألم من نوع آخر. ألم مفاجئ من الاشتياق، يعصر أعماق أحشائه.

كان يريدها.

يريد أن يمرّر أصابعه على طول عظم خدها الدقيق. ويريد أن يتذوّق وحمتها الأنيقة ويشعر بأنفاسها في فمه، ويلف شعرها حول أصابعه.

أمال رأسه وطبع قبلة على خدّها، قوية بما يكفي كي لا تكون قبلة تماماً. تنفسّا معاً ثم ابتعد للخلف ووقف ثم التفت وأدار وجهه. مسح فمه وهو يتساءل عن المشكلة التي فيه.

وقفت خلفه مباشرةً فشعر بدفء جسدها على ظهره. ولمست المساحة التي بين كتفيه. هل هي هبتها التيارية التي جعلت جسده يشعر بالوخز جراء التلامس، حتى من خلال قميصه؟

قالت له: «هناك شيء يجب أن أفعله، سوف أعود قريباً».

اختفت بهذه البساطة.

الفصل الرابع والعشرون | سايرا

مشيتُ عبر أنفاق الصيانة ووجهي ينبض. فقد استرجعت مخيلتي ذكرى قبلته على خدّي مراراً وتكراراً. حاولت الدوس عليها مثل جذوةٍ نار مُبعثرة لم أستطع إذكاءها. لكن لايزال عليّ أن أفعل ما يجب فعله.

كان الطريق إلى غرفة تيكا الضيقة معقداً وقد قادني عميقاً إلى وسط السفينة.

استجابتْ لطرقتي الخفيفة على بابها خلال ثوانٍ. كانت ترتدي ملابس فضفاضة وقدماها عاريتين، وتربط قطعة قماش فوق عينها المفقودة بدل أن تغطيها بعصابة العين. ومن فوق كتفها رأيتُ سريرها المعلّق وخزانتها من تحته، وهي خالية الآن من كل البراغي والعدد والأسلاك، استعداداً للعودة إلى فوا.

«ما هذا بحق الجحيم»، قالتها وهي تجرني إلى داخل غرفتها. كانت عينها جاحظة من القلق. «لا تستطيعين القدوم إلى هنا ببساطة من دون سابق إنذار... هل أنتِ مجنونة؟».

قلتُ لها: «غداً، أياً يكن الذي ستفعلونه بأخي يجب عليكم القيام به غداً».

كرّرتُ قولي: «غداً، أي اليوم الذي يلي هذا اليوم».

قلتُ لها: «آخر مرة تفقدتُ فيها المعلومات، كان هذا هو التعريف الرسمي لـ (غداً)، نعم».

جلستْ على الكرسي المهترئ بجانب طاولتها، ووضعت مرفقيها على ركبتيها. رأيتُ بعضاً من جلدها عندما انزاح القميص إلى الأمام... لم تكن ترتدي حمالة صدر. كان من المستغرب رؤيتها تتصرّف بأريحية في مكانها الخاص. فنحن لم نكن نعرف إحدانا الأخرى جيداً بما لنتبادل النظر بهذه الطريقة.

قالت: «لماذا؟».

قلتُ لها: «كل شيء يكون مضطرباً في اليوم الذي نحطّ فيه، والنظام الأمني في المنزل سيكون هشاً، وسيكون الجميع منهمكين، إنه التوقيت المثالي للتسلّل.

عبستْ تيكا قائلةً: «هل لديكِ خطة؟».

قلتُ لها: «البوابة الخلفية والباب الخلفي، والممرات المخفية، من السهل استخدامها للدخول إلى المنزل لأني أعرف الرموز، والحساسات تتطلب دمي فقط عندما ندخل إلى غرفه الشخصية. فإذا استطعتم الوصول إلى البوابة الخلفية عند منتصف الليل، أستطيع مساعدتكم بما تبقى».

«وأنتِ واثقة من أنكِ مستعدة لهذا الأمر؟».

كانت إحدى صور زوسيتا مُثبّتة بشريط لاصق أعلى رأس تيكا، فوق الوسادة مباشرةً. وصورة أخرى بجانبها، لصبي يبدو أنه أخوها. شعرتُ بغصة. فبطريقة أو بأخرى كانت عائلتي مسؤولة عن كل خسارة عانتها تيكا وعائلتها.

قلتُ لها بوجه متجهم: «ما هذا السؤال الغبي؟ بالطبع أنا مستعدة. لكن هل أنتم مستعدون للجزء المُتعلق بكم من اتفاقنا؟».

قالت: «كيرسيث؟ نعم. أنتِ تُدخلينا إلى المنزل ونحن نتكفّل بإخراجه».

قلتُ لها: «أريد أن يحصل ذلك بشكل متزامن -لا أريد أن أخاطر بإلحاق الأذى به جراء ما أقوم به، فهو مقاوم لزهرة الهشفلور، ولذا هذا يتطلب إفقاده وعيه تماماً. كما أنه مقاتل ماهر، فلا تستخفوا به».

أومأت تيكا بالموافقة ببطء. وحدّقت وهي تمضغ بطانة خدّها.

قالت: «ما الذي حصل؟ جميعكم تبدون... قلقين أو شيء من هذا القبيل، هل تقاتلتما؟».

لم أُجب على سؤالها.

قالت: «لستُ أفهم، من الواضح أنكِ تحبينه، لماذا تريدينه أن يذهب؟».

فكّرتُ بعدم الإجابة عن ذلك السؤال أيضاً. فالشعور بذقنه الخشنة وهي تخدش خدّي، وفمه الدافئ على جلدي لايزال مُعشِشاً في داخلي. لقد قبّلني من دون استعجال ولا خداع. كان يجب أن أكون سعيدة ومفعمة بالأمل. لكن لم يكن الأمر بهذه السهولة، هل كان...؟

كان لديّ عشرات الأسباب لأخبرها بها. فالآن أكوس في خطر في حال أدرك رايزك أنّ بإمكانه استخدامه للضغط عليّ. وإيجيه ضائع، وربما سيكون أكوس قادراً على تقبّل هذا الأمر حالما يصل إلى الوطن، مع أمه وأخته. لن نكون أنا وأكوس متساويين أبداً طالما هو أسير هنا لدى رايزك، لذا يجب عليّ التأكد من تحريره.

قلتُ لها: «وجوده هنا... يُحطّمه». ثم نقلتُ وزني من قدم إلى أخرى وأنا غير مرتاحة، «لا أستطيع رؤيته بعد الآن. لا أريد».

كان صوتها ناعماً: «نعم، ربح أو خسارة... أدخلينا إلى المنزل ونحن سنخرجه، هل أنتِ موافقة؟».

قلتُ لها: «موافقة، شكراً لكِ».

لطالما كرهتُ العودة إلى المنزل.

ذهب العديد من الشوتيت إلى مكان المراقبة للهتاف عندما لاح كوكبنا الأبيض مرة أخرى. كانت الطاقة في السفينة محمومة ومُفرحة فالجميع يحزمون أغراضهم ويتحضرون للقاء الصغار والكبار الذين تركوهم. لكني كنتُ حزينة وعصبيّة.

لم أقم بتوضيب الكثير، بعض الملابس وبعض الأسلحة. ورميتُ الطعام القابل للفساد ونزعت الملاءات والبطانيات عن سريري. ساعدني أكوس بصمت، ولاتزال يده مربوطة بضماد. وحقيبة أغراضه على الطاولة مسبقاً. لقد شاهدته وهو يُرتّب بعض الملابس وبعض الكتب التي أعطيته إياها، وصفحاته

المُفضّلة مطوية. ورغم أني قرأتُ كل تلك الكتب إلا أني أردتُ أن أفتحها مرة أخرى لأبحث عن أكثر الأجزاء التي أعجبته، أردتُ قراءتها وكأني مغمورة في عقله.

قال حالما انتهينا، وكل ما كان علينا فعله هو الانتظار: «أنتِ تتصرفين بغرابة».

قلتُ له، وقد كان ذلك حقيقياً على الأقل: «لا أحبّ العودة إلى المنزل».

نظر أكوس حوله وهزّ كتفيه: «يبدو هذا وكأنه بيتك. فهناك كثير منكِ هنا أكثر من أي مكان في فوا».

كان محقاً بالطبع. كنتُ سعيدة لأنه عرف أنّ «كثيراً مني» كان هنا حقاً... وأنه ربما يعرف الكثير عني جراء الملاحظة، كما أعرف عنه.

وأنا كنتُ أعرفه. فبإمكاني التعرّف إليه وسط حشد من الناس من طريقة مشيته فقط. لقد كنتُ أعرف ظل شرايينه التي تظهر على ظاهر يديه. وسكينه المفضل لتقطيع أزهار الهشفلور. وأنفاسه المعطرة برائحة التوابل دوماً وكأنّها زهرة الهشفلور وورقة سندس ممتزجتان معاً.

قال: «ربما أفعل أشياء أكثر في غرفتي عند الرحلة القادمة».

قلتُ في نفسي، لن يكون هناك رحلة قادمة.

أجبرتُ نفسي على الابتسام وقلتُ: «نعم، ينبغي عليك أن تفعل».

لقد أخبرتني أمي ذات مرة أني موهوبة بالتصنّع. فأبي لم يكن يحب رؤية الألم، لذا كان يتوجب عليّ إخفاء ألمي عنه عندما كنتُ طفلة. لا يبدو على وجهي الانفعال حتى لو أنّ أظافري تحفر في راحة يدي. وفي كل مرة تأخذني إلى أحد الاختصاصيين أو الأطباء بشأن هبتي التيارية، تخرج الأكاذيب مني حول مكان ذهابنا وكأنها حقيقة. فالتظاهر في عائلة نوفاك كان أسلوباً للبقاء على قيد الحياة.

كنتُ أستخدم تلك الهبة عندما أخوض غمار مراسم الهبوط والعودة إلى المنزل: العودة إلى رصيف التحميل بعد دخولنا إلى الغلاف الجوي، والتكدّس في عوامة النقل، والمشي بشكل علني إلى قصر نوفاك. تلك الأمسية تناولتُ

العشاء مع أخي وإيما زيتسيفيس، متظاهرةً بعدم رؤية يدها على ركبته، أو النظرة المحمومة في عينيها في كل مرة لا يضحك فيها على إحدى دعاباتها.

لاحقاً، بدت مرتاحة، فقد رميا بكل التظاهر وراءهما، فهما كانا يجلسان معاً في جانب واحد من الطاولة، ويرتطم مرفقاهما ببعض عندما يقومان بتقطيع طعامهما. لقد قمتُ بقتل عائلتها وهي الآن عشيقة أخي. لكنتُ شعرتُ بالقرف من ذلك لو أني لم أدرك، وبشكل جيد جداً، ما معنى الرغبة بالحياة. والحاجة إليها، مهما كان الثمن.

مازلتُ أفهم ذلك. لكني الآن بحاجة أكثر إلى شيء آخر: أن يكون أكوس آمناً.

لاحقاً، تظاهرتُ بكوني صبورة عندما علّمني أكوس كيف أُخمّن قوة السم دون تذوقه. لقد حاولتُ تسجيل كل لحظة في ذاكرتي. كنتُ بحاجة إلى معرفة كيفية تخمير تلك الوصفات بنفسي، لأنه سوف يرحل قريباً. وفي حال تمّ القبض على المنشقين وعليّ في محاولتنا هذه الليلة، من المحتمل أن أفقد حياتي. وفي حال نجحنا، سوف يعود أكوس إلى وطنه، وستعمّ الفوضى الشوتيت من دون قائدهم. ومن المرجح في كلتا الحالتين أن أراه مجدداً.

قال أكوس: «كلا، كلا، لا تفرميها بل قطعيها إلى شرائح!».

قلتُ له: «أنا أقطعها إلى شرائح، لو أنّ سكاكينك ليست مثلّمة...».

«مثلّمة؟ أنا أستطيع قطع طرف أصبعكِ بهذه السكين!».

غزلتُ السكين بيدي وأمسكتها من مقبضها. «أوه؟ هل تستطيع فعل ذلك؟».

ضحك، وطوق كتفي بذراعه. شعرتُ بنبض قلبي يصل إلى حنجرتي. «لا تتظاهري بأنكِ غير قادرة على أن تكوني رقيقة، فقد رأيت ذلك بنفسي».

تجهمتُ وحاولتُ التركيز على «التقطيع». كانت يداي ترتجفان قليلاً. «أنت رأيتني أرقص في غرفة التدريب وتظن أنك تعرف كل شيء عني».

«أعرف ما يكفي. انتبهي، شرائح! لقد قلتُ لك ذلك».

رفع ذراعه، لكنه ترك يده على ظهري، مباشرةً تحت لوح كتفي. وأنا حملتُ

الشعور معي لبقية الليلة، عندما أنهينا الإكسير واستعددنا للذهاب إلى النوم وأغلق الباب الذي يفصل بيننا.

أغمضت عينيّ وأنا أقفل الباب عليه، ثم مشيتُ نحو حمامي، وسكبتُ الجرعة المنومة في المغسلة.

بدّلتُ ملابسي بالملابس التي أرتديها للتدريب، وهي ثياب فضفاضة ومرنة، كما انتعلت حذاءً لا يُصدر صوتاً لدى ارتطامه بألواح الأرضيات. وجدّلتُ شعري بإحكام كي لا يعيقني ثم ثبّته داخل الملابس كي لا يستطيع أحد إمساكي به أو شدّه عند حصول قتال. وضعتُ السكين أسفل ظهري بشكل جانبي كي أستطيع استلالها بسهولة. ربما لن أستخدمها، فأنا أفضّل يدي العاريتين وقت الأزمات.

حينئذٍ انزلقتُ وراء اللوح الجداري في غرفتي، وزحفتُ عبر الممرات إلى الباب الخلفي. كنتُ أعرف الطريق عن ظهر قلب، لكني تحسّستُ الشقوق عند كل زاوية على أية حال، كي أتأكد من أني في المكان الصحيح. توقفتُ عند الدائرة المحفورة داخل الجدار بجانب المطابخ، وهي علامة المخرج السري.

لقد كنتُ أفعل ذلك حقاً. أساعد مجموعة من المنشقين على قتل أخي.

عاش رايزك حياته في حالة ذهول من القسوة، منصاعاً لتعليمات أبينا الراحل منذ زمن طويل وكأنّ الرجل يقف فوق رأسه، غير مستمتع بلحظة فيها. لم يكن الرجال الذين يشبهون رايزك نوفاك مولودين، بل كانوا مصنوعين. لكنّ الزمن لا يمكن أن يعود إلى الوراء. فكما تمّ صنعه، يجب تدميره تماماً.

مررتُ من خلال الباب المخفي ومشيتُ مباشرةً عبر سويقات العشب الريشي نحو البوابة. رأيتُ وجوهاً شاحبة في العشب - وجه ليتي، وأوزول، وأمي - يومئون لي بالذهاب إليهم. لقد همسوا اسمي، وبدا مثل حفيف العشب في الرياح. وبارتجاف كتبتُ تاريخ ميلاد أمي على العلبة التي بجانب البوابة ففُتح الباب.

ولدى انتظاري في الظلام على بعد عدة أقدام من البوابة، ظهرت وجوه تيكا وتوس وجوريك. حركتُ رأسي بشكل جانبي فتبعوني إلى داخل العشب

الريشي. أغلقتُ البوابة وراءهم وأرشدتُ تيكا إلى الباب الخلفي.

بدا لي، وأنا أقودهم عبر الممرات إلى جناح أخي، أنه لا ينبغي حدوث هذا الشيء في صمت مطلق. لكن ربما كان السكون المُوقَّر اعترافاً بما كنا نفعله. لمستُ الزوايا وأنا أتحسّس الشقوق العميقة التي تُفضي إلى السلالم. سافرتُ عبر الذاكرة، وأنا أخطو بشكل جانبي على الصوامل البارزة وألواح الأرضيات المُتصدّعة.

وفي المكان حيث تتفرّع الدهاليز، كان الطرف الأيسر يؤدي إلى الجزء الخاص بي من المنزل، والأيمن يؤدي إلى جناح رايزك، التفتُ نحو توس.

قلتُ له وأنا أعطيه المفتاح الخاص بغرفة أكوس: «اذهب إلى جهة اليسار عند الباب الثالث، هذا سيفتح الباب. ربما ينبغي عليك أن تكون أقوى قليلاً معه قبل أن تخدّره».

قال توس: «أنا لستُ قلقاً». وأنا لم أكن كذلك. كان توس ضخماً مثل صخرة، وليس مهماً كم أصبح أكوس ماهراً في الدفاع عن نفسه. كنتُ أراقب بينما كان توس يشبك يديه مع تيكا وجوريك كل بدوره، ثم اختفينا في الممر الأيسر.

عندما اقتربنا أكثر من جزء المنزل الخاص برايزك، تحرّكتُ بشكل أبطأ، مُتذكرةً ما قاله رايزك لأكوس بشأن الأنظمة الأمنية المتطورة قرب غرفه. لمستْ تيكا كتفي وتجاوزتني. ثم انحنت ودفعت براحتيها على الأرض. فأخذت نفساً عميقاً من أنفها وعيناها مغمضتان، ثم وقفت وأشارت إلينا.

قالت بنعومة: «لا يوجد شيء في هذا الممر».

مشينا لبعض الوقت، متوقفين عند كل زاوية أو منعطف كي تستطيع تيكا استخدام هبتها التيارية في تحسّس النظام الأمني. لم يكن رايزك ليتوقع أبداً أنّ الفتاة التي عاشت مطليةً بالزيت وبين الأسلاك بإمكانها إحداث هذا الخراب.

عندئذٍ انتهى الممر بشكل مفاجئ. بالطبع. ربما أمر رايزك بإغلاق المداخل الصغيرة بعد أن أوشك أكوس على الهرب.

شعرتُ بانقباض في معدتي لكني لم أرتعب. فأرجعت اللوح الجداري إلى

مكانه ودخلتُ إلى غرفة الجلوس الفارغة التي بعده. كنا على بعد عدة غرف فقط من غرفة نوم رايزك ومكتبه. وهناك يوجد على الأقل ثلاثة حراس والقفل الذي بإمكان دم نوفاك فقط أن يفتحه. ولم يكن بإمكاننا تجاوز الحراس من دون إحداث فوضى قد تجلب انتباه الآخرين.

ربَتُّ على كتف تيكا وانحنيتُ لأهمس في أذنها: «كم تحتاجين من الوقت؟».

رفعتْ إصبعين.

فأومأتُ بالموافقة، واستللت سكيني وحملته بجانب ساقي، كانت عضلاتي تجفل بترقّب لحركة حادة. خرجنا من غرفة الجلوس، وكان الحارس الأول هناك يخطو في المدخل. فاتبعت خطواته لعدة ثوانٍ مقارنةً مشيتي بمشيته. ثمّ أطبقتُ بيدي اليسرى على فمه وطعنته بيُمناي دافعة النصل تحت درعه وما بين أضلاعه.

صرخ وكانت يدي كافية لإخماد صوته لكن ليس لإسكاته تماماً. فتركته يسقط وعدوتُ نحو مكان إقامة رايزك. فتبعني الآخرون غير مهتمين بعد الآن بأن يكونوا هادئين. فسمعتُ صرخات في المقدمة. ركض جوريك متجاوزاً إياي وهجم على الحارس الآخر، فصرعه أرضاً.

أمسكتُ بالثاني من حنجرته فتجمّعت الظلال التيارية في راحة يدي ودفعته نحو الجدار عند اليسار. ثم وقفتُ أمام باب رايزك والعرق يتجمّع حول مؤخرة أذني. كان حساس الدم عبارة عن فتحة في الجدار، عريضة ومرتفعة بما يكفي لتستوعب إحدى اليدين.

وجّهتُ يدي نحوه بينما تيكا تتنفّس بصعوبة فوق كتفي. وكان الجميع حولنا يصرخون ويركضون، لكن لم يكن أحد قد وصل إلينا بعد. شعرتُ بوخزة عندما سحب الحساس بعضاً من دمي، وانتظرتُ باب رايزك كي يُفتح.

سحبتُ يدي وحاولتُ مرة أخرى بيدي اليمنى.

لم يفتح الباب.

قلتُ لها: «ألا تستطيعين فتحه؟ بهبتك؟».

صرخت قائلةً: لو كان بإمكاني ذلك لما احتجنا إليك! بإمكاني فتحه وإغلاقه، لكن ليس تحرير القفل...».

«إنه لا يعمل. هيا بنا نذهب!».

أمسكتُ بذراع تيكا، وكنتُ عصبيةً جداً كي أنتبه بشأن الألم الذي سببته لمستي، وجررتها عبر المدخل فصرختُ، «اركضوا!» وقام جوريك بضرب الحارس الذي كان يقاتله بعنف بقبضة سكينه التيارية وقطّع درع حارس آخر، ثم لحق بنا إلى غرفة الجلوس وركضنا عبر الممرات مرة أخرى.

سمعتُ أحدهم يقول: «إنهم داخل الجدران!». توهجت الأضواء عبر الشقوق في كل باب ولوح سرّي واستيقظ المنزل بأكمله. احترقت رئتاي من الجهد المبذول في العدو السريع، وسمعتُ حفيفاً من ورائنا عندما فُتح أحد الألواح.

قلتُ: «تيكا! اذهبي وجدي توس وأكوس! انعطفي إلى اليسار ثم إلى اليمين وانزلي إلى الأسفل عبر السلالم ثم انعطفي لليمين مرة أخرى. رمز الباب الخلفي هو 0503. قوليها مرة أخرى لي».

كررت تيكا من بعدي: «يسار، يمين، أسفل، يمين –0503، سايرا...».

صرختُ بها وأنا أدفعها بقوة على ظهرها: «اذهبي! أنا أُدخلكِ، وأنتِ تُخرجينه. أتذكرين؟ حسناً، ليس باستطاعتكِ إخراجه إذا كنتِ ميتة! لذا اذهبي!».

أومأت تيكا ببطء.

غرستُ نفسي في منتصف الممر. وسمعتُ بدل أن أرى، تيكا وجوريك يركضان بعيداً. تدفّق الحراس إلى الممر الضيق، أما أنا فتركتُ الألم يتكوّن في داخلي إلى الدرجة التي لم أعد أستطيع أن أرى فيها. كان جسدي يتوهّج بالظلال لدرجة أني كنتُ تعبيراً صارخاً عن الظلام.

صرختُ ورميتُ بنفسي على أول حارس. فآذاه اندفاع الألم كما آذته يدي. فصرخ وانهار جراء لمستي. كانت الدموع تملأ عينيّ بينما كنتُ أركض نحو الحارس التالي.

والتالي.

والتالي.

كل ما كنت أسعى إليه كسب بعض الوقت من أجل المنشقين. لكنّ الأوان كان قد فات بالنسبة إليّ.

الفصل الخامس والعشرون | سايرا

قلتُ لرايزك: «أرى أنك أدخلتَ بعض التعديلات على السجن».

عندما كنت صغيرة، جلبني أبي وأمي إلى هنا، إلى سلسلة من الزنازين تحت المدُرّج. لم يكن هذا سجن فوا الرسمي، إنما سجن سريّ وخاص في مركز المدينة، مخصص فقط لأعداء عائلة نوفاك. في المرة الأخيرة التي رأيته فيها، كان مبنياً من الحجر والمعدن، وكأنه شيء قادم من كتاب تاريخ مدرسي.

أما الآن، فالأرضيات داكنة ومصنوعة من مادة تشبه الزجاج، لكنها أشد قساوةً. لم يكن هناك من أثاث في زنزانتي سوى منصة معدنية ومرحاض ومغسلة مخفية وراء شاشة. فصلني عن رايزك جدار زجاجي فيه شق لتمرير الطعام. كان مفتوحاً الآن، وهذا ما أتاح لنا سماع أحدنا الآخر.

كنتُ على المنصة الآن، محشورةً في الزاوية وساقاي ممدودتان أمامي، ثقيلةً من الإنهاك وداكنةً من شدة الألم. وثمة كدمات حيث أمسكني فاس في المداخل المخفية، كي يمنعني من إيذاء عدد أكبر من رجاله. وكان هناك تورم في مؤخرة رأسي ينبض بسبب دفع فاس لي نحو الجدار كي يُفقدني وعيي.

«متى تحولتِ إلى خائنة؟». كان رايزك في المدخل مرتدياً درعه. والضوء

السقفي الشاحب يصبغ جلده باللون الأزرق. وضع ذراعه على الزجاج الفاصل بيننا واتكأ.

كان سؤالاً مهماً. وقفتُ ورأسي ينبض، لكنه لم يكن بشيء مقارنةً بألم الظلال التيارية، التي لم أعد قادرة على التحكم فيها، وهي تتحرك بسرعة إلى حدّ لم أعد قادرة على تعقبّها. كانت عينا رايزك تتبعانها فوق ذراعيّ وساقيّ ووجهي وكأنها كل ما بإمكانه رؤيته. لقد كانت الظلال هي كل ما يستطيع رؤيته على الإطلاق.

قلتُ له وأنا أدنو من الزجاج: «في البدء، أنت تعلم، أنك لم تحظَ بولائي». كنا على بعد قدم واحدة أحدنا من الآخر، لكنني شعرتُ أنني غير قابلة للّمس في تلك اللحظة. أخيراً، بإمكاني قول كل ما أريد له. «لكن ربما لم أكن لأتآمر عليك لو أنك فقط تركتنا وشأننا، كما أخبرتك. عندما مضيتَ في ملاحقة أكوس، فقط كي تتحكّم فيّ، ورغم ذلك... حسناً، كان ذلك أكثر مما أستطيع قبوله».

«أنتِ حمقاء».

«هذا ما تظنه».

ضحك مشيراً إلى السجن المحيط بنا وقال: «نعم، لقد برهنتِ على ذلك بالتأكيد، من الواضح أنّ هذا هو نتيجة عقلك الفذ».

اتكأ مرة أخرى على الحاجز، وحنى ظهره حتى أصبح قريباً من وجهي وأنفاسه تغطي الزجاج بالضباب.

قال رايزك: «هل كنتِ تعلمين أنّ محبوبك كيرسيث يعرف المستشارة الثوفية؟».

شعرتُ بانقباض من شدة الخوف. فقد كنتُ أعرف ذلك. فقد أخبرني أكوس عن أوريف بينيسيت عندما شاهدنا اللقطات الخاصة بالمستشارة وهي تُظهر نفسها. بالطبع لم يكن رايزك يعرف ذلك، لكنه أيضاً لم يكن ليذكرها بدايةً لو أنّ أكوس نجح بالخروج من قصر نوفاك مع المنشقين. إذاً ما الذي حصل له؟ وأين هو الآن؟

قلتُ وأنا أشعر بجفاف في حلقي: «كلا».

قال رايزك وهو يبتسم: «نعم، من المزعج جداً أنّ الأختين بينيسيت هما توأم وهذا يضعني في حيرة فأيهما يجب القضاء عليه أولاً، كما أنّ رؤى إيجيه جعلتِ الأمر واضحاً تماماً فيجب عليَ القضاء عليهما على التوالي وبذلك أنال قصب السباق، لقد كشفت رؤاه أيضاً وبشكل جليّ أنّ أكوس يعرف المعلومات التي أحتاج إليها للقضاء عليهما».

قلتُ وأنا أماطل: «إذاً لم تحصل بعد على هبة إيجيه التيارية». لم أكن أعرف ما الغاية التي أسعى إليها من المماطلة، فكل ما كنت أريده هو كسب الوقت قدر المستطاع قبل أن أكون وجهاً لوجه أمام ما حل بأكوس والمنشقين.

أجابني رايزك مبتسماً: «ستصل الأمور إلى خواتيمها السعيدة، فقد كنت أعمل على ذلك بصبر وتأنٍ ولكن ذلك يفوق قدرتك على الإدراك».

حسناً، لقد تفوق عليَ في هذه النقطة.

سألته: «لماذا لم يعمل دمي في القفل الجيني؟».

تابع رايزك الابتسام قبل أن يقول:

«نسيت أن أخبرك، أننا اكتشفنا أحد أصدقائك المنشقين قبل البدء بتنفيذ العملية، وأخبرنا بما كنتم تسعون وراءه، وأنك مشاركة في عملية الاغتيال، لقد قتل بعد أن أدى المهمة التي كلفته بها بعد افتضاح أمره. أخشى أني تهورت بعقابه بعض الشيء». لاتزال ابتسامة رايزك عريضة، لكنّ عينيه كانتا مشوشتين قليلاً، وكأنه تحت تأثير زهرة هشفلور. بقدر ما كان رايزك يتصرّف وكأنه قاسي القلب، فقد عرفتُ ما الذي حدث فعلاً: لقد قتل توس لأنه يعتقد أنّ ذلك كان ضرورياً، لكنه لم يكن قادراً على تحمّل الأمر. لقد تناول زهرة هشفلور ليُهدّئ نفسه بعد ذلك.

قلتُ بشكل حاسم وأنا أجد صعوبةً في التنفّس: «ما حل بأكوس؟».

تابع رايزك كلامه وكأني لم أسأله: «لا يبدو أنك نادمة، ربما أتساهل معك ومعه لو تتوسلين عفوي».

انتصبَ حالما فُتح الباب في نهاية الزنزانة. تقدّم فاس أولاً، وخدّه مُتورّم حيث ضربته بمرفقي. وتلاه إيجيه، جاراً رجلاً ضعيفاً من خاصرته. لقد تعرّفت إلى الرأس المُتدلّي، والجسد الطويل النحيل المُتخبّط بجانبه. رمى إيجيه بأكوس على أرضية المدخل، فبصق الأخير دماً.

ظننتُ أني رأيتُ مسحة من التعاطف على وجه إيجيه عندما نظر إلى أخيه، لكن بعد لحظة، انتهى ذلك.

شعرتُ بالتوحش، واليأس: «رايزك، رايزك، ليس له علاقة بما حصل. أرجوك لا علاقة له الأمر، لم يكن على علم بالخطة.. لم يكن على علم...».

ضحك رايزك وقال: «أعلم أنه لا يعرف شيئاً عن المنشقين يا سايرا. ألم نتحدث بذلك من قبل، أنا مهتم بمعلوماته عن مستشارته».

ضغطتُ بكلتا يديّ على الزجاج، وسقطتُ على ركبتي. فجثم رايزك أمامي.

قال: «لهذا السبب، ينبغي عليكِ تجنّب التعقيدات. فباستطاعتي استخدامك لأكتشف ما يعرفه عن المستشارة، واستخدامه لأكتشف ما تعرفينه عن المنشقين. بكل أناقة وكل بساطة، ألا تظنين ذلك؟».

تراجعتُ وجسدي يخفق بنبضات قلبي، إلى أن لمس عمودي الفقري الجدار البعيد. لم يكن بإمكاني الركض ولا الهرب، لكن لا يمكنني جعل الأمر سهلاً بالنسبة إليهم؟

قال رايزك وهو يكتب الرمز كي يفتح باب الزنزانة: «أخرجها من هنا، ودعنا نرَ إذا ما كان كيرسيث ضعيفاً بما يكفي كي ينجح هذا».

ما إن دخل فاس الزنزانة، حتى ابتعدت عن الجدار، واندفعت رامية نفسي عليه بكل ما أوتيت من قوة. وضربته بكتفي بعنف على معدته، فأمسكني من كتفيّ لكنّ ذراعي كانتا طليقتين بما يكفي لأنشب أظافري في وجهه، فسال الدم من الجلد تحت عينه. دخل رايزك، وضربني على فكّي فشعرت بالدوار وسقطت جانباً.

جرّني فاس نحو أكوس، حيث ركعنا مقابل بعضنا، بالكاد يفصل بيننا ذراع.

«أنا آسفة» هذا جل ما استطعت قوله، فلو لم أتورط مع المنشقين، ما كان ليعاني. لكن الكلام والاعتذار لا ينفع الآن.

تباطأ كل شيء في داخلي عندما تلاقت أعيننا، وكأني أوقفتُ الزمن. نظرتُ باهتمام إلى شعره البني الأشعث، وإلى النمش المتناثر على أنفه، وبدت عينيه الرماديتين أشبه بعناق مستحيل. لم أرَ الكدمات أو الدماء التي تغطيه. أصغيتُ إلى أنفاسه. فقد سمعتها في إذني بعد أن قبّلته مباشرةً، وكل زفرة تتفجّر قليلاً وكأنه لم يكن يريد أن ينساها.

«لطالما ظننت أن قدري أن أموت خائناً لبلادي». كان صوت أكوس أجش، وكأنه أُنهك من كثرة الصراخ. «لكنكِ نجحتِ في تغيير قدري فلن أموت خائناً».

ابتسم لي ابتسامة جامحة.

أدركت حينها أنّ أكوس لن يُدلي بأي معلومات عن مستشارته أياً تكن العواقب. في الحقيقة، لم يتح لي معرفة كم كان يفكر بقدره. فالموت في سبيل عائلة نوفاك كان لعنة بالنسبة إليه، كما كانت الهزيمة على يد عائلة بينيسيت لعنة بالنسبة إلى رايزك. لكنني الآن أقف إلى جانب أكوس ضد أخي، فإذا مات من أجلي الآن، فهذا يعني أنه لم يخن وطنه. لذا، ربما لن تذهب تضحيتي بحياة كلينا في سبيل مساعدة المنشقين، لن تذهب سدى.

لقد فكرت أن الأمر في غاية البساطة؛ نتألم قليلاً قبل أن نموت. لقد كنت واثقة من حتمية هذا السيناريو.

جثم رايزك جانباً، واضعاً ذراعيه على ركبتيه وقال: «لأكن صريحاً بشأن ما أريد أن يحصل هنا». كان حذاؤه لامعاً، هل استغرق وقتاً في تلميع حذائه قبل تعذيب أخته؟

حبستُ ضحكةً واهنة.

«كلاكما ستعانيان. إذا استسلمتَ أولاً يا كيرسيث، سوف تخبرني ما تعرفه عن المستشارة المقدّرة لثوفية. وإذا استسلمتِ أولاً يا سايرا، سوف تخبرينني عما

تعرفينه عن المنشقين وعن علاقاتهم بمستعمرة المنفيين». نظر رايزك إلى فاس وأمره: «تابع».

استعددت لتلقي ضربة، لكنها لم تأتِ. وبدلاً من ذلك، أمسك فاس بمعصمي، وأجبر يدي على الوصول إلى أكوس. في البداية تركتُ ذلك يحصل لأني متأكدة من أنّ لمستي لن تؤثر به. لكن حينها تذكّرت –قال رايزك ذلك ليرى إذا كان أكوس «ضعيفاً بما يكفي». وهذا يعني أنهم جوّعوه طيلة الأيام التي كنتُ فيها في السجن، لقد أضعفوا جسده، وهبته.

مانعتُ بقوة يد فاس التي تشبه الملزمة، لكني لم أكن قوية كفاية. فلمست براجمي وجه أكوس. وزحفت الظلال نحوه، رغم أني رجوتها ألا تتحرك. لكني لم أكن سيدتها. ولم يسبق لي أن كنت سيدتها. تأوّه أكوس، وأخوه يُثبّته في مكانه بينما يحاول أن يجفل بعيداً عن يدي.

قال رايزك وهو ينتصب على قدميه: «هذا رائع. لقد نجحنا. أخبرني عن مستشارة ثوفية يا كيرسيث».

سحبتُ مرفقي بكل ما أوتيت من قوة وأنا أتلوّى بعنف للتملّص من قبضة فاس. كانت الظلال تصبح أكثر عدداً كلما صارعت، وكأنها تسخر مني. لقد كان فاس قوياً، وليس هناك من شيء أستطيع فعله له الآن، لقد أمسكني بثبات بيد واحدة ودفع راحتيْ يديّ إلى الأمام حيث استقرتا على عنق أكوس.

لم يكن بإمكاني تخيّل شيء أكثر فظاعة من هذا، لقد انقلب كرباج رايزك ضد أكوس كيرسيث.

شعرتُ بحرارته. كان الألم داخلي يتلهّف للمشاركة، فتحرك إلى داخله، لكن بدلاً من أن يضمحّل في جسدي كما يحدث عادةً، تضاعف في داخلينا، لقد اهتزّت يدي من الجهد في محاولة سحبها بعيداً. صرخ أكوس، وصرختُ أيضاً. كنتُ قاتمةً بسبب التيار، مركز أحد الثقوب السوداء، ذرة في هامش المجرة المظلم. كان كل إنش مني يحترق ويتألم ويتوسل سبل الارتياح.

التقى صوت أكوس بصوتي مثل يدين متشابكتين، فأغمضت عينيّ.

كان أمامي طاولة مكتب خشبية، مُعلمة بدوائر من كؤوس الماء. وثمة كدسة من الدفاتر مبعثرة عليها، وكلها مدون عليها اسمي، سايرا نوفاك، سايرا نوفاك، سايرا نوفاك. لقد عرفتُ هذا المكان. إنه مكتب الدكتور فدلان.

كان يقول: «إنّ التيار يسري في كل واحد منا، ومثلما يتقولب المعدن السائل، فهو يأخذ شكلاً مختلفاً في كل واحد منا». كانت أمي تجلس إلى يميني، بقامتها المنتصبة ويديها المجتمعتين في حضنها. كانت ذاكرتي عنها مفصّلة وكاملة، حتى خصلة شعرها المرخية وراء أذنها والعيب الباهت على ذقنها، والمغطى بالماكياج.

قال: «إنّ هبة ابنتك التي تسبب استدعاء الألم إلى داخلها وتوجيهه نحو الآخرين، يوحي بشيء ما عما يحدث داخلها، وذلك يتطلب بحثاً أكثر كي نعرف ما هو ذلك الشيء بالضبط. لكنّ التقييم السطحي يفيد أنه عند مستوى معين، تشعر أنها تستحقه. وتشعر أنّ الآخرين يستحقونه أيضاً».

بدلاً من الهيجان بالطريقة التي فعلتها في ذلك الوقت، أمالت أمي رأسها. كان بإمكاني رؤية النبض في عنقها. فالتفتتْ نحوي في الكرسي. كانت أكثر جمالاً مما أجرؤ على التذكّر، حتى أنّ التجاعيد عند زاويتي عينيها كانت جميلة وناعمة.

سألت: «ما رأيك يا سايرا؟» وعندما تفوهت بذلك أصبحتْ إحدى راقصات أوجرا، بعينيها المخططتين بالطبشور وعظام خديها البراقة تحت جلدها حتى إنني أستطيع رؤية الفراغات الباهتة عند مفاصلها. «هل تعتقدين بأنها تعمل بهذا الشكل؟».

أجبتها بصوتي البالغ: «لستُ أدري». كان جسدي البالغ هو الذي يجلس على الكرسي أيضاً، رغم أني ذهبتُ إلى هناك عندما كنتُ طفلة فقط. «كل ما أعرفه أنّ الألم يريد أن يكون مشتركاً».

ابتسمتِ الراقصة قليلاً وقالت: «حقاً، حتى مع أكوس؟».

قلتُ: «الألم ليس أنا، فهو لا يُميّز، إنه لعنتي».

قالت الراقصة وعيناها الداكنتان ثابتتان على عيني، «لا، لا». لكنهما لم تكونا بنيتين، كما كانتا عندما رأيتها تؤدي رقصتها في غرفة الطعام. كانتا رماديتين، وقلقتين. عينا أكوس مألوفتان بالنسبة إليّ حتى في الحلم.

لقد حلّ مكانها، وجلس على طرف المقعد وكأنه مستعد للطيران، وجسده الطويل يجعل الكرسي يبدو قزماً.

قال: «كل هبة تيارية تحمل لعنة ما، لكن ليس هناك من هبة إنها مجرد لعنة فقط».

قلتُ: «جزء من الهبة يتمثل بأن أحداً لا يستطيع إيذائي».

لكن حتى عندما قلتُ ذلك، كنتُ أعرف أنه غير صحيح. فلايزال بإمكان الناس إيذائي. وهم ليسوا بحاجة إلى لمسي كي يؤذوني –حتى إنهم ليسوا بحاجة إلى تعذيبي من أجل إيذائي. طالما أهتم بحياتي، وطالما أهتم بحياة أكوس، أو بحياة منشقين بالكاد أعرفهم. لقد كنتُ قابلة للعطب والإيذاء مثل أي شخص آخر.

رمشتُ بعينيّ في وجهه عندما خطر ببالي جواب آخر.

قلتُ: «لقد أخبرتني أنني كنتُ أكثر من سكين وأكثر من سلاح، ربما أنت على حق».

ابتسم تلك الابتسامة المألوفة التي تُغضّن خدّه.

قلتُ: «الهبة هي القوة التي منحتها اللعنة لي». كان الجواب الجديد يشبه زهرة هشفلور متفتّحة، ببتلات جلية. «أستطيع تحمّلها، أستطيع تحمّل الألم. أستطيع تحمّل أي شيء».

مدّ يده إلى خدي. أصبح الراقصة، وأمي، وأوتيجا، على التوالي.

وفيما بعد كنتُ في السجن، والذراع ممدودة، والأصابع على خد أكوس، ويد فاس تقبض بشدة على معصمي، تُثبّتني. كانت أسنان أكوس تكزّ، والظلال التي هي في العادة محصورة تحت جلدي كانت حولنا، مثل الدخان. والظلام دامس جداً بحيث لم أستطع رؤية رايزك أو إيجيه أو السجن بجدرانه الزجاجية.

التقتْ عينا أكوس –المليئتان بالدموع والألم –بعينيّ. دفع الظل نحوه سيكون أسهل. لقد فعلتُ ذلك عدة مرات من قبل، وفي كل مرة كان هناك علامة على ذراعي اليسرى. كل ما ينبغي عليّ فعله هو أن أدع الصلة تتشكّل، وأدع الألم يسري بيننا مثل نفس، مثل قبلة. وأدع كلّ الألم يتدفق مني، ويجلب الراحة لكلينا، عند الموت.

لكنه لم يكن يستحقه.

هذه المرة، كسرتُ الصلة، وكأني أغلق باباً بيننا. فسحبتُ الألم معيدةً إياه إلى نفسي، ذلك الألم الذي جعل جسدي يصبح أكثر سواداً، مثل عبوة حبر. فارتجفتُ من تلك القوة وذلك العذاب.

لم أصرخ. لم أكن خائفة. فقد كنتُ قوية بما يكفي كي أبقى على قيد الحياة عبر كل هذه المشاكل.



4

الفصل السادس والعشرون
أكوس

في مرحلة فاصلة بين النوم واليقظة، كان يظن أنه يرى عشباً ريشياً، يتمايل بفعل الريح. تخيّل أنه في منزله وباستطاعته تذوّق الثلج في الهواء، وشمّ الأرض الباردة. ترك الحنين يعذبه كل الطريق، ثم غرق في النوم مرة أخرى.

جاثياً على ركبتيه فوق أرض السجن، شاهد الظلال التيارية وهي تنبعث من جلد سايرا مثل الدخان. لقد لوّن الضباب اليد التي على كتفه -يد إيجيه -بلون رمادي داكن. ورأى سايرا من خلاله بشكل باهت فقط، ذقنها مرفوعة وعيناها مغمضتان وكأنها نائمة.

والآن، هو مستلقٍ على فراش رقيق وأحد السخانات فوق قدميه الحافيتين، وهناك إبرة في ذراعه، ومعصمه مُقيّد بهيكل السرير.

الألم وذكراه، يتحول إلى خَدَر.

شدّ أصابعه بقوة، فتحركت إبرة التغذية الوريدية بشكل حاد تحت جلده فقطّب حاجبيه. كان هذا المكان حلماً، يجب أن يكون كذلك، لأنه لايزال في ذلك القبر تحت مُدرّج فوا، ورايزك يأمره بالحديث عن أوري ريدنيلز، أو أوريف بينيسيت، أياً ما كانت تُسمى به الآن.

«أكوس؟» بدا صوت المرأة حقيقياً بما يكفي. ففي النهاية ربما لم يكن ذلك حلماً.

وقفتْ فوقه، إنه يعرف هاتين العينين في أي مكان. فقد كانتا تحدقان إليه على طاولة العشاء، وتتغضّنان عند زاوتيهما عندما يطلق إيجيه إحدى الدعابات. وأحياناً يرتعش جفنها الأيسر عندما تتوتّر. لقد كانت هنا، وكأنَّ التفكير فيها أحضرها. اسمه أعاد الاستقرار إلى نفسه، فليس هناك من انزلاق ولا سقوط بعد الآن.

سأل بصوت أجش: «أوري؟».

سقطتْ دمعة من عينها على ملاءات السرير، ووضعت يدها على يده مُغطِّيةً الإبرة الوريدية الآتية من الأنبوب. كان كُمّها مصنوعاً من صوف سميك أسود، يُغطي راحة يدها، والثوب مشدود حول عنقها؛ علامات تدل على ثوفية، حيث الشخص يقترب من خنق نفسه حتى الموت كي يمنع أي دفء من الفرار.

قالت أوري: «سيسي قادمة، لقد اتصلتُ بها وهي في طريقها إلى هنا. كما اتصلتُ بأمك أيضاً لكنها في المجرة، وسيستغرق وصولها بعض الوقت».

كانت في غاية التعب.

قال وهو يغمض عينيه: «لا تذهبي».

كان صوتها مبحوحاً وبعث في نفسه الطمأنينة عندما قالت: «لن أذهب، لن أذهب».

حلم بأنه كان بين زنازين السجن الزجاجية، وركبتان كانتا تحفران الأرضية السوداء، ومعدته تقرقر من الجوع.

استيقظ في المستشفى، وأوري مُسترخية إلى جانبه، وذراعها فوق ساقيه. رأى من خلال النافذة وراءها عوامة تطنّ وأبنية ضخمة معلّقة في السماء مثل الفاكهة الناضجة.

سألها: «أين نحن؟».

فركت عينيها مبعدة أثر النوم وقالت: «في مستشفى شيسا».

«شيسا؟ لماذا؟».

قالت: «لأنه المكان الذي رُميت فيه، ألا تذكر؟».

عندما تحدثتْ معه في البداية، بدت مُختلفة، وحريصة في كل كلمة تقولها. لكن كلما طال كلامها، اندمجت في إيقاعات هيسا البطيئة الخاصة بهم، فكل مقطع صوتي ينزلق إلى جانب المقطع الآخر. وجد نفسه يفعل الشيء نفسه.

«رُميتُ؟ من قِبل من؟».

«لا نعرف. كنا نظن أنك تعرف».

التجأ إلى الذاكرة، لكنه لم يصل إليها تماماً.

وضعت يدها على يده مرة أخرى وقالت: «لا تقلق، كان هناك كثير من أزهار الهشفلور في داخلك وربما كان يجب أن تكون ميتاً، فلا أحد يتوقع منك أن تتذكّر». ابتسمتْ بشكل مألوف، فمٌ مائل إلى جانب خد متقوّس. «ربما لم يعرفوك بشكل جيد كي يرموك في شيسا مثل نوع من مخاط ساكني المدينة».

كاد ينسى دعاباتهم حول هذا المكان. أطفال شيسا برؤوسهم المرفوعة نحو السماء، ليس بإمكانهم حتى التعرف إلى زهرة الهشفلور لدى رؤيتها لأنهم اعتادوا على رؤيتها من أماكن شديدة الارتفاع. حتى لم يكن بإمكانهم ارتداء معطف وإغلاقه بشكل مناسب.

قال: «(مخاط ساكن المدينة) هكذا تقول مستشارة ثوفية التي وقع القدر عليها» ثم تذكر فجأةً: «أم أنت توأمها؟ وعلى أية حال من هي الأكبر بينكما؟».

قالت: «لستُ المستشارة، أنا الأخرى. التي قُدّر لها إيصال أختها إلى العرش أو... مهما يكن، لكن لو كنتُ هي، لما كنتَ خاطبتني قطعاً بـ (التوقير الملائم لمنصبي)».

قال أكوس: «مُتكبّرة».

«نفايات هيسا».

«أنا من عائلة كيرسيث كما تعلمين، ونحن لسنا نفايات تماماً».

«نعم أعلم ذلك». تلطّفت ابتسامتها قليلاً وكأنها تقول: كيف يمكنني أن

أنسى؟ وحينذاك تذكر أكوس القيد الذي يربط معصمه بسرير المستشفى. فقرّر عدم ذكر ذلك الأمر الآن».

سألها: «أوري، هل أنا حقاً موجود في ثوفية؟».

«نعم».

أغمض عينيه، وشعر بحريق في حلقه.

قال: «اشتقتُ إليك يا أوريف بينيسيت، أو مهما يكن اسمك».

ضحكت أوري وهي تبكي: «إذاً ما الذي أخّرك كل هذه المدة الطويلة؟».

عندما استيقظ في المرة الثانية، لم يشعر أنه مخدّر تماماً، رغم أنه يشعر بالألم بشكل أكيد، إلا أنّ الألم الحاد الذي حمله من فوا إلى شيسا كان قد انتهى. لا شكّ أنّ هبة سايرا المتبقية تمّ إرسالها بعيداً عبر الأزهار الجليدية.

إنّ مجرد التفكير باسم سايرا جعل معدته تنقبض من الخوف. أين هي الآن؟ هل أنقذها الناس الذين أحضروه إلى هنا أيضاً، أو أنهم تركوها مع رايزك لتموت؟

شعر بطعم مرّ في فمه وفتح عينيه.

هناك امرأة تقف عند مقدمة سريره بشعرها الداكن المُجعّد، وعينيها الواسعين. وثمة بقعة صغيرة أسفل إحدى عينيها حيث بؤبؤها ينزف دماً داخل حدقتها؛ إنه عيب خلقي. إنها أخته سيسي.

قالت بصوت مفعم بالرقة والنعومة: «مرحباً». لقد كان يحمل ذكرى صوتها بقوة في عقله، وكأنه البذرة الأخيرة التي بقيت للزراعة.

كان من السهل جداً البكاء الآن، فهي أمامه رقيقةٌ كما كانت. قال بصوت أجش رامشاً ليبعد الدموع: «سيسي».

«كيف تشعر؟».

قال في نفسه، يا لهذا السؤال. رغم أنه عرف أنها تسأل فقط لتطمئن، ولذلك قال: «بخير، لقد كنتُ أسوأ حالاً».

تحركَت بشكل رشيق بحذاء أهل هيسا العالي والمتين، وتوقفت بجانب

السرير وضغطت على شيء ما قريب من رأسه. فتحرك السرير إلى الأعلى وأصبح بإمكانه الجلوس مُنتصباً.

جفل قليلاً، فقد كانت أضلاعه تؤلمه. وكان مخدراً للغاية لدرجة أنه كاد ينسى ذلك.

لقد كانت حذرة جداً قبل ذلك الوقت. وشديدة التحكم بنفسها، لدرجة أنه جفل عندما رمت بنفسها عليه، ويداها تتمسكان بكتفه وخاصرته. في البداية، لم يستطع التحرك. لكنه طوقها بذراعيه وضمّها بقوة. لم يتعانقا كثيراً في طفولته -فإذا استثنينا الأب، لم يكونوا عائلة حنونة-لكنّ عناقها كان وجيزاً. كانت هنا، على قيد الحياة، وهما معاً مرة أخرى.

تنهدت وقالت: «لا أستطيع أن أصدّق...». ثم بدأت بتمتمة إحدى الصلوات. لقد مضى عليه وقت طويل لم يسمع فيه صلاة ثوفية. كانت الصلوات الخاصة بالشكر هي الأقصر، لكنه لم يستطع إجبار نفسه على ترديدها معها، فهناك كثير من المخاوف تتزاحم في رأسه.

قال ما إن انتهت من صلاتها: «ولا أنا». ابتعدت عنه ممسكة إحدى يديه مبتسمة له. لا، إنها تعبس الآن، وهي تُحدّق إلى يديهما معاً وتلمس خدها حيث انهمرت دمعة عليها.

قالت: «أنا أبكي!! منذ أن اكتسبتُ هبتي التيارية لم أبكِ».

«هبتك التيارية تمنعك من البكاء؟».

«ألم تلحظ ذلك؟ استنشقت ومسحت خدّيها. «أنا أجعل الناس يشعرون... بالراحة. لكن يبدو أني لا أستطيع أيضاً أن أفعل أو أقول أي شيء يجعلهم قلقين، مثل...».

قال بالتحديد: «البكاء». لم يفاجئه أنها تملك تلك الهبة. لكن الطريقة التي عبرت فيها جعلتها تشعر بالاختناق وكأن يداً تضغط حول عنقها. لم يستطع رؤية الهبة في ذلك.

قال: «حسناً، إنّ هبتي توقف هبتك وتوقف هبة أي شخص».

«مفيدة؟».

«أحياناً».

قالت فجأةً وهي تضغط بشدة على يده: «هل ذهبت في رحلة إقامة مؤقتة؟». تساءل إن كانت ستبدأ بإمطاره بالأسئلة. أضافت، «أنا آسفة، أنا فقط... تساءلت، عندما رأيتُ التقارير، لأنك لا تستطيع السباحة. كنتُ قلقة».

لم يستطع تجنب ذلك، فضحك.

ضحك مرة أخرى وقال: «لقد كنتُ محاطاً بالشوتيت، بجوار رايزك نوفاك، وما يقلقك أنني لا أستطيع السباحة؟».

قالت: «باستطاعتي القلق بشأن أمرين في آن معاً. بل في الحقيقة بشأن أمور عدة».

سأل: «سي، لماذا أنا مُقيّد إلى هذا السرير؟».

«لقد كنتَ ترتدي درعاً شوتيتياً عندما رميت. وتعليمات المستشارة هي أن يتم التعامل معك بحذر».

لسبب ما تحول لون خديها إلى الوردي.

«ألم تكفلني أوري؟».

أجابته سيسي: «لقد كفلتك، وأنا أيضاً». لم توضح لماذا قد تكون في وضع يدعوها لتكفله أمام مستشارة ثوفية، وهو لم يسأل. ليس بعد على أية حال. «لكنّ من الصعب إقناع... المستشارة».

لم تبدُ حاسمة، لكن بعد تفكير دقيق، لم تكن سيسي حاسمة أبداً. فباستطاعتها التعاطف مع الجميع. كما أنّ الإشفاق يجعل المناورة صعبة، لكن بدت له أنها تدبرت أمرها بشكل جيد خلال السنين التي كانا فيها متباعدين. بدت تقريباً مثلما كانت، لكن أنحف، بفك وعظام خدين أكثر وضوحاً. بالطبع هذا من أمهم، لكن ما تبقى منها -ابتسامة عريضة للغاية، والحاجبان الداكنان والأنف الدقيق -كانت من أبيهم.

كان طفلاً في آخر مرة رأته فيها، ناعم الوجه وأقصر من كل الأولاد الآخرين

وهادئاً على الدوام، يحمرّ خداه دائماً. أما الآن، فهو أطول من معظم الرجال، وذو ملامح قاسية وعضلات بارزة ولديه علامات قتل. هل بدا الشخص نفسه بالنسبة إليها؟

قال، في حال لم تكن واثقة: «لن أؤذي أحداً».

«أعلم ذلك». كان من السهولة رؤية سيسي على أنها الشخص اللطيف والرقيق، لكن نظرتها كانت فولاذية، وتحيط الخطوط بجانبي فمها والتجاعيد مرتسمة على وجهها جراء حياة من وجع القلب. لقد كانت ناضجة.

قال: «أنتِ مختلفة».

قالت: «أنت الوحيد الذي يتكلم، أصغِ لي، أردتُ أن أسألك...». قضمت أحد أظافرها بينما وجدت الكلمات. «أردتُ أن أسألك عن إيجيه».

كانت يد إيجيه ثقيلة على كتفه بينما كان يقود أخاه إلى السجن، رغم أنَّ أكوس همس باسمه وتوسله أن يساعده ويرأف به ويطعمه.

لايزال بإمكانه الشعور بيده.

سألته بوهن: «هل هو حي؟».

أجابها بحدة، وبالطريقة نفسها التي كانت ستجيب فيها سايرا لو سئلت السؤال نفسه: «هذا يعتمد على تعريفك لكلمة (حي)».

توقفت عن الكلام، وكأنها تمنحه فرصة ليقول شيئاً ما، لكنه لم يجدر به قوله: «لقد تابعت أخباراً شوتيتية مُخترقة في السنة الماضية حيث كان بجانب رايزك». ثم أضافت بعد توقف مماثل مرة أخرى: «وكنتَ بجانب سايرا».

كان حلقه شديد الجفاف. «هل شاهدتِ الأخبار مؤخراً؟».

«كلا. من الصعب الولوج إليها. لماذا؟».

كان بحاجة إلى معرفة إن كانت سايرا بخير. كان متعطشاً إلى ذلك تعطش الأرض اليابسة للغيث. وبما أنه في ثوفية، فليس هناك أخبار شوتيتية تعرض في شاشات كل منزل، وبالتالي ما من طريقة لمعرفة حقيقة وضع سايرا إلا بالعودة إلى هناك.

هذا ما كان يفترض به القيام به؛ سيعود وسيساعد سايرا، وسيجلب إيجيه جراً إن اقتضى الأمر، فما من شيء حسم حتى الآن.

قالت سيسي: «لهذا السبب، إيساي -أقصد المستشارة -أمرت بتقييدك إلى السرير، حتى تتحسن حالك وتوضّح سبب وجودك معها -».

«لن أوضّح ذلك». بدتْ مصدومة من الغضب المعتمل في صدره وعبّر عنه بنبرة صوته: «لقد عدت حياً وبالحالة التي ترونها، ولكني لن أتفوه بأي كلمة من شأنها أن تغير أي افتراضات مسبقة لديك».

لقد عاد إلى عمر الرابعة عشرة وبدا سريع الغضب. كانت العودة إلى المنزل تشبه المشي إلى الخلف.

نظرت إلى الأسفل وقالت: «أنا لم أفترض شيئاً. أردتُ أن أحذرك فقط. أظن أن المستشارة تريد التأكد من أنك لست خائناً».

ارتجفت يداه. «تتأكد؟ ماذا يعني هذا؟».

كانت على وشك الإجابة عندما فُتح باب غرفة المستشفى. دخل أحد الجنود الثوفيين أولاً مرتدياً زيّه المحلّي، بنطالاً أحمر داكناً مع سترة رمادية داكنة. وقف جانباً، تبعته توأم أوري.

عرف على الفور أنها ليست أوري، بالرغم من أنها تمتلك عينين كعينيها تماماً وكان القماش يغطي كل ما تبقى منها: رداء بقلنسوة، كمان مشدودان إلى المعصم، وكان رداؤها مزرراً من الخصر حتى العنق، وطويلاً بما يكفي ليلامس حافة حذائها الأسود اللامع. وقفتْ عند مقدمة السرير مواجهةً إياه ويداها مكتوفتان وأظافرهما واضحة للعيان. وهناك خط أسود مُتقن على كل من جفنيها يُحدّد مسار رموشها بالإضافة إلى حجاب يغطي بقية وجهها من الأنف إلى الفك.

إنها إيساي بينيسيت، مستشارة ثوفية.

لم تعلمه العادات في هيسا أسلوب التعامل مع شيء بهذه المهابة. لكنه تدبّر الوضع بطريقة ما وقال: «سيدتي المستشارة».

قالت: «أرى أنه ليس من الصعب عليك تمييزي عن أختي». كان لديها لكنة

غريبة، مثل شخص من الحافة البعيدة للمجرة، وليس شخصاً بارعاً من الكواكب الأقرب إلى مقر إقامة المجلس، كما كان يتوقّع.

قادته جسارته لإجابتها بنزاهة: «إنه الحذاء، فأي فتاة من هيسا لن تنتعل مثله أبداً».

ضحكتْ أوري التي دخلت خلفها. إنّ رؤيتهما معاً جنباً إلى جنب يُظهر بوضوح كم كانتا مختلفتين. فأوري محدودبة ونحيلة ووجهها حيوي، أما إيساي فبدت وكأنها منحوتة من صخر.

سألتها المستشارة: «لماذا خاطرتِ بإحدى مستويات الحماية عن طريق إظهار وجهكِ له في وقت سابق يا أوري؟».

قالت أوري بثبات: «إنه أخي ولن أخفي وجهي عنه».

قلتُ: «ما المهم في هذا؟ أنتما توأم أليس كذلك؟ ولذا أنا أعرف كيف تبدوان».

واستجابةً لذلك، أمسكت إيساي بطرف حجابها ونزعته بأظافرها. وعندما سقط الغطاء، حدّق أكوس بشكل سافر.

كان وجهها مشطوباً بندبتين، واحدة تمر عبر حاجبها وجبينها، والأخرى تمر عبر الفك إلى الأنف. ندب مثل التي عند كالميف وأكوس، وهي ناتجة عن سكاكين تيارية حادة، وهذا شيء نادر، بما أنّ تدفق التيار كان سلاحاً كافياً. ربما أنصال شوتيتية.

هذا يُفسّر لماذا كانت وأوري تغطيان وجهيهما. فكونهما توأماً يجعل الجميع يحتارون من هي المستشارة. لكن بسفور وجهيهما... جيد.

قالت إيساي، بحدةٍ أكثر من قبل، إذا كان ذلك ممكناً: «كفانا مجاملات، أظن أنّ أختك كانت على وشك إخبارك بما أستطيع فعله بهبتي التيارية».

أجابت سيسي: «نعم، بإمكان إيساي -أقصد سموها -أن تستدعي ذكرياتك بلمسة منها. وهذا يساعدها على التحقق من شهادات الناس الذين لا يحملونها على الوثوق بهم».

كان هناك كثير من الذكريات التي لا يريد أكوس استدعاءها. فتسلل وجه سايرا بعروق الظلال الجاثمة على خديها إلى عقله. حكّ مؤخرة رأسه وتجنب أن تلتقي عيناه بعيني سيسي.

قال: «هذا لن ينفع، فالهبات التيارية لا تؤثر فيّ».

قالت إيساي: «حقاً».

«نعم، تفضلي وحاولي».

اقتربت إيساي منه وتوقفت عند جانبه الأيسر، مقابل سيسي تماماً. ومن هذه المسافة القريبة كان بإمكانه رؤية تغضّن الندوب التي تعود إلى مواسم خلت، فلونها لايزال داكناً.

لمستْ ذراعه المُقيّدة في مكان التقاء المعدن بالمعصم تماماً.

قالت: «أنت محق. فأنا لا أرى – ولا أشعر – بشيء».

قال بشيء من التوتر: «أظن أنه يتوجّب عليكِ أن تثقي بكلامي».

كان جواب إيساي وهي تعود إلى مقدمة السرير، «سنرى».

سألتك: «هل قام رايزك نوفاك أو أحد مساعديه بطلب معلومات منك عني؟ فنحن نعلم أنك تمتلك معلومات، بما أنك رأيت أوري في اليوم الذي تمّ فيه كشف الأقدار».

سألته سيسي بتلهّف: «هل رأيتها؟».

«نعم»، كان صوته مضطرباً بعض الشيء، «نعم لقد طلب مني».

«وماذا أخبرته؟».

جذب ركبتيه إلى صدره مثل ولد خائف من عاصفة، ونظر خارج النافذة. كانت شيسا برّاقة في نهاية النهار، وكل غرفة تتلألأ بصفوف من الإضاءة ذات الظلال المختلفة. وبدا المبنى المجاور لمبناهم بنفسجياً.

اضطرب أكثر من قبل وقال: «لم أكن أعلم شيئاً لأقوله».

كانت الذكرى تقترب منه رويداً رويداً، وجه سايرا، والأرض الزجاجية، ويد إيجيه عليه. «أعرف كيف أتحمّل الألم، فأنا لستُ ضعيفاً، أنا...». حتى

هو يبدو مخبولاً، لتحدثه بهذا الشكل. هل قال أي شيء وسط ذلك الألم كله؟ «لديه... مدخل على ذكريات إيجيه عن أوري، وهذا قد يُمكّنه فقط من إيجاد الصلة بين أوري وقدرها بالنسبة إليه كي يعرف كيف يبدو شكلك، والأسماء المستعارة والأصول... لذا حاولتُ الاعتصام بالصمت. يريد رايزك معرفة كيف يميز بينكما، وأيكما تكبر الأخرى. هو يعلم... فقد أخبره أحد الكهنة أنّ الإمساك بإحداكما أفضل من الإمساك بالأخرى، ولذا فإنّ أي شيء يُميزكما عن بعضكما بعض هو خطر بالنسبة إليكما. لكن -لقد سأل مراراً وتكراراً، و-أنا لا أعتقد أني قلتُ أي شيء، لكني لا أستطيع أن أتذكّر-».

تحركّت أوري نحوه باندفاع، وأمسكت كاحله بقوة وهي تضغط عظامه. لقد ساعده الضغط على تركيز أفكاره.

سألتْ إيساي وهي غير مُتأثرة على ما يبدو: «لنفترض أنك لم تخبره بشيء مفيد، مثلاً أين ترعرعت أوري، أو من قام بتربيتها... فهل سيأتي إلى هنا للقبض علينا بنفسه؟».

حاول أن يتمالك نفسه فقال: «كلا، كلا، أظنه يخشاكما».

لن يأتي رايزك بنفسه، أليس كذلك؟ لن يأتي من أجل كاهنته، ولن يأتي لاستعادة أكوس. لم يكن يريد أن تطأ قدماه ثوفية.

بدتْ عينا إيساي مألوفتين بالنسبة إليه، عندما شاهد لقطات التوأم في أوسوك. لكنّ النظرة التي فيهما الآن لم تكن شيئاً باستطاعة أوري امتلاكه. كانت نظرة قاتل صرف.

قالت إيساي: «يجب عليه أن يخاف. هذا النقاش لم ينتهِ بعد، أريد أن أعرف كل شيء تعرفه عن رايزك نوفاك. سأعود لاحقاً».

قامت بتثبيت حجابها وبعد لحظة فعلت أوري الشيء نفسه. لكن قبل أن تغادر، وضعت أوري يدها على الباب وقالت: «لا بأس يا أكوس ستصبح الأمور على خير ما يرام».

لم يكن مقتنعاً تماماً.

الفصل السابع والعشرون أكوس

حلم:

لامست ركبتاه الأرض في السجن الموجود تحت الأرض. فزحفت هبة سايرا التيارية فوقه مثل ديدان نشطة حول جذور الأزهار الجليدية. عندئذٍ، وبزفيرها الأجش، تحوّلت الظلال إلى غيوم داكنة حولهما. لم ير الظلال هكذا من قبل؛ أي أنها تنفصل عن جلدها. هناك شيء ما قد تغيّر.

بعد ذلك، سقطت على جنبها في بحيرة من الدماء، وقبضت يداها على معدتها، كما فعل أبوه عندما قتله فاس أمام أطفاله، وانحنت أصابعها وأصبحت حمراء اللون.

تحوّلت الدماء إلى بتلات لأزهار الهشفلور، فاستيقظ من نومه.

كان القيد يزعجه أو بالأحرى يزعج ذراعه كلما لامس المعدن جلده. لوى يده إلى الداخل كي يلمس قفل القيد. كان التيار يُبقي القيد مغلقاً، ولذا في حال حشر جلده بين الشقوق، باستطاعته أن يفتحه. لقد اكتشف هذه الموهبة للمرة الأولى وهو في طريقه إلى شوتيت، قبل أن يقتل كالميف راديكس تماماً.

طقطق القيد عندما فُتح. فنزع الإبرة من ذراعه الأخرى ونهض. آلمه جسده لكنه كان ثابتاً بما يكفي، ولذا مشى نحو النافذة، ليراقب أضواء العوامات الثوفية

وهي تندفع بعيداً. كانت الأضواء الوردية المتوهجة والحمراء النابضة والخضراء الرماية تلتف مثل الأحزمة حول السفن الجاثمة، لم تكن متوهجة بما يكفي لتنير الطريق، بل بما يكفي لتُظهر أنها هناك.

وقف لفترة طويلة، بينما أصبح الليل في ساعاته المُتأخرة وتوقفت حركة المرور وخلد كل من في شيشا إلى النوم. عندئذٍ، مرّ شبح داكن فوق التوهج البنفسجي للبناء المقابل للمستشفى. واندفع آخر فوق حقول الأزهار الجليدية البعيدة. واندفع ثالث ماراً بالمستشفى نفسه. لقد تعرّف إلى المعادن المُلصقة ببعضها بعض بشكل غير أنيق. كانت السفن الشوتيتية تملأ شيسا.

انطلقت صوت الإنذار في زاوية الغرفة، وبعد لحظة، فُتح الباب وظهرت إيساي بينيسيت -بحذائها اللامع -وألقت بحقيبة قماشية على الأرض عند قدميه.

قالت: «من الجيد معرفة أنّ قيودنا لا تنفع معك، تعال، ستخرجني من هنا».

لم يتزحزح من مكانه. كانت الحقيبة مُنتفخة جراء درع صلب -درعه، كما ظن. وربما تحمل أسلحته وسمومه أيضاً، أياً يكن من رماه في شيسا مثل كيس قمامة فقد اهتمّ بتزويده بشيء واحد.

قالت إيساي وقد اضمحل أسلوبها الرسمي بسبب إحباطها: «أنت تعلم، أنني أُحب أن أكون شخصاً يصغي الناس إليه فقط. هل تظن أنه يجب أن أحمل عصا كبيرة أو شيئاً من هذا القبيل؟».

انحنى فوق الحقيبة القماشية وأخرج الدرع وارتداه. وبيد واحدة أحكم وثاق الأحزمة حول أضلاعه، وبحث بالأخرى عن سكينه في الحقيبة. كانت السكين التي أعطته إياه سايرا في الشارع أثناء الاحتفال. لقد قدّمها إليها في إحدى المرات كاعتذار، لكنها تركته على الطاولة في سفينة الإقامة المؤقتة قبل أن يُغادرا، فأخذها معه.

قال: «أختي؟».

تكلّمت سيسي من المدخل: «أنا هنا، أنت طويل جداً يا أكوس».

أمسكت إيساي بذراعه، فتركها تحرّكه مثل الدمية. بالنسبة إلى شخص

طلبت منه إخراجها، كانت بالتأكيد تتصرّف وكأنها هي من يقوم بإخراجه.

عندما أصبحا في الممر، انطفأت جميع الأضواء معاً، باستثناء بعض أضواء الطوارئ. كانت يد إيساي مشدودة وهي تقوده في الممر وعندما بلغوا الزاوية. سمع صرخات من عمق المبنى.

مدّ يده نحو يد سيسي وركضوا جميعاً، متوجهين نحو مخرج الطوارئ. لكن عند نهاية الممر كان هناك شخصان داكنان يرتديان دروعاً شوتيتية.

ترنّحت خطواته، وسحب ذراعه من قبضة إيساي وتراجع داخل الظلمة.

بدتْ سيسي مرعوبة: «أكوس!».

سحبتْ إيساي سلاحها، وهو سكين تيارية غير حادة لكنّ كثافة تيارها مميتة. كان الجنديان يتحركان نحوها ببطء وروية.

سألها أحدهما باللغة الشوتيتية: «إلى أين أنت ذاهبة؟» –ربما لم يكن يعرف التحدث بأي لغة أخرى.

كان أقصر من إيساي وقوي البنية، ولسانه يتلمظ شفتيه المتورمتين من البرد. لم يسبق للجنود الشوتيت الابتعاد كثيراً نحو الشمال، بقدر ما باستطاعة أكوس أن يتذكّر. ربما لم يكونا مستعدين لهذا التدني في درجة الحرارة.

أجابته إيساي بلغة شوتيتية ركيكة: «أنا في طريقي للخروج من هذا المستشفى».

ضحك الجنديان. وكان الجندي الثاني أصغر عمراً، وصوته ضعيف.

قال الأكبر سناً: «لكنة جميلة، أين تعلّمت لغتنا؟».

اندفعت إيساي إلى الأمام، وبسبب الإنارة الخافتة لم تكن رؤية أكوس جيدة، لكنه سمع أنينها عندما تلقّت ضربة. توقف، والسكين الأفضل في يده، ودرعه مشدود بإحكام.

قال وهو يمشي حول الزاوية مرة أخرى: «توقّف».

قال الجندي الأكبر سناً: «ما الذي تريده؟».

تقدم أكوس وقال: «أريدك أن تتركها لي».

عندما لم يتزحزح أي من الجنديين قال: «أنا خادم لعائلة نوفاك...». كان ما أدلى به صحيحاً وخاطئاً في الوقت عينه وفق الزاوية التي تنظر منها. ففي النهاية، لم يعطه أحد لقباً. «لقد أرسلني رايزك نوفاك كي آخذها. ستترتب عليك مسؤولية تجاه رايزك إن لم تسلمني إياها».

توقّف الجميع عن الحركة ومن ضمنهم أكوس. سيكون عندهم فرصة جيدة عند سلالم الطوارئ، وكل ما يجب أن يفعلوه هو تجاوز هاتين... العقبتين. تلمظ الشوتيتي الأكبر سناً مرة أخرى وقال: «وماذا سيحدث إن قتلتك وأكملتُ المهمة بالنيابة عنك؟ كيف سأُكافأ من قِبل ملك الشوتيت؟».

كان الجندي الأصغر سناً ساذجاً، فقال: «لا تقتله، أنا أعرفه، إنه...».

اندفع الشوتيتي الأكبر سناً بسكينه، لكنه كان ضخماً وبطيئاً، ومن الواضح أنه من المراتب الدنيا. فتراجع أكوس وانحنى ليتفادى سكينه، لكن بالرغم من ذلك اصطدمت السكين بالدرع فتطايرت الشرارات نتيجة الاصطدام. في تلك الأثناء استل أكوس من حذائه سكيناً أخرى. وطعن بها الجندي.

سقط الجندي فوق أكوس، وسال دمه الدافئ على يديه. ذهل أكوس ليس مما فعل بل من السهولة التي فعل بها ذلك.

قال للجندي الأصغر سناً: «اختر ما تريد، إما تبقى وتموت أو تركض وتعيش».

ركض الجندي الأصغر سناً في الممر وكاد أن يتزحلق عندما انعطف حول الزاوية. كانت سيسي ترتجف، وعيناها تلمعان من الدموع التي لم تُذرف. وإيساي توجّه سكينها نحوه.

أنزلَ الجندي على الأرض. وقال في نفسه، لا تتقيأ، لا، لا تتقيأ.

سألت إيساي: «خادم لعائلة نوفاك؟».

أجابها: «ليس تماماً».

قالت وهي تُخفض سكينها: «لا أستطيع الوثوق بك. دعونا نذهب».

أسرعوا باتجاه السطح وركضوا في العراء، في الهواء المتجمّد. وبحلول

الوقت الذي وصلوا فيه إلى العوامة –عوامة سوداء، قريبة من طرف مكان المهبط –كانت أسنانه تصطك. لمست سيسي الباب ففتح وصعدوا إليها.

عندما جلست سيسي في مقعد السائق أضاءت أجهزة التحكم في العوامة، وامتدّت شاشة الرؤية الليلية أمامها باللون الأخضر وتوهّج نظام الملاحة بكلمة ترحيب. فمدّت يدها أسفل لوحة التحكم وأطفأت أضواء العوامة الخارجية، ثم كتبت عنوان منزلهم، وشغلت الطيار الآلي.

بسرعة ارتفعت العوامة من المهبط وتحركت إلى الأمام فرمت بأكوس على لوحة التحكم. لقد نسي أن يربط حزامه.

التفت إلى الوراء كي يراقب شيسا وهي تتقلّص خلفهم. كان كل مبنى مضاءً بلون مختلف: البنفسجي للمكتبة، والأصفر للمستشفى، والأخضر للبقالة. كانت الأبنية تتدلّى بشكل مدهش مثل قطرات المطر. بقي يراقبها بينما العوامة تبتعد بسرعة وأصبحت الأبنية مثل عنقود من الأضواء. وعندما أصبح كل شيء قاتماً تقريباً، التفت نحو سيسي.

ازدردت لعابها وقالت: «أنت...». أياً يكن ما أرادت قوله، لم يكن باستطاعتها قوله، اللعنة على الهبة التيارية. مدّ يده إليها، واضعاً إصبعاً نظيفاً –كانت الأصابع الأخرى دبقة وملطخة بالدماء –على ذراعها.

أخيراً قالت: «قتلته».

فكّر بعدة إجابات، تراوحت بين لم يكن أول من أقتله إلى أنا آسف. لم يبدُ أي منهما مناسباً. لم يكن يريدها أن تكرهه، لكنه لم يردها أن تظن بأنه قدم من عند الشوتيت وهو بريء. لم يكن يرغب بالتحدث بهذا الشأن، لكنه لم يرغب بالكذب.

قالت إيساي بحدّة وهي تُشغّل قائمة الأخبار: «لقد أنقذنا». ظهرت شاشة مجسّمة صغيرة فوق خريطة الطيار الآلي، فقرأ أكوس العناوين وهي تُعرض بشكل متتابع.

بعد ساعتين من غروب الشمس بدأ الغزو الشوتيتي لشيسا.

ظهر الغزاة الشوتيت في مستشفى شيسا، وأشارت التقارير إلى مقتل ثمانية نوفيين.

قالت إيساي: «لقد أرسلتُ أوريف إلى مكان بعيد بعد أن غادرنا غرفتك مباشرةً، يجب أن تكون قد نجحت بالهروب. ولا أستطيع الآن أن أبعث برسالة إليها، فمن الممكن أن تُعترض».

وضع يديه على ساقيه، وتمنّى بشدة لو كان بإمكانه غسلهما.

قبل ساعات من الفجر ظهر خبر عاجل على الشاشة المُجسّمة عندما هبطوا في هيسا.

تفيد شرطة شيسا أن الشوتيت أسروا نوفيين. وتُظهر اللقطات المُصوّرة من الغزو امرأةً يقتادها جنود شوتيت من مستشفى شيسا. وتلمح التقارير الأولية بأنّ المرأة هي إما إيساي أو أوريف بينيسيت.

شعر بشيء كبير وشرس يهزه من الداخل.

أوريف بينيسيت. أوري. رحلت.

حاول عدم النظر إلى إيساي، ليمنحها لحظة كي تتفاعل بنفسها، لكن لم يكن هناك الكثير ليشاهده. انسلّت يد سيسي لتلمس يد إيساي، لكنّ إيساي نقرت أحد المفاتيح كي تُغلق الأخبار، وحدقت خارج النافذة.

أخيراً قالت إيساي: «حسناً، سأذهب وأحررها».

الفصل الثامن والعشرون أكوس

عندما وصلوا إلى هيسا، تحرّكت العوامة بقوس عريض حول الجبل وطارت فوق العشب الريشي، ثم حطّت على الأرض أمام منزل عائلة أكوس. في تلك الأثناء بدا الدم وقد جف على يديّ أكوس.

خرجت إيساي من العوامة أولاً ثم تبعتها سيسي. وعندما خرج أكوس، أغلقت الأبواب خلفه. كان العشب الريشي مُسطّحاً على شكل دائرة حول العوامة.

تقدّمت سيسي أولاً إلى المنزل، وكان ذلك مناسباً لأكوس، فهو لم يجد في نفسه الجرأة. ذكرته النوافذ بالمرة الأخيرة التي تواجد فيها هناك. عندما فتحت سيسي الباب، وهبّت عليه روائح التوابل والفاكهة المالحة المُقطّعة، خيّل إليه أنه سيجد جسد والده مسجى على الأرض في غرفة المعيشة، مُضرّجاً بالدماء.

توقّف أكوس وأخذ نفساً قبل أن يتابع تقدمه.

حفّ الألواح الخشبية بمفاصل أصابعه وهو في طريقه إلى المطبخ. ومرّ بالجدار حيث كانت تعلق صور العائلة عادة. لكنه كان فارغاً. لم تكن غرفة المعيشة كما تركها.. إنها أكثر شبهاً بغرفة مكتب، فيها طاولتان وخزائن كتب، فهو لم يرَ أي وسائد طرية ظاهرة. لكنّ المطبخ بطاولته ومنصته المبتورة كان هو نفسه.

هزّت سيسي الثريا فوق طاولة المطبخ لتُضيء الأحجار النارية. لايزال ضوؤها أحمر.

«أين أمي؟» قالها بينما اندفعت صورة لها في عقله: كانت تقف على كرسي يُصدر صريراً من تحتها وتنفض الغبار عن الثريا بزهرة هشفلور.

قالت: «في اجتماع خاص بالكهنة، إنهم يجتمعون الآن بشكل متواتر، ولن تعود قبل أيام عدة.

«أيام». سيكون الأوان قد فات. عندها سيكون بعيداً مرة أخرى.

أصبحت الرغبة في غسل يديه ضرورة، فذهب إلى المغسلة. ثمة قطعة صابون منزلية الصنع بجانب الصنبور. دعك يديه بالصابون ثم غسلهما مرة واثنتين وثلاث. ومرّر أظافره على خطوطِ راحة يده وكشط. عندما انتهى كانت راحتاه تلمعان بلون وردي وكانت سيسي تحضر أكواب الشاي.

شعر بالتردد بينما كانت يده تتهادى على درج السكاكين، فهو يريد وضع علامة موت الجندي الشوتيتي على ذراعه، وثمة قارورة مستخلص عشب ريشي بجانب قوارير أخرى يحملها من أجل وسم الجرح. لكن هل يتوجب عليه حقاً أن يدع شيئاً شوتيتياً إلى حد كبير يصبح غريزة بالنسبة إليه؟ أيادٍ نظيفة، ونصال نظيفة، وعلامة قتل جديدة؟

أغمض عينيه، وكأنّ هذا كل ما يحتاج إليه من أجل تركيز أفكاره. ففي مكان ما في البعيد هناك عائلة وأصدقاء لذلك الجندي يعولون عليه أن يخلد موته على ذراعه. كان أكوس يعرف –رغم أنّ المعرفة أقلقته –أنه لم يكن على وشك التظاهر بأن شيئاً لم يحدث.

هكذا أخذ سكين النحت ودفع بها داخل نيران الفرن، وقلّب النصل كي يعقمه. جثم هناك بجانب الفرن وحفر خطاً مستقيماً على ذراعه بجانب العلامات الأخرى، ثم سكب مستخلص العشب الريشي على أسنان إحدى الشوك وسحبها بخط مستقيم على الجرح. كان عملاً أحمق لكن وجب عليه القيام به.

عندئذٍ جلس هناك على الأرض متجاوزاً الألم، فسال الدم على ذراعه وتجمّع في ثنايا مرفقه.

قالت إيساي: «ربما يأتي الغزاة إلى هيسا للبحث عني. يجب أن نذهب في أسرع وقت ممكن ونجد أوري».

قال: «نذهب؟ أنا لن آخذ مستشارة ثوفية إلى رايزك نوفاك، فقدري أن أكون خادماً لهم. فهذا سيجعلني خائناً حقاً».

نظرتْ إلى ذراعه الموسومة وقالت: «إن لم تكن خائناً أصلاً».

انتفض قائلاً: «أوه، أغلقي فمكِ». رفعتْ حاجبيها لكنه تابع: «تعتقدين أنكِ تعرفين بالضبط كيف سأُقابل قدري؟ وتعتقدين أنكِ تعرفين ماذا يعني ذلك، أكثر مما أعرف؟».

«أنتَ تدّعي أنك مخلص لثوفية، لكنك تقول لمستشارته أن (تغلق فمها)؟». بدا من نبرة صوتها أنها تمازحه.

قال: «سموّكِ لا، أنا طلبت من المرأة الموجودة في مطبخ بيتنا والتي تحثني على مجازفة لا تحمد عقباها أن تغلق فمها، أنا لن أُقلل أبداً من احترام مستشارتي بهذه الطريقة».

مالتْ نحوه وقالت: «إذاً خذ هذه المرأة التي في مطبخك إلى شوتيت». ثم انتصبت وقالت: «أنا لستُ حمقاء، فأنا أعرف كيف سأحتاج إلى مساعدتكِ كي توصلني إلى هناك».

«أنتِ لا تثقين بي».

قالت: «مرة أخرى، أنا لستُ حمقاء. ساعدني على استعادة أختي، وسأساعدك على استعادة أخيك من هناك. بالطبع، ليس هناك من ضمانات».

كاد أكوس أن يُطلق شتيمة. فتساءل في نفسه، لماذا يبدو الجميع وكأنهم يعرفون بالضبط ما يعرضونه عليه كي يجعلوه يوافق على أشياء بعينها؟ ليس الأمر أنه مُقتنع بقدرتها على مساعدته، لكنه كان على وشك الموافقة على أية حال.

قالت إيساي: وقد اقشعرت قليلاً لاستخدامها اسمه دون خبث: «أكوس، إذا

أخبرك أحدهم أنك لا تستطيع إنقاذ أخيك، وأنّ حياتك أكثر أهمية من المخاطرة بها لأجله، هل تُصغي؟».

كان وجهها باهتاً ويتفصد العرق منه، وخدّها أحمر جراء الضربة التي وجهها الجندي إليها. لم تبدُ كثيرة الشبه بمستشارة، كما أنّ الندبتين في وجهها كانتا تقولان شيئاً مختلفاً عنها أيضاً. إنها مثل سايرا، كانت تعرف بماذا تُخاطر عندما خاطرت بحياتها.

أجابها: «حسناً، سأُساعدكِ».

سُمع صوت قرقعة عندما وضعت سيسي كوبها بقوة على الطاولة ما أصاب يدها برذاذ الشاي الساخن، فامتعضت وهي تمسح يدها بقميصها وتدفعها إليه كي يُمسك بها. بدتْ إيساي مرتبكة، لكن أكوس فهم -لدى سيسي شيء لتقوله، وبقدر ما كان خائفاً من سماعه، إلا أنه لم يستطع قول لا أيضاً.

أمسك بيدها.

قالت بحماس: «آمل أن تعيا أنني سأرافقكما».

قال: «كلا، لا يمكنني أن أعرض حياتك للخطر».

«أنتَ لا تريد أن تُعرّضني للخطر؟». لم يكن صوتها أكثر خشونة من قبل. اكفهر وجهها وأضافت: «كيف تعتقد أني أشعر وأنت عائد إلى هناك؟ لقد مرّت هذه العائلة بما يكفي من المصاعب والخسارة». بدت إيساي وكأنها تلقّت ضربة عنيفة، ولا عجب في ذلك -ربما لم ترَ سيسي بهذا الشكل من قبل، حرّة لتقول ما تريد، وحرّة لتبكي وتصرخ وتجعل الجميع منزعجين. «إذا قُتلنا في شوتيت، سنُقتل معاً، لكن...».

«لا تتحدّثي عن الموت بهذه الطريقة، لا تستسهليه!».

«لا أظن أنك تفهم ما أقول». ارتعشت يدها وذراعها وصوتها. التقت عيناها بعينيه، فركّز على البقعة التي في حدقتها، حيث البؤبؤ مفتوح. «بعد أن أُسرتَ وعادت أمي، كانت... عديمة الإحساس. لذا جررتُ جثّة أبي إلى الحقل وأحرقتها، كما نظّفتُ غرفة المعيشة».

لم يكن بإمكانه تخيل الرعب الذي رافق كشط دم أبيها عن أرضية غرفة المعيشة. لو كان مكانها لفضل الرحيل واحراق المنزل على القيام بما قامت به.

قالت: «إياكَ أن تقول إني لا أعرف شيئاً عن الموت، أنا أعرف».

بقلق لمس خدها بيده وجذب رأسها إلى كتفه، فدغدغه شعرها الخشن.

«حسناً» كان كل ما قاله. وهذا تعبير كافٍ عن الموافقة.

اتفقوا على النوم لبضع ساعات قبل أن يغادروا. قصد أكوس الطابق الثاني بمفرده. ومن دون تفكير تجاوز الدرجة السادسة للسلّم، فجزء منه يتذكر بأنها تُصدر صوتاً أعلى من غيرها. كان المدخل في الطابق الثاني جهة اليسار بعد الحمام تماماً، وكانت الغرفة التي يتشاركها مع إيجيه في نهاية الممر، ففتح الباب بأنامله.

وجد الملاءات على سرير إيجيه مُجعّدة وكأنها تغطي جسد إيجيه، وهناك زوج جوارب عند الزاوية. وفي الجانب الخاص بأكوس من الغرفة، كانت الملاءات مشدودة على الفراش، وثمة وسادة بين السرير والجدار، إذ لم يكن أكوس يتحمل الوسادة تحت رأسه لفترة طويلة.

من النافذة الدائرية الكبيرة، شاهد العشب الريشي وهو يتموّج في الظلام، وشاهد النجوم أيضاً.

أمسك بوسادته ووضعها على حضنه عندما جلس. كان الحذاء الموجود بجانب السرير أصغر بكثير من الحذاء الذي ينتعله فتبسم. تبسم قبل أن يبكي ضاغطاً وجهه على الوسادة كي يكتم صوته. لماذا يحدث هذا؟ لماذا هو موشك على مغادرة المنزل بعد أن عاد إليه للتو؟

أخيراً، انهمرت الدموع وغط في نوم عميق منتعلا حذاءه.

استيقظ بعد برهة من الوقت كما خيل له، وقف تحت مرشّة الحمام لمدة أطول بقليل من المعتاد، على أمل أن يريحه ذلك. ولكن لم يكن لذلك من أثر.

عندما خرج من الحمام، وجد كومة من الملابس خارج الباب تماماً. إنها ثياب والده القديمة. كان القميص فضفاضاً عند الخصر والكتفين، لكنه ضيق عند

الصدر. لقد كانت بنيته الجسدية مختلفة تماماً عن بنية أبيه. فالبنطال طويل بما يكفي، لكن بالكاد يُمكن حشره داخل حذاء أكوس العالي.

عندما أخذ منشفته ليعلقها في الحمام -هذا ما كانت أمه تعود إلى الحمام من أجله، منشفة مبللة وملاءات مُجعّدة ولا وجود لأطفال -وجد إيساي وقد ارتدت مسبقاً بعضاً من ملابس أمه، بنطالاً أسود مشدوداً تحت خصرها بحزام، كانت تخز إحدى ندبتيها أمام المرآة، فالتقت أعينهما.

قالت: «إذا حاولتَ قول شيء عن الندوب سألكم رأسك».

هزّ كتفيه، وأدار ذراعه اليسرى ليُريها علامات القتل التي لديه: «لن تكون ندبتاك ببشاعة ما لديّ».

«على الأقل أنت اخترتَ ندوبكَ».

حسناً، لديها وجهة نظر في ذلك.

قال: «كيف حدث أنكِ وُسمتِ بسكين شوتيتي؟».

لقد سمع بعض الجنود يتبادلون قصصاً عن الندوب من قبل. لم تكن قصصاً عن علامات قتل، لكن عن ندوب أخرى، خط أبيض على عظم الركبة ناتج عن حادثة في مرحلة الطفولة، عن ضربة بواسطة سكين مطبخ أثناء إحدى الغزوات على هيسا، عن ارتطام رأس أحد السكارى بباب. لن يحدث ذلك الآن، كان واثقاً.

قالت إيساي: «ربما كان البحث عن الأشياء المفيدة غير سلمي بقدر ما جعلوك تُصدّق، فخلال البحث الأخير، اضطُررتُ أن أهبط بسفينتي في أوثير من أجل الإصلاح، وعندما كنا هناك، مرض أحد أفراد الطاقم بشدة، وبينما كنا في مرأب المستشفى، هاجمنا جنود الشوتيت الذين كانوا يغيرون على مخازن الأدوية. جرح أحدهم وجهي وتركني ظاناً أنني سأموت من النزف».

قال بشكل تلقائي: «أنا آسف». ولسبب ما، أراد أن يُخبرها أين ذهبت المساعدات الأوثيرية - إلى مؤيدي رايزك فقط -وقلة من الناس تعرف عن هذه الأمر. لكن حقاً لم يكن الوقت مناسباً ليوضح لها طبيعة الشوتيتيين، خاصةً في حال اعتقدتْ أنه يقوم بتبرير سرقة الجنود للأدوية وجرحها.

«أنا لستُ آسفة». أمسكت إيساي بقطعة الصابون وكأنها تريد قسمتها إلى قسمين، بدأت بغسيل يديها. تنحنحتْ ثم قالت: «من الصعب نسيان هوية أعدائك عندما يتركون لك ندوباً كندوبي، آمل أن لا تعترض على استعمالي بعض ملابس أمك».

قال: «أنا أرتدي ألبسة داخلية تخصّ رجلاً ميتاً، فلماذا أعترض؟».

بالكاد ابتسمت، ما جعل أكوس يشعر بأنه تقدّم كافٍ.

لم يكن أي منهما يريد الانتظار أكثر، خصوصاً أكوس. فهو يعلم أنه كلما مكث أكثر سيصبح الرحيل أصعب. فقد اعتقد أن فتح الجرح وإعادة تضميده قبل أن يندمل أفضل.

حزموا اللوازم والطعام والثياب وأزهار الهشفلور وتكوموا معها في العوامة. فقد كان فيها ما يكفي من الوقود كي تنقلهم عبر العشب الريشي وهذا كل ما يحتاجون إليه. وبلمسة من سيسي ارتفعت العوامة عن الأرض، وحدّد أكوس للطيار الآلي منطقة بدتْ في وسط المجهول. يتوجب عليهم الذهاب إلى منزل جوريك أولاً. فقد كان المكان الوحيد الآمن نسبياً الذي يعرفه خارج فوا.

وبينما هم يطيرون، راقب العشب الريشي الذي يلتوي مشيراً إلى اتجاه الريح.

فجأة سألت إيساي: «ما الذي يقوله الشوتيتيون عن العشب الريشي؟ أقصد، نحن نقول إنّ الثوفيين الأوائل زرعوه من أجل إبقاء الشوتيتيين بعيدين عنا، لكن من الواضح أنّ لهم وجهة نظر أخرى، أليس كذلك؟».

أجابها أكوس: «يقولون إنهم هم من زرعوه لمنع الدخلاء الثوفيين. لكنّ موطنه الأصلي من أوجرا».

قالت سيسي: «لا يزال بإمكاني سماعهم من هنا. تلك الأصوات في العشب».

فارقت الحدّة صوت إيساي عندما تكلّمت مع سيسي سائلة إياها: «أصوات من؟».

أجابتها: «صوت أبي في المقام الأول».

قالت إيساي: «أنا أسمع أمي، وأتساءل إذا كنا نسمع الموتى فقط».

«كم مرّ على موتها؟».

«موسمان. في الوقت نفسه الذي جُرحتُ فيه». لقد تغيّرت طريقة كلامها إلى شكل أكثر عفوية، حتى وضعية جسدها تغيّرت، فقد انحنى عمودها الفقري.

استمرا في الكلام، وبقي أكوس صامتاً، كانت يفكر بسايرا.

لو ماتت كان ليشعر بذلك، وكأنّ شيئاً يطعنه في عظام قفصه الصدري مباشرةً. لم يكن ممكناً فقدان صديقة مثلها من دون أن يشعر، أليس كذلك؟ بالرغم من أنّ التيار لا يمرّ به إلا أنّ قوة حياتها تسري فيه بشكل مؤكد، فقد أبقته حياً لفترة طويلة. إن استطاع الصمود الآن، ربما بإمكانه القيام بالأمر عينه لأجلها، من بعيد.

في نهاية فترة بعد الظهر، عندما كانت الشمس تزهو بما تبقى من النهار، بدأ الوقود ينفد واهتزت العوامة. كان العشب الريشي يتفرّق من تحتهم، وفيما بينهم، كان هناك عشب بيني رمادي قليل الارتفاع يتمايل مثل شعر في مهب الريح.

وجّهتْ سيسي السفينة إلى مكان قرب بعض الأزهار البرية. المكان بارد جداً هنا، فهو قريب من خط الاستواء، لكن أتتْ نفحات دافئة من الهواء من جهة البحر وملأت وادي فوا.

يمكن لأنواع أخرى من النبات أن تنمو هنا، وليس الأزهار الجليدية فقط.

خرجوا من العوامة وبدأوا بالمشي. وعلى طول الأفق شاهدوا موجات بنفسجية من الدفق التياري، وعناقيد صغيرة من الأبنية، وتلألؤ السفن الشوتيتية. لقد أخبره جوريك كيف يصل إلى منزل عائلته، لكن المرة الأخيرة التي أتى فيها أكوس إلى هنا كانت بعد أن قتل كالميف راديكس مباشرةً، بعد أن ضربه فاس والآخرون ضرباً مبرّحاً، لذا لم يكن يتذكّره بشكل جيد. كانت الأرض مسطحة للغاية ولم يكن هناك كثير من الأمكنة باستطاعة قرية صغيرة أن تُخفيها.. إنه محظوظ.

سمع حراكاً في العشب أمامهم، ورأى بين السويقات شيئاً داكناً وكبير الحجم. أمسك بيد إيساي بيسراه ويد سيسي بيمناه ومنعهما من الحركة.

كان المخلوق ينزلق أمامهم. وصوت طقطقة كمّاشاته يأتي من كل الاتجاهات. كان كبيراً -عرضه بمقدار طول أكوس ببساطة -وجسده مُغطى بألواح زرقاء قاتمة. ولديه أرجل عديدة أكثر مما يستطيع عدّها.

إنه مخلوق مُدرّع.

كان وجهه قريباً من جنبه المُصفّح. وهو يزفر -مثل الأنين -وعيناه سوداوان وخرزيتا الشكل، ومخفيتان تقريباً تحت رقاقة مُغلقة. كانت سيسي بجانبه ترتجف من الخوف.

همس أمام المخلوق، الذي ذهب للنوم في تحدٍّ صارخ للمنطق: «إنّ التيار يقود المخلوقات المُدرّعة إلى نوبات غضب عارمة». تراجع خطوة إلى الخلف بتأنٍ: «ولهذا السبب تُهاجم الناس، لأننا قنوات ناقلة للتيار».

قالت إيساي بتوتر: «لكن، أنت قناة غير ناقلة للتيار، فإذاً».

أجابها: «لذا، بالكاد تشعر بوجودي، هيا نذهب».

قادهما بعيداً عن الحيوان النائم، بينما كان ينظر إليه شزراً ليتأكد أنه لا يلحق بهم. لكنه بقي في مكانه.

قالت إيساي: «أظن أننا عرفنا كيف كسبت درعك».

قالت سيسي: «إذاً من هنا يأتي الدرع؟ اعتقدت أن كل الأشياء الخاصة بقتل الوحوش كانت شائعات ثوفية فقط».

قال: «إنها ليست شائعة، وهي ليست قصة انتصار في حالتي هذه. كان الكائن المدرع نائماً فاستغللت الفرصة وقتلته. لقد شعرتُ بالسوء لقتلي إياه ووسمه على ذراعي».

سألت إيساي: «لماذا فعلتَ ذلك؟ أقصد إذا لم تكن راغباً بذلك».

أجابها: «كنتُ أريد درعاً. فليس كل شوتيتي يستحق مثل هذا النوع من

الدروع، فهو يشير إلى المكانة الخاصة. لقد أردتهم أن ينظروا إليّ بندّية ويكفوا ألسنتهم عني بما يتعلّق بجلدي الثوفي الرقيق».

تذمّرت سيسي قائلةً: «من الواضح أنهم لم يتعرّضوا لطقس هيسا في الشتاء».

قادهم نحو الأبنية البعيدة عبر بقع من الأزهار البرية التي كانت هشة لدرجة أنها تفتّتت تحت حذائه.

سألته إيساي: «هل ستُخبرنا إلى أين نحن متجهون أم تنتظر منا أن نتبعك على غير هدى؟». قالت ذلك ما إن باتوا قريبين كفاية ليروا ما هي المواد المصنوعة منها تلك الأبنية –حجر رمادي أزرق، بنوافذ زجاجية ذات ألوان مختلفة. كانت عبارة عن بضع أبنية وبالكاد يمكن تسميتها قرية. وتحت أشعة الشمس الغاربة التي تتلألأ منعكسةً عن الزجاج والأزهار البرية التي تنمو مباشرة على الأحجار، بدا المكان جميلاً بكل ما للكلمة من معنى.

كان يخاطر بالمجيء إلى هنا، لكنّهم كانوا معرضين للخطر مهما فعل، لذا فهو خيار جيد مثل أي خيار آخر.

كان قلقاً، فهذه البيوت قد تكون موصولة بشبكة أخبار شوتيت. وقد يعرفون ما الذي حصل لسايرا هنا. عندما كان يمشي، أبقى يده اليسرى على كتفه الأيمن كي يستطيع سحب سكينه إذا ما احتاج إليها. لم يكن يعلم ما الذي ينتظرهم خلف تلك النوافذ البراقة. سحب سكينه عندما رأى أثراً لحركة ما، فقد فتح أحد الأبواب وخرجت منه امرأة تقطر يداها ماءً، وكانت تحمل ثياباً مغسولة. لقد عرفها، إنها آرا كوزار. زوجة الراحل سوزاو، وأم جوريك.

حسناً، على الأقل كانوا في المكان الصحيح.

قالت آرا: «مرحباً». كان صوتها أخفض مما توقّع. لقد رآها مرة واحدة فقط؛ عندما كان يسير خارج المُدرّج بعد قتل زوجها. كانت يدها تقبض على يد جوريك.

أجابها: «مرحباً، أنا...».

قالت: «أنا آرا وأعرف من تكون يا أكوس، ومتأكدة أنك تعرفني».

لا جدوى من إنكار ذلك. فأومأ موافقاً.

قالت: «لماذا لا تدخل؟ باستطاعة صديقتيك أن تدخلا أيضاً، طالما لا تسببان أي مشكلة».

أبدتْ إيساي بعض الانزعاج له وهي تسير في المقدمة وتصعد السلّم. كانت يداها تتأرجحان حول ساقيها للإمساك بالقماش الذي لم يكن موجوداً. ربما كانت معتادة على ارتداء الملابس الجيدة، ولاتزال تتحرك مثل امرأة من علية القوم؛ برأس مرفوع وكتفين مشدودتين إلى الخلف. لم يسبق لها أن تعرضت لشتاء هيسا، لكن كان هناك أشياء أكثر صعوبة مقارنةً بالطقس.

لحقوا بآرا عبر درج ضيق ومنه إلى المطبخ حيث الأرضيات من الآجر الأزرق والطلاء الأبيض مقشور عن الجدران، لكنه كان دافئاً. وثمّة طاولة ثابتة حيث جميع كراسيها مدفوعة للخلف، وكأنه كان هناك كثير من الناس منذ وقت قريب. وكان هناك شاشة تعرض الأخبار على الجدار المقابل.

قالت آرا: «لقد بعثتُ بإشارة إلى جوريك، لذا سيعود قريباً، هل تتكلم صديقتاك لغة شوتيت؟».

أجابت إيساي: «إحدانا تتكلمها، لقد تعلمتها قبل عدة مواسم، لذا... تكلمي ببطء».

قالت آرا: «لا، نستطيع متابعة الحديث باللغة الثوفية». كانت لغتها الثوفية رسمية جداً، لكنها مفهومة.

قال مشيراً إلى سيسي: «هذه أختي سيسي، وصديقتي...».

قالت إيساي بطلاقة: «بدها».

قالت آرا: «سعيدة بلقائكما، لكن يجب أن أقول لك يا أكوس، إنني شعرتُ بالإهانة لأنك لم تقبل هديتي لك؛ الخاتم؟».

كانت تنظر إلى يديه اللتين كانتا ترتجفان قليلاً.

قال: «أوه». وأدخل إبهامه تحت ياقة قميصه وأخرج السلسلة التي يتدلى من نهايتها الخاتم الذي أرسلته إليه مع ابنها. في الواقع كان يود رميه في القمامة بدل

أن يضعه.. لم يكن موت سوزاو شيئاً يود تذكير نفسه به. لكنه شيء كان يحتاجه إلى تذكير نفسه به.

أومأت آرا موافقة.

سألت سيسي: «كيف تعارفتما؟». تساءل إذا ما كان صوتها المُلطَف مقصوداً لجعل الوضع مريحاً. فقال في نفسه، هذا لا يستحق الجهد المبذول لأجله.

قالت آرا: «إنها قصة طويلة لا مجال لذكرها الآن».

لم يستطع أكوس احتمال الوضع أكثر من ذلك فقال: «لا أريد أن أكون فظاً، لكني بحاجة لأعرف شيئاً عن سايرا».

طوت آرا يديها على بطنها: «ماذا هناك بشأن الآنسة نوفاك؟».

«هل هي...؟» لم يستطع قول الكلمة تماماً.

«إنها على قيد الحياة».

أغمض عينيه لبرهة كي يدع نفسه يفكر بها مرة أخرى. كانت حية في ذكرياته، تقاتل في غرفة التدريب وكأنّ الحرب كانت رقصة، تبحث عبر النوافذ في الفضاء الأسود وكأنه لوحة. بطريقة ما، جمّلت الأشياء القبيحة، وهو لن يفهم ذلك أبداً. لكنها كانت على قيد الحياة.

صاح صوت من خلفه: «أنا لم أحتفل بعد». التفتَ ليرى فتاة صغيرة بشعر أشقر مُبيض وعصابة زهرية فوق إحدى عينيها. لقد عرفها من رحلة الإقامة المؤقتة، لكن لم يتذكر اسمها.

كان جوريك خلفها، وشعره المُجعّد يغطي عينيه، وهناك أثر للحية على طول فكّه.

قال: «أكوس؟ ماذا...؟».

تلاشتْ كلماته عندما رأى سيسي وإيساي.

قال أكوس: «سيسي وبدها، هذا جوريك و...؟».

قالت الفتاة المألوفة: «تيكا».. هذا صحيح... كانت ابنة المنشقّة التي أُعدمت

قبل بدء رحلة الإقامة المؤقتة. وسايرا ذهبت للتحدّث معها قبل انطلاقهم نحو بيثا.

قال أكوس: «حسناً، سيسي هي أختي وبدها هي... صديقتي من ثوفية. وليس بإمكان سيسي التحدث بالشوتيتية». انتظر لحظة ثم أضاف، «ما الذي قصدته بقولك، (لم أحتفل)؟».

جلست تيكا على أحد الكراسي الشاغرة، وألقت بثقلها عليها؛ ركبتاها منفرجتان وذراعيها يتدليان على مسند الكرسي.

قالت: «يبدو أن نوفاك الصغيرة لن تتحمل لفترة أطول، ونحن نحاول اكتشاف طريقة لتحريرها. وبما أنك أتيتَ إلى هنا –يجب أن أقول إنها خطوة غبية –ربما بإمكانك مساعدتنا».

التفتَ أكوس نحو جوريك وسأله: «تحريرها؟ لماذا تودّ أن تفعل ذلك؟».

أرخى جوريك ثقله على الطاولة مقابل سيسي وابتسم لها، كانت عيناه مسترخيتين، كما هي العادة مع الشخص عندما يكون بالقرب من أخته. عندئذٍ، أدرك أكوس معنى هبتها، فهي ليست القوة التي تخنق سيسي وتمنعها من البكاء، بل القوة التي تمنحها سلطة على الناس الآخرين أيضاً.

قال جوريك: «حسناً، هذا معقل المنشقين، ربما خمنت ذلك».

في الواقع، لم يسبق لأكوس أن فكّر بالأمر. وعلى ما يبدو إنّ جوريك يعرف أشياءً لا يعرفها الآخرون، لكنّ هذا لم يعنِ أنه مُنشق. وتيكا، فقدتْ إحدى عينيها، ما يعني أنها ليست صديقة لرايزك، لكنّ ذلك لم يكن ضمانة كافية.

سأل أكوس: «إذاً؟».

بدا جوريك مرتبكاً وسأله: «حسناً، ألم تُخبركَ؟».

قال أكوس بلهجة آمرة: «تخبرني ماذا؟».

شرحت تيكا: «كانت سايرا تعمل معنا. وأثناء الهجوم الذي حصل في سفينة الإقامة المؤقتة، كان من المفروض أن أقتلها –أقتل كرباج سايرا لحظة إعلان قدرهِ على شبكة الاتصال الداخلية، هل تفهم؟».

أجاب أكوس: «لا تقولي ذلك عن سايرا». شعر أنّ عيني إيساي مصوبتين إليه فأصبح خداه ساخنين.

لوّحت تيكا بيدها تعبيراً عن رفض ما يقول ثم أضافت: «نعم، نعم. حسناً، لقد تفوّقتْ عليّ وتركتْني أذهب، ثم وجدتني وطلبت عقد اجتماع. لقد عرضتْ منحنا كل ما نريده -معلومات، مساعدة وما شاكل -في حال قدمنا لها شيئاً بالمقابل: إخراجك من شوتيت». نظرتْ تيكا إلى جوريك وأضافت: «لهذا السبب لم تُخبزه، لأنها كانت تريد إخراجه، وهو لم يكن ليرحل من دون أخيه».

طقطق جوريك بلسانه.

في تلك الأسابيع بعد أن هدّده رايزك، وبعد أن قامت سايرا بتعذيب زوسيتا وتصرّفت بشكل طبيعي في بيثا، جعلتْه يعتقد أنها تفعل كل ما يقوله رايزك وحسب، وتركتْ أكوس يظن بها سوءاً. لكنها طيلة ذلك الوقت كانت تعمل مع المنشقين، وتبذل ما في وسعها لإخراجه، وكأنها أصبحت شخصاً جديداً. لكنه لم ينتبه لذلك.

قالت تيكا: «كانت تساعدنا على اغتيال رايزك عندما قُبض عليها. ساعدتنا على الهرب لكنّ الأوان فات بالنسبة إليها. أنهينا مهمتنا كاملة وتسللنا إلى الداخل فلم نجدها -لا نعلم أين وضعوها - لكنك كنتَ هناك عاجزاً ومحجوزاً في غرفتك، وتكاد تموت من الجوع تقريباً، لذا أخرجناك، فقد اعتقدنا أنك ربما تكون مفيداً في إبقائها إلى جانبنا».

أضاف جوريك: «أنا أيضاً أردتُ مساعدتك».

قالت تيكا: «نعم، أنت بطل».

هزّ أكوس رأسه قائلاً: «لماذا... لماذا فعلت سايرا ذلك؟»

أجابت تيكا: «أتعلم لماذا؟ من الأكثر أهمية بالنسبة إليها من خوفها من أخيها؟». وعندما لم يُجب عليها، تنهّدتْ بسخط كما هو واضح ثم أضافت: «أنت، طبعاً، من يحظى بذلك الشرف الفريد».

كانت إيساي وسيسي تحدقان، واحدة بشك والأخرى بارتباك. فلم يعرف

حتى كيف يمكنه البدء بتوضيح الوضع. فسايرا نوفاك اسم يعرفه جميع الثوفيين. هو قصة وحش يقومون بروايتها لإخافة بعضهم. ماذا قلتَ، عندما اكتشفتَ أنّ الوحش لم يكن يستحق الاسم؟

لا شيء. أنتَ لم تقل شيئاً.

قال بحزن: «ما الذي فعله رايزك بها؟».

قالت تيكا لجوريك: «دعه يرَ».

لمس جوريك الشاشة المعلقة وبعد عدة نقرات ظهرت لقطات مصورة على الشاشة.

كانت المشاهد بعيدة وتُظهر مدرجاً مع قفص يغمر الضوء الأبيض سقفه المفتوح. كانت مقاعد المدرج مليئة، السفلية منها حجرية أما العلوية فمعدنية، لكن الوجوه الكئيبة أشارت إلى أنه لم يكن يوم احتفال.

ركّزت المشاهد على إحدى المنصات المُعلّقة فوق المقاعد. كان رايزك يقف فوقها وهو يلمع- من حذائه الأسود حتى الدرع الذي يغطي صدره- وشعره المقصوص حديثاً يُظهر لمعان فروة رأسه. استرخت كل من سيسي وإيساي في مكانهما في آن معاً. لكنّ أكوس كان قد تجاوز إحساس الخوف من رايزك الآن. لقد مضى وقت طويل منذ أن شعر باشمئزاز صرف.

وقف فاس إلى يمين رايزك...

قالت سيسي وهي تشهق: «إيجيه، لماذا؟».

قال أكوس بحذر بينما كان جوريك يتذمر: «لقد غُسل دماغه أو شيء من هذا القبيل».

تحولت المشاهد إلى اليسار، إلى طرف المنصة، حيث يحيط الجنود بامرأة راكعة؛ سايرا. كانت ترتدي الملابس نفسها التي رآها فيها قبل بضعة أيام، لكنها ممزقة الآن ومضرجة بالدم. كان شعر سايرا الكثيف يغطي وجهها. لذا، ولبرهة من الوقت لم يكن واثقاً من أنّ رايزك اقتلع إحدى عينيها. فهو أحياناً يفعل ذلك عندما يريد إلحاق العار بأحد الأشخاص، كي لا يستطيع إخفاءه.

رفعتْ سايرا رأسها، ونظرت بعينين خاويتين من التعبير وظهر على وجهها كدمات زرقاء وبنفسجية.

عندئذٍ تكلم رايزك: «سأنقل لكم اليوم أخباراً صادمة. فالشخص الذي اعتقدنا أنه أكثر الناس إخلاصاً – أختي سايرا نوفاك – كشفَ نفسهُ ليُظهر أنه أسوأ أنواع الخونة. كانت تتعاون مع أعدائنا عبر الحد الفاصل وتزودهم بمعلومات عن استراتيجيتنا وتحركاتنا».

قال جوريك، عندما هدر الجمهور مشمئزاً: «هو لا يريد أن يعترف بأنّ هناك مجموعة منشقين حقيقية، ولذا من الأفضل القول إنها تتعاون مع الثوفيين».

قالت إيساي، ولم تبدُ مُجاملة: «إنه يجيد الكذب».

استمر رايزك في الكلام: «ولقد اكتشفتُ مؤخراً دليلاً على أنّ هذه المرأة» – وأشار إلى أخته، وهو يتباهى بسلسلة علامات القتل التي لديه من المعصم وحتى المرفق – مسؤولة عن موت أمي إليرا نوفاك».

غطى أكوس وجهه، فلم يكن هناك من ضربة بإمكان رايزك تسديدها إلى سايراً أقسى من هذه. كانت تعرف ذلك على الدوام.

«أعترف أنّ روابطي العائلية شوّشت تفكيري السليم في هذا الأمر، لكن الآن، وبعد أن علمتُ بخيانتها و« –صمتَ رايزك –»جريمتها الشنيعة بحقّ أمنا، أصبحتْ رؤيتي واضحة. لقد قررتُ أنّ أفضل عقاب لعدو الشوتيت هذا هو الإعدام بطريقة نيمهالزاك».

عندما انتقلتِ اللقطة إلى سايرا، رأى أكوس كتفيها ترتعشان، لكن لم يكن هناك أي دموع في عينيها. كانت تضحك. وبينما هي تضحك، كانت الظلال التيارية ترقص، ليس تحت جلدها مثل الدم الذي يجري في العروق، لكن فوقه، مثل دخان حول مبخرة. لقد فعلتِ الظلال الشيء نفسه في الليلة التي أجبرها رايزك فيها على إيذاء أكوس.

لقد تغيّرت هبتها التيارية.

أشار رايزك إلى فاس برأسه، فاجتاز فاس المنصة وبيده سكين استلها من

وراء ظهره فابتعد الجنود المحيطون بسايرا عنها. نظرتْ سايرا إليه بسخرية وقالت شيئاً غير مسموع. فردّ عليها رايزك بشيء غير مسموع أيضاً وخطا مقترباً منها ثم مال نحوها وشفتاه تتحركان بسرعة لتنطق كلمات ليس بإمكان أحد سماعها. جذبها فاس من شعرها وأجبرها على إمالة رأسها إلى الخلف بشكل جانبي. كان عنقها مكشوفاً، فوضع فاس النصل فوقه وعندما حفرت السكين فيه، كزّ أكوس على أسنانه وأشاح بنظره.

قال جوريك: «هل فهمت المقصود من ذلك». ساد الصمت عندما توقفت اللقطات.

قال أكوس بخشونة: «ما الذي فعله؟».

قالت تيكا: «لقد... شوّهها. فقد نزع كل الجلد من العنق وحتى الجمجمة. لست متأكدة لماذا. فكل ما يتطلبّه الطقس هو اللحم، حسب اختيار من يقوم بالتشويه».

قامت برسم خط من جانب عنقها صعوداً حتى منتصف فروة رأسها، فشعر أكوس أنه على وشك التقيؤ.

قالت إيساي: «تلك الكلمة التي استخدمها، أنا لا أعرفها، نيم-نيمهالزيت؟».

قال جوريك، «نيمهالزاك، تعني تجريد الشخص بشكل محسوس أو فعلي من مكانته. وهذا يتيح لأي شخص تحديها للقتال في الحلبة حتى الموت سواء من آذتهم بناءً على طلب رايزك أو محبو أمها، حسناً... هناك الكثير من الناس الذين يريدون تحديها. وسيجعل رايزك الكثير يفعلون ذلك بقدر ما يحتاج الأمر لقتلها».

قالت تيكا: «وبذلك الجرح في رأسها، فهي تفقد الدماء بسرعة. لقد وضعوا ضماداً عليه، لكن من الواضح أنه غير كافٍ نظراً لما فعله بها».

سأل أكوس: «هل ستقاتل كل المتحدين في ذلك المدرج؟».

أجابت تيكا: «على الأرجح، يجب أن يكون هذا الأمر حدثاً علنياً كبيراً. لكنّ حقل القوة هذا سوف يحرق أي شيء يلمسه...».

قاطعها أكوس بقوله: «من الواضح أنك تملكين سفينة، وإلا لم يكن باستطاعتكِ رمي عند محطة الهبوط في ذلك المستشفى».

قال جوريك: «صحيح، وهي سفينة سريعة وخفية أيضاً».

قال أكوس: «إذاً أستطيع إنقاذها».

انتفضتْ إيساي قائلةً: «لا أذكر أني وافقتُ على مهمة إنقاذ التفافية، وبالتأكيد ليس لأداة الرعب الصغيرة الخاصة برايزك نوفاك. أتظن بأني لا أعرف الأشياء التي قامت بها يا كيرسيث؟ لقد سمعتُ كل المجرة الشائعات الشوتيتية».

أجاب أكوس: «أنتِ تعلمين أنني لا أقيم وزناً لما تظنينه. هل تريدين الحصول على مساعدتي؟ إذاً سوف تنتظرينني حتى أنهي هذه المهمة أولاً».

كتّفت إيساي ذراعيها، لكنّ أكوس تفوق عليها، وبدا أنها تعرف ذلك.

قدّمت آرا غرفة لـسيسي وإيساي في الطابق الثاني، وسريراً نقالاً في غرفة جوريك من أجل أكوس. لكن بحسب النظرة التي نظرت بها إلى أخيها عندما وصلوا إلى أعلى السلالم، لم تكن على وشك أن تدعه يغادر وحسب. لذا تبعها إلى غرفة نوم صغيرة فيها فراش كبير وفرن في الزاوية. والضوء المتعدد الألوان كان يُبقّع أرضية الغرفة ولهيب غروب الشمس يخترق النوافذ.

خلع درعه هناك لكنه ترك السكين داخل حذائه العالي. فمن المستحيل معرفة ما يمكن أن يحدث هنا، إذ شعر أكوس أنّ رايزك وفاس موجودين في كل زاوية.

قالت سيسي: «بدها، لمَ لا تغتسلين أولاً؟ أريد أن أتكلم مع أكوس».

غادرت إيساي الغرفة، وأغلقت الباب بكعب حذائها. فجلس أكوس على السرير بجانب سيسي، وكان هناك بقع من الضوء الأزرق والأخضر والبنفسجي على حذائه. وضعتْ يدها على معصمه.

«إيجيه» كان كل ما قالته.

أخبرها عن كل الذكريات التي سكبها رايزك داخل إيجيه وكل الذكريات التي

استنزفها. وعن الكلمات الجديدة التي استخدمها إيجيه وطريقة غزله للسكين في راحة يده تماماً كما كان رايزك يفعل. لم يخبرها كيف اكتفى إيجيه بالمراقبة فقط عندما كان رايزك يعذّب أكوس، ليس لمرة واحدة بل لمرتين، كما لم يخبرها كيف استخدم إيجيه رؤاه ليساعد رايزك، فليس هناك من داعٍ كي تفقد الأمل.

قالت سيسي بنعومة: «ألهذا السبب لم تحاول الهرب، لأنك تحتاج إلى استعادته أولاً وهذا... أكثر صعوبة».

قال أكوس في نفسه، الأمر شبه مستحيل.

أجاب: «لهذا السبب، إضافةً إلى نوع المستقبل الذي لديّ في ثوفية يا سيسي؟ هل تظنين أني أول شخص في المجرة يتحدّى قدره؟». هزّ رأسه نافياً وتابع: «ربما من الأفضل لنا أن نرى الحقيقة فحسب. لن نكون عائلة بعد الآن».

«كلا»، كانت حاسمة للغاية بكلامها: «أنت لم تظن أنك ستراني مرة أخرى، لكن ها أنا هنا، صحيح؟ وبالتالي لا أنت ولا أنا نعرف ما يخبئه لنا القدر. لكن إلى أن يفعل القدر ذلك، يجب أن نكون كل ما نستطيع أن نكونه».

وضعتْ يدها على يده وضغطت. لقد رأى بعضاً من أبيه في حاجبيها المُقوّسين والعطوفين والغمّازة التي في خدّها. جلسا هناك لفترة من الزمن متناكبين يستمعان إلى صوت رذاذ المياه القادم من الحمام الكائن في طرف الغرفة.

سألته: «كيف تبدو سايرا نوفاك؟».

«إنها...». هزّ رأسه، إذ كيف بإمكانه وصف شخص بهذه الطريقة؟ قوية، وتحب الفضاء، وتعرف كيف ترقص، وهي بارعة في إيذاء الناس. لقد جعلت بعض المنشقين يقومون برميه في ثوفية من دون إيجيه لأنها لم تحترم قراراته اللعينة، وهو ممتن بغباء لهذا. إنها... حسناً، لقد كانت سايرا.

كانت سيسي تبتسم فقالت: «أنت تعرفها جيداً. إنه لمن الصعب جداً تلخيص رأيك بالناس عندما تعرفهم جيداً».

«نعم، أظن ذلك».

قالت سيسي: «إذا كنتَ تعتقد أنها تستحق الإنقاذ، فأظن أنه يجب علينا الوثوق بك بشأن هذا الأمر، مهما كان ذلك صعباً».

خرجتْ إيساي من الحمام، وشعرها مبلل ومشدود إلى الخلف بربطة محكمة، مرتدية قميصاً مختلفاً، قميصاً آخر من قمصان أمهم مُطرّز بأزهار صغيرة على ياقته -كأنها غسلت القميص الآخر بيديها على ما يبدو - ثم علقته على إحدى الكراسي قرب الفرن.

قالت إيساي لسيسيِ وهي تضحك: «ثمة عشب على شعركِ».

أجابتها سيسي: «أنا أُجرّب تسريحة جديدة».

قالت إيساي: «إنها تناسبكِ، كل شيء يناسبكِ، أليس كذلك؟».

احمر وجه سيسي خجلاً. وقامت إيساي بتجنب نظرات أكوس فالتفتت نحو الفرن لتُدفئ يديها.

كان هناك شخصان آخران في الغرفة الخافتة الضوء عندما نزلت سيسي وإيساي وأكوس إلى الطابق الأرضي مرة أخرى. قدمهم جوريك إلى سوفي، وهي إحدى صديقات أمه، التي تسكن عند الناصية وتضع وشاحاً مطرزاً على شعرها، وإلى جيو، الذي لم يكن أكبر منهم بكثير، والذي كانت عيناه شديدتي الشبه بعيني إيساي، ما يوحي بوجود سلف مشترك بينهما. كان يعزف على آلة مسطحة على حضنه، ويضغط على مفاتيح وأوتار بأسرع مما يستطيع أكوس متابعته. وثمة طعام على الطاولة الكبيرة أُكل نصفه.

جلس بالقرب من سيسي ووضع بعض الطعام في طبقه. لم يكن هناك الكثير من اللحم - من الصعب الحصول عليه هنا، خارج فوا - لكن هناك الكثير من الفاكهة المالحة. قام جيو بتقديم سويقات عشب ريشي مقلية لإيساي بابتسامة عريضة، لكنّ أكوس أخذها قبل أن تتمكن من التقاطها.

قال: «لن ترغبي بتناولها، ما لم تريدي قضاء الساعات الست القادمة تهلوسين».

قال جوريك: «لقد قام جيو بدس بعض منها لأحد الأشخاص، فتجول حول

هذا المنزل وهو يتحدث عن رؤيته لأطفال رضَع عمالقة يرقصون».

قالت تيكا: «نعم، نعم، اضحك كما تشاء، لكنك ستخاف أيضاً إذا ما هلوستَ بأطفال رضَع عمالقة».

قال جيو وهو يغمز بعينه: «الأمر يستحق، في حال تمت مسامحتي أو لا». كان لديه طريقة ناعمة في الكلام.

سألت سيسي أكوس مشيرةً إلى السويقات التي في يده: «هل تؤثر فيك؟».

ولدى إجابته، قام أكوس بقضم السويقات التي جمعت بين طعمي الملح والحامض.

قالت سيسي: «هبتكَ غريبة، أنا واثقة من أنّ لدى أمي شيئاً حكيماً وغامضاً لتقوله عن ذلك».

قال جوريك وهو يطوي يديه ويميل قريباً من أختِ أكوس: «أووه، كيف كان يبدو وهو طفل؟ هل كان طفلاً حقاً؟ أو أنه ظهر فجأةً في أحد الأيام كراشد مكتمل النمو، ومشحون بالقلق؟».

حدّق أكوس إليه.

قالت سيسي: «كان قصيراً وبديناً وسريع الغضب، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بجواربه».

قال أكوس: «جواربي؟».

أجابت: «نعم، لقد أخبرني إيجيه أنك كنت ترتبها دائماً حسب الأفضلية من اليسار إلى اليمين. وجوربك المفضل كان أصفر اللون».

لقد تذكره، أصفر بلون الخردل، وذو نسيج صوفي سميك يجعله يبدو مُنتفخاً. كان أكثر الجوارب الباعثة على الدفء.

سألت سيسي: «كيف تعارفتم؟». كان السؤال الرقيق كافياً لإزالة التوتر الناشئ عن ذكر اسم إيجيه.

أجاب جوريك: «لقد اعتادت سوفي أن تصنع الحلوى لجميع أطفال

القرية عندما كنتُ صغيراً، وللأسف هي لا تتكلم الثوفية بشكل جيد وإلا لكانت أخبرتكم عن أفعالي الشريرة بنفسها».

قال جيو: «وأنا التقيتُ جوريك أول مرة في حمام عمومي. كنتُ أصفّر بينما...» –توقف عن الكلام قليلاً ثم أكمل –»...أريح نفسي، فقرّر جوريك أنه من المسلّي التناغم معي».

قال جوريك: «لم يجد ذلك أمراً لطيفاً».

قالت تيكا: «كانت أمي عبارة عن... زعيمة للتمرد. واحدة من المتمردين على أية حال. لقد عادت إلينا من مستعمرة المنفيين من نظام نوفاك قبل موسم كي تساعدنا في وضع استراتيجية. لقد دعم المنفيون جهودنا لاغتيال رايزك».

كان حاجبا إيساي مقطبين – في الحقيقة كانا مقطبين في أكثر الأوقات، وكأنها لم تكن تحبّ الفراغ بين حاجبيها وتريد إخفاءه – في هذه المرة، أدرك أكوس السبب. إذا لم يكن الاختلاف بين المنفيين والمنشقين والرابط بينهما، أمراً ذا أهمية بالنسبة إليها –كل ما كان يريده هو أن يتأكد من سلامة سايرا، ويُخرج إيجيه بعيداً عن شوتيت، فليس مهماً بالنسبة إليه أي شيء آخر يحدث هناك. لكن بالنسبة إلى إيساي، مستشارة ثوفية، بدا من الواضح أنها مهتمة بمعرفة وجود معارضة كبيرة ضد رايزك، داخل شوتيت وخارجها.

سألت إيساي: «كم يبلغ عدد المنشقين هناك؟»

أجابت تيكا: «هل لي بالإجابة عن هذا السؤال؟». لكن من الواضح أنّ الجواب لا، لذا تابعت إيساي كلامها.

«هل تورطك في التمرد هو سبب...»، أشارت إيساي بيدها على وجهها، «العين؟».

قالت تيكا: «هذه؟ أوه، لديّ عينان، أنا أحبّ العصابة فحسب».

سألت سيسي: «حقاً؟».

أجابت تيكا: «كلا» فضحك الجميع.

كان الطعام بسيطاً وبلا نكهة لكنّ أكوس لم يهتم لذلك. بدأت تيكا بالهمهمة

مع أغنية جيو وشاركتهما سوفي بالنقر على الطاولة بأصابعها.

حينئذٍ نهض جوريك وتيكا ورقصا. مالت إيساي نحو جيو بينما كان يعزف وسألته: «ما دامت هذه المجموعة من المنشقين تعمل على إنقاذ سايرا... فما الذي تفعله مجموعات المنشقين الأخرى؟ أقصد من الناحية النظرية».

ضيّق جيو إحدى عينيه وهو ينظر إليها لكنه أجابها على أية حال: «نظرياً، أولئك الشوتيتيون من بيننا الذين لهم مكانة متدنية يحتاجون أشياء لا يستطيعون الحصول عليها ولذا هم بحاجة إلى أشخاص يهربونها لهم».

سألت إيساي: «مثلاً... أسلحة؟».

«هذا محتمل لكنه ليس الأولوية القصوى». نقر جيو على بعض الأوتار بشكل خاطئ فشتم، ثم نقر على الأوتار الصحيحة مرة أخرى، «الأولوية القصوى هي للطعام والدواء. وهذا يعني جولات كثيرة إلى أوثير والعودة منها. يجب أن تُطعمي الناس قبل أن تطلبي منهم القتال من أجلك، أليس كذلك؟ وكلما ابتعدتِ خارج مركز فوا وجدتِ كثيراً من المرضى والجوعى».

توترت ملامح وجه إيساي لكنها أومأت برأسها.

لم يفكر أكوس بذلك كثيراً، أي بالأمور الخارجة عن نطاق نزاعه مع عائلة نوفاك. لكنه فكّر بما قالته سايرا له عن أنّ رايزك يحتفظ بالمؤونة لنفسه، فإما يوزعها على أتباعه أو يقوم بتخزينها لوقت لاحق، فشعر بقليل من الغثيان.

دار كل من جوريك وتيكا حول الآخر وتمايلا، وبدا جوريك رشيقاً على نحو مفاجئ نظراً لضخامته. جلست إيساي وسيسي كتفاً إلى كتف متكئتين على الجدار، وبين الحين والآخر كانت إيساي تبتسم متململة. لم تبدُ مناسبة تماماً على وجهها -لم تكن واحدة من ابتسامات أوري، وهي تملك وجه أوري، رغم أنه مليء بالندوب، لكن وجد أكوس أنّ عليه الاعتياد عليها.

قامت سوفي بغناء مقاطع من أغنية جيو، ثم أكلوا حتى شبعوا وتعبوا وشعروا بالدفء.

الفصل التاسع والعشرون سايرا

من الصعب عليك النوم بعد أن يسلخ أحدهم جلدك، لكني فعلتُ ما بوسعي كي أنام.

في الصباح عندما استيقظت وجدت غطاء وسادتي مبللاً بالدم بالرغم من أنني كنتُ مستلقية على الجانب الآخر الذي لم يسلخه فاس. وبسبب تغطية الجرح المفتوح بقطعة قماش مدروزة، وهي اختراع أوثيري يُبقي الجروح مُغلقة ويذوب عندما تُشفى، لم أنزف حتى الموت. لكنها لم تكن مناسبة لجروح كبيرة مثل جروحي.

نزعتُ الغطاء عن الوسادة ورميته في الزاوية. كانت الظلال ترقص فوق ذراعي وتخزني. فمعظم أيام حياتي، كانت تجري مع عروقي وتُرى من خلال جلدي. عندما استيقظتُ بعد الاستجواب -أخبرني أحد الجنود أنّ قلبي توقف، ثم عاود الخفقان مرة أخرى-وبدلاً من ذلك أصبحت الظلال تسير فوق سطح جسدي. كانت تسبب لي الألم لكنني كنت أكثر قابلية للتحمّل ولم أعرف سبباً لذلك. لكن في ذلك الوقت، أعلن رايزك عن نيمهالزاك، وجعل فاس يسلخ جلدي مثل قشرة الفاكهة وأجبرني على القتال في الحلبة، لذا كنتُ في حالة ألم شديد كما هي العادة.

لقد سألني عن المكان الذي أريد الندبة فيه، في حال يمكن تسميتها كذلك... الندوب هي خطوط قاتمة على جلد أحدهم، وليست على شكل بقع. لكن يجب أن يكون اللحم ثمناً لـ نيمهالزاك، ويجب أن يكون ظاهراً أومرئياً بسهولة. لكن مع ذهني المرتبك من شدّة الغضب أخبرته أن يُحدث لي ندبة مثل التي عند أكوس، عندما وصل الأخوان كيرسيث لأول مرة، أي من الأذن إلى الفك. وعندما أنهى فاس ذلك القدر من الندبة، أخبره رايزك بأن يستمر.

خذ بعضاً من الشعر أيضاً.

تنفّستُ من خلال أنفي فلم أُرد أن أتقيّأ. في الواقع، لم يكن باستطاعتي التقيّؤ فقد كنتُ بحاجة إلى كل القوة الباقية لديّ.

وكما في كل يوم منذ أن استعدتُ وعيي بشكل ذاتي، كان إيجيه يأتي ليراقبني وأنا أتناول فطوري. إذ يضع صينية الطعام عند قدميّ ويستند إلى الجدار مقابلي، بشكل محدودب. واليوم كان فكّه متورماً من الكدمة التي سببتها له البارحة عندما حاولت الهرب، وأنا في طريقي إلى الحلبة، إذ تمكنتُ من تسديد بعض الضربات قبل أن يجرني الحراس في المدخل بعيداً عنه.

قلتُ له: «لم أعتقد أنك ستعود بعد البارحة».

أجابني إيجيه: «لستُ خائفاً منكِ، فأنتِ لن تقتليني». كان قد استل سلاحه وهو يغزله في راحة يده ويقبض عليه بعد دورة كاملة. كان يفعل ذلك دون النظر إليه.

أجبته بتذمّر: «سأقتل أي شخص وحسب، ألم تسمع الشائعات؟».

كرّر إيجيه قوله: «أنتِ لن تقتليني حرصاً على مصلحتك الشخصية، لأنك تحبين أخي الموهوم كثيراً».

كان يجب أن أضحك على ما قاله، فأنا لم أُدرك أنّ إيجيه ذا الصوت الناعم كان يقرأ أفكاري بشكل جيد.

فجأةً قال إيجيه: «أشعر أني أعرفكِ، أظن أني أعرفك تماماً، أليس كذلك؟ فأنا أعرفك الآن».

أجبته: «في الحقيقة لست بمزاج يتيح لي الدخول في نقاشات فلسفية تحدد ماهية الأشخاص، لكن حتى لو كنتَ تُمثّل رايزك أكثر من إيجيه في هذه النقطة، فأنتَ لاتزال جاهلاً بي. أنتَ - كائناً من تكون - لم تهتم أبداً لتعرفني».

حرّك إيجيه عينيه قليلاً وقال: «ابنة مسكينة تسيئ فهم معنى الامتياز».

انتفضتُ قائلةً: «هذا ما تقوله عبوة القمامة المتحركة عن الأشياء التي يود رايزك نسيانها، أياً يكن الأمر لماذا لا يقتلني وحسب؟ فكل هذه الدراما السابقة مدروسة تماماً حتى بالنسبة إليه».

لم يُجب إيجيه، وهذا كان جواباً بحد ذاته. فرايزك لم يقتلني لغاية الآن لأنه أراد أن يفعل ذلك بهذه الطريقة، بشكل علني. ربما انتشر خبر مساعدتي من حاولوا اغتياله، وهو الآن بحاجة إلى تحطيم سمعتي قبل أن يدعني أموت، أو ربما يريد أن يشاهدني وأنا أُعاني.

بطريقة ما، لم أكن أُصدّق ذلك.

قلتُ وأنا أطعن خبزي المُحمّص بالسكين بدل أن أقطّعه: «هل إعطائي أدوات مائدة غير مفيدة أمر ضروري حقاً؟».

قال إيجيه: «الملك قلق من محاولتك إنهاء حياتك قبل الوقت المناسب».

الوقت المناسب، في ذلك الوقت، كنتُ أتساءل إن كان إيجيه هو من اختار أسلوب موتي. فالكاهن يختار المستقبل المثالي من مجموعة خيارات.

«أُنهي حياتي بهذا الشيء؟ إنّ أظافري أكثر حدّةً». وضعتُ طرف السكين على فراش السرير وضربتها بعنف فاهتز هيكل السرير ثم توقفتْ. سقطت السكين فهي لم تكن حادة بما يكفي لتخترق القماش.

قال إيجيه بنعومة: «أظنه يفترض أنك خلاّقة بما يكفي لتجدي وسيلة ما».

حشرتُ آخر قطعة من الخبز المحمص في فمي، واستندتُ إلى الجدار، ويداي مطويتان. كنا في واحدة من الزنازين اللامعة في وسط المُدرّج تحت مقاعد الملعب الذي كان مليئاً بالناس المتلهفين لرؤيتي أموت. كنتُ قد فزتُ

بالتحدي الأخير، لكنّ قواي استُنزفتْ. فقد كان الذهاب إلى المرحاض هذا الصباح عملاً بطولياً.

قلتُ وأنا أفرد ذراعي لأُظهر كدماتي: «كم هذا جميل، هل ترى كم يحبني أخي؟».

قال رايزك من خارج الزنزانة: «أنتِ تطلقين الدعابات». بإمكاني سماعه بصوت مكتوم من خلال الجدار الزجاجي الذي يفصل بيننا، «لا بدّ أنك أصبحتِ يائسة».

أجبته: «كلا، اليأس هو أن تلعب هذه اللعبة قبل أن تقتلني، كي تجعلني أبدو سيئة، هل أنتَ خائف من أنّ يهرع شعب شوتيت لنجدتي؟ كم هذا مثير للشفقة».

قال رايزك: «حاولي النهوض على قدميكِ وسنرى جميعنا (ما المثير للشفقة)، هيا تعالي، حان وقتُ الذهاب».

أجبته: «هل ستخبرني على الأقل من أواجه اليوم؟». وضعتُ يديّ على هيكل السرير، وكززتُ على أسناني ثم وقفتُ.

استجمعتُ قواي كي أكتم صرخة ألم تضخمت في حلقي، ونجحتُ في ذلك.

قال رايزك: «سترين، فأنا متلهف –وأنا واثق من أنك توافقين –لإنهاء هذا الأمر أخيراً. ولذا حضّرتُ لمنافسة خاصة هذا الصباح».

كان يرتدي درعاً اصطناعياً اليوم – بلون أسود غير لامع، وأكثر مرونة من التشكيلة الشوتيتية التقليدية – وينتعل حذاءً عالياً أسود لامعاً جعله يبدو أكثر طولاً مما هو عليه. وقميصه أبيض بياقة ومُزرّر حتى العنق يظهر فوق سترة الدرع. كان تقريباً مشابهاً للملابس التي ارتداها في جنازة أمنا. وهذا مناسب بما أنه كان يحضر لقتلي اليوم.

قال رايزك: «للأسف ليس بإمكان حبيبكِ مشاهدتك، متأكد أنا أنه كان ليستمتع بذلك».

أنا الآن أُعيد في عقلي كل ما قالته لي زوسيتا، أم تيكا، قبل أن تسير في طريق

إعدامها. لقد سألتها إن كان تحدي رايزك يستحق خسارة حياتها، فأجابتني بنعم. أتمنى لو أستطيع أن أُخبرها بأني أدركتُ ذلك الآن.

رفعتُ ذقني إلى الأعلى وقلتُ: «أتعرف، عندي مشكلة في اكتشاف مقدار ما فيكَ من أخي هذه الأيام». وعندما مشيتُ متجاوزةً رايزك في طريقي خارج الزنزانة ملتُ مقتربة منه وقلت: «لكنك ستكون أفضل مزاجاً إن نجحت خطتك الصغيرة في سرقة هبة إيجيه التيارية».

للحظة كنت واثقة أنّ تركيز رايزك قد تزحزح، فتلاقت عيناه بعينيّ إيجيه.

قلتُ له: «لقد فهمت، فكل ما حاولتَ فعله لم ينجح. ولا تزال عاجزاً عن سرقتها».

قال رايزك لإيجيه: «خذها من هنا، فالموت ينتظرها». دفعني إيجيه إلى الأمام، كان يرتدي قفازات سميكة وكأنه يُدرّب طيراً جارحاً.

إن ركزت، كنت أستطيع المشي بشكل مستقيم، لكنّ الأمر بدا صعباً مع النبض في رأسي وعنقي. إنه مجرى الدم – حسناً، على أية حال، آمل أنه دم – الذي يجري فوق ترقوتي.

دفعني إيجيه نحو باب أرضية الحلبة، فتعثّرتُ وأنا أخرج منه. كان الضوء في الخارج مُبهراً، فالسماء صافية وشاحبة حول الشمس. كان المدرج مليئاً بالمتفرجين وجميعهم يصرخون ويهتفون لكني لم أستطع فهم ما يقولون.

كان مقابلي، فاس كوزار ينتظر. ابتسم لي ثم عضّ على شفتيه المشقوقتين. سينزف إن استمر بالقيام بذلك.

أعلن رايزك قائلاً: «فاس كوزار!»، بصوت ضخمته المكبرات التي تحوم فوق الحلبة. وفوق حافة جدار المدرج تماماً، كان بإمكاني رؤية أبنية فوا الحجرية والمُرقّعة بالزجاج والمعدن، تومض تحت أشعة الشمس. كان أحد الأبنية مُزوّداً ببرج زجاجي أزرق، يكاد يتماهى مع لون السماء. وما يغطي الحلبة كان حقل قوة يحمي المكان من الطقس القاسي –والهرب. لم يكن الشوتيتيون يحبون أن تقاطع ألعابنا بعواصف وبرد وسجناء هاربين.

«لقد تحدّيتَ الخائنة سايرا نوفاك للقتال بالسكاكين التيارية حتى الموت!».

هدر الجميع بكلمات، وكأنه بشكل مقصود، الخائنة سايرا نوفاك، فحرّكتُ عينيّ رغم أنّ قلبي كان يخفق بسرعة. «هذا رد فعل على خيانتها لشعب شوتيت، هل أنت جاهز للمتابعة؟».

قال فاس بصوته الرتيب المعتاد: «أنا جاهز».

قال رايزك: «ها هو سلاحكِ يا سايرا». استل سكيناً تيارياً من غمد كان يضعه خلف ظهره وقلّبه في يده كي أستطيع إمساك القبضة. وكان كمّ قميصه مثنياً.

اقتربتُ منه وأنا راغبة بتجميع الظلال التيارية داخلي، لأجذب الألم الذي قدم معها. كان جلدي مغطى بالخطوط الداكنة. فتحركتُ وكأني ذاهبة لأُمسك بقبضة السكين، لكن بدلاً من ذلك شبكتُ يدي حول ذراع رايزك.

أردتُ أن أظهر للناس حقيقة ما كان عليه. والألم يفعل ذلك دائماً، فهو يجعل ما بداخل الإنسان يخرج للعلن.

صرخ رايزك وكز أسنانه وضربني محاولاً رميي على الأرض. فمع كل الناس الآخرين، كنتُ أترك هبتي التيارية تذهب بكل بساطة حيث تشاء، وهي دائماً تحب أن تُشارك. أما مع أكوس، فقد استرجعتها حتى كدتُ أُنهي حياتي في تلك العملية. لكن مع رايزك، دفعتُ بها نحوه بكل القوة التي بإمكاني تحشيدها.

للأسف حقاً، فقد وصل إيجيه سريعاً، وأمسك بي وأبعدني عنه.

مع ذلك حدث الضرر. فكل من كان في الحلبة سمع أخي وهو يصرخ جراء لمستي، كانوا يراقبون بهدوء.

أمسك إيجيه بي بينما كان رايزك يستجمع قواه ثم انتصب وأغمد السكين. وضع إحدى يديه على كتف فاس وقال بصوت مرتفع بما يكفي كي يستطيع إيجيه وفاس وأنا سماعه فقط: «اقتلها».

قال إيجيه بنعومة في أذني: «للأسف يا سايرا، لم أُرد أن تصل الأمور إلى هذا الحد».

تراجعتُ وأنا أتنفس بصعوبة، بينما كان إيجيه يمشي خارج الحلبة. لم يكن

لديّ سلاح. لكن كان من الأفضل أن أخوض القتال هكذا. فبعدم إعطائي سكيناً تيارياً، أظهر رايزك للجميع في هذه الحلبة أنه لم يمنحني فرصة عادلة، وبغضبه، أظهر خوفه وهذا كان كافياً بالنسبة إليّ.

توجّه فاس نحوي، وكانت حركاته واثقة وضارية. كان دائماً يشمئز مني، منذ كنتُ طفلة، ولم أكن متأكدة من السبب. كان طويلاً وقوي البنية مثل أي رجل أضف إلى ذلك أنه محارب بارع، على الأقل كانت عيناه ذواتي لون جميل ونادر. لكنه أيضاً كان مُغطىً بكدمات وخدوش عرضية. ويداه شديدتا الجفاف إلى درجة أنّ اللحم الرقيق بين أصابعه كان يتشقق، لم يسبق لي أن التقيت بشخص بهذا... الخواء. ولسوء الحظ، هذا أيضاً ما جعله مخيفاً جداً في الحلبة.

قلتُ في نفسي، \الاستر\تيجية \الآن. تذكّرتُ اللقطات التي شاهدتها في قاعة التدريب من كوكب تيبيس. لقد تعلّمتُ الحركات المُتمايلة وغير الثابتة لطريقة قتالهم عندما كان ذهني صافياً. كان العامل الأساسي في المحافظة على التحكم بجسدي هو في إبقاء مركز ثقلي ثابتاً. عندما اندفع فاس مهاجماً، انعطفتُ بشكل جانبي وأطرافي تتأرجح فأصابت ذراعي أذنه بقوة، فعبرتني موجات الصدمة مرسلةً موجة من الألم عبر قفصي الصدري. ارتعشتُ بسببها، وفي الوقت الذي استغرقته كي أستعيد وعيي، ضربني فاس بعنف فحفر نصله الحاد خطاً في ذراعي. سال الدم على أرضية الحلبة وهتف الجمهور.

حاولتُ تجاهل الدماء والألم. كان جسدي يخفق بالألم والخوف والغضب، فشددتُ ذراعي على صدري. لقد توجّب عليّ الإمساك بفاس، فهو لا يستطيع الإحساس بالألم، لكن في حال فرّغتُ ما يكفي من هبتي التيارية فيه، بإمكاني قتله.

مرّت إحدى الغيوم حاجبة الشمس في الوقت الذي عاود فيه فاس الهجوم. هذه المرة انحنيتُ ومددتُ يدي وحففتُ باطن معصمه بأصابعي، فرقصت الظلال فوقه، لكنها لم تكن بالقوة الكافية لتؤثر فيه. لوّح بسكينه مرة أخرى فحفر رأس النصل داخل خاصرتي.

تأوهتُ وارتطمت بجدار الحلبة، وعندئذٍ سمعتُ صوت أحدهم يصرخ، «سايرا!».

شبح قاتم رفع نفسه فوق جدار الحلبة من صف المقاعد الأول وسقط على الأرض وركبتاه مثنيتان. لقد حجبت الظلمة حدود رؤيتي لكني عرفتُ من كان، من مشاهدتي له وهو يركض فقط.

تمّ إسقاط حبل قاتم طويل في وسط الحلبة. نظرتُ إلى الأعلى كي أرى، لم تكن غيمةً تحجب الشمس، بل سفينة نقل قديمة، مصنوعة من مجموعة من المعادن، تحوم فوق حقل القوة مباشرةً. أمسك فاس بـأكوس بكلتا يديه وانقضّ عليه مثبتاً إياه على جدار الحلبة. فكزّ أكوس على أسنانه وغطّى يديّ فاس بيديه.

عندئذٍ حصل شيء غريب: جفل فاس وأسقطه.

عدا أكوس بسرعة نحوي، وانحنى فوقي ثم لفّ ذراعه حول خصري. وركضنا سويةً نحو الحبل، فأمسكه بيد واحدة، فتحرّكت السفينة بسرعة كبيرة إلى الأعلى فلم يستطع فاس الإمساك به.

هدر جميع من حولنا، فصرخ في أذني، «أحتاج منكِ أن تتمسّكي بالحبل بنفسكِ!».

شتمته، وحاولتُ عدم النظر إلى الأسفل نحو المقاعد المزدحمة تحتنا، وذلك الحنق الذي تركناه خلفنا والأرض البعيدة، لكن كان من الصعب فعل ذلك. فركّزتُ بدلاً من ذلك على درع أكوس. حيث لففتُ ذراعيّ حول صدره وشبكتُ يديّ حول ياقة الدرع. عندما تركني، كززتُ على أسناني. كنتُ في غاية الضعف كي أستمر بهذا الشكل، وفي غاية الضعف كي أحمل وزني.

مدّ أكوس اليد التي كان يستخدمها لحملي، فاقتربت أصابعه من حقل القوة الذي يُغطي المدرج. فأضاء بشكل براق عندما لمسته أصابعه ثم أومض واختفى. فارتفع الحبل إلى الأعلى بقوة وكدتُ أقع، لكن عندها كنا في داخل سفينة النقل.

كنا داخلها، وكانت هادئة بشكل غريب.

قلتُ له بشق الأنفس: «لقد جعلتَ فاس يشعر بالألم». لمستُ وجهه ومرّرتُ طرف إصبعي على أنفه وفوق شفته العليا.

لم يكن مصاباً بكدمات مثل آخر مرة رأيته فيها جاثماً على الأرض.

أجابني: «نعم فعلتُ».

«لقد كان إيجيه في المدرج، كان بإمكانك الإمساك به. لماذا لم...».

انثنى فمه -الذي لازال تحت أصابعي -بابتسامة وقال: «لأني أتيتُ من أجلك أيتها الغبية».

ضحكتُ ورميتُ نفسي عليه، لم أكن قوية كفاية لأتحمل أكثر من ذلك.

الفصل الثلاثون أكوس

لبرهة لم يكن هناك سوى وزنها ودفئها وذلك الشعور بالارتياح.

عندئذٍ، عاد كل شيء: تعجّب الناس الموجودون في سفينة النقل، وصمتهم وهم يحدقون، وإيساي وسيسي محشورتان قرب غرفة الملاحة. فابتسمت سيسي لأكوس عندما كان يمسك بسايرا من خصرها ويرفعها إلى الأعلى. كانت سايرا طويلة ولكنها لم تكن نحيلة، لكن مع ذلك كان باستطاعته حملها، على الأقل لبعض الوقت.

سأل أكوس تيكا وجيو اللذين تقدما نحوه: «أين معداتكما الطبية؟».

قالت تيكا: «لقد تلقى جيو تدريباً طبياً وباستطاعته الاعتناء بها».

لكنّ أكوس لم يحب الطريقة التي كان جيو ينظر بها إليها، وكأنها شيء قيّم بإمكانه شراؤه أو مقايضته. فأولئك المنشقون لم ينقذوها بدافع طيبة قلوبهم، فهم يريدون شيئاً بالمقابل، وهو ليس مستعداً لتسليمها لهم وحسب.

تجمّعت أصابع سايرا حول حزام الدرع عند قفصه الصدري وارتعشت قليلاً.

قال: «لن تذهب إلى أي مكان من دوني».

ارتفع حاجب تيكا فوق عصابة عينها. وقبل أن تردّ عليه بعنف -إذ شعر بأنها

على وشك أن تفعل ذلك –فكّت سيسي حزامها وتقدمت نحوهم.

قالت: «أستطيع فعل ذلك، فقد تلقيتُ تدريباً طبياً وسيساعدني أكوس».

نظرت تيكا إليها للحظة، ثم أشارت إلى مطبخ السفينة: «بكل سرور يا آنسة كيرسيث».

حمل أكوس سايرا إلى مطبخ السفينة، لم تكن قد فقدت وعيها بالكامل –فعيناها لا تزالان مفتوحتان –لكن لم يبدُ أنها واعية أيضاً، ولم يعجب الوضع أكوس.

قال لها وهو ينعطف بشكل جانبي كي يدخلها من الباب: «هيا يا نوفاك، تمالكي نفسكِ». لم يكن الوضع مستقراً تماماً في السفينة فتعثّر، «كانت حبيبتي سايرا، لتقوم بتعليقين ساخرين الآن على الأقل».

ابتسمت قليلاً وقالت: «أممم، حبيبتكَ سايرا».

كان المطبخ ضيقاً ومتسخاً، حيث الأكواب والأطباق المستعملة، المكوّمة حول المغسلة تحتكّ ببعضها كلما انعطفت السفينة، وهو مُضاء بشرائح من الأضواء البيضاء التي ترتعش وكأنها على وشك أن تنطفئ، وكانت كل الأشياء مصنوعة من المعدن نفسه المحتشد بالصواميل. انتظر ريثما نظفت سيسي الطاولة الصغيرة وجففتها بخرقة نظيفة ثم وضعها عليها وذراعاه تؤلمانه.

«أكوس، أنا لا أستطيع قراءة الحروف الشوتيتية».

«أممم... ولا أنا في الواقع». كانت خزانة المؤونة مُرتّبة، فكل المواد والرزم فيها مصفوفة بأناقة حسب الترتيب الأبجدي. لم تكن معرفته بها كافية فقد اقتصرت على بعضها ومن خلال النظر.

قالت سايرا من مكانها فوق الطاولة بكلمات مشوّهة قليلاً: «قد يظن المرء أنه بعد قضائك لكل ذلك الوقت في شوتيت كان يجب أن تتعلّم شيئاً ما». ثم قلبت ذراعها وأشارت: «الجلد الفضي هناك، والمُطهّر على جهة اليسار. اصنع لي مهدّئاً».

قال وهو يضغط على يدها قبل أن يشرع في العمل: «مهلاً، لقد تعلمتُ بضعة أشياء، والدرس الأكثر صعوبةً كان في كيفية التعامل معكِ».

كان معه قارورة مهدّئ في حقيبته، فذهب إلى السطح الرئيسي للسفينة وبحث عنها تحت مقاعد القفز وهو يحملق إلى جيو عندما لم يقم بتحريك رجليه على الفور، وجد لفافته الجلدية –مصنوعة من جلد مخلوق مدرّع، لذا كانت قاسية، فهي ليست «لفافة» بمعنى الكلمة –حيث يحتفظ بقواريره الإضافية، فوجد القارورة الأرجوانية التي تساعد في تخفيف آلام سايرا. وعندما عاد إلى المطبخ، كانت سيسي تضع قفازات وتفتح الرزم.

سألتْ سيسي: «كم درجة ثبات يديك يا أكوس؟».

«ثابتة بما يكفي. لماذا؟».

قالت: «أنا طبعاً أعرف كيف أقوم بالإجراءات، لكنني في الواقع لا أستطيع لمسها، بسبب الألم، أتذكر؟ وعلى الأقل لستُ ثابتة اليدين بمقدار ما تحتاجني أن أكون، فهذا عمل دقيق. لذا سأخبرك بما يجب أن تقوم به فقط».

كانت الخطوط القاتمة لاتزال تنتقل أعلى وأسفل ذراعي سايرا وحول رأسها، رغم أنها كانت مختلفة عن آخر مرة رآها فيها أكوس.

قالت سايرا بصوت خشن من فوق الطاولة: «أكوس، هل هذه...؟».

أجاب أكوس: «أختي؟ نعم، إنها هي. سايرا، أُقدّم لكِ سيسي».

قالت سايرا وهي تبحث في وجه سيسي عن شبه بيننا: «سعدت بلقائك». لن تجد هذا الشبه؛ فهو وسيسي لم يبدوا متشابهين أبداً.

قالت سيسي وهي تبتسم لسايرا: «وأنا سعيدة بلقائك أيضاً». لو أنها كانت خائفة من المرأة التي بجانبها –المرأة التي سمعتْ عنها كثيراً من الشائعات طوال حياتها –لم تكن لتُظهر ذلك.

حمل أكوس المُهدّئ إلى سايرا، ولمس القارورة بشفتيها. كان من الصعب النظر إليها، فقطعة القماش المدروزة التي تغطي الجانب الأيسر من عنقها ورأسها كانت شديدة الاحمرار ومُتيبّسة.

قالت سايرا وقد بدأ المُهدئ يأخذ مفعوله: «ذكّرني لأوبخك فلم نقم بكل ما قمنا به لتعود».

أجاب أكوس: «أياً كان ما تقولينه».

لكنه كان مرتاحاً، لأنّ محبوبته سايرا موجودة هناك، خشنة مثل نصل مسنون، وقوية مثل جليد قاسٍ.

قالت سيسي: «لقد غرقتْ في النوم، حسناً، هذا جيد. رجاءً تراجع إلى الخلف». فأفسح لها بعض المجال. كانت بارعة بلا شك، فقد أزالت قطعة القماش الموجودة على عنق سايرا بدقة وحرصت على عدم لمس جلده. تمكنت سيسي من نزع القماشة المبللة بالدم والقيح عن الجرح بسلاسة ورمتها في صينية قريبة من رأس سايرا.

قال أكوس بينما كان يراقبها: «إذاً كنتِ تتدرّبين كي تصبحي طبيبة».

أجابت سيسي: «بدا ذلك مناسباً لهبتي». كانت هبتها يسيرة –كانت كذلك دائماً، حتى قبل أن تتشكّل هبتها التيارية –لكنها لم تكن هبتها الوحيدة، فبإمكانه معرفة ذلك. فهي ذكية وهادئة وتمتلك يدين ثابتتين. أكثر من مجرد شخص لطيف يتصرف بلباقة.

بعد أن رفعت قطعة القماش التي لا فائدة منها عن الجرح، سكبتْ المُطهر، وأزالت الدماء الجافة.

قالت سيسي: «أعتقد آن الأوان لاستخدام الجلد الفضي، فهو بمثابة كائن حي، كل ما يجب عليك القيام به هو وضعه في المكان المناسب وسيلتصق بشكل دائم على اللحم. ستكون بخير طالما بإمكانك أن تُبقي يديك ثابتتين، موافق؟ سوف أقطع الشرائط الآن».

كان الجلد الفضي اختراع آخر من أوثير، إنه مادة معقّمة واصطناعية تبدو حية كما قالت سيسي. وهي تُستخدم لاستبدال الجلد المحروق والمتضرر بشدة. لقد أخذ اسمه من لونه ونسيجه؛ كان ناعماً وذا بريق فضي، وما أن يوضع في مكان ما يصبح دائماً.

قطعت سيسي الشرائط بحرص، واحداً فوق جزء الجلد الذي فوق أذن سايرا تماماً، وواحد وراءها، وآخر للعنق. وبعد قليل من التفكير، عادت لتسوية أطراف الجلد الفضي.

وضع أكوس القفازات كي لا يلتصق الجلد الفضي بيديه بدلاً منها، ثم أعطته سيسي الشريط الأول، كان سميكاً وبارداً عند لمسه وليس زلقاً كما ظنه. لقد ساعدته كي يُحدّد مكان يديه فوق رأس سايرا.

قالت له: «أخفضه بشكل مستقيم». لم يكن يتوجب عليه أن يضغط الجلد الفضي، فقد تموّج الجلد الفضي مثل الماء ودفن نفسه في فروة رأس سايرا في اللحظة التي وجد فيها اللحم.

وجهت سيسي أكوس بصوت واضح ليضع بقية الشرائط. فالتحمت الأجزاء بعضها مع بعض في الحال دون ندوب بين الشرائط المختلفة.

كرر أكوس الأمر نفسه مع جروح سايرا الأخرى، مثل الجروح العميقة على ذراعها وخاصرتها، وعالج الكدمات بمرهم معالج. لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً، فعلى الأغلب سوف تُشفى من تلقاء نفسها، والأمر الأساس بالنسبة إليها سيكون نسيان كيف جرحت. فجروح الروح لا ضماد لها ولا تُرى بالرغم من أنها موجودة.

قالت سيسي وهي تنزع القفازين من يديها: «هذا كل شيء، عليك انتظار استيقاظها، فهي بحاجة للراحة، لكنها ستكون بخير بما أن النزيف توقف».

أجابها أكوس: «شكراً لكِ».

قالت سيسي: «لم أتخيل يوماً أن أعالج سايرا نوفاك في سفينة نقل مليئة بالشوتيتيين». نظرتْ إليه ثم أضافت، «أتعلم، أستطيع فهم سبب حبك لها».

تنهد أكوس، وجلس إلى الطاولة القريبة من رأس سايرا ثم قال: «أشعر بأني... مشيتُ نحو قدري مباشرةً دون قصد مني».

أجابت سيسي: «حسناً، إذا كان مُقدّر لك خدمة عائلة نوفاك، لا أظن أنك

كنت لتفعل أفضل مما قامت به هذه التي تحملت كل هذا لا لشيء إلا لتُعيدك إلى وطنك».

«إذاً أنتِ لا ترينني خائناً؟».

قالت سيسي: «هذا يعتمد نوعاً ما على ما تهدف هي إليه، أليس كذلك؟». ثم لمستْ كتفه وأضافتْ، «سأبحث عن إيساي، اتفقنا؟».

«بالتأكيد».

«ماذا تعني هذه النظرة؟».

كبت ابتسامته وقال: «لا شيء».

كانت ذكريات أكوس عن الاستجواب ضبابية، وأجزاء منها تتسلل إلى عقله، فقد كانت لوحدها سيئة بما يكفي، دون أي تفاصيل أخرى لتجعلها أكثر واقعية. مع ذلك، استحضر ذكرى سايرا.

بدت سايرا كجثة، وجعلت الظلال التيارية من وجهها مُتعفّناً وهي تصرخ بصوت مرتفع للغاية، وكل جزء منها يقاوم، لم تكن ترغب بإيذائه. ولو أنه لم يُخبر رايزك بشأن إيساي وأوري، لربما فعلتْ، فقط كي تمنع قتل أكوس. استيقظتْ على طاولة مطبخ السفينة وهي تتأوه، ثمّ مدّت يدها إليه لتلمس فكّه بأطراف أصابعها.

قالت بوهن: «هل أصبحتُ داخل ذاكرتك الآن؟ مثل شخص آذاك؟». لقد اختنقت الكلمات في حلقها وكأنها تحاول تكميمها، «فأنا لا أستطيع نسيان الأصوات التي خرجت منك...».

كانت تبكي وهي نصف مخدرة بسبب المهدّئ، لكن مع ذلك، كانت تبكي.

لم يتذكر الأصوات التي خرجت منه عندما لمسته، عندما أجبرها فاس على لمسه، كان ذلك يعذّبهما. لكنه واثق أنني تألمت مثله. لقد كانت هبتها تعمل على النحو التالي، ترسل الألم إلى الطرفين: المرسل والمستقبل.

قال أكوس: «كلا، كلا. ما فعله، فعله لكلينا».

وضعت يدها على صدره وكأنها تريد إبعاده عنها إلا أنها لم تفعل. فلمست أناملها ترقوته، وحتى من فوق قميصه شعر بدفئها.

قالت وهي تحدّق إلى يدها قرب صدره، في أي مكان إلا وجهه: «لكنك الآن تعرف ما قمتُ به. ومن قبل كنتَ تراني وأنا أفعل ذلك لأناس آخرين، لكنك الآن تعرف نوع الألم الذي سببته للناس، لكثير منهم، لأني فقط كنتُ جبانة جداً كي أقف في وجهه». ثم اكفهر وجهها ورفعتْ يدها ثم أضافت: «إخراجكُ من هناك كان الشيء الجيد الوحيد الذي قمتُ به في حياتي، والآن لا قيمة له على الإطلاق، لأنك عدت مرة أخرى، أيها... الغبي!».

انكفأتْ على جنبها مرتعشة، وبكت مرة أخرى.

لمس أكوس وجهها. عندما التقاها في المرة الأولى، اعتقد أنها ذلك الشيء المخيف، ذلك الوحش الذي يجب الفرار منه. لكنها تفتّحتْ شيئاً فشيئاً، وأظهرتْ له مزاحها الشرير بإيقاظه وهي تضع سكيناً على عنقه، وتتحدث عن نفسها في السرّاء والضرّاء، برباطة جأش ومحبة -بشكل عميق للغاية -عن كل جزء صغير من هذه المجرة، حتى عن الأجزاء المُفترض بها أن تكرهها.

لم تكن مسماراً صدئاً، كما أخبرته في ذات مرة، أو محراك نار ساخناً، أو سكيناً في يد رايزك. لقد كانت زهرة هشفلور، بكل ما تختزنه من قوة وقدرة. قادرة على فعل الخير والشر بالقدر نفسه.

قال أكوس بلغة ثوفية بسيطة: «هذا ليس الشيء الوحيد الجيد الذي فعلته في حياتك». بدا أنها اللغة المناسبة لهذه اللحظة، لغة وطنه التي تفهمها سايرا لكنها لم تكن تتكلم بها عندما تكون معه، وكأنها تخشى أن تؤذي مشاعره إن تكلمت بها.

قال، وهو لايزال يتحدث بالثوفية: «ما فعلته، يعني كل شيء بالنسبة إليّ، ويُغيّر كل شيء».

لمس جبينه بجبينها فتشاركا الهواء نفسه.

قالتْ بنعومة: «أحب مظهرك وأنت تتحدث لغتك».

قال: «هل بإمكاني تقبيلك، أو أنّ ذلك سوف يؤلمكِ؟».

توسّعتْ عيناها، ثم قالت بتلهّف: «وإذا آلمتني؟» ثم ابتسمتْ قليلاً وأضافت: « على أية حال، الحياة مليئة بالألم».

ارتعشتْ أنفاس أكوس وهو يضغط فمه على فمها. لم يكن متأكداً كيف سيكون الأمر بتقبيلها بتلك الطريقة، ليس لأنها فاجأته وهو لم يفكر بالتراجع، لكن لأنه كان يريد أن يقبلها. كان طعمها مثل الشعير والتوابل جراء المهدئ الذي تجرعته، وكانت مترددة قليلاً، كأنها خائفة من إيلامه. لكنّ تقبيلها كان تلامساً مطابقاً للاشتعال. لقد كان يحترق من أجلها.

اهتزت السفينة جاعلة كل الأطباق والأكواب ترتطم ببعضها. كانوا يهبطون.

الفصل الحادي والثلاثون سايرا

أخيراً تركتُ نفسي أفكر بالأمر: كان جميلاً، وعيناه الرماديتان تذكرنني بمياه أمواج بيثا المتلاطمة. وعندما مدّ يده إلى خدي، كان هناك تجعد على طول ذراعه حيث تلتقي العضلات ببعضها. تحرّكت أصابعه الماهرة والحساسة على عظم خدي. كانت أظافره مبقعة بمسحوق أصفر -وكنتُ واثقة أنها من أزهار الغيرة. تلهفت للتفكير بأنه يلمسني بمحض إرادته ويرغب في ذلك.

اعتدلتُ ببطء ورفعتُ إحدى يدي لألمس الجلد الفضي خلف أذني. قريباً سيلتصق الجلد الأزرق بأعصاب ما تبقى من فروة رأسي، وسأستعيد القدرة على الإحساس وكأن الجلد الملصق جلد طبيعي، بالرغم من أن الشعر لن ينمو على الجلد الأزرق، وتساءلت كيف سيبدو مظهري وأكثر من نصف رأسي لن ينبت به شعر.

أراد لمسي.

قال: «ماذا هناك؟ أنتِ تنظرين إليّ بغرابة؟».

أجبته: «لا شيء، أنتَ فقط... تبدو وسيماً».

بدا ما قلته سخيفاً. كان مغبراً ومتعرقاً وملطخاً بدمي، شعره أشعث وملابسه مجعدة. لم تكن كلمة وسيم هي الكلمة المناسبة لهذا الظرف، لكنّ الكلمات الأخرى التي فكرتُ بها كانت سابقة لأوانها.

مع ذلك، ابتسم وكأنه فهم المراد فقال: «وأنتِ أيضاً تبدين جميلة».

قلتُ: «أبدو قذرة، لكنني أشكرك على هذه المجاملة المنافية للواقع».

تشبّثتُ بطرف الطاولة، واتكأتُ عليها لأقف، فترنحتُ ببداية الأمر غير واثقة من موطئ قدميّ.

سألني: «أتريدن أن أحملك مجدداً؟».

«كان هذا مُذلا ولن يتكرر مرة أخرى».

سأل مستوضحاً: «مُذل؟ ربما يستعمل البعض كلمة أخرى، مثل... نبيل».

«هل أقول لك شيئاً، في يوم من الأيام سوف أحملك مثل طفل أمام أناس تحاول كسب احترامهم، وعندها أخبرني إن كنت ستشعر بنبل تصرفي أم بالمذلة».

ضحك وقال: «موافق».

قلتُ له: «سأدعك تساعدني كي أمشي، ولا تعتقد أني لم ألاحظ أنّ مستشارة ثوفية تقف في الغرفة المجاورة». هززتُ رأسي وأضفتُ: «أحبُ أن أعرف مبدأ الإلميتاهاك الذي يجيز جلب مستشارتك إلى بلد أعدائها».

تنهد وأجاب: «أعتقد أنّ ذلك يندرج تحت (هيوليتاهاك)، أي مدرسة الأغبياء».

تمسّكتُ بذراعه بإحكام ومشيت -أجرّ ساقيّ جراً -إلى سطح السفينة الرئيسي. كانت سفينة النقل صغيرة وفيها نافذة مراقبة واسعة في أحد جانبيها، ومن خلالها رأيتُ فوا من الأعلى محاطة بمنحدرات شاهقة من ثلاثة جوانب وبالمحيط من الجانب الرابع، وتنتشر الغابات على مد النظر فوق التلال البعيدة. وشاهدت القطارات العاملة بطاقة الريح تخرج من المياه وتلف حول محيط المدينة وتنتقل إلى مركزها مثل قضبان العجلات. لم يسبق لي أن ركبت أحدها.

سألتُ: «كيف لم يستطع رايزك إيجادنا؟».

أجابت تيكا الجالسة في كرسي ربان السفينة: « يجعلنا القناع ثلاثي الأبعاد نبدو مثل سفينة عسكرية شوتيتية تماماً. لقد صمّمته بنفسي».

انحدرت السفينة، ودخلت عبر ثقب في سطح عفن لأحد المباني في أطراف

فوا. لم يكن رايزك يعرف هذا الجزء من المدينة؛ في الواقع لم يهتم أحد بمعرفته. بدا جلياً أن هذا المبنى المهجور مجمّع شقق جوّف من الداخل بسبب حادث مُدمّر، وربما على وشك الانهيار. عندما هبطت السفينة، تفحّصتُ المكان: سرير بأغطية وسائد غير متناسقة في غرفة نوم متهالكة، وطاولة مطبخ على شفا الانهيار، ووسائد حمراء مغطاة بالغبار وبعض الركام من غرفة معيشة مُدمّرة.

نزلنا هناك، ثم قام آخرون باستخدام حبل مشدود إلى بكرة قرب السطح من أجل تغطية الثقب بقطعة قماش كبيرة. لايزال الضوء يأتي منها – جاعلاً السفينة تتلألأ تقريباً، من دفء صفائحها المعدنية المرقعة – لكن أصبح تفحّص الشقق الآن أكثر صعوبة. كان المكان قذراً ومغبراً، وفي شقوق الأرضيات المحطمة، نمت أزهار شوتيتية هشة ذات ألوان رمادية وزرقاء وبنفسجية.

في أسفل الدرجات التي ظهرت من باطن السفينة، وبعينين تذكرتهما من اللقطات التي شاهدتها وأكوس معاً، رأيت إيساي بينيسيت، وعلى وجهها ندوب لم يكن لي أن أتخيل شكلها، ندوب سببها أنصال شوتيتية.

قلتُ لها: «مرحباً، لقد سمعتُ كثيراً عنكِ».

أجابت: «وأنا كذلك».

كنتُ متأكدة من ذلك، فقد سمعتْ كيف كنتُ أجلب الألم والموت لمن ألمسهم. وربما سمعتْ أيضاً بجنوني المُفترض، بأني كنتُ شديدة الجنون كي أتكلم، مثل حيوان مريض.

متأكدة من أنّ يد أكوس لاتزال على ذراعي، مددتُ لها يدي كي تُمسك بها، وأنا أشعر بالفضول فيما إذا كانت ستمسكها، ففعلتْ. بدتْ يدها رقيقة لكني أحسستُ بأنها متصلّبة فتساءلتُ كيف أصبحت بهذا الشكل.

قلتُ لها بحرص: «أعتقد أننا يجب أن نتبادل القصص». في حال لم يكن المنشقون يعرفون مسبقاً من هي، فمن الأفضل عدم إخبارهم بذلك، لأجل حمايتها. أضفت: «في مكان ما على انفراد».

اقتربتْ تيكا منا، وكدتُ أضحك من عصابة العين البراقة التي تضعا،

وبالرغم من أنني لم أكن أعرف تيكا عن كثب، إلا أنها بدتْ لي وكأنها بعصابتها تلفت النظر إلى العين المفقودة بدلاً من إخفائها.

قالت لي: «سايرا، من الجيد أنني أراكِ أفضل حالاً».

ابتعدتُ عن يد أكوس التي تثبتني وهكذا انتشرت الظلال التيارية فوق جسدي مرة أخرى. كانت مختلفة جداً الآن، فهي تلتف حول أصابعي بدلاً من المرور فيها مثل عروق الدم. كان قميصي مبقعاً بالدم ومشقوقاً في المكان الذي وضعوا فيه الضماد كما كنتُ مصابة بكدمات في أماكن كثيرة، لم يكن بوسعي تعدادها. مع ذلك، حاولتُ التظاهر بالكبرياء.

قلتُ لتيكا: «شكراً لأنكِ أتيتِ لتأخذيني، وأعتقد أنه بناءً على تعاملاتنا السابقة، لابدّ وأنّ هناك شيئاً ما تريدينه بالمقابل».

قالت تيكا وقد زمّت شفتيها: «هذا الكلام سابق لأوانه، أعتقد أنه من الآمن القول إن مصالحنا متطابقة. إذا أردتِ الاغتسال، هناك مياه جارية في المبنى، مياه ساخنة. اختاري شقة، أي شقة».

قلتُ: «رفاهية الرفاهيات». ثم نظرتُ إلى إيساي، «ربما يجب أن تأتي معنا، فهناك أشياء كثيرة لنتحدث بشأنها».

فعلتُ ما بوسعي لأتظاهر بأنّ كل شيء على ما يرام إلى أن وصلنا إلى واحد من بيوت الدرج البعيدة عن النظر. عندئذٍ، توقفتُ كي أتكئ على أحد الجدران ونفسي يكاد ينقطع، وجلدي ينبض على حواف الجلد الفضي. كانت لمسة أكوس تُضعف ألم هبتي التيارية، لكن لم يكن باستطاعته تجنيبي الباقي منها.

قال أكوس: «حسناً، هذا سخيف تماماً». وضع إحدى يديه خلف ركبتيّ ورفعني على ذراعه، ليس بالطريقة اللطيفة التي كنتُ أرغب بها، لكن من شدة الوهن لم أستطع الاعتراض. كان طرف حذائي يحتك بالجدران وهو يحملني على السلالم.

بدت الشقة التي وجدناها في الطابق الثاني سليمة نسبياً. كان الغبار يكسوها، والنصف الباقي من غرفة المعيشة يُطل على المنطقة المحفورة حيث تمّ إيقاف

السفينة، لذا كان بإمكاننا رؤية ما يفعله المنشقون، وهم يفرشون أسرّة القش ويرتبون المؤونة ويشعلون النار في الفرن الصغير الذي ربما جلبوه من الشقق.

كان الحمام المجاور لغرفة المعيشة مريحاً وواسعاً وفيه حوض استحمام في وسطه ومغسلة، والأرضية مصنوعة من بلاط زجاجي أزرق. تفحص أكوس الصنابير التي فرقعت في البداية لكنها كانت لاتزال تعمل، كما ذكرت تيكا.

للحظة ترددت بين الاغتسال والتحدث إلى إيساي بينيسيت.

قالت إيساي عندما لاحظت حيرتي: «بإمكاني الانتظار، فالتحدث إليك وأنت مضرجة بالدماء سيشتت تفكيري».

قلتُ بصوت فيه بعض الحدّة: «نعم، فأنا بالكاد أصلح لرفقة مستشارة». وكأنني ضرجت نفسي بالدماء برغبتي، وكنت بحاجة لمَن يذكرني بقذارتي.

أجابت: «لقد أمضيتُ معظم حياتي في سفينة طواف صغيرة رائحتها مثل رائحة الأقدام، فأنا بالكاد أصلح لرفقة نفسي بالتعريف المعتاد للكلمة».

اختارت واحدة من الوسائد الكبيرة في غرفة المعيشة، وربتت عليها براحة يدها مُرسلةً غيمة من الغبار في الهواء. وبعد مسحها، وضعتها على الأرض وجلستْ عليها، فبدتْ أنيقة بطريقة ما عندما اعتدلتْ في جلستها. جلستْ سيسي إلى جانبها، لكن بطريقة أقل احتفالية وابتسمت لي بود. لقد كنتُ مُتحيرة بشأن هبتها، وكيف أنها أبطأت أفكاري المضطربة، وأبعدت عني أسوأ ذكرياتي. شعرتُ أنّ التواجد بالقرب منها يحمل على الإدمان لمن كان لديه أمور مقلقة.

كان أكوس لايزال في الحمام، يسد مصرف حوض الاستحمام ويفتح الصنابير. والآن يقوم بفكّ أحزمة درعه بأصابع رشيقة وسريعة.

قال لي: «لا تقولي لي إنك لا تحتاجين مساعدتي، فأنا لن أُصدّقكِ».

خطوتُ بعيداً عن أنظار الجالسين في غرفة الجلوس، وحاولتُ رفع قميصي من فوق رأسي، فنجحتُ في رفعه إلى مستوى معدتي قبل أن أتوقف مجبرةً كي

ألتقط أنفاسي. ضحكتُ قليلاً بينما كان يساعدني على خلعه ثم قلتُ: «هذا أمر مُحرج».

قال: «نعم هو كذلك». لقد أبقى عينيه على وجهي وكان وجهه يزداد توهجاً.

لم أسمح لنفسي بتخيّل وضع كهذا، حيث أصابعه تلمس ذراعي برفق، فذكرى فمه فوق فمي قريبة جداً ولا أزال أحس بها.

قلتُ له: «أعتقد أن بإمكاني خلع بنطالي بنفسي».

لم أكن أمانع بإظهار الجسد، إذ لم أكن نحيلة أبداً بفخذي المكتنزتين وصدري الصغير، لم يكن ذلك مهماً بالنسبة إليّ. لقد حملني هذا الجسد عبر حياة صعبة، وبدا تماماً كما يُفترض به أن يكون. مع ذلك، عندما أخفض عينيه -للحظة فقط -كبتُّ ضحكة متوترة.

ساعدني على الجلوس داخل حوض الاستحمام حيث جلستُ تاركةً ملابسي الداخلية تتبلل. ثم بعثر محتويات الخزانة الموجودة أسفل المغسلة بحثاً عن قطعة صابون.

كان هادئاً، إذ وضع يده عليّ كي يُخمد الظلال التيارية بينما كنتُ أكشط البقع الحمراء عن جسدي. والجزء الأسوأ هو جسّ أطراف الجلد الفضي لغسل الدم الموجود هناك منذ بضعة أيام. لذا قمتُ بغسله أولاً وأنا أعضّ بقوة على شفتي كي أمنع نفسي من الصراخ. عندئذٍ كان إبهامه يضغط ليُدلّك كتفي وعنقي، فسرت القشعريرة في أعلى ذراعيّ وأسفلهما.

كانت أصابعه ترتعش فوق كتفيّ وتجد أماكن لتخفيف ألمها، وعندما التقت عيناه بعينيّ، كانتا ناعمتين وخجولتين تقريباً، فوددتُ تقبيله إلى أن يحمرّ وجهه مرة أخرى.

فيما بعد.

نظرت إلى غرفة الجلوس كي أتأكد من أنّ سيسي وإيساي لا تستطيعان رؤيتي، ففككت أحزمة الدرع عن ذراعي اليسرى ونزعته.

قلتُ بلطف لأكوس: «لديّ بضع علامات يجب حفرها».

أجاب أكوس: «بإمكان تلك العلامات أن تنتظر، فقد نزفتِ بما يكفي».

أخذ قطعة الصابون مني وفركها بيده ثم مرّر أصابعه بلطف أعلى وأسفل ذراعي المليئة بالندوب. وبطريقة ما، كان هذا أفضل من تقبيله لي. فلم يكن لديه أوهام هشة عن طيبتي، مُقدّر لها أن تتحطم عندما يكتشف الحقيقة. لكنه تقبّلني على أية حال، واهتم بي على أية حال.

قلتُ: «حسناً، أعتقد أني انتهيت».

وقف أكوس ممسكاً بيديّ ورفعني على قدميّ، فسال الماء عن ظهري وساقيّ. وبينما كنتُ أُثبّتُ الدرع على ساعدي مرة أخرى، وجد منشفة في إحدى الخزائن، ثم جمع بعض الملابس لي -البنطال من إيساي، والملابس الداخلية من سيسي، وواحد من قمصانه وزوج من جواربه، وحذائي العالي الذي لايزال سليماً. نظرتُ إلى كومة الملابس ببعض الارتباك. فقد كان أمراً عادياً أن يراني بملابسي الداخلية، لكن أن يساعدني في خلعها...

حسناً، إذا كان ذلك سيحدث، فأريده أن يحصل في ظروف مختلفة.

قال أكوس: «سيسي». فقد كان ينظر أيضاً إلى كومة الملابس، «ربما يجب أن تساعدي في هذا الجزء».

قلتُ له: «شكراً لك».

ابتسم لي وقال: «من الصعب حقيقةً أن أُبقي عينيّ على وجهك».

أظهرتُ تعبيراً مضحكاً على وجهي بينما كان يغادر.

دخلت سيسي وأتى السلام معها، فساعدتني في نزع حمالة الصدر التي كانت على حدّ علمي من تصميم شوتيتي فريد، فهي ليست مصنوعة من أجل تحسين شكلي بل لتُبقي صدري ثابتاً تحت الدرع الصلب. كان البديل الذي قدمته لي أكثر شبهاً بالقميص، فهو مصنوع من قماش ناعم ومريح، إنه النسخة الثوفية. كان كبيراً جداً بالنسبة إليّ لكن يجب أن يفي بالغرض.

قلتُ لها وهي تساعدني في تثبيته: «هل بوجود هبتك هذه يصبح الوثوق بالناس أصعب؟».

«ماذا تقصدين؟». ثم أمسكتُ بالمنشفة لأتمكن من تغيير لباسي الداخلي ببعض الخصوصية.

«أقصد...» بعد ارتداء اللباس الداخلي، أدخلتُ ساقي في البنطال وأضفت: «أنتِ لا تعرفين أبداً إذا كنتِ أنتِ من يريدون التواجد بقربها أو هبتك».

أجابت سيسي: «الهبة تنبعث مني، وهي تعبير عن شخصيتي، لذا لا أرى أي فرق بيننا».

كان ذلك جوهرياً، وهو ما قاله الدكتور فدلان لأمي في مكتبه، أي أنّ هبتي تنبعث من الأجزاء العميقة في داخلي ولن تتغير ما لم أتغير. لدى مراقبة الظلال وهي تلتف حول معصمي مثل سوار، تساءلتُ إذا كان تغيّرها يعني بأني أيقظتُ امرأةً مختلفة جراء ذلك الاستجواب. ربما امرأة أفضل وحتى أقوى.

سألتُ: «إذاً أنتِ تظنين أنّ إيلام الناس هو جزء من شخصيتي؟»

قطّبت حاجبيها بينما كانت تساعدني في ارتداء القميص النظيف الذي كان كماه فضفاضين جداً بالنسبة إليّ ولذا طويتهما إلى الأعلى تاركةً ذراعيَ عاريتين.

قالت سيسي أخيراً: «أنتِ تريدين إبعاد الناس، ولستُ متأكدة لماذا يكون الألم هو الطريقة التي تحقق بها هبتكِ ذلك. أنا لا أعرفكِ». أصبح عبوسها أكثر عمقاً فأضافت: «هذا غريب، ففي العادة لا أستطيع التحدث بهذه الصراحة مع أي شخص، ناهيك عن شخص التقيته لتوي».

تبادلنا ابتسامة.

في غرفة المعيشة، حيث لا تزال إيساي جالسة وساقاها مطويتان على جنب واحد وكاحلاها متصالبان، كان هناك كومة صغيرة من الوسائد مُجهّزة لي. جلست عليها وشعرت بالارتياح ثم سحبتُ شعري فوق كتفي. ورغم أن الطاولة بيننا كانت مكسورة -كانت مصنوعة من الزجاج، ولذا غطت نثرات الزجاج الأرضية الخشبية حولنا -والوسائد قذرة ومنخفضة بالنسبة إلى الأرض، إلا أنّ إيساي بدت وكأنها محاطة بمرؤوسيها وأنا واحدة من الرعايا. تلك كانت إحدى المهارات الآن.

قالت إيساي: «كيف حال لغتكِ الثوفية؟».

قلتُ وأنا أبدّل اللغة: «جيدة جداً». فارتجف أكوس منتبهاً إلى أن صوت لغته الأم آتٍ من فمي. لقد سمعني وأنا أتكلم بها من قبل، لكن بدا أنها فاجأته.

قلتُ لها: «إذاً أنتِ أتيتِ إلى هنا من أجل أختك».

أجابت إيساي: «نعم، هل رأيتها؟».

قلتُ: «كلا، لا أعرف أين احتجزت، لكن في نهاية المطاف يتوجب عليه نقلها، واقترح أن تبنوا خططكم على هذه الفرضية».

وضع أكوس يده على كتفي مرة أخرى، وهذه المرة وهو يقف خلفي. فلم أنتبه حتى للظلال التيارية وهي تبدأ تحركها مرة أخرى، فقد كنتُ مشتتة الذهن جراء كل الآلام الأخرى.

قالت سيسي برفق وهي تجلس بجانب إيساي: «هل سيؤذيها؟».

أجبتُ: «أخي لا يُلحق الأذى من دون سبب».

تذمّرت إيساي مُطلقة صوتاً من أنفها.

قلتُ: «أنا جادة، فهو نوع غريب من الوحوش؛ إنه يخاف الألم، كما أنه لا يستمتع أبداً برؤيته. فذلك يُذكّره بإمكانية الشعور به على ما أعتقد. يمكنكِ أن تطمئني، فلن يؤذيها من دون سبب أو فائدة يجنيها».

وضعت سيسي يدها في راحة يد إيساي وشدّت عليها بإحكام من دون أن تنظر إليها. كانت يداهما على الأرض التي بينهما، ولذا كان بإمكاني تمييز جلد سيسي عن جلد إيساي بسبب لونه الأدكن.

قلتُ: «أياً يكن ما سيقدم عليه– وأظنه الإعدام– سيكون علنياً. ويهدف منه جذبكِ إليه، فهو يريد قتلك أكثر مما يريد قتلها، وهو يريد لذلك أن يكون بشروطه. ثقي بي، أنتِ لا تريدين قتاله بشروطه».

قال أكوس: «بإمكانك مساعدتنا».

أجبتُ: «مساعدتي رهن إشارتك وأنت تعلم».

وضعتُ يدي فوق يده وضغطتُ مؤكدة ذلك.

قال أكوس: «يتمثل الأمر بإقناع المنشقين، فهم غير مهتمين بإنقاذ إحدى ابنتي عائلة بينيسيت».

قلتُ: «دعني أهتم بذلك، فعندي فكرة».

قالت إيساي: «ما عدد القصص الصحيحة التي سمعتها بشأنك؟ فأنا أرى كيف تغطين ذراعك، وأرى ماذا بإمكانك فعله بهبتك. لذا، أعلم أنّه لابدّ وأنّ بعضاً مما أُخبرتُ به عنك صحيح. فكيف لي أن أثق بكِ إذا كان هذا هو الحال؟».

راودني شعور وأنا أنظر إليها بأنها تريد للعالم من حولها أن يكون بسيطاً ومن ضمنه الناس الذين يعيشون فيه. ربما توجب عليها أن تشعر بتلك الطريقة، فهي تتنكب قدر أمة كوكبية. لكنني تعلّمتُ أنّ العالم لا يُصبح كما تريد لأنك تريده أن يكون كذلك.

قلتُ: «أنتِ تريدين رؤية الناس إما أخياراً أو أشراراً، إما يستحقون الثقة أو لا يستحقون. أعلم أنّ الأمر أسهل بهذا الشكل، لكن العالم لا يعمل بهذه الطريقة».

نظرت إليّ طويلاً بما يكفي حتى لتتململ سيسي حيث كانت تجلس.

في النهاية: قلتُ: «إضافة إلى ذلك، في حال كنتِ تثقين بي أم لا، هذا لا يشكّل أي فارق بالنسبة إليّ، فأنا سأمزّق أخي إرباً، أياً يكن الأمر».

في أسفل السلالم، عندما كنا محشورين في ظلام بئر السّلَم، أمسكت بكمّ قميص أكوس كي أسحبه إلى الخلف. لم يكن الظلام دامساً بالقدر الكافي لكي لا أرى الحيرة في ملامح وجهه. فانتظرتُ حتى لم أعد أسمع إيساي وسيسي قبل أن أتراجع وأتركه، جاعلةً الظلال التيارية تنشأ بيننا مثل الدخان.

قال: «هل ثمة خطب ما؟».

أجبتُ: «كلا، فقط... أمهلني لحظة».

أغمضتُ عينيّ. فمنذ أن استيقظتُ بعد الاستجواب والظلال فوق جلدي بدلاً من أن تكون تحته، كنتُ أُفكّر بمكتب الدكتور فدلان وكيف نشأت هبتي. فبدا أنّها، كما معظم الأشياء في حياتي، مرتبطة برايزك. فهو يخشى الألم، ولذا منحني التيار هبةً سيخشاها، وربما هي الهبة الوحيدة التي بإمكانها حمايتي منه.

لم يمنحني التيار لعنة. فأنا أصبحتُ قوية في ظل تعاليمها، لكن لا مجال لإنكار ما قاله الدكتور فدلان؛ فعند مستوى ما، شعرتُ بأني، وكل الآخرين، كنا نستحق الألم. ثمة شيء واحد أعرفه في أعماقي، وهو أنّ أكوس كيرسيث لم يكن يستحقه. مددتُ يدي إليه وأنا مُتشبثة بهذه الفكرة فلمستُ صدره وتحسّستُ القماش.

فتحتُ عينيّ، كانت الظلال تتنقّل فوق جسدي بما أني لم أكن ألمس الجلد، لكنّ كامل ذراعي، من الكتف وحتى أطراف أناملي التي تلمسه، كانت بلا ظلال. حتى إن كانت هبتي التيارية ستؤذيه، ما كنت لأفعل.

كانت عينا أكوس الحذرتين دائماً جاحظتين من الذهول.

قلتُ: «أقتل الناس بلمسة مني، عندما أقرر منحهم كل الألم وتخليص نفسي منه. ذلك لأني تعبتُ من حمله لدرجة أنّ كل ما أردته هو إنزاله عن كاهلي لبعض الوقت، لكن أثناء الاستجواب، خطر لي أنني كنتُ قوية بما يكفي كي أتحمله بنفسي ولا أمنحه لسواي، وما كنت لأفكر بذلك لولاك».

رمشتُ بعينيّ لأزيل الدموع عنها.

قلتُ: «لقد رأيتني كشخص أفضل مما كنتُ عليه، وأخبرتني أنه بإمكاني الاختيار أن أكون مختلفة عما كنتُ من قبل وأنّ حالتي لم تكن دائمة. صدقتك وتحمّلتُ كل الألم الذي كاد يقتلني، لكن عندما استيقظتُ مرة أخرى، كانت الهبة مختلفة، فهي لم تكن مؤذية بالقدر نفسه، كما أني أستطيع التحكم فيها أحياناً».

أبعدتُ يدي عنه.

قلتُ: «لا أعلم ماذا تريد أن تُسمّي ذلك، لكني أريدك أن تعرف أنّ صداقتك غيرتني بكل ما للكلمة من معنى».

نظر إليّ لثوانٍ، فأدركت أنه بالرغم من مضي وقت طويل بصحبته لا تزال هناك أشياء جديدة لم أكتشفها في وجهه؛ الظلال الباهتة تحت عظام خديه والندبة التي في حاجبه.

عندما نطق مجدداً قال: «ألا تعرفين ماذا يُسمّى ذلك؟».

سقط درعه على الأرض مصدراً صوت قعقعة، ثم مدّ يده إليّ وطوق خصري

بذراعيه وجذبني نحوه وهمس أمام فمي: «سيفبارات. زيثيتيت».

كلمة شوتيتية وأخرى ثوفية. فـسيفبارات تعني أعزّ صديق، عزيز جداً لدرجة أنّ فقدانه يشبه فقدان أحد الأطراف. أما الكلمة الثوفية، فلم أسمع بها من قبل.

لم نعرف كيف نتوافق مع بعضنا تماماً، فالشفاه رطبة للغاية، لكنّ ذلك كان جيداً، فقد حاولنا مرة أخرى، وهذه المرة كانت مثل الشرارة التي نشأت عن احتكاك، مثل صدمة طاقة شديدة سرتْ عبر جسدي.

لقد تشبّث بخاصرتي وقبض على قميصي بيديه الماهرتين جراء التعامل مع السكاكين والمساحيق التي تنبعث رائحتها منه.

اندفعتُ نحوه وأنا أتحسّس جدار بئر الدرج بيديّ وأنفاسه السريعة والحارة تلسع عنقي. لطالما تساءلتُ كيف تكون الحياة دون إحساس بالألم، لكن لم يكن هذا غياب الألم الذي أتوق إليه، كان على النقيض منه، كان إحساساً خالصاً؛ ناعماً ودافئاً وموجعاً وثقيلاً وكل شيء، كل شيء.

سمعتُ صدى صوت قادم من المنزل الآمن. لكن قبل أن أبتعد عنه كي نتبيّن الأمر، سألته بهدوء: «ماذا تعني كلمة (زيثيتيت)؟».

أشاح بنظره، وكأنه كان محرجاً، فقد لمحتُ أثر ذلك الاحمرار الزاحف حول ياقة قميصه.

قال برفق: «المحبوب». قبلني مرة أخرى، ثم التقط درعه، ومشى أمامي نحو المنشقين.

لم أستطع التوقف عن الابتسام.

كان الصوت ناتجاً عن شخص أنزل عوامة في منزلنا الآمن مزّقت القماش الذي يُغطينا. وكان حزام الإضاءة حول وسطها بنفسجياً قاتماً وملطخاً بالطين.

تجمّدتُ في مكاني مذعورةً من الشكل القاتم الذي يهبط، لكن عندها رأيتُ كلمات غير مألوفة على السطح السفلي للسفينة المستديرة: سفينة ركاب # 6734. مكتوبة باللغة الثوفية.

الفصل الثاني والثلاثون | أكوس

كانت السفينة التي اقتحمت غطاء السطح عوامة ركاب، لا تتسع لأكثر من شخصين، فمزقت أجزاء من القماش أثناء هبوطها وأدخلتْ نسائم الهواء. كانت السماء الآن زرقاء داكنة وبلا نجوم، والدفق التياري يتموج عبرها بلون أحمر أرجواني.

أحاط المنشقون بالعوامة بعد أن استلوا أسلحتهم. ففُتحت الكوة التي في جانبها ونزلت منها امرأة مُظهرةً راحتي يديها. كانت كبيرة في السن وثمة خطوط رمادية على شعرها، والنظرة في عينيها تعبّر عن كل شيء ماعدا الاستسلام.

قالت سيسي: «أمي؟».

ركضت سيسي نحوها وعانقتها، فعانقتها الأم بالمقابل، لكنها كانت تتفحّص المنشقين من فوق كتف سيسي، ثم حدقت باحثة عن أكوس.

سرت القشعريرة بجلد أكوس، ربما اعتقد أن رؤيتها مرة أخرى ستجعله يشعر أنه طفل مجدداً، لكنّ الأمر كان على النقيض تماماً، فقد شعر بكبر سنه وضخامته وهو يحمل الدرع الشوتيتي أمامه وكأنه سيحميه منها، ثم تمنى بيأس لو أنه لم يكن يحمله كي لا تعرف أنه اكتسبه. لم يكن يرغب بصدمها أو تخييب أملها أو أن يكون أي شيء غير ما توقعته، إلا أنه لم يكن يعرف ماذا توقّعت.

قالت تيكا بلهجة آمرة: «من أنتِ؟ وكيف وجدتنا؟».

قالت: «أنا سيفا كيرسيث، وآسفة لأني أقلقتكم، فأنا لا أقصد أذيّتكم».

«أنتِ لم تجيبي على سؤالي».

قالت سيفا دفعة واحدة وكأنها تدربت على ذلك: «عرفت مكانكم لأنني كاهنة ثوفية». أخفض المنشقون سكاكينهم التيارية، فحتى أولئك الشوتيتيون الذين لم يكونوا يعبدون التيار لن يجرؤوا على تهديد كاهنة، فتاريخهم الديني كان قوياً جداً، والخشية منها ومما يمكنها أن تفعل وترى كان عملياً يسري في نخاع عظامهم.

قالت سيفا باللغة الثوفية وبما يشبه السؤال: «أكوس، بني؟».

لقد فكّر بشأن رؤيتها عشرات المرات، ما الذي سوف يقوله، وما الذي سيفعله، وكيف سيشعر. أما الآن فكل ما كان يشعر به على الأغلب هو الغضب. فهي لم تأتِ من أجله يوم اختطف، حتى إنها لم تُحذّرهم من الرعب الذي أتى إلى بيتهم، أو تودّعهم بشكل جدّي في ذلك الصباح عندما ذهبوا إلى المدرسة. لا شيء من هذا.

مدّت يديها الخشنتين ووضعتهما على كتفيه. كان القميص المهترئ الذي ترتديه واحداً من قمصان زوجها الراحل، وبدت رائحتها مثل أوراق سندس وفاكهة مالحة، مثل منزلهم. في آخر مرة وقف أمامها كان يصل إلى كتفها فقط، أما الآن فأصبح أطول بكثير.

تلألأت عيناها.

همستْ قائلةً: «ليتني أستطيع التوضيح».

كانت حاله كحالها، فقد تمنى أكثر من ذلك، لو أنها تستطيع التخلّي عن إيمانها المجنون بالأقدار، والقناعات التي تتمسّك بها أكثر من أولادها أنفسهم. لكن لم يكن الأمر بهذه السهولة.

«هل خسرتك في ذلك الحين؟». كان صوتها متقطعاً نوعاً ما وهي تسأل، فتبدّد غضبه بسهولة كبيرة.

انحنى وطوقها بذراعيه ثم رفعها واقفاً على أطراف أصابع قدميها دون أن ينتبه في واقع الأمر.

بدتْ كهيكل عظمي بالنسبة إليه، لقد شعر أنّ سحقها سيكون سهلاً للغاية.

تمايلتْ من جانب لآخر قليلاً كما تفعل دائماً، وكأن العناق لن ينتهي حتى تختبر ثباته.

«مرحباً». هذا ما قاله لأنّ ذلك كان كل ما استطاع التفكير به.

قالت أمه وهي تبتعد عنه: «أصبحتَ كبيراً، لقد رأيت عدة نسخ من هذه اللحظة ومع ذلك لم يكن عندي فكرة أنك ستكون بهذا الطول».

«لم أتصور يوماً أن هناك ما سيفاجئك».

ضحكتْ على استحياء.

لم يُسامحها على كل شيء ولا حتى على جزء منه، لكن إذا كانت هذه هي المرة الأخيرة التي قد يراها فيها، فلن يُمضيها غاضباً. مسحتْ بيدها شعره برفق وتركها تفعل ذلك رغم أنه يعرف أنّ شعره لا يحتاج إلى تمليس.

كسر صوت إيساي الصمت فقالت: «مرحبا يا سيفا».

هزّت الكاهنة رأسها لإيساي، ولم يكن أكوس بحاجة إلى تحذيرها بعدم إخبار المنشقين عمّن تكون إيساي، فقد عرفت ذلك مسبقاً، كما تفعل دائماً.

قالت لإيساي: «مرحباً، سعيدة برؤيتكِ أيضاً، لقد كنا قلقين عليكِ في الوطن وعلى أختكِ أيضاً».

كانت كلمات مُتّسمة بالحذر ومليئة بمعانٍ خفيّة. ربما كانت ثوفية في حالة فوضى وهي تبحث عن مستشارتها الضائعة. ثم تساءل أكوس هل أخبرت إيساي أحداً في ثوفية عن المكان الذي تقصده، أو أنها لاتزال على قيد الحياة. ربما لم تكن مهتمة بما يكفي بهذا الشأن. ففي النهاية، هي لم تترعرع في ثوفية، أليس كذلك؟ وهذا ما طرح سؤالاً حول مدى إخلاصه لبلادهم الجليدية؟

قال جوريك المُتحمّس دائماً: «حسناً، تشرفنا بحضورك أيتها الكاهنة، رجاء شاركينا الطعام».

قالت سيفا: «سوف أفعل، لكن يجب أن أحذّركم، فقد أتيتُ مُتسلّحة بالرؤى، وأعتقد أنها ستهمّكم جميعاً».

تمتم أحد الأشخاص مترجماً الكلمات الثوفية للمنشقين الذين لا يتكلمونها. كافح أكوس لسماع الاختلاف بين اللغتين. كان ذلك كما افترض، فالمشكلة لديه تتمثل بأنه يعرف الفرق بين اللغتين من خلال دمه وليس عقله، فاللغتان موجودتان فيه ولم يكتسبهما بمجهود عقلي.

وجد سايرا خلف الحشد، في منتصف الطريق بين المنشقين وبئر الدرج الذي خرجوا منه لتوّهم. بدتْ ... حسناً، بدتْ خائفة من لقاء الكاهنة؟ كلا، من لقاء أمه. يجب أن يكون ذلك.

لم تكن عين سايرا لترمش إن طلب منها اغتيال أخيها أو منازلة أحدهم حتى الموت، ولكن تلك الفتاة الصلبة كانت خائفة من لقاء أم أكوس، فابتسم للفكرة.

تراجع الآخرون نحو الموقد المنخفض حيث أشعل المنشقون ناراً لتُبقيهم دافئين. في ذلك الوقت، كان أكوس في الطابق الثاني يساعد سايرا، كانا قد جرّا عدة طاولات من بعض الشقق، فتجمّع عدد مختلف الأشكال منها: واحدة معدنية ومربعة، وأخرى ضيقة وخشبية، وثالثة زجاجية ورابعة منحوتة. كان هناك طعام فوقها، فواكه مالحة مطبوخة وشرائح من اللحم المقدد، ورغيف خبز محمّص على سيخ، وقواقع حشرات فينزو محروقة، أطعمة شهية لم يكن قد جرّبها من قبل. وبجانب الطعام ثمة مزهريات لأزهار جليدية، تنتظر مزجها وتخميرها. لم يكن الطعام متنوعاً مثل الذي أكلوه ليلة البارحة، لكنه كان كافياً.

لم يتوجب عليه أن يأخذ أمه إلى سايرا، فقد رأتها ومشت إليها مباشرةً، وهذا لم يخفف من خوف سايرا.

قالت أمه: «آنسة نوفاك». كان هناك تقطّع صغير في صوتها. ثم أمالتْ رأسها كي ترى الجلد الفضي على عنق سايرا.

قالت سايرا وهي تحني رأسها: «سيدتي الكاهنة». لم يسبق لأكوس رؤية سايرا تنحني أبداً لأي شخص. فبدت وكأنها تقصّدت الانحناء.

تفتّح واحد من الظلال على خدّ سايرا ومن ثم انتشر بثلاثة خطوط شديدة القتامة. فوضع أصابعه على مرفقها كي تتمكن من مصافحة أمه عندما مدّت يدها، فراقبت أمه اللمسة الخفيفة باهتمام.

قال: «أمي، لقد سعت سايرا في الأسبوع الماضي لإيصالي إلى الوطن وقد كلفها ذلك باهظاً كما ترين». لم يكن واثقاً من ضرورة قول شيء آخر عنها أقله في هذه المرحلة. فزحف الاحمرار الذي رافقه طوال طفولته عائداً إليه فشعر به من وراء أذنيه وحاول كتمه.

نظرتْ أمه إلى سايرا ملياً مرة أخرى وقالت: «شكراً لكِ يا آنسة نوفاك لما فعلته لابني، وأنا أتطلّع لمعرفة سبب ذلك لاحقاً».

التفتتْ سيفا مبتعدة عنها بابتسامة غريبة لتشبك ذراعها بذراع سيسي، فبقيتْ سايرا مع أكوس وحاجباها مرفوعان.

قال: «إنها أمي».

أجابت: «لقد أدركتُ ذلك، وجهكَ ...». مرّرتْ أصابعها خلف أذنه حيث كان جلده يبدأ بالتوهّج: «وجهكَ يحمرّ خجلاً».

بذل قصارى جهده لكتمه، لكنّ الحرارة انتشرتْ على وجه أكوس، وكان متأكداً أنه يتوهّج احمراراً. ألم يتوجب عليه أن يتخلص من هذا الشيء الآن؟

قالت وأصابعها تتحرك نحو فكّه: «أنت لا تعرف كيف تتكلم عني بشكل واضح، فقد لاحظتُ أنك تحمرّ خجلاً عندما لا تعرف الكلمات التي يجب استخدامها. لا بأس بذلك، فأنا أيضاً لم أكن أعرف كيف أتكلم عن نفسي أمام أمك».

لم يكن يعرف ما الذي كان ينتظره، ربما الإحراج؟ فيمكن لسايرا أن تحرجه، لكن بطريقة ما بدا أنها تعرف أنّ ذلك غير مسموح به. وذلك التفاهم البسيط والهادئ هدّأ روعه، فغطى يدها وشبك أصابعه بأصابعها.

قالت: «ربما كان الوقت غير مناسب لإخبارك أنني لن أستطيع سحرها».

أجاب: «إذاً لا تسحريها، فهي ليست مثلك».

قالت: «كن حذراً، فأنت لا تعرف كم بإمكاني أن أكون غير ساحرة». قامت سايرا بسحب أصابعهما المتشابكة إلى فمها وعضّت عليها برفق. جلس أكوس في مكان ما إلى جانب سيفا على الطاولة المعدنية. لو كان هناك زي مرتبط بـهيسا، فهي ترتديه: بنطالها من مادة متينة، وربما مبطن بشيء ما كي يُبقيها دافئة، وهناك كلابات صغيرة في نعل حذائها من أجل الثبات على الجليد، وشعرها مشدود إلى الخلف بربطة حمراء. إنها لـسيسي، كان متأكداً من ذلك. ثمة خطوط جديدة على جبينها وحول عينيها وكأنّ المواسم أخذت شيئاً منها، وبالطبع أخذتْ.

جلس المنشقون حولهم وهم يمررون أوعية الطعام والأطباق الفارغة والأواني المنزلية، كما جلستْ تيكا قبالتهم بعصابة عين على شكل ورود هذه المرة، وإلى جانبها جوريك بشعره المبلل جراء الحمام، وجيو بآلته الموسيقية المقلوبة التي يضع ذقنه فوقها.

قالت سيفا عندما أدركت أنّ المنشقين كانوا ينتظرونها: «الطعام أولاً، والنبوءات لاحقاً».

قال جوريك وهو يبتسم: «بالطبع، أكوس، أتساءل إذا كان بإمكانك أن تُعدّ لنا بعض الشاي كي نسترخي قليلاً؟».

«بإمكاني ذلك».

ملأ غلاية الماء وعلّقها بخطّاف فوق الموقد الصغير، ثم وقف عند الطرف الآخر للطاولات المدموجة بعضها ببعض وهو يمزج خليط الشاي في كل الأكواب التي وجدها. خليط مناسب لرفع الروح المعنوية وتسهيل المحادثة. لكنه أعدّ مهدئاً لسايرا وشيئاً مريحاً لنفسه. وبينما جلس واضعاً أصابعه في أواني الأزهار الجليدية، سمع أمه وسايرا تتحادثان.

قالت أمه: «أعرف أنّ ابني متلهف لألتقيكِ، لابدّ وأنّك صديقة جيدة».

أجابت سايرا: «أممم ... نعم، أظن ذلك، نعم».

قال أكوس في نفسه، أنت تظنين ذلك، وهو يقاوم الدافع لتحريك عينيه. لقد أعطاها علامات واضحة بما يكفي عند بئر السلم، لكن مع ذلك لم تستطع

تصديقها. تلك هي المشكلة عندما تكون مقتنعاً تماماً بشناعتك –تظنّ أنّ الناس الآخرين يكذبون عندما لا يتفقون معك.

قالت أمه: «سمعتُ أنّ لديكِ موهبة بالقتل». على الأقل كان أكوس قد حذّرها من قلة سحر سيفا.

استرق النظر إلى سايرا، كانت تُمسك بمعصمها المدرّع قريباً من بطنها.

قالت: «أظن أنني أمتلكها لكنني لست شغوفة بها».

انطلق البخار من طرف غلاية الماء، لكن لم يكن كثيفاً بما يكفي ليسكبه أكوس.

قالت أمه: «أمضيتما كثيراً من الوقت معاً».

«صحيح».

«هل أنتِ المسؤولة عن بقائه حيّاً خلال المواسم السابقة؟».

أجابت سايرا: «كلا، بقي ابنك حيّاً بسبب إرادته الذاتية».

ابتسمتْ أمه وقالت: «أنتِ تتحدثين بتواضع».

أجابت سايرا: «أنا لا أنسب لنفسي قوة تعود للآخرين».

أصبحتْ ابتسامة أمه أكبر فقالت: «لكنك مغرورة بعض الشيء».

«لقد نُعتُ بأوصاف أكثر سوءاً».

كان البخار كثيفاً بما يكفي، فأمسك أكوس الخطاف بمقبض خشبي معلّق بجانب الموقد وأنزل الغلاية وبدأ بسكب الماء في كل كوب. تقدّمت إيساي من أجل طلب كوب وهي تقف على أطراف أصابع قدميها كي تهمس في أذنه.

«في حال لم تدرك ذلك من قبل، يجب أن تعلم الآن أنّ فتاتك وأمك متشابهتان للغاية، وسوف أتوقف عن الكلام بينما تجعلك تلك الحقيقة غير القابلة للجدل تُصاب بالقشعريرة في صميم أعماقك».

نظر أكوس إليها وقال: «هل تمزحين أيتها المستشارة؟».

«كنتُ مشهورةً أحياناً بإطلاقي تعليقات هزلية». أخذت رشفة من كوبها رغم أنه يغلي، ولم يبدُ أنّ ذلك يؤذيها. قرّبت الكوب من صدرها وأضافت: «هل كُنت

تعرف أختي بشكل جيد عندما كنتما صغيرين؟».

أجاب أكوس: «ليس بقدر ما كان إيجيه يعرفها، فقد كان يصعب عليّ التحدّث معها».

قالت إيساي: «لقد تحدثتْ عنه كثيراً، وانفطر قلبها عندما أسر وغادرت ثوفية لبعض الوقت كي تساعدني على التعافي من الحادثة». أشارت بيدها إلى وجهها، إلى الندبتين وأضافت: «لم يكن بإمكاني التعافي من دونها، فأولئك الحمقى في مقر قيادة المجلس لم يعرفوا كيف يعالجونني».

سبق لأكوس أن سمع عن مقر قيادة المجلس. وهو سفينة عملاقة في مدار حول شمسهم تحمل مجموعة من السفراء والسياسيين.

قال: «يبدو أنك قد تتوافقين معهم بشكل جيد». لم تكن مجاملة تماماً ولم يبدُ أنها أخذتها على هذا المحمل.

أجابت وهي تهزّ كتفيها: «أنا لستُ كل ما أبدو عليه». كانت بالتأكيد تنتعل حذاءً لامعاً في ذلك المستشفى في شيسا، لكنها أيضاً لم تشتكِ طوال هذا الوقت بشأن راحتها. فلو أنها حقاً أمضت معظم حياتها في سفينة تجوب الفضاء، لما عاشتْ حياة العائلات الملكية، وذلك واضح. لكن كان من الصعب قراءة أفكارها، بدا وكأنها لا تنتمي لأحد ولا لأي مكان.

قالت: «حسناً، ليس مهماً كم تعرفها بشكل جيد، فأنا ... ممتنة لمساعدتك ولمساعدة سايرا، فلم أكن أتوقع مثل هذه المساعدة». ثم استرقت نظرة إلى الثقب في السقف وأضافت: «لم أتوقع أي شيء من هذا».

«أعرف هذا الشعور».

تنحنحت وسألته: «في حال أخرجتَ إيجيه ولم تمت في العملية، هل ستعود معنا إلى الوطن؟ بإمكاني الاستفادة من أفكارك بخصوص ثقافة شوتيت، فخبرتي معهم كانت أحادية الجانب بعض الشيء، كما يمكن أن تتصور».

أجابها: «هل تعتقدين أنّ بإمكانك استخدام أحد الذي قُدِرتْ عليهم الخيانة؟».

«يُمكن أن يكون لك اسم آخر».

قال: «لم يعد باستطاعتي إخفاء شخصيتي، ولا الهروب من حقيقة أنّ قدري يمتدّ عبر الحد الفاصل».

أخذت رشفة أخرى من كوبها وبدت وكأنها حزينة.

قالت: «أنت تدعوه الحد الفاصل، مثلما يدعونه».

لقد قال ذلك من دون قصد، ومن دون تفكير أيضاً، فالثوفيون يدعونه العشب الريشي حتى وقت قريب مضى، وهو كان يدعوه كذلك.

وضعتْ يدها على جانب رأس أكوس برفق. استغرب لمستها، وكان جلدها بارداً.

قالت: «تذكر فقط أنّ أولئك الناس لا يهتمون بحياة الثوفيين، وسواء أكنتَ تحمل بقايا أصول شوتيتية في دمك أم لا، إلا أنك ثوفي، وأنت أحد أفراد شعبي، ولست منهم».

لم يتوقع أن يطالب به أحد من ثوفية بل العكس تماماً.

أخفضتْ يدها، وحملت كوبها، وتوجهت إلى مقعدها بجانب سيسي. كان جيو يعزف أغنية لسيسي وتلك النظرة الناعسة لا تفارق عينيه والتي أصبحت مألوفة لأكوس. من سوء حظ جيو، أنّ أي شخص يمتلك عينين يستطيع إدراك أنّ كل ما تريده سيسي هو إيساي. كما كان متأكداً تماماً من أنّ الأمر متبادل.

حمل أكوس المهدّئ إلى سايرا، كانت وأمه قد انتقلتا إلى موضوع آخر وهي تمسح عصير بعض الفاكهة المالحة بقطعة خبز مصنوعة من بذور أرضية جُنيت من الحقول خارج فوا، وهي ليست مختلفة كثيراً عما كانوا يأكلونه في هيسا؛ أحد الأشياء القليلة المشتركة بين ثوفية وشوتيت.

قالت سايرا: «لقد أخذتنا أمي إلى هناك ذات مرة حيث تعلّمتُ السباحة في بذلة خاصة تقي من البرد، ولا بدّ وأنها كانت مفيدة في آخر رحلة إقامة مؤقتة».

قالت سيفا: «نعم، لقد ذهبتِ إلى بيثا أليس كذلك؟ وأنتَ كنتَ هناك، أليس كذلك يا أكوس؟».

أجابها: «نعم، لقد أمضيتُ معظم وقتي هناك في إحدى جزر القمامة».

قالت بابتسامة غريبة: «لقد رأيتَ المجرّة». ثم مرّرت يدها تحت كمّه الأيسر وتحسّست علامات القتل، فتلاشت ابتسامتها وهي تعدّها.

سألتْ برفق: «من كان هؤلاء؟».

أجاب بصوت منخفض: «اثنان من الرجال الذين هاجموا منزلنا، والمخلوق المُدرّع الذي صنعت درعي من جلده».

جالتْ عيناها نحو عينيّ سايرا وقالت: «هل يعرفونه هنا؟».

أجابت سايرا: «كما أفهم الوضع، فهو موضوع لعدد غير قليل من الشائعات، فهم يعرفون أنه يستطيع لمسي وتخمير سموم قوية، بالإضافة لكونه أسيراً ثوفياً نجح بطريقة ما بكسب أحد الدروع».

ارتسمت نظرة في عيني سيفا وهي النظرة التي ترتسم على وجهها عندما ترى نبوءة تدبّ فيها الحياة، وهذا أصابني بالخوف.

قالت سيفا بهدوء: «كنتُ أعرف دائماً ماذا ستكون في المستقبل، أتذكر؟ شخصٌ يُحدق إليه دائماً. أنتَ ما يجب عليك أن تكونه، بغض النظر عن أني أحبّ الشخص الذي كنت عليه، وما أنت عليه الآن، وما ستكون عليه في المستقبل. هل تفهم ذلك؟».

لقد كان عالقاً في نظرتها السارحة وصوتها، وكأنه يقف في المعبد حيث الأزهار الجليدية الجافة تحترق من حوله، وهو يحدّق إليها من خلال الدخان. أو كأنه يجلس على الأرض في منزل الراوي، يراقبه وهو ينسج الأحداث الماضية من الدخان. كان من السهل عليه الركون إلى هذا الشعور العاطفي المُتقد، لكنّ أكوس أمضى وقتاً طويلاً وهو يعاني تحت عبء قدره الشخصي كي يدع ذلك يحدث.

قال لها: «لمرة واحدة أجيبيني بشكل مباشر، هل سأُنقذ إيجيه أم لا؟».

أجابته: «لقد رأيتُ أحداثاً مستقبلية حيث تفعل فيها ذلك، وأحداثاً مستقبلية أخرى لا تفعل فيها ذلك». ثم ابتسمتْ وأضافت: «لكنك دائماً، دائماً تحاول».

جلس المنشقون بانتباه، بعد أن كدسوا أطباقهم الفارغة عند حافة الطاولة

الخشبية الكبيرة ومعظم أكوابهم فارغة. كانت تيكا ملفوفة بالبطانية التي سمع أكوس أنّ سوفي طرّزتها لها، أما جيو فقد وضع آلته الموسيقية جانباً. وحتى جوريك، أخفى أصابعه المُتململة تحت الطاولة عندما كانت الكاهنة تصف رؤاها. كان أكوس يشاهد الناس وهم يتصرفون باحترام أمام أمه منذ صغره، لكنّ الأمر كان مختلفاً هنا.

بدأت سيفا: «هناك ثلاث رؤى، في الأولى، سنرحل من هذا المكان قبل الفجر، كي لا يرانا أحد من خلال تلك الفجوة في السقف».

قاطعتها تيكا بقولها: «لكن ... أنتِ من أحدث تلك الفجوة». لم يبدُ أنّها تحب الهراء فأضافت: «لو كنتِ تعلمين أنه سيتوجب علينا المغادرة بسببها، لكان بإمكانك عدم إحداثها في المقام الأول».

أجابت سيفا بهدوء: «سعيدة جداً بمتابعتكِ لي».

كتم أكوس ضحكته، وعلى بعد بضعة مقاعد منه، بدا أنّ سيسي تفعل الشيء نفسه.

«الرؤية الثانية، رايزك نوفاك يقف أمام حشد هائل والشمس ساطعة». كانت تشير إلى الشمس عند الظهيرة في فوا، التي هي أقرب إلى خط استواء الكوكب. «في أحد المدرجات، حيث هناك كاميرات ومكبرات صوت في كل مكان، إنه مكان علني جداً، ربما احتفال ما».

قال جوريك: «سيقومون في الغد بتكريم مجموعة من الجنود، يمكن أن يكون ذلك، وإلا ليس هناك احتفالات قادمة حتى احتفال رحلة الإقامة المؤقتة التالي».

قالت سيفا: «هذا محتمل. وفي الرؤيا الثالثة، أرى أوريف بينيسيت وهي تكافح ضد قبضة فاس كوزار. إنها موجودة في إحدى الزنازين الكبيرة المصنوعة من الزجاج، وليس هناك من نوافذ، والرائحة هي ...»، قامت بالاستنشاق وكأنّ الرائحة لاتزال في الهواء، «رائحة عفنة، وعلى ما أعتقد الزنزانة موجودة تحت الأرض».

كرّرت إيساي: «تكافح، هل هي مُصابة بأذى؟ هل هي بخير؟».

قالت سيفا: «هناك أثر شديد للحياة فيها، أو هذا ما يبدو».

قالت سايرا بفتور: «الزنزانة مصنوعة من الزجاج توجد هذه الزنزانة تحت المدرج، حيث كنتُ محتجزة من قبل...». توقفت عن الكلام ومرّرتْ أصابعها على عنقها وأضافتْ: «إنّ الرؤيتين الثانية والثالثة تحدثان في المكان نفسه. فهل يحدثان في الوقت نفسه؟».

أجابت سيفا: «أشعر أنهما متداخلتان، لكنّ شعوري بالمكان لا يكون دقيقاً دائماً.

سقطتْ يداها على حضنها وأدخلت إحداها في جيبها. ثم شاهدها أكوس وهي تُخرج شيئاً صغيراً منه، كان لامعاً ويسترعي الانتباه؛ إنه زر من إحدى السترات ولونه أصفر عند الأطراف حيث تآكل من كثرة الاستعمال. كاد يرى أصابع أبيه وهي تلمسه بينما كان يتذمّر من اضطراره للذهاب إلى إحدى حفلات العشاء العسكرية التي تقيمها أخته في شيسا، ممثلاً الأراضي المسطحة للأزهار الجليدية. في إحدى المرات قال لسيفا عندما كانا يستعدان في حمام قاعة الاستقبال، وكأنّ هذه السترة قد تخدع أي شخص، فمن النظرة الأولى على خدوش حذائي الناتجة عن الجليد سوف يعرفون بأني فتى مزرعة أزهار جليدية. فما كان من سيفا إلا أن ضحكتْ.

ربما سيكون أوسيه كيرسيث في مستقبل آخر جالساً بجانب سيفا مع هذه المجموعة الغريبة من الناس، ليعطي أكوس الثبات الذي ما كان بإمكان أمه تعزيزه أبداً، وهي الكاهنة المضطربة. ربما جلبتْ ذلك الزر لتذكّره أنّ أباه لم يكن حيث يجب أن يكون بسبب فاس. عندما فكّر بهذا الأمر، أدرك أنه محق وأدرك أنّ ذلك كان تماماً هو السبب الذي أخرجت الزر من أجله.

ردّ بعنف مقاطعاً شيئاً كانت تيكا على وشك قوله: «أنتِ تتلاعبين بي بذلك الأمر». لم يكن مهتماً، فسيفا هي الوحيدة التي كانت تنظر إليه، ثم أضاف: «ضعي ذلك جانباً، فأنا أتذكره بما يكفي على طريقتي».

قال في نفسه، في النهاية، أنا من شاهده وهو يموت وليس أنتِ.

ومض شيء شرس في عينيّ أمه، وكأنها كانت تُصغي لأفكاره، لكنها أعادت الزر إلى جيبها.

كان الزر تذكيراً جيداً، ليس بأبيه، بل بمدى ما يمكن لأمه أن تكون مُخادعة. ولو أنها كانت تتقاسم الرؤى، فهذا ليس لأنها ثابتة بشكل مطلق في الزمن مثل القدر، بل لأنها اختارت نسخة تريدها من المستقبل، وهي تحاول أن تدفعهم جميعاً نحوها. ربما كطفل، كان يثق بحكمها على الأمور، ويثق أنه مهما يكن المستقبل الذي انتقته فهو الأفضل. أما الآن، وإلى جانب اختطافه وكل ما عاناه في حياته، لم يكن واثقاً تماماً.

قال جوريك وسط الصمت الغريب: «كما كانت تيكا تقول، سامحيني، فأنا أعرف أنها أختُ مستشارتكِ، لكنّ قدر أوريف بينيسيت ليس وثيق الصلة بمصالحنا. فنحن مهتمون فقط بإسقاط رايزك نوفاك».

أضافت تيكا: «بقتله، في حال لم يكن ذلك واضحاً».

سألت إيساي بقسوة: «ليس لديكم مصلحة في إنقاذ أخت مستشارة؟».

قالت تيكا: «إنها ليست مستشارتنا، ونحن لسنا مجموعة أبطال أو شيء من هذا القبيل، كما أننا لن نخاطر بحياتنا وأماننا من أجل غرباء ثوفيين».

تغضّن وجه إيساي.

قالت سايرا وهي ترفع رأسها: «هذا الأمر له علاقة بمصالحكم لأنه فرصة، فمنذ متى يقوم رايزك نوفاك باحتفالات رسمية لجنود رحلات الإقامة المؤقتة؟ إنه يقوم بذلك فقط كي يحظى بجمهور مُلزم بالإصغاء عندما يقتل أوريف بينيسيت، كي يُثبت أنه قادر على تحدي قدره. وهو سوف يحرص على مشاهدة جميع الشوتيتيين لهذا الحدث. وإذا أردتم التحرك ضده، تحرّكوا في ذلك الحين. قوموا بذلك بينما الجميع يشاهدون واسلبوه لحظة انتصاره».

ألقى أكوس نظرة عامة إلى صف النساء بجانبه. فإيساي متفاجئة، وربما ممتنة بعض الشيء لسايرا لجدالها نيابةً عن أوري، وأصابعها مرخيّة حول

كوبها. أما سيسي، فكانت تلفّ خصلة شعر حول أصبعها، وكأنها لم تكن تستمع حتى. وبعدها نظر إلى سايرا حيث الأضواء الخافتة تنعكس من اللمعان الذي إلى جانب رأسها.

تكلمت تيكا بصوت مرتفع: «سيكون رايزك بين حشد كبير من الناس، وكثير منهم من أشد مؤيديه وأكثر جنوده ضراوةً، فما هي (الحركة) التي تقترحين علينا القيام بها؟».

أجابت سايرا: «أنتِ قلتها بنفسكِ أليس كذلك؟ اقتليه».

ضربت تيكا الطاولة بقوة وبدت منزعجة بوضوح: «أوه، هذا صحيح! لماذا لم أفكّر بقتله؟ كم هذا سهل!».

حرّكت سايرا عينيها وقالت: «هذه المرة لن تُضطري للتسلل إلى داخل منزله عندما يكون نائماً، هذه المرة، سوف أتحداه في الحلبة».

صمت الجميع مرة أخرى لأسباب مختلفة، كان أكوس واثقاً من ذلك. فسايرا مقاتلة جيدة والجميع يعرفون ذلك، لكنّ أحداً لا يعرف مقدار براعة رايزك في القتال، فلم يسبق لهم أن رأوه يقاتل. وهنا طرحت مسألة الوصول إلى مكان حيث تستطيع سايرا فيه تحديه بشكل حقيقي، وتجعله يفعل ذلك بدلاً من القبض عليها وحسب.

قال أكوس: «سايرا».

قالت تيكا مقاطعةً إياه: «لقد أعلن عن نيمهالزاك، لقد نزع عنك مكانتك وحقّكِ في المواطنة، فليس لديه سبب كي يقبل تحدّيكِ».

عبست إيساي وقالت: «بالطبع لديه سبب، فقد كان بإمكانه التخلص منها بهدوء عندما علم أنها منشقّة، لكنه لم يفعل. كان يريد لعارها وموتها أن يكون علنياً، وهذا يعني أنه خائف منها، وخائف من أنّ لديها سلطة على شوتيت. وإذا تحدّته أمام الجميع، لن يكون بمقدوره الانسحاب، فسيبدو جباناً».

قال أكوس ثانيةً، لكن بهدوء هذه المرة: «سايرا».

أجابت سايرا بمسحة من الرقة التي شعر بها في بئر السلّم: «أكوس، إنه ليس نداً لي».

لقد شاهد أكوس سايرا تقاتل للمرة الأولى–تقاتل بحق –في غرفة التدريب في قصر نوفاك. لقد خاب أملها منه –في النهاية هي لم تكن معلمة صبورة – وكانت متراخية أكثر من المعتاد وتلكمه ببرود، فقد كان عمرها خمسة عشر موسماً فقط في ذلك الوقت ثم أصبحت أفضل. وفي كل الوقت الذي قضاه في التدريب معها، لم يتغلّب عليها أبداً، ولا حتى مرة واحدة.

قال: «أنا أعرف، لكن تحسّباً، دعينا نُلهيه».

كرّرت سايرا قوله: «نُلهيه».

قال أكوس: «ستذهبين إلى المدرج وستتحدينه وسأذهب إلى السجن، أقصد أنا وبدها، وسوف ننقذ أوريف بينيسيت –سننتزع منه انتصاره وأنتِ ستنتزعين روحه».

بدا ما قاله مقفى. لكن من الصعب التفكير بالكلام المقفى عندما تتسلل أصابع سايرا إلى ذراعها المُغطاة. لم تكن سايرا لتتردد، لكنها تعلم كلفة هذه العلامات.

قالت إيساي وصوتها يقطع الهدوء: «إذاً اتفقنا، يموت رايزك وتحيا أوريف، تمّ تحقيق العدالة».

العدالة والانتقام، لقد فات الأوان لاكتشاف الفرق بينهما.

الفصل الثالث والثلاثون | سـايرا

حالما قدّمتُ نفسي لقتال أخي في الحلبة، شعرتُ بطعم هواء المدرج المغبر في فمي، ولايزال بإمكاني شمّ رائحته: الأجساد المتزاحمة والتعرّق والرائحة الكيميائية للسجن المُعقّم في الأسفل، وطنين حقل القوة من فوق. لقد حاولتُ إبعاد ذلك الشعور عني عندما كنتُ أتحدث مع المنشقين لكنه كان موجوداً على الدوام.

رذاذ الدماء والصراخ.

لقد راقبت أم أكوس ذراعي المُدرّعة، المغطاة الآن ببطانية من أحد المنشقين. ربما كانت تتساءل كم عدد الندوب الموجودة تحتها.

كم كنتُ مناسبة لابنها!؟ فهو يتألم من كل حياة يزهقها، وأنا أنسى عدد العلامات على ذراعي.

عندما تحولت معظم الأحجار النارية في الفرن إلى اللون الأبيض الباهت، تسللتُ متجاوزةً عوامة سيفا صعوداً إلى المكان المدمر حيث غسلتُ الدم عن جلدي. وكان بإمكاني سماع جوريك وجيو في الأسفل وهما يغنيان معاً – بشكل غير جيد في بعض الأحيان – والآخرون يضحكون. اقتربتُ من المرآة في الحمام المُضاء بشكل خافت، وأول ما وجدته كان خيالاً في الزجاج، وفيما بعد ...

قلتُ في نفسي، هذه ليست مشكلة، فأنتِ لا تزالين على قيد الحياة.

تلمّستُ الجلد الفضي على رأسي وعنقي فشعرتُ بوخز خفيف في مكان نموّه متداخلاً مع أعصابي. كان شعري مكوماً في جانب واحد من رأسي، والجلد الفضي مُسطّح في الجانب الآخر، والجلد حوله أحمر وملتهب جراء التكيف مع المادة الجديدة. كنتُ امرأة من جانب وآلة من الجانب الآخر.

اتكأتُ على المغسلة وأجهشتُ بالبكاء. كانت أضلاعي تؤلمني لكن لم يكن هناك من شيء يوقف الدموع الآن. فهي تأتي بغفلة من الألم، وأنا توقفتُ عن مقاومتها.

لقد شوهني أخي رايزك.

قال أكوس: «سايرا»، وتلك كانت المرة الأولى في حياتي التي تمنيتُ فيها عدم وجوده هناك. لمس كتفيّ برفق مُبعداً الظلال عني، كانت يداه يدين باردتين ولمسته رقيقة.

قلتُ له وأنا أمرّر يدي على عنقي الفضي: «أنا بخير».

«لا ينبغي أن تكوني بخير الآن».

كان الجلد الفضي يعكس الضوء الخافت الذي تسلل داخل هذا المكان المدمر جزئياً.

وبصوت هادئ ضعيف سألتُ السؤال المدفون عميقاً داخلي: «هل أنا قبيحة الآن؟».

سألني: «ماذا تظنين؟». وكأنه يعرف بأني لم أكن أريده أن يقوم بتهدئتي، ولذا كان يطلب مني التفكير بالموضوع. فنظرت إلى المرآة مرة أخرى.

لقد بدا شكلي غريباً بالفعل بنصف شعر، لكنّ بعض الشوتيتيين كان يقصون شعورهم بهذه الطريقة؛ فهو حليق من جانب وطويل من الجانب الآخر. وبدا الجلد الفضي كقطعة من درعي الذي جمعته أمي في سنوات رحلات الإقامة المؤقتة التي قامت بها. ومثل الدرع حول معصمي، سوف أرتديه دائماً وسيجعلني أشعر بالقوة.

قلتُ له: «لا، لستُ قبيحة».

لم أعنِ ما قلته تماماً، لكني فكرتُ أنه ربما بمرور الوقت، أُصبح كذلك.

قال: «أنا موافق، في حال لم يكن ذلك واضحاً من كل القُبل التي تبادلناها».

ابتسمتُ والتفتُّ ثم جثمتُ على طرف المغسلة، كان هناك خطوط قلق عند زاويتي عينيَ أكوس، رغم أنه كان يضحك. لقد بدا بهذا الشكل منذ النقاش مع المنشقين بشأن خطتنا.

قلتُ له: «ماذا يحدث يا أكوس؟ هل أنت قلق من أني لن أستطيع هزيمة رايزك؟».

بدا أكوس قلقاً كما أحسستُ فقال: «كلا، ليس الأمر كذلك، إنه فقط ... هل ستقتلينه حقاً؟».

لم يكن هذا ما توقعت أن يسألني إياه.

أجبته: «نعم سأقتله».

أومأ برأسه ونظر شزراً إلى المنشقين الذين لايزالون متجمعين في الطابق الأول، فتتبعتُ نظرته إلى أمه التي كانت تقوم بمحادثة عن قرب مع تيكا، وبين يديها كوب من الشاي. لم تكن سيسي بعيدة عنهما، وهي تنظر بخواء إلى الفرن، فهي لم تتكلم أو تتحرك منذ جلسة التخطيط. حشر كثير من الناس أنفسهم في سفينة النقل تحت البطانيات واستخدموا الحقائب التي حملوها إلى هنا كوسائد.

قال وهو يركز عليّ مرة أخرى: «أريد أن أطلب منك شيئاً». ثم أمسك وجهي بيديه برفق: «ليس من العدل طلب هذا منكِ، لكني أود أن أطلب منك ألا تزهقي روح رايزك».

صمتٌّ لفترة قصيرة وأنا متأكدة من أنه كان يمزح، حتى أني ضحكت، لكن لم يبدُ الأمر وكأنه يمزح.

«لماذا تطلب مني ذلك؟».

أجاب أكوس وهو يبعد يديه عني: «أنت تعلمين لماذا».

قلتُ: «إيجيه».

دائماً إيجيه.

قال: «في حال قتلتِ رايزك غداً، ستُبقين أسوأ ذكريات رايزك داخل إيجيه إلى الأبد».

لقد أخبرتُه ذات مرة إنّ إمكانية شفاء إيجيه الوحيدة هي بين يدي رايزك، ففي حال تمكن أخي من مبادلة الذكريات بإرادته فمن المؤكد أن بإمكانه إعادة كل ذكريات إيجيه إلى مكانها الصحيح، واسترجاع ذكرياته الخاصة، وبإمكاني تصور طريقة أو اثنتين لجعله يفعل ذلك.

بالنسبة إلى أكوس، كان إيجيه بريقاً باهتاً من بعيد، مثل وميض أمل ضعيف، وأنا أعلم أنه من المستحيل بالنسبة إليه أن يتخلّى عن ذلك، لكن ليس بإمكاني المخاطرة بكل شيء أيضاً.

أجبته بثبات: «كلا، فنحن لا نعرف كيف أثّر تبادل الذكريات على أي من هبتيهما التياريتين، كما لا نعرف حتى إذا ما كان بإمكانه تصحيح ذاكرة إيجيه بعد الآن».

قال أكوس: «إذا كان هناك ولو فرصة واحدة، فرصة لاستعادة أخي، فيجب عليّ أن...».

أبعدته عني وقلتُ له: «كلا! انظر إلى ما فعله بي، انظر إليّ!».

«سايرا...».

«هذه...!» أشرتُ إلى جانب رأسي: «كل علاماتي...! سنوات من التعذيب وآثار الجثث وأنت تريدني أن لا أزهق روحه؟ هل أنت مجنون؟».

أجاب على الفور: «أنتِ لا تفهمين»، لمس جبينه بجبيني وقال: «أنا سبب الحالة التي عليها إيجيه، فلو لم أحاول الهروب من فوا ... لو أني استسلمتُ لقدري مبكراً ...».

شعرتُ بالألم.

بطريقة ما لم يخطر ببالي أنّ أكوس يحمّل نفسه مسؤولية تفريغ رايزك لذكرياته في إيجيه. وكان واضحاً بالنسبة إليّ أنّ رايزك سيجد سبباً كي يفعل ذلك

لإيجيه في مرحلة ما، لكن كل ما كان أكوس يعرفه هو أنّ رايزك ألحق ذلك الضرر خصوصاً بإيجيه كنتيجة لفشله في الهرب.

قلتُ له: «كان رايزك سيفعل ما فعله بإيجيه، سواءً أحاولتَ الهرب أم لم تحاول، لا تتحمل مسؤولية ما حل بإيجيه، فكل ما حدث له هو خطأ رايزك وليس خطؤك».

قال أكوس: «ليس الأمر كذلك فقط، فعندما أُخذنا من منزلنا بسببي عرفوا من الولد الذي يجب أخذُه، هو أم سيسي. لأني قلتُ له أن يركض، هذا كان أنا، ولذلك وعدتُ أبي، لقد وعدتُ...».

قلتُ بحدّية أكبر هذه المرة: «مرة أخرى، هذه مسؤولية رايزك! وليست مسؤوليتك! ومن المؤكد أنّ أباك سيفهم ذلك».

قال أكوس بصوت متقطّع: «لا أستطيع التخلي عنه، لا أستطيع».

رددتُ بانفعال: «وأنا لا أستطيع المشاركة بهذا المسعى السخيف الذي تسعى إليه، ليس بعد الآن، فأنا لا أستطيع مشاهدتك وأنت تدمّر نفسك وتدمّر حياتك من أجل إنقاذ شخص لا يريد أن يُنقذ. شخص رحل ولن يعود أبداً!».

«رحل؟» كانت عينا أكوس شرستين: «ماذا لو أخبرتكِ أنه لم يكن هناك من أمل يُرتجى منكِ، ها؟».

كنتُ أعرف الإجابة عن ذلك. فأنا لم أكن لأقع في حبه أبداً، ولم أكن لألجأ أبداً للمنشقين طلباً للمساعدة، كما أنّ هبتي التيارية لم تكن لتتغيّر أبداً.

قلت له: «اصغِ لي، يجب أن أفعل ذلك، وأعرف أنك تفهم ذلك حتى لو لم تستطع الاعتراف به الآن. أنا أريد ... أريد موت رايزك، ولا أعلم أي شيء آخر أستطيع قوله».

أغمض عينيه لبرهة قبل أن يبتعد.

كان الآخرون نياماً، حتى أكوس، المستلقي على بعد عدة أقدام مني على الأرض. لكنني كنتُ مستيقظة تماماً رفقة خواطري. أسندتُ نفسي إلى مرفقي، ونظرتُ إلى المنشقين وهم تحت بطانياتهم، وإلى ضوء الفرن المتلاشي. كان

جوريك متكوماً بشكل جنيني وبطانياته مسحوبة فوق رأسه، وشعاع ضوء القمر يسقط على تيكا محولاً لون شعرها الأشقر إلى أبيض فضي.

قطّبتُ جبيني عندما طفت بعض الذكريات في مخيلتي. رأيتُ سيفا كيرسيث تعبر الغرفة، ثم دلفتْ من الباب الخلفي، وقبل أن أعرف ماذا كنتُ أفعل -أو لماذا أفعل- انتعلتُ حذائي ولحقتُ بها.

كانت تقف في الخارج تماماً ويداها مشبوكتان خلف أسفل ظهرها.

قالت لي: «مرحبا».

كنا في مكان موحش من فوا، فكل ما حولنا كان أبنية قليلة الارتفاع بطلاء مقشور ونوافذ ذات قضبان حديدية محنية بطريقة تزيينيّة لصرف الانتباه عن الغاية الحقيقية منها، وأبواب معلّقة على مُفصّلاتها. كانت الشوارع من التراب المرصوص وليس الحجر. كذلك كانت هناك عشرات من حشرات فينزو البرية تنتشر بين المباني وهي تتلألأ بضوء أزرق شوتيتي، فالألوان الأخرى لم يعد لها وجود منذ عقود ماضية.

قالت سيفا: «من بين كل الأحداث المستقبلية التي رأيتها، هذا واحد من أشدها غرابة، وهو حدث يحمل إمكانية كبيرة للخير والشر بدرجة متساوية».

قلتُ: «أتعلمين، لربما تساعدينني إذا قلتِ لي ماذا يجب أن أفعل وحسب».

أجابت: «لا أستطيع، لأني بصدق لا أعرف، نحن في مكان معتم، مليء بالرؤى المُحيّرة. وهناك مئات من الصور الغامضة منتشرة على مدّ النظر، وإذا جاز لي القول، وحدها الأقدار هي الواضحة.

قلتُ: «ما الفرق؟ أقدار وصور ...».

أجابت: «القدر شيء يحدث بغض النظر عن نسخة المستقبل التي أراها، فمما لا شك فيه، لو أنّ أخاكِ أدرك أنّ ذلك صحيح لما أهدر وقته في محاولة تجنّب قدره، لكننا نفضّل الإبقاء على عملنا غامضاً إزاء خطر التحكّم فيه بصرامة كبيرة».

حاولتُ تخيّل الأمر. فظهر أمامي مئات من الطرق المتعرجة، والمصير

نفسه في نهاية كل منها. وهذا جعل قدري الشخصي أكثر غرابة حتى، فليس مهماً أين أذهب، ولا يهم ما أفعل، سوف أعبر الحد الفاصل. إذاً ماذا؟ ما هو المهم؟

لم أسألها، حتى لو اعتقدت أنها ستخبرني -وهي لن تفعل- لم أكن أريد أن أعرف.

قالت سيفا: «يجتمع كهنة الكواكب سنوياً لمناقشة رؤانا، ونحن نتفق بشكل مشترك على أي مستقبل هو الأكثر أهمية بالنسبة إلى كل كوكب، وبالنسبة إلى هذا الكوكب، عملي -عملي الوحيد، بصرف النظر عن تسجيل الرؤى- هو التأكد من أنّ رايزك يقود شوتيت لأقصر وقت ممكن».

قلتُ: «حتى على حساب ابنكِ؟».

لم أكن واثقة من هو الابن الذي أرمي إليه: أكوس أو إيجيه، وربما كلاهما.

أجابت: «أنا خادمة القدر، ولا أملك ترف التحيّز».

لقد جعلت هذه الفكرة عظامي ترتعد. فقد كنتُ أفهم معنى القيام بالأشياء من أجل «الصالح العام» نظرياً، لكن لم يكن عندي أي اهتمام بذلك عملياً. فأنا دائماً أحمي نفسي والآن أحمي أكوس عندما أستطيع. لكن غير ذلك، لم يكن هناك الكثير ممن لم أكن راغبة في طردهم من طريقي. وربما هذا يعني أني كنتُ شريرة، لكنّ هذا صحيح رغم ذلك.

قالت وقد غابت رصانتها: «ليس سهلاً أن تكوني أماً وكاهنة أو زوجة وكاهنة، لقد ... شعرتُ مرات عديدة برغبة عارمة في حماية عائلتي على حساب الصالح العام لكن ...» هزّتْ رأسها، «يجب عليّ مواصلة المسيرة، ويجب أن أتحلّى بالإيمان».

أو ماذا؟ أردتُ أن أسأل. ما المُعيب باختطاف أحبابك والهرب، ورفض تحمّل مسؤولية لم ترغبي فيها؟.

قلتُ: «لديّ سؤال ربما تستطيعين الإجابة عنه، هل تعرفين اسم إيما زيتسيفيس؟».

أمالتْ سيفا رأسها بحيث انساب شعرها الكثيف على إحدى كتفيها وقالت: «نعم أعرف».

قلتُ: «زيتسيفيس؟ هل كان قدرها مُفضّلاً؟».

أجابت سيفا: «كلا» ثم أخذت نفساً من هواء الليل البارد وأضافت: «كان زواجهما نوعاً من الشذوذ، ومن المستبعد بما يكفي أن يتمّ تسجيله في رؤى الكهنة عن شوتيت. ومن الواضح أنّ زواج أوزول كان بدافع الحب من امرأة أقل منه شأناً، امرأة عادية، ذات اسم عادي، إيما سوروكتا».

سوروكتا. كان هذا اسم تيكا وزوسيتا. امرأة ذات شعر باهت وعينين براقتين.

قلتُ: «هذا ما ظننته، كنتُ أودّ أن أبقى ونتكلم، لكن لديّ شيء يجب أن أفعله».

هزّت سيفا رأسها وقالت: «من الغريب بالنسبة إليّ أن لا أعرف ما الذي سيقرره شخص ما».

قلتُ لها: «تقبّلي عدم اليقين».

لو أنّ فوا عجلة، فأنا كنتُ أمشي على محيطها. فعائلة زيتسيفيس تعيش في أنحاء المدينة ومنزلهم يقع على جرف يُطل على فوا. لقد كان بإمكاني رؤية الضوء الذي يتلألأ داخل مزرعتهم من بعيد عندما كنتُ أمشي في الشوارع.

كان الدفق التياري الذي يجول فوقي في السماء بلون بنفسجي غامق، ويتحوّل إلى اللون الأحمر، وبدا تقريبا بلون الدم. وذلك ملائم، نظراً لخططنا ليوم غد.

لقد شعرتُ بالراحة في تلك المقاطعة الفقيرة والمنبوذة حيث اختار المنشقون منزلهم الآمن. وفي أكثر الأحيان، كانت النوافذ معتمة، لكن أحياناً، أرى ظلال أشكال محنية فوق مصابيح صغيرة. وفي أحد المنازل، وجدتُ عائلة مكونة من أربعة أشخاص مُتجمعين حول ورق لعب تمّ جلبه من زولد وهم يضحكون. لقد مرّ وقت لم أكن أجرؤ فيه على المشي في تلك الشوارع بصفتي أخت رايزك، لكن الآن أصبحتُ منبوذة ولستُ صديقة للنظام، كنتُ آمنة جداً هنا.

كنتُ أقل ارتياحاً عندما عبرتُ في المنطقة الأكثر ثراءً. يزعم الجميع في فوا الولاء لنظام نوفاك –لم يكن اختيارياً –لكنّ رايزك أبقى العائلات الأكبر والأكثر ولاءً في شوتيت في حزام حوله. بإمكاني القول إنني كنتُ في ذلك الحزام بجانب المباني لوحدي: كانت أكثر حداثةً أو أنها مرممة ومُعاد طلاؤها. تحولت الشوارع إلى حجرية تحت قدميّ وكان هناك أضواء طوال الطريق. نظرتُ داخل معظم النوافذ، حيث الناس بملابس نظيفة ونضرة وهم يقرأون في شاشاتهم على طاولات المطبخ أو يشاهدوَن نشرة الأخبار.

وحالما استطعت، توجهتُ نحو المنحدرات، في إحدى الطرق التي ستقودني إلى الأعلى. منذ زمن طويل، قام الشوتيتيون بحفر أدراج داخل جدران تلك المنحدرات، كانت شديدة الانحدار وضيقة وسيئة الصيانة، ولذا لم تكن مناسبة لضعيفي القلب، لكن لم أكن مُتهمة أبداً ولو لمرة واحدة بامتلاكي هذا النوع من القلب.

بسبب ألمي من جروحي وهبتي التيارية البارحة، أبقيتُ إحدى يديّ على الجدار إلى يساري، ولم أُدرك عندما غادرتُ كم كان جسدي مُنهكاً ومُتألماً، وكيف أنّ كل خطوة كانت تنبض في فروة رأسي وعنقي اللذين لا يزالان يتماثلان للشفاء. توقفتُ قليلاً وأخرجتُ رزمة القوارير التي أخذتها من مقتنيات أكوس قبل أن أُغادر.

كان أمامي صف من القوارير بألوان مختلفة، وكنتُ أعرف معظمها من مجرد النظر إليها –دواء منوّم، ومُهدّئ، وفي الطرف الآخر، مستخلص أحمر نقي لزهرة هشفلور كانت سدادته مختومة مرتين بشمع مذاب. وبهذه الكمية وهذه الفعالية، هذا كافٍ لقتل رجل.

ابتلعتُ نصف قارورة من المهدئ ثم حشرتُ الرزمة في حقيبتي الصغيرة.

استغرق الوصول إلى القمة ساعة من الزمن، وكان عليّ أن أتوقف عدة مرات طوال الطريق كي أستريح، كلما اقتربت من القمة بدت المدينة أصغر ، ونوافذها المضاءة تومض بالضوء من هنا. بإمكاني دائماً إيجاد قصر نوفاك، يتلألأ باللون

الأبيض قرب مركز المدينة، والمدرج، المحمي حتى الآن بشبكة من الضوء. وفي مكان ما تحت ذلك المدرج، تنتظر أوريف بينيسيت الموت.

عندما وصلتُ القمة، ابتعدتُ عن الحواف بأسرع ما استطعت، فكوني ذات قلب غير ضعيف لا يعني أني أستمتع بالموت من المرتفعات.

تبعتُ الطريق الموصل إلى منزل زيتسيفيس، وإلى الغابات حيث يربون حشرات فينزو من أجل تصديرها. كان هذا الطريق الذي مشيتُ فيه محمياً بشبك معدني لمنع الناس من سرقة الحشرات الثمينة.

كانت الأشجار مغطاة بشبكات لمنع حشرات فينزو من الفرار، تدبير وقائي أكثر من أي شيء آخر. تبني هذه الحشرات أعشاشها حول الأغصان الرقيقة الأقرب إلى السماء، وكانت الأشجار نفسها طويلة ونحيلة وجذوعها شديدة القتامة حتى أنها تبدو سوداء، مزينة بعناقيد خضراء داكنة سلكية الشكل بدلاً من الأوراق العريضة التي كنتُ أراها في كواكب أخرى.

أخيراً ظهر منزل عائلة زيتسيفيس، وكان هناك حارس عند البوابة، لكن في الوقت الذي لكمته فيه على فكّه، كان الأوان قد فات بالنسبة إليه كي يدافع عن نفسه. استخدمتُ يده الرخوة كي أفتح قفل البوابة. توقفتُ هناك قليلاً وأنا أتذكّر كيف أنّ يدي لم تفتح قفل غرفة رايزك في قصر نوفاك. كيف أنّ دمي، وجيناتي، لم يفتحه. ولازلتُ أجهل السبب.

لم يكن الوقتُ مناسباً الآن. تابعتُ مسيري ولم أكن أظن أني سأواجه أي حارس أمن آخر، فإيما تعيش هنا وحدها الآن.

لقد تأكدتُ من ذلك، أليس كذلك؟

كان المنزل حديث الطراز، وقد رمم مؤخراً من القلعة الحجرية التي كانت هناك من قبل. تمّ استبدال أقسام كبيرة من الجدار بالزجاج، وهناك كرات صغيرة فيها حشرات براقة بلون أزرق مُعلّقة على الأشجار في المدخل مُشكّلةً قبّة لامعة تنعكس على النوافذ. وهناك نباتات غريبة متشابكة أمام المنزل، وبعضها يزحف صعوداً فوق الأحجار المتبقية. وبعضها كان يزهر أيضاً، أزهاراً ضخمة من عوالم

مختلفة بألوان نادراً ما أراها في عالمنا: زهرية مثل لون اللسان، وخضراء زاهية وسوداء مثل الفضاء.

عندما وصلتُ إلى الباب الأمامي، سحبتُ السكين التيارية الصغيرة تحسباً. كنتُ خائفة تقريباً من كسر حاجز الصمت المحيط بي، لكن عندها طرقتُ بعنف بقبضة سكيني إلى أن فتحت إيما زيتسيفيس الباب.

قالت إيما وهي لم تكن مبتسمة لأول مرة: «الآنسة نوفاك». كانت تحدّق إلى السلاح الذي بيدي اليُمنى.

قلتُ لها: «مرحباً، هل تمانعين دخولي؟».

لم أنتظر جوابها، فدخلتُ البهو. كانت الأرضيات مصنوعة من الخشب، ومن المرجح أنها من الأشجار الداكنة المحيطة بمزرعة زيتسيفيس، وهي نفسها المستخدمة بسخاء في قصر مانور. كان ثمة جدران هنا، وانكشف الطابق الأول برمته أمام ناظري بأثاثه الأبيض الساطع.

كانت إيما ترتدي رداءً باهت اللمعة وشعرها مسدل على كتفيها.

قالت ووجها هادئ: «هل أتيتِ لتقتليني؟ أظن أنه من المناسب إنهاء ما بدأتِ به. أولاً زوجي ثم ابنتي ...».

فكرتُ بالقول لها إنني لم أرغب بقتل أي منهما، وأنّ موتهما لايزال يطاردني في أحلامي. وأني سمعتُ دقة قلب أزول قبل أن أستيقظ، وأرى ليتي في زوايا لم تكن تقف فيها أبداً. لكن لم يكن هناك سبب لقول أي من تلك الأشياء.

قلتُ لها: «أتيتُ فقط لأتحدث معك، والسكين لحمايتي».

قالت إيما: «لم أكن أعتقد أنك تحتاجين لسكاكين».

أجبتها: «أحياناً السكاكين تكون أكثر فعالية، تهديد رقيق وكل ذلك».

«آه» التفتتْ إيما إلى الخلف، «تعالي إذاً، دعينا نجلس».

قادتني إلى مكان الجلوس إذ بإمكاني أن أرى من حيث أقف، الأرائك المنخفضة مرتبة على شكل مربّع. أشعلت بعض الأضواء بلمسة رقيقة فتوهجت الأرائك من الأسفل، وبدت حشرات فينزو محتشدة في مصباح على الطاولة

الزجاجية المنخفضة. لم أجلس قبلها، فرتّبتْ رداءها فوق ساقيها كي لا ينكشفا. لقد كانت امرأة أنيقة.

قالت: «أنتِ تبدين أفضل مما كنتِ عليه في المرة الأخيرة التي رأيتكِ فيها، لا أستطيع القول إني لم أستمتع بمشاهدتك وأنتِ تنزفين».

قلتُ بشكل لاذع: «نعم، أنا واثقة من أنّ ذلك كان مسلياً لعدد كبير من الناس، ومن الصعب قليلاً بالنسبة إليك الادعاء بالتفوق الأخلاقي عندما تكونين متعطشة لدم شخص آخر، أليس كذلك؟».

«جريمتكِ تأتي في المقام الأول».

قلتُ لها: «أنا لم أجادل أبداً بأني متفوقة عليكِ، ربما تكونين أقل مني فقط».

ضحكت أيما وكانت على وشك توجيه إهانة أخرى لي، كنتُ متأكدة من ذلك، لكني قاطعتها.

قلتُ: «أعرف أنّ أخي يشمئز منكِ بقدر ما اشمئز منكِ. لقد عرفت ذلك منذ وقت طويل، وكنتُ أشعر بالأسى عليكِ، لاضطراركِ إلى البقاء قريبة منه كي تبقي على قيد الحياة. كنتُ أظن أنكِ يائسة تماماً وتفعلين ما يجب عليك فعله».

ارتعش وجه إيما، فأخذت تنظر من واحدة من النوافذ العريضة إلى فوا، والمحيط من خلفها مرئي من هذا الارتفاع، رغم أنه بدا مثل الفراغ تماماً، مثل أطراف الفضاء.

قالت أخيراً: «كنتِ؟».

«بدأتُ اليوم أفهم أنكِ لستِ يائسة، على الأقل ليس بالطريقة التي ظننتها، فكل شيء تحت سيطرتك بشكل رائع، أليس كذلك؟».

فجأة أصبحتْ صارمة. لقد استحوذتُ على انتباهها.

قلتُ: «لقد خسرتِ أكثر مما تصورت، لقد خسرتِهم حتى قبل أن أضع يدي على زوجك. اسمكِ سوروكتا، وأختكِ كانت زوسيتا سوروكتا، التي هربت من الكوكب بعد أن قُبض عليها وهي تعلّم لغات أخرى لجيرانها، ومؤخراً تم إعدامها لمشاركتها في التمرد. لكن قبل أن يُقبض عليها، قُتل ابن أختكِ جراء جرائمها،

وابنة أختكِ تيكا، فقدت إحدى عينيها بسبب أخي».

قالت إيما بصوت متهدج قليلاً: «لا علاقة لي بآثام عائلتي، ويصعبُ عليكِ تحميلي مسؤوليتها».

قلتُ بضحكةٍ مقتضبة: «أنا لا أحمّلك المسؤولية، أنا أُخبركِ كيف أعلم أنك جزء من التمرد الآن كما أنك كنتِ جزءاً منه منذ فترة طويلة».

أجابت إيما وقد عادت إليها ابتسامتها الغريبة: «يا للهول، من المؤكد أنك لفّقتِ إحدى النظريات، أليس كذلك؟ أنا على وشك الزواج بأخيكِ وترسيخ مكانتي كواحدة من أكثر الناس قوة في شوتيت. لقد تزوجتُ أوزول زيتسيفيس كوسيلة للوصول إلى غاية، أي هذه الغاية، التقدّم الاجتماعي، وأنا أملك مهارة في الوصول إليها. ذلك شيء لن تفهميه بما أنكِ وُلدتِ ثريّة».

قلتُ لها مُتجاهلةً شرحها: «هل تريدين أن تعلمي ما الذي فضحكِ؟ أولاً، أنتِ من أبلغ عن أوزول، وأنتِ تعلمين ما سيفعله أخي به. والناس الذين يتصرفون بدافع اليأس لا يقومون بخطوات محسوبة مثل ذلك».

«أنتِ...»، حاولت أن تقاطعني لكني لم أسمح لها بذلك.

«ثانياً، لقد حذّرتني أنهم سوف يورطون شخصاً بريئاً بسبب هجوم المنشقين، وأنتِ تعلمين أني سأقوم بشيء ما حيال ذلك».

قطّبت جبينها قائلة: «أنتِ تخبرينني في البداية عن أُناس خسرتهم ثم تتهمينني بالتسبّب بإعدام أختي؟ كيف لهذا أن يُعقل؟».

تابعتُ قولي: «وأخيراً، كل هذا النقر الذي تقومون به. ما قصتك أنتِ وتيكا مع النقر؟ حتى أنه ليس نموذجاً جيداً».

تجنّبتْ إيما النظر إلى عينيّ.

قلتُ لها: «أنتِ منشقة، ولهذا السبب، وبعد كل ما أخذه منك، لايزال بإمكانكِ الانحياز إلى جانبه، لأنكِ تدركين أنكِ بحاجة لتكوني قريبة منه من أجل ثأرك».

وقفتْ، ورداؤها يتموج وراءها وهي تخطو نحو النافذة. عندئذٍ، نقرتْ

بإصبعها وإبهامها، نقرة، ثلاث نقرات، نقرة، ثم نقرة، ثلاث نقرات، نقرة.

قالت دون أن تلتفت: «النقر رسالة. فذات مرة، تعلمت وأختي أغنية كي تتذكّر أقدار عائلة نوفاك، وهي علمتها لابنتها تيكا أيضاً». قامت بغنائها، «الطفل الأول لعائلة نوفاك سوف يُهزم على يد عائلة بينيسيت»، فتتبّعتُ أصابعها وهي تتناغم مع الإيقاع مرة أخرى، وجسدها يتمايل، «كان الإيقاع، واحد، ثلاثة، واحد، ثلاثة ...».

مثل رقصة.

قالت ببطء: «أقوم بهذا عندما أحتاج إلى القوة من أجل المهمة التي بين يدي، وأنا أغني هذه الأغنية في عقلي وأنقر إيقاعها بأصابعي».

مثلما كانت عند إعدام أختها، وأصابعها على الدرابزين، ومثل العشاء مع أخي، ويدها على ركبته.

التفتتْ نحوي.

«إذاً ماذا؟ هل أتيتِ للحصول على مساندة؟ هل تنوين مقايضتي بحريتك؟ ماذا؟».

قلتُ لها: «يجب أن أُبدي إعجابي بالتزامكِ بلعبة التظاهر هذه، فقد سلّمتِ زوجكِ...».

ردّتْ إيما بانفعال: «كان أوزول مريضاً بـ Q900X. وهناك عدة مكونات في نظام المعالجة تنتهك مبادئنا الدينية، ولذا ضحّى بنفسه من أجل القضية، أؤكّد لكِ، فأنا لم أكن أريد ذلك، لكن كنتيجة لنكرانه لذاته – شيء من الواضح أنك لا تعلمين عنه شيئاً – كسبتُ مكانتي إلى جانب رايزك».

تحركت ظلالي التيارية بشكل أسرع، فهي لاتزال تتحفّز بتغيرات عواطفي.

قلتُ لها: «أظنّ أنك لا تتكلمين كثيراً مع المنشقين الآخرين، هل تعلمين أنهم مسؤولون عن إنقاذ حياتي؟ لقد مرّ الآن بعض الوقت على عملي معهم».

قالت إيما بصوت منخفض وهي تعبس في وجهي: «حقاً».

قلتُ لها: «أنتِ لم تعتقدي حقيقةً أنّ أياً من الأعذار التي قالها رايزك من

أجل وسم وجهي كانت حقيقيةً، أليس كذلك؟ لقد ساعدتُ المنشقين بالتسلل إلى داخل قصر نوفاك من أجل اغتياله، وبعد فشل الخطة، أخرجتهم بأمان، وهذا سبب القبض عليّ. وابنة أختكِ تيكا كانت هناك».

تعمّق عبوس إيما، فتحت هذا الضوء كانت التجاعيد في وجهها أكثر وضوحاً. الخطوط في وجهها ليست جراء العمر –فهي لاتزال صغيرة، رغم أنّ شعرها أبيض بشكل سابق لأوانه –بل جراء الحزن. أنا أعلم الآن تفسير ابتسامتها الدائمة، لقد كانت قناعاً وحسب.

تنهّدت إيما قائلةً: «لا يعلم معظم الآخرين ماهيتي، وزوسيتا وتيكا كانتا الوحيدتان. فعلى أية حال، القيام باتصال مع أي أحد آخر يشكّل خطراً كبيراً عليّ.

وقفتُ وانضممتُ إليها عند النافذة. كان الدفق التياري قد تحول مسبقاً إلى لون شديد الاحمرار.

قلتُ: «غداً سوف يتحرك المنشقون ضد رايزك، قبل أن يقوم بإعدام أوريف بينيسيت مباشرةً، وسوف أتحداه في الحلبة بطريقة لا يتمكن فيها من الرفض».

قالت بلهجة آمرة: «ماذا؟ غداً؟».

أومأتُ برأسي.

أطلقت ضحكة قصيرة، وكتّفت يداها: «أيتها الفتاة الحمقاء، تظنين أنك قادرة على هزيمة رايزك نوفاك في الحلبة؟ أنتِ حقاً تفكّرين باتجاه واحد مثل قاتل مُدرّب».

قلتُ: «لا، أتيتُ إليكِ بخطة، ودورك فيها سوف يكون بسيطاً». مددتُ يدي إلى حقيبتي الصغيرة وأخرجتُ قارورة من الرزمة التي جلبتها معي. «كل ما عليكِ فعله هو صبّ هذه القارورة في تونيك رايزك المُهدّئ عند الصباح. أفترض أنك ستكونين بجانبه عندما يشربه».

نظرت إيما بعبوس إلى القارورة.

«كيف تعلمين أنه سيشرب تونيك مهدّئ؟».

قلتُ: «دائماً يفعل ذلك قبل أن يقتل، من أجل أن يتحمّل القتل».

تذمّرتْ قليلاً.

قلتُ: «صدقّي ما تشائين عن شخصيته فأنا لا أهتم لذلك، لكنه شربه في اليوم الذي سبق أمره بتشويهي من أجل متعة الجمهور، وأنا أعدكِ أنه سيشربه قبل قتل أوريف بينيسيت، وكل ما أطلب هو أن تسكبي هذا في كوبه ولا شيء آخر. وفي حال فشلت، سيبقى مكانك إلى جانب رايزك محفوظاً، ولن يكون عنده أي سبب للشكّ بكِ. لكن إن فعلتِ ذلك ونجحتُ في خطتي، لن أضع يدي عليه وستكونين قادرة على الثأر منه من دون أن تتزوجيه».

أخذتُ القارورة وتفحصتها. كانت مختومة بالشمع الذي أخذه أكوس من طاولتي، وكنتُ أستخدمه لختم المظاريف برمز نوفاك، تماماً كما كان يفعل أبي وأمي.

قالت إيما: «سأفعل ذلك».

قلتُ: «جيد، أثق أنك سوف تكونين حذرة، فأنا لا أستطيع تحمّل أن يُقبض عليكِ».

قالت إيما: «لقد كنتُ حريصة في كل كلمة ونظرة منذ كنتِ مجرد طفلة، وآمل بإخلاص يا آنسة نوفاك أنكِ لا تفعلين هذا من أجل الغفران لأنكِ لن تحصلي عليه، ليس مني، وليس بعد كل ما فعلته».

قلتُ: «لا أسعى إليه، كل هذا له علاقة بالانتقام، أعدكِ بذلك».

نظرتْ إيما بسخرية إلى صورتي المنعكسة على النافذة. خرجتُ من منزلها، فقد كان عليّ التحرك بسرعة إن أردتُ العودة إلى المنزل الآمن قبل أن يستيقظ الآخرون.

الفصل الرابع والثلاثون | أكوس

وقفت سايرا أمام أكوس تحت الشمس، ووضعت قلنسوة تغطي وجهها، وارتدت معطفاً سميكاً لتغطية الظلال التيارية ويداها مدفونتان في كمين طويلين. ومن خلفها المدرج حيث كادت أن تفقد حياتها. من ينظر إليها وهي تسير منتصبة لا يخيل إليه أنها الشخص ذاته الذي سلخ جلده.

كانت مجموعة من جنود شوتيتيين تقف بجانب الباب الكبير ذي الدرفتين والذي يؤدي مباشرةً إلى أرض المدرج. هناك شائعة في الشارع – نقلتها سوفي، التي «تعرف الجميع» طبقاً لما يقول جوريك –تقول إنّ الجنود الذين تم استدعاؤهم للحضور إلى المدرج اليوم كوفئوا بفضلات جيدة. لم يعلم أكوس ما الذي يُفترض أنهم جلبوه معهم وكان شديد الاستحقاق بهذا التكريم، لكنّ هذا لم يكن مهماً فعلاً؛ لقد كانوا مجرد خدعة على أية حال. كان رايزك يريد حشداً ليشهد إعدام أوري.

فُتحت الأبواب الكبيرة ذات الدرفتين، فملأ هدير الحشد الضخم أذني أكوس. كان هناك وجوه كثيرة في الداخل إلى درجة شعر أنّ المدينة بأسرها هناك رغم أنّ خمسها على الأرجح بدا موجوداً –والأربعة أخماس الأخرى سوف تشاهد البث الحي على الشاشات في أنحاء فوا، هذا إذا اهتموا بالمشاهدة على الإطلاق.

التفتتْ سايرا إلى الخلف، فانعكستْ أشعة الشمس بلون فضيّ عن عنقها الذي يتماثل للشفاء الآن. كان ذقنها يتحركُ إلى الأعلى والأسفل بإيماءة، وحينئذٍ أبعدها هيجان الحشود عنه. حان الوقت للتحرّك.

وقفتْ إيساي بجانب كتفه وقالت: «إذاً، نحن لم نحدّد في الحقيقة كيف سندخل من الباب الأول».

أجاب أكوس: «في الحقيقة، لقد قررتُ فقط أن ... أسحق رأس الحارس بالجدار».

أجابت إيساي، «أنا واثقة من أنّ ذلك لن يسترعي أي انتباه على الإطلاق، هناك (عصابة عين)، دعنا نذهب».

لقد اعتادت إيساي أن تُسمّي المنشقين بأسماء مستعارة بدل أن تعرف أسماءهم الحقيقية. ومن الواضح أنّ المقصود بـ«عصابة عين» هي تيكا، وجوريك كان «المُتململ»، وجيو كان «المُغازل»، وسوفي كانت «الشخص الذي لا يتكلم اللغة الثوفية»، وهذا كان اسماً طويلاً، لكنها لم تكن تستخدمه كثيراً. والمنشقون أطلقوا عليها بدورهم اسماً مستعاراً –فقد أمسك أكوس بـتيكا وهي تشير إلى إيساي بـ «المغرورة» في ذلك الصباح وهم يحشرون الطعام في أفواههم، وهي تنظر إلى الفجوة التي أحدثتها سيفا في السقف بعوامتها.

لقد وجد أكوس تيكا وسيسي تقفان بجانب أبواب المدرج، فشقّ طريقه إليهما، مُبقياً إيساي بجانبه. تفاجؤوا جميعاً عندما عرضت تيكا خدماتها لمساعدتهم في الدخول إلى السجن الموجود تحت الأرض، فقد كان واضحاً أنها غير مهتمة بإنقاذ حياة أوري، لكن ربما إشارة سايرا إلى انتزاع لحظة انتصار رايزك على قدره أثّرت بها.

سألته تيكا عندما اقترب منها بما يكفي ليسمعها: «ماذا عرفت عن الحارس؟». كانت ملفوفة بقماش رمادي وشعرها مُمشّط فوق عينها المفقودة. نظر من فوق كتفها إلى الحارس المتمركز خارج الباب الذي طلبتْ سايرا منهم استخدامه،

كان بلون الجدار نفسه، وفيه قفل من طراز قديم يستلزم مفتاحاً معدنياً، ربما كان موجوداً في أحد جيوب الحارس.

لم يكن يفترض بأكوس استكشاف الباب، بل استكشاف الرجل. لم يكن أكبر من أكوس بأكثر من خمسة مواسم، بكتفين عريضتين، مرتدياً درعاً مُكتسباً. كان باطن يده مثبّتاً على مقبض سكينه التيارية المُغمدة على جانبه. كان بارعاً كما ظنّ أكوس، وليس من السهل إفقاده وعيه.

قال أكوس: «أستطيع صرعه، لكن ليس بهدوء، وربما سيتسبب هذا بالقبض عليّ».

قالت إيساي: «حسناً، سندعو ذلك خطتنا الاحتياطية، ماذا بشأن الإلهاء؟».

طوت تيكا ذراعيها وقالت: «نعم بالتأكيد، لقد استُخدم الرجل كي يحرس باباً آمناً يؤدي إلى سجن رايزك نوفاك السري الموجود تحت الأرض، وفشله في حمايته ربما يؤدي إلى إعدامه، لكن من المؤكد أنه سوف يتخلى عن موقعه فقط لأنك تلوّح له بشيء مشع».

قالت إيساي: «قولي (سجناً سرياً تحت الأرض) بصوت أعلى قليلاً، لماذا لا تفعلي ذلك؟».

ردّت تيكا بعنف، لكنّ أكوس لم يكن منتبهاً، فـسيسي كانت تشذب طرف كمّه.

قالت: «دعني أرى قواريرك، لديّ فكرة».

كان أكوس يُبقي بعضاً من القوارير معه أنّى يذهب؛ إكسير النوم، وتونيك مهدّئ، وخليط لتقوية الإرادة. لم يكن واثقاً أنّ سيسي بحاجة إليها، لكنه فكّ حزام القوارير الذي يشدها إلى ذراعه وسلّمها الحزمة الصغيرة. كانت القوارير تخشخش بعضها مع بعض عندما بحثت فيها، فاختارت أكسير النوم ثم فتحت سدادته وشمّتها.

قالت: «هذا قوي». كانت إيساي وتيكا لا تزالان تتشاجران حول شيء لم يكن يعرفه، لكنه لم يكن ينوي التدخل ما لم تبدآ بتبادل اللكمات.

أجاب أكوس بغموض: «إنه مفيد لحالات معيّنة».

قالت سيسي وهي تومئ إلى عربة كبيرة في الساحة: «اذهب واشترِ لي شيئاً لأشربه من تلك العربة هناك، هلّا فعلت؟». بدتْ واثقة كفاية، ولذا لم يطرح أي سؤال. انسلّ بين الحشد، والعرق يتجمع خلف عنقه. ومثل تيكا، كان يرتدي عباءةً رمادية فوق درعه فبدا مماثلاً لكل الأشخاص وبالرغم من ذلك ظل الشخص الأطول على مد النظر، لكنها جعلته يبدو أقل شبهاً بقليل بالشخص الذي أنقذ سايرا نوفاك من المدرج في اليوم السابق.

كانت العربة مائلة إلى جانبها وغير متوازنة، لذا تعجّب أكوس لأن كل الأكواب- المملوءة بنوع من الشراب الحار من أوثير، والذي يرفع من معنويات الأشخاص، هذا إذا صدقت صرخات البائع- لم تنزلق وتتكسّر. ذكر الرجل الأوثيري سعراً بلغة شوتيتية ركيكة، فرمى أكوس له بقطعة نقود. كانت سايرا قد تركت مخبأً للنقود في مكان إقامتهم على سفينة الإقامة المؤقتة، وفتحته لها في أحد الصباحات بينما كانت تنظف أسنانها، فاحتفظ ببعض منها تحسباً للظروف.

حمل كوباً حاراً بدا صغيراً في يده إلى سيسي التي سكبت فيه أكسير النوم ثم مشتْ بتأنٍّ نحو الحارس دون أي تفسير.

قالت تيكا: «أشكّ أنه يتكلم اللغة الثوفية».

كانت وقفة سيسي مسترخية وهناك ابتسامة مرسومة على وجهها وهي تحيّي الحارس. في البداية، بدا الحارس وكأنه على وشك الصراخ عليها، وعندئذٍ بدتْ عليها تلك النظرة الناعسة، النظرة نفسها التي أعطاها لها جوريك وجيو البارحة.

قال: «بإمكانها أن تتكلم اللغة الأوجرانية، فهذا ليس مهماً».

لقد رأى تأثيرات هبة سيسي من قبل، عندما تكون عفوية، لكن لم تكن لديه فكرة كم ستكون فعالة عندما تستخدمها عن سابق تصميم. كان الحارس يتكئ على جدار المدرج وقد ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيه، وعندما قدمت له الكوب، حمله بكلتا يديه وارتشف منه.

أسرع أكوس بين الحشد، فإذا كان الحارس سوف يقع، فهو أراد أن يحصل

ذلك بتحفّظ قدر الإمكان. وكما هو مُتوقّع، عندما وصل إلى جانب أخته، كان الجندي يترنح على قدميه، وما تبقى من الشراب الأوثيري يتناثر على التراب المرصوص. أمسكه أكوس من كتفيه وأنزله على الأرض ببطء. وكانت تيكا جاثمة فوق جسد الرجل تبحث في جيوبه. فأخرجت المفتاح بسرعة ثم نظرت من فوق كتفها وأدخلته القفل.

قالت إيساي لسيسي: «حسناً، كان هذا مقلقاً بكل ما للكلمة من معنى».

فضحكت سيسي.

جرّ أكوس الجسد النائم إلى الجهة الأخرى بجانب المبنى ثم ركض لينضمّ إلى الآخرين عند البوابة المفتوحة. بدت رائحة نفق الصيانة في الأسفل مثل العفن والقمامة ما جعله يشعر بوخزة في أحشائه. وبدا الهواء كثيفاً وكأنّ هناك كثيراً من الرطوبة فيه. أقفلت تيكا الباب من خلفها ووضعت المفتاح في جيبها.

عندما أصبحوا جميعاً في الداخل، لم يكن هناك أي شجار ولا مزاح ولا ارتجال. كان الجو هادئاً في نفق الصيانة باستثناء صوت التنقيط من بعيد، وكان الأسوأ هو عدم القدرة على سماع الحشد في الخارج أو الهتافات من الحلبة في الأعلى. لم يعلموا إن نجحت سايرا بالدخول، وإذا نجحت بتحديها مسبقاً، أو إذا كانوا سيخرجون مع أوري على الإطلاق. لقد بدا النفق الآن أقل شبهاً بالقبو وأكثر شبهاً بالقبر.

قالت إيساي بنعومة: «أشارت سايرا بضرورة التحرك نحو المركز، فهي لم تكن تتذكر الطريق بشكل دقيق، فقد قالت إنها كانت خارجة منه عندما تم أسرها هنا آخر مرة».

لكنّ سايرا لم تكن الشخص الوحيد الذي كان هنا. أغمض أكوس عينيه، وهو يفكر بالليلة التي صارعه فيها فاس بعد عدة أيام من التجويع لا يعلم عددها، فقد كان بابه مغلقاً ولم يشرح أحد له ماذا يحدث، وقد آلمته معدته لعدة أيام ثم توقف ألمها وكأنها استسلمت.

لقد ضربه فاس عدة ضربات في الممر، ثم رماه في عوامة طارت به إلى هنا.

إلى هذا النفق، إلى هذا النفق العفن وإلى هذه العتمة بالتحديد.

قال وقد انسلّ متجاوزاً إيساي ليكون في المقدمة: «لقد تذكرتُ».

كان يتعرق، لذا نزع القماش السميك الذي يغطي درعه ورماه جانباً. لقد كان هذا الممر غامضاً في ذكرياته وآخر شيء كان يريد فعله هو العودة إلى ذلك الوقت، عندما كان كل شيء مؤلماً وشعر بضعف شديد حتى أنه بالكاد استطاع الوقوف. التقاه إيجيه مع فاس عند الباب الخلفي، فثنى أصابعه حول الدرع الذي يغطي كتف أكوس، وللحظة بدا ذلك مريحاً وكأنّ أخاه كان يحاول تثبيته. ثم قام إيجيه بجره إلى السجن من أجل تعذيبه.

كزّ أكوس على أسنانه وضغط على سكينه واستمر بالمشي. وعندما انعطف عند الزاوية الأولى، رأى أول حارس في طريقه. لم يضع الوقت في التفكير بل اندفع فقط وثبّت الحارس الأقصر والأعرض منه على الجدار. خدش السكين درع أكوس فظهر لسان نار من راحة يد الحارس، أطفأه أكوس فوراً بلمسة من يده.

ضرب أكوس رأس الجندي عدة مرات، إلى أن انقلبت عيناه إلى الوراء وهو يقع. سرتْ قشعريرة في جسد أكوس، وانتصب شعره. لم يتحقق من موت الرجل، فهو لم يكن يريد أن يعرف.

استرق نظرة نحو سيسي، التي كان فمها مثنياً من الاشمئزاز.

قالت إيساي: «حسناً، كان ذلك فعالاً».

قالت تيكا وهي تخطو فوق ساق الحارس متوجهة نحو الممر التالي: «نعم، كل من نلتقيه هنا هو أحد المخلصين لعائلة نوفاك يا كيرسيث. ولا يستحق البكاء عليه».

قال وهو يحاول تقليد تبجّح سايرا: «هل ترين دموعاً في وجهي؟». مع ذلك، استمر في المشي، فلم يكن بإمكانه القلق بشأن رأي سيسي فيه والمكان ليس مناسباً لذلك.

بعد عدة انعطافات، توقف أكوس عن التعرق وأخذ يرتجف. لقد بدت

المداخل كلها متشابهة: أرضيات حجرية غير متساوية، وجدران حجرية مغبرة، وسقف حجري منخفض. وكلما نزلوا إلى الأسفل، كان على أكوس أن ينحني كي لا يخدش رأسه. زالت رائحة القمامة لكن عادت رائحة العفن بقوة لتخنقه. تذكّر كيف كان يحدق إلى جانب رأس إيجيه بينما كان أخوه يجره عبر هذه الممرات. ولاحظ أنّ إيجيه قد قصّ شعره بشكل قصير مثل رايزك تماماً.

قالت سايرا في الليلة الماضية، لا أستطيع أن أشاهدك تدمر نفسك من أجل شخص لا يريد أن يُنقذ. لقد أظهر لها إلى أي حد وصل جنونه، وهي رفضت مجاراته. كان من الصعب عليه البقاء غاضباً منها، إلا أنه فعل، فقد كان يجب عليه ذلك.

لم يبدُ الباب أمامهم ملائماً بهيكله الخشبي والحجري. كان مصنوعاً من الزجاج الأسود غير الشفاف وآلية قفله إلى جانبه، لوحة مفاتيح. لقد أعطتهم سايرا قائمة من خيارات الرموز -جميعها كما قالت، لها علاقة بأمها بطريقة ما. يوم ميلادها، ويوم موتها، وذكرى زواجها، وأرقامها المحظوظة. ولايزال أكوس غير قادر على رؤية رايزك كشخص كان يهتم بأمه بما يكفي ليقفل أبوابه بتاريخ ميلادها.

لكن بدلاً من تجربة واحد من الرموز، بدأت تيكا بفك غطاء لوحة المفاتيح. كان مفك براغيها دقيقاً مثل إبرة، ومصقولاً ونظيفاً. كانت تحركه مثل إصبع سادس. فأخرجت الغطاء من اللوحة ووضعته أرضاً، ثم ثنت أحد الأسلاك، وعيناها مغمضتان.

«أمم .... تيكا؟». كان هناك وقع أقدام آتٍ من ورائهم في مكان ما.

ردّت بعنف: «اصمت» وهي تثني سلكاً مختلفاً ثم ابتسمت قليلاً وقالت: «آه»، كان من الواضح أنها لا تتكلم معهم. «لقد فهمت، حسناً إذاً، تعال...».

انطفأت جميع الأضواء باستثناء أضواء الطوارئ الموجودة في الأعلى، التي كانت تشع عليهم من الزاوية، بشكل براق لدرجة أنها تركت بقعاً على جفون أكوس. فُتح الباب، مُظهراً الأرضية الزجاجية التي تذكرها أكوس من أسوأ

ذكرياته: أخوه يجبره على الركوع أمام سايرا نوفاك. توهجت أضواء الطوارئ الشاحبة في أرضية مدخل السجن، وقسمته إلى شبكات.

ركضت إيساي عبر المدخل ووصلت إلى وسط الممر، وهي تنظر يميناً وشمالاً في كل مرة تصل إلى زنزانة جديدة. مضى أكوس خلفها وهو يمسح المكان بعينيه، لكنه يشعر بانفصال عنه في الوقت نفسه. كانت إيساي تركض إلى الخلف الآن، وقد علم ماذا ستقول قبل أن تقوله.

بطريقة ما شعر أنه عرف ذلك منذ البداية، منذ أن شاهد أمه تقلب الزر بين أصابعها، منذ أن أدرك كم من السهل على سيفا التلاعب بهم في المستقبل الذي تريده، مهما كان الثمن.

قالت إيساي: «إنها ليست هنا». منذ أن عرفها، كانت المتحكمة على الدوام، ولم تنكسر حتى عندما اكتشفت أنّ أوري قد اختُطفت. لم تتزحزح أبداً، ولا حتى مرة واحدة. والآن كانت على وشك الصراخ، كانت مسعورة. «إنها ليست هنا، أوري ليست هنا!».

رمش عينيه ببطء وكأنّ كل الهواء من حول رأسه تحوّل إلى سراب. كانت كل الزنازين فارغة، لقد اختفت أوري.

الفصل الخامس والثلاثون سايرا

بعد فتح الأبواب الثنائية المؤدية إلى المدرج، عرفتُ أن الوقت قد حان لأتحرك. فنظرتُ إلى أكوس مرة أخيرة، وانتبهتُ إلى البقعة الحمراء في طرف أصابعه جراء تحضير مزيج أزهار هشفلور في الليلة الماضية. والخط الأبيض على طول فكّه حيث جُرح، والتواصل الطبيعي بين حاجبيه مما منحه مظهراً قلقاً على الدوام. ثم تسلّلتُ بين شخصين واقفين أمامي وخطوت نحو مجموعة الجنود الذين كانوا على وشك تلقي تكريمهم من أخي.

وبحلول الوقت الذي انتبه إلَي أحدهم وأنا أمشي بينهم، كنا داخل النفق الشاسع باتجاه أرض المدرج. لكني كنتُ قد استللت سكيني التيارية ولذا لم أكن مهتمة.

انتفض واحد من الجنود وقال: «مهلاً! ليس من المفترض بك أن...»، فأمسكتُ به من مرفقه وقرّبته مني واضعةً رأس السكين أسفل درعه وفوق وركه مباشرةً. ثم ضغطتُ بما يكفي ليشعر بها.

قلتُ له بصوت مرتفع كفاية كي يسمع الآخرون: «دعوني أدخل، وسوف أُطلق سراحه حالما نصبح في الداخل».

سأل أحدهم وهو يميل نحوي كي يرى وجهي: «هل هذه ...؟».

لم أُجب، وأبقيتُ يدي على درعه وليس جلده ثم دفعتُ بالجندي المأسور لديّ نحو نهاية النفق. لم يتحرّك أي من الآخرين لمساعدته وأنا أعزو هذا الأمر لسمعتي وحبال الظلال الملفوفة حالياً حول عنقي ومعصميّ.

أغمضتُ عينيّ قليلاً وسط الضوء المتوهج في نهاية الممر فملأ هدير الحشد الضخم أذنيّ، ثم أُغلقت الأبواب الضخمة وأُقفلتْ من خلفي تاركةً الرهينة وأنا لوحدنا في أرض الحلبة. بقي الجنود الآخرون في الخلف. كان حقل القوة يئز فوقنا، وبدت رائحته حامضة مثل الفاكهة المالحة ومألوفة مثل الغبار الذي يرتفع في الهواء عند كل خطوة أخطوها.

لقد نزفتُ دمي هنا، وجعلتُ آخرين ينزفون دمهم هنا.

كان رايزك على منصة عريضة، ويحوم ميكروفون حول رأسه. كان فمه مفتوحاً وكأنه جاهز للتحدث، لكن الآن كل ما بإمكانه فعله هو التحديق إليّ.

دفعتُ رهينتي جانباً وأغمدتُ سكيني التيارية وأنزلتُ غطاء الرأس الذي يخفي وجهي.

استغرق رايزك لحظة كي يرسم على وجهه ابتسامة مخادعة ثم قال: «حسناً، انظروا إلى هذا، هل عادت سايرا نوفاك بهذه السرعة؟ هل افتقدتنا؟ أو هكذا ينتحر الشوتيتي الذي أُلحق به العار؟».

ضحك الجمهور. كان المدرج مليئاً بأنصاره الأكثر ولاءً، والأكثر صحةً وثراءً، الذين يحصلون على أفضل طعام في شوتيت. فهم يضحكون على أي شيء يشبه الدعابة.

طاف أحد مكبرات الصوت – يتم التحكم به عن بعد من قبل أحد ما في المدرج – فوق رأسي كي يتم سماع ردّي. راقبته وهو يرتفع وينخفض مثل طائر السنونو. لم يكن عندي كثير من الوقت قبل أن يرسل أحدهم ليُمسك بي، كان ينبغي عليّ أن أكون صريحة في كلامي.

نزعتُ قفازي كل واحد بدوره وفككتُ أزرار العباءة الثقيلة التي جعلتني أتعرّق. كنتُ أرتدي درعي تحتها، وذراعيّ عاريتان، وهناك طبقة ماكياج –

وضعتها تيكا لي ذلك الصباح - تُخفي الكدمات التي على وجهي، ما جعلها تبدو وكأني شُفيتُ بين عشية وضحاها. فظهر الجلد الفضي على عنقي ورأسي، الذي تسبب لي بالحكاك بشدة الآن بما أنه مخيط مع فروة رأسي.

كنتُ تحت تأثير المُهدّئ الذي أعدّه لي أكوس، لكنه الأدرينالين هو ما جعلني منفصلة عن أي ألم الآن.

قلتُ: «أنا هنا لأتحداك في الحلبة».

ضحك بعض الجمهور، فهم لم يتوقعوا أن أقول ما قلته، وبالتأكيد لم يكن رايزك بين الضاحكين.

أخيراً قال رايزك: «لم أعرف أبداً أنك تُبالغين في تصرفاتك إلى هذا الحد». كان وجهه متعرقاً، فمسح شفته العليا بظاهر يده، «فتدخلين إلى هنا مع رهينة كي تتحدي أخاك ... حسناً، أعتقد أنكِ قاسية بقدر ما نتوقعه منكِ».

قلتُ: «ليس هناك أقسى من أن تتسبّب بضرب أختكِ حتى الموت وتُسجّل ذلك كي يستطيع الجميع مشاهدته».

قال رايزك: «أنتِ لستِ أختي، أنتِ قاتلة أمي».

قلتُ بانفعال: «إذاً تعالَ هنا وخذ بثأرها».

عمت التمتمات المدرج وعاد الضجيج إليه مثل سكب الماء داخل كأس.

قال رايزك: «أنتِ لا تُنكرين قتلكِ لها؟».

لم أكن أتمكن حتى من إنكار ذلك، حتى بعد مُضي كل هذا الوقت، فقد كانت الذاكرة مُغلقة بالنسبة إليّ. كنتُ أصرخ عليها في ذلك الوقت، وأنا غاضبة. «أنا لا أريد الذهاب إلى طبيب آخر! لا أريد!». فأمسكتُ بذراعها ودفعتُ الألم نحوها مثل طفل يرمي بطبق طعام لا يريده، لكني ضغطتُ بقوة كبيرة، فسقطت عند قدمي. أكثر ما أتذكره هو يديها، المطويتان على بطنها. كانت بالغة الأناقة، وبالغة الروعة، حتى في الموت.

قلتُ له: «أنا لستُ هنا لأتبادل الاتهامات معك، أنا هنا كي أفعل ما كان يجب أن أفعله منذ عدة مواسم. تعال وقاتلني في الحلبة». سحبتُ سكيني من

جانبي وأمسكتُ بها: «وقبل أن تُخبرني أني لا أملك المكانة التي تُخوّلني لمثل هذا التحدي، دعني أوضح لك كم هذا ملائم».

بدا فكّ رايزك ثابتاً ومتصلباً، لقد فقد أحد أسنانه عندما كنا صغيرين لأنه كان يطحنها أثناء نومه، فتكسّر السن من شدة الضغط وتمّت تغطيته بمعدن. كنتُ أراه يلمع أحياناً عندما يتكلم، إنه تذكير بالضغط الذي خلق الرجل الواقف أمامي.

تابعتُ كلامي: «لقد نزعت عني مرتبتي الاجتماعية كي لا يستطيع أحد رؤية أني أقوى منك، والآن أنت تختبئ وراء عرشك مثل طفل جبان، وتسمي ذلك قانوناً». أملتُ رأسي: «لكن لا أحد يستطيع نسيان قدرك تماماً، هل بإمكانهم؟ الهزيمة على يد عائلة بينيسيت؟». ابتسمتُ وتابعت: «إنّ رفضك لمبارزتي سيؤكد شكوك الجميع بشأن ضعفك».

سمعتُ همساتٍ منخفضة بين الجمهور، إذ لم يُعلن أحد قدر رايزك بهذه الجرأة وبهذه العلنية، دون أن يعاني من العواقب. وآخر من حاول ذلك كان أم تيكا من خلال شبكة الاتصال الداخلية في سفينة الإقامة المؤقتة، وهي الآن ميتة. تحرّك الجنود المرابطون قرب الأبواب مُنتظرين صدور الأمر بقتلي، لكنه لم يصدر.

كل ما حدث كان ابتسامة رايزك التي أظهرت أسنانه. لم تكن ابتسامة شخص يراوغ.

قال: «حسناً، يا سايرا الصغيرة، سوف أُبارزكِ، بما أنّ هذا يبدو هو التصرف الوحيد المعقول بالنسبة إليك».

لم يكن باستطاعتي تركه يربكني، لكنه كان يبلي بلاءً حسناً. لقد أصابتني الابتسامة بالقشعريرة، وجعلت الظلال التيارية التي تُشكّل زينتي الأبدية، تتسابق حول ذراعيّ وعنقي. إنها دائماً أكثف وأسرع عندما يحفزها أخي بصوته.

قال: «نعم، سأعدم هذه الخائنة بنفسي، أفسحوا لي الطريق».

كنتُ أعرف ابتسامته وما تخفيه، فلديه خطة، لكن آمل أنّ خطتي كانت أفضل.

نزل رايزك إلى أرض الحلبة ببطء وكياسة، ومشى في الطريق الذي أفسحه الجمهور له، ثم توقف عند الحاجز كي يتمكن أحد الخدم من تفحص أحزمة درعه وحدّة سكاكينه التيارية.

في قتال نزيه، قد أهزم رايزك خلال دقائق. لقد علّم أبي رايزك فن القساوة وعلّمته أمي المكر السياسي، لكن الجميع تركوني وحيدة لدراساتي الخاصة. لقد جعلتني عزلتي أتفوق عليه في القتال، ورايزك يعرف ذلك، ولذا لن يجعل هذا قتالاً نزيهاً. وهذا يعني أني لم أكن أعرف ما هو السلاح الذي يحمله حقيقةً.

كان يأخذ وقته في النزول إلى الحلبة ما يعني أنه ينتظر شيئاً ما على الأغلب، فمن الواضح أنه لم يكن يعتزم مبارزتي، تماماً مثل ما لم أكن أعتزم قتله.

إن كانت الخطة تجري وفقاً لما هو مرسوم، وقامت إيما بدسّ محتويات القارورة في التونيك المهدئ الذي يشربه مع فطوره، يجب أن تكون الأزهار الجليدية تسبح في جسده. لن يكون التوقيت دقيقاً، فهذا يعتمد على الشخص. يجب أن أكون مستعدة لجرعة الدواء كي تُفاجئني، أو أفشل بشكل تام.

قلتُ له على أمل أنّ مناداتي له قد تجعله أسرع: «أنتَ تتلكأ، ما الذي تنتظره؟».

قال رايزك وهو يطأ أرض الحلبة: «أنا في انتظار السكين المناسبة». تطاير الغبار حول قدميه، وحرّك ساعده الأيسر إلى الأعلى كاشفاً عن علامات القتل الخاصة به. لم يكن هناك مكان في ذراعه، فقد بدأ بصف ثانٍ بجانب الأول، قرب مرفقه. لقد نسب كلّ موت أمر به إلى نفسه، حتى لو أنه لم يُحدث الموت بذاته.

سحب رايزك سكينه التيارية ببطء، وعندما رفع ذراعه، انفجر الجمهور بالهتافات من حولنا. لقد شوّش هديرهم أفكاري، فلم أستطع التنفس.

لم يكن يبدو شاحباً ومشتتاً وكأنه تناول سماً حقاً، فقد بدا أكثر تركيزاً من أي وقت آخر. أردتُ أن أركض نحوه والنصل ممدود مثل سهم أُطلق من قوس، ومثل سفينة نقل تخترق الغلاف الجوي، لكن لم أفعل، وهو لم يفعل ذلك أيضاً. لقد وقفنا كلانا في الحلبة ننتظر.

قال رايزك: «ما الذي تنتظرينه يا أختي؟ هل خانتك الشجاعة؟».

قلتُ له: «كلا، أنا بانتظار أن يأخذ السم الذي تناولته هذا الصباح مفعوله».

كان هناك حشرجة تهز الجمهور، ولمرة – للمرة الأولى – بدا وجه رايزك مسترخياً جراء الصدمة. أخيراً فاجأته بحق.

قلتُ له: «لقد أخبرتني طوال حياتي أني لا أملك شيئاً لأقدمه سوى القوة التي تعيش في جسدي، لكني لستُ أداة تعذيب وإعدام، فأنا الإنسانة الوحيدة التي تعرف رايزك نوفاك الحقيقي». تقدمتُ منه وتابعت كلامي: «أنا أعلم كم تخشى الألم أكثر من أي شيء آخر في العالم، وأنا أعلم أنك جمعت أولئك الناس اليوم ليس من أجل الاحتفال ببحث ناجح عن الأشياء المفيدة، بل من أجل مشاهدة قتل أوريف بينيسيت».

أغمدتُ سكيني ورفعتُ يديّ بعيداً عن خاصرتيّ كي يرى الجمهور أنهما فارغتان ثم تابعتُ: «وأكثر شيء أعرفه يا رايزك، أنك لا تستطيع تحمّل قتل أحدهم ما لم تُخدّر نفسك أولاً، ولهذا السبب سمّمتُ التونيك المهدئ خاصتك هذا الصباح».

لمس رايزك بطنه وكأنَّ باستطاعته الشعور بزهرة الهشفلور تأكل أحشاءه من خلال درعه.

قلتُ له: «لقد أخطأتَ بتقييمي فقط على أساس هبتي التيارية ومهارتي في استخدام السكين».

ولمرة، صدّقت ذلك.

الفصل السادس والثلاثون | أكوس

كان الهواء في السجن الموجود تحت الأرض بارداً، لكنّ أكوس كان يعلم أنّ ذلك لم يكن السبب لارتجاف إيساي وهي تقول: «قالت أمك إنّ أوري سوف تكون هنا».

قالت سيسي بنعومة: «لا بدّ من وجود خطأ ما، شيء لم تره...»

كان أكوس متأكداً تماماً من عدم وجود خطأ، لكنه لم يكن على وشك مشاركة هذه المعلومة الآن. يجب عليهم أن يجدوا أوري، وفي حال لم تكن في السجن فيجب أن تكون في مكان قريب من المدرج. ربما فوقهم، في الحلبة، أو على المنصة حيث يقوم رايزك بتقطيع أوصال أخته.

قال مذهولاً وبصوت قوي: «نحن نهدر الوقت، يجب أن نصعد إلى الأعلى ونجدها الآن».

أخذتْ إيساي نفساً عميقاً وتوجهت نحو الباب، حيث تحوّل وقع الأقدام البعيد منذ عدة لحظات إلى شكل فاس كوزار المُهدِّد.

قال فاس وهو ينظر إلى إيساي بسخرية: «سوروكتا، كيرسيث، آه–بينيسيت، ينبغي القول أنكِ لستِ جميلة بقدر أختكِ التوأم. هل هذه الندبة من نصل شوتيتي؟».

قالت تيكا وهي تحدّق بـإيساي: «بينيسيت؟ مثل ...».
أومأت إيساي برأسها.
تراجعت سيسي خلف أحد جدران الزنازين، ويداها مبسوطتان على الزجاج، فتساءل أكوس إذا كانت أخته تشعر أنها تقف في غرفة معيشتهم مرة أخرى وهي تشاهد فاس كوزار يقتل أباهم. هذا ما شعر به في المرات الأولى التي شاهد فيها فاس بعد الاختطاف، وكأنّ كل شيء ينكشف داخله مرة واحدة. لكن هذا الشعور غادره الآن.
كان فاس خالي التعبير كالعادة، كان من المخيب اكتشاف أنّ فاس خالٍ تماماً من الحنان، مخدّر من الداخل والخارج. كان من السهل التفكير به كشر مطلق، لكنّ الحقيقة، هي أنه حيوان أليف يفعل ما يطلبه سيده منه.
طفتْ ذكرى موت والد أكوس على السطح: جلده المُمزّق، والسكين المليئة بالدم التي مسحها فاس ببنطاله وهو يغادر المنزل. الرجل ذو الدرع الشوتيتي المصقول والعينين البنيتين الذهبيتين اللتين لم تكونا تشعران بالألم. ما لم... ما لم. ما لم يلمسه أكوس.
لم يهتم للحديث بشكل منطقي مع فاس، وكأنّ ذلك مضيعة للوقت. مشى أكوس باتجاهه، بدتْ عينا أكوس أكثر برودة رغم أنهما بدرجة من درجات اللون العسلي جراء الضوء القادم من تحته.
أراد أكوس أن يركض أو على الأقل يحتفظ بمسافة بينهما، لكنه أجبر نفسه على تحمّل ذلك المكان. إنه يتنفس بفم مفتوح وأنف مفتوح، ومع ذلك لا يتنفس بشكل كافٍ أبداً.
اندفع فاس، وترك أكوس نفسه يكون فريسة، ثم قفز بعيداً لكن ليس بسرعة كافية، فقد كشطت سكين فاس على درعه، وجفل أكوس جراء الصوت، فالتفت مرة أخرى ليواجهه.
سوف يدع فاس يحظى ببعض المساعدة، ويدعه يشعر بالغرور. فالغرور يعني الطيش، والطيش يعني أنّ أكوس ربما يعيش.

بدتْ عينا فاس مثل معدن، وذراعاه مثل حبل مجدول. فاندفع مرة أخرى، لكن بدلاً من محاولة طعن أكوس، أمسك بذراعه وضربه بشده على جدار الزنزانة. فرجع رأس أكوس للخلف وارتطم بالزجاج. لقد رأى انفجار الألوان وتوهج الأرض على السقف المسطح. كانت ذراع فاس تُطبق عليه بصرامة.

أمسك أكوس بقبضته قبل أن يتمكن من طعنه مرة أخرى وضغط على الذراع التي تمسك السكين بكل ما أوتي من قوة، فتوسعت عينا فاس من هول المفاجأة بلمسته وربما من الألم. حاول أكوس ضرب أنف فاس بجبينه، لكنه رمى أكوس جانباً وحسب.

سقط أكوس، وشاهد تيكا تجر إيساي وسيسي بعيداً. شعر بالارتياح رغم أنّ دمه أو عرقه كان يدغدغ مؤخرة رأسه، فلم يكن واثقاً أي منهما الذي يدغدغه. وكان رأسه ينبض جراء الاصطدام بالجدار. لقد كان فاس قوياً، وهو لم يكن كذلك.

لعق فاس شفتيه وهو يتوجه نحو أكوس مرة أخرى، فرفس وضرب خاصرة أكوس المُدرعة. هذه المرة وجه مقدمة حذائه نحو فكّ أكوس، فتمدّد على ظهره وغطى وجهه بيديه وأخذ يتأوه. لقد جعله الألم لا يقوى على التفكير ولا يقوى حتى على التنفس.

ضحك فاس، وانحنى فوق أكوس ممسكاً بمقدمة درعه ورفعه قليلاً عن الأرض. كان رذاذ لعابه يضرب وجه أكوس عندما يتكلم.

«بلّغ تحياتي لأبيك».

أدرك أكوس أنّ هذه هي فرصته الأخيرة، فوضع يده على عنق فاس، لم يكن يمسكها، بل يلمسها فقط، وهو أفضل ما يمكنه فعله. نظر إليه فاس بذهول كما في المرة الماضية، تلك النظرة المؤلمة. كان محنياً وهناك جزء من الجلد ظاهر تحت درعه، مباشرةً فوق حزام بنطاله. وبينما كان أكوس يلمسه –مجبراً إياه على الإحساس بالألم – استل السكين التي يحتفظ بها بجانب حذائه وطعن أحشاء فاس بيده اليسرى، فوق الدرع وتحتها.

جحظت عينا فاس، حتى أنّ أكوس رأى البياض حول حدقتي عينيه البراقتين، ثم صرخ. صرخ، وذرف الدموع. كان دمه ساخناً على يد أكوس، كانا محبوسين معاً، سكين أكوس في لحمه، ويداه على كتفيَ أكوس، فتلاقت أعينهما. وسقطا معاً على الأرض، فنشج فاس بشدة.

فكّر بززَ والده الذي كان بيد أمه، ولمعانه الذي بهت بسبب أصابعه، ثم أخرج سكينه من جسد فاس.

لقد حلم بقتل فاس كوزار مرات كثيرة. رغم أنه في أحلامه كان يقف فوق الجسد ويرفع سكينه نحو السماء ويدع الدم يقطر من ذراعه وكأنه كان جزءاً من السكين التيارية نفسها. لقد شعر بالنصر والانتقام في أحلامه، وكأنه استطاع أن يطلق سراح أبيه أخيراً.

بدا جسد فاس صغيراً جداً وهو ميت الآن. كانت عيناه لا تزالان نصف مفتوحتين، وكذلك فمه، إذ تمكّن أكوس من رؤية أسنانه المعوجّة، وكاد يتقيأ من هول المنظر.

قال في نفسه، أوري. فتعثّر في مشيته نحو الباب وبدأ بالركض.

الفصل السابع والثلاثون | سايرا

أبعد رايزك يده عن بطنه. كان جبينه مُنقّطاً بحبيبات العرق عند بداية شعره تماماً، وعيناه الشرستان في العادة، تائهتان. لكنه حينذاك زمّ شفتيه للأسفل بعبوس هش ... بصورة غير متوقعة.

«أنتِ من ارتكب خطأً»، قالها بصوت أعلى وأرقّ مما سمعته منه على الإطلاق. كان صوتاً مُميّزاً وبارزاً: صوت إيجيه. كيف يمكن لرايزك وإيجيه أن يعيشا في الجسد نفسه، ويظهرا في أزمنة مختلفة؟ «بليّ ذراعه».

ذراعه؟

تغيّر صوت الجمهور من حولنا، فلم يعد هناك أحد ينظر إلى رايزك بعد الآن، وكل الرؤوس كانت متوجهة نحو المنصة التي نزل منها لتوه، حيث يقف إيجيه كيرسيث لوحده الآن مع امرأة أمامه وهناك سكين على عنقها.

لقد عرفتُها، ليس فقط من خلال لقطات الاختطاف المُصوّرة التي كانت تُعرض على الشاشات في كل أنحاء المدينة في اليوم الذي قُبض عليها فيه، بل من اليوم الماضي، لدى مشاهدة إيساي بينيسيت تتكلم وتضحك وتأكل. كانت هذه شبيهتها، أوريف بينيسيت، بوجهها الذي ليس فيه ندوب.

قال رايزك وهو يضحك وقد عاد إليه صوته الطبيعي: «آه نعم، هذه هي

السكين التي كنتُ بانتظارها، سايرا، أودّ منكِ أن تتعرفي إلى أوريف بينيسيت، مستشارة ثوفية».

كان عنقها بنفسجيّ اللون جراء الكدمات وهناك جرح عميق على جبهتها، لكن عندما التقتْ أعيننا عبر هذه المسافة الكبيرة، لم تبدُ مثل شخص خائف على حياته، بدتْ مثل شخص يعرف ما ينتظره وهو عازم على لقائه بشموخ.

هل كان رايزك يعلم أنها ليست المستشارة في واقع الأمر؟ أو هل أقنعته أنها كذلك؟ في كلتا الحالتين، كان الأوان قد فات.

قلتُ بلغة ثوفية: «أوري، إنها تحاول القدوم لمساعدتكِ». لم أعرف إذا سمعتني، فقد كانت ساكنة تماماً.

قال رايزك: «إنّ ثوفية ملعب لـلشوتيت فقط وكان من السهل اختراقها، وقد تمّ أسر مستشارتها بلا عناء من قِبل خدمي المخلصين، وقريباً، لن تكون مستشارتها هي الشيء الوحيد الذي نأخذه منها، فسوف نطالب بهذا الكوكب ليكون لنا!».

كان يجمع مناصريه، فهدير أصواتهم يصمّ الآذان ووجوههم مليئة بالغبطة. لقد تسبب الهوس بجعل الظلال التيارية تلتف حول جسدي وتشدّ عليه مثل حبال توثق أحد السجناء، فشعرتُ بالقشعريرة تسري في جسدي.

قال رايزك وهو يرفع رأسه أمام الجمهور: «ما رأيكم أيها الشوتيتيون؟ هل يجب أن تموت المستشارة على يد أحد رعاياها السابقين؟».

كانت أوري لاتزال تنظر إليّ ولم تنبس ببنت شفة رغم أنّ الميكروفون كان قريباً جداً من رأسها حتى أنه كاد يرتطم بإيجيه، ذلك الشخص الذي يحمل أهوال أخي في رأسه.

بدأت الترنيمة على الفور: «تموت!».

«تموت!».

«تموت!».

مدّ رايزك ذراعيه على وسعهما وكأنه كان يتمتّع بدفء الصوت، ثم التفت

ببطء، مستجدياً الكثير والكثير منه إلى أن بدا التعطش لموت أوري وكأنه شيء ملموس. ثم رفع يديه عالياً كي يُهدِّئهم وهو يبتسم ابتسامةً عريضة.

قال: «أعتقد أنّ سايرا هي التي سوف تحدد لحظة موتها». أخفض صوته قليلاً وأضاف: «إذا سقطتُ – إن لم تزوّديني بترياق من نوع ما – سوف تسقط هي أيضاً».

قلتُ بوهن: «ليس هناك من ترياق».

بإمكاني إنقاذها، بإمكاني إخبار رايزك بالحقيقة – الحقيقة التي لم أخبر أحداً بها، حتى أكوس، عندما توسّل إليّ كي أحفظ الأمل القليل الذي بقي لأخيه – وأؤخّر الإعدام، ففتحتُ فمي كي أرى إذا كانت الحقيقة سوف تخرج منه رغم شللي.

إذا أخبرتُ رايزك الحقيقة – إذا أنقذتُ حياة أوري – سوف نُحاصر جميعنا داخل هذا المدرج، ونُحاط ببحر من مناصري رايزك دون تحقيق أي نصر للمنشقين.

كان فمي جافاً فلم أستطع ابتلاع ريقي. لا، لقد فات الأوان على أوريف بينيسيت، فليس بإمكاني فعل ذلك، ليس بإمكاني إنقاذها دون التضحية بنا جميعاً، ومن ضمنهم مستشارة ثوفية الحقيقية.

تمايل رايزك، فخطوت إلى الأمام وسلاحي ممدود لألاقيه وهو يسقط.

بدا إيجيه كيرسيث من فوق – بشعره المجعد وعينيه الواسعتين وجسده النحيل – وهو يدفع السكين التيارية داخل أحشاء أوري بينيسيت.

ويلويها.

الفصل الثامن والثلاثون أكوس

بينما كانت أوري تنهار، سمع أكوس صرخة رهيبة. كان رايزك مطروحاً على جنبه إلى الأرض ويداه مكتوفتان أمام جسده ورأسه متدلٍّ على التراب. وقفت سايرا على قدميها والسكين في يدها. لقد فعلتها، لقد قتلت أخاها، وآخر أمل في استعادة إيجيه.

كانت إيساي تندفع عبر الجمهور بينما تحوّل كل شيء إلى فوضى تامة. كانت تخدش الناس بأظافرها وتكزّ على أسنانها محاولةً شقّ طريقها إلى المنصة. رفع أكوس جسده فوق حاجز الحلبة وقفز فوق التراب ثم تجاوز سايرا ورايزك إلى الحاجز الآخر ومن ثم إلى الجمهور مرة أخرى. كان الناس يرفسون ويضربون بمرافقهم ويضغطون لكنه لم يهتم لذلك.

من المنصة، أمسكتْ أوري بذراعي إيجيه لتتمكن من الوقوف. كان الدم يتطاير من شفتيها وهي تحاول التنفس. انحنى إيجيه فوقها ممسكاً بمرفقيها فسقطا معاً على الأرض. تغضّن حاجب أوري، وكان أكوس يراقب المنظر، فهو لم يشأ أن يقاطع.

قالت وقد وصل صوتها عبر الميكروفون المتأرجح: «وداعاً يا إيج».

انحنى أكوس واندفع بسرعة فائقة نحو الجمهور. كان هناك أطفال يصرخون

من مكان بعيد، وتأوهتْ إحدى النساء عندما داس عليها أحدهم. لم تستطع النهوض، ولذا كان الناس يمرون فوقها.

عندما وصلتْ إيساي إلى إيجيه وأوري، دفعتْ بأخي أكوس للخلف وهي تزأر، وخلال أقل من لحظة، كانت فوقه ويداها حول عنقه، ولم يبدُ أنه يتحرك، رغم أنها كانت تخنقه حتى الموت.

لم يتحركْ أكوس مباشرةً، لقد راقبها وهي تفعل ذلك فقط. لقد قتل إيجيه أوري، وربما يستحق الموت جراء ذلك.

قال أكوس بتذمّر: «إيساي، توقفي».

كانت أوري تمدّ يدها إلى أختها وأصابعها تندفع بقوة في الفراغ، وعندما رأت إيساي ذلك، تركتْ إيجيه وجثمتْ بجانب أختها. أمسكتْ أوري بيد أختها وضمّتها إلى صدرها وتلاقت أعينهما.

ابتسامة خافتة، ثم ماتت.

اندفع أكوس في طريقه نحو المنصة، حيث كانت إيساي محنيّة فوق جسد أوري، التي كانت ملابسها مبللة بالدماء. لم تبكِ إيساي أو تصرخ أو تهتز. ومن خلفها، كان إيجيه – سبب ما – لا يزال مستلقياً على الأرض وعيناه مغمضتان.

مرّ ظل من فوقهم، كانت سفينة المنشقين تتلألأ بأضواء برتقالية وصفراء وحمراء، قادمة لنجدتهم، يقودها جيو وسيفا.

كانت تيكا جاثمة فوق لوحة التحكم على يمين المنصة، تحاول فصل الشاشة عن الأجهزة الأخرى، لكنّ يدها كانت ترتجف وهي تُمسك بمفك البراغي. وفي النهاية، سحب أكوس سكينه وحشرها بين الشاشة وبقية الأجهزة ففصلهما. أومأت تيكا برأسها موافقةً وغرست أصابعها في الداخل كي تُعطّل حقل القوة.

ظهر وميض أبيض براق لدى فصل حقل القوة، ثم غاصت سفينة النقل داخل المدرج وحامت منخفضةً قدر الإمكان دون أن تُحطّم المقاعد، ففُتحت الكوة الأرضية من فوقهم وبرزت منها السلالم.

صرخ أكوس: «إيساي! يجب أن نذهب!».

نظرتْ إيساي إليه بنظرة تشبه السم ثم وضعت يديها تحت ذراعي أوري وحاولت جرّها نحو السفينة. ذهب أكوس نحو ساقي أوري للمساعدة، لكنّ إيساي قالت بعنف: «أبعد يديك عنها!» فتراجع للخلف. في غضون ذلك، وصلتْ سيسي إلى المنصة فلم تصرخ إيساي عليها، ومعاً حملا جثة أوري فوق السلالم وإلى داخل السفينة.

التفت أكوس إلى إيجيه الذي لم يتحركْ من حيث كان عندما دفعته إيساي. وعندما هزّ أكوس كتفيّ أخيه الأكبر، لم يتحرك، ولذا لمس أكوس أصابعه بعنق إيجيه كي يتأكد من أنه لايزال حياً، وقد كان كذلك، فنبضه قوي، وأنفاسه قوية.

صرختْ سايرا من أرض الحلبة: «أكوس!». كانت لاتزال بجانب جثة رايزك والسكين بيدها.

صرخ قائلاً: «اتركيها!». لماذا لا تتركين جثته للطيور التي تتغذى على الجيف وللموالين لعائلة نوفاك؟.

قالت سايرا بإلحاح وعيناها متوسعتان: «لا، لا أستطيع!».

رفعت السكين. لم يكن قد نظر إليه عن قرب، وكل ما رآه هو جثة رايزك وسايرا تقف فوقها بسكين مرفوع. لكن عندما أشارت للسكين، وجد النصل نظيفاً، فهي لم تطعن رايزك، لم تطعنه، إذاً لماذا سقط؟

تذكّر أكوس وجه سوزاو وهو يرتطم بحسائه في الكافتيريا، والحارس خارج باب المدرج وهو يتراخى، كان الأمر واضحاً: لقد قامت سايرا بتخدير رايزك.

رغم أنه يعرف أنّ سايرا كانت أكثر من كرباج رايزك، أو حتى جلاد رايزك - ورغم أنه رأى أفضل ما عندها، إذ إنها تُصبح أكثر قوة في أسوأ الظروف الممكنة، مثل زهرة هشفلور التي تتفتح في وقت التلاشي بطريقة ما، لم يُفكّر أبداً بهذا الاحتمال:

لقد قامت سايرا بالإبقاء على حياة رايزك، من أجله.

الفصل التاسع والثلاثون | سايرا

أُغلقت كوة سفينة المنشقين من خلفنا. لقد تفحّصتُ نبض رايزك قبل أن أفكّ الحبل عن صدره، كان ضعيفاً لكنه ثابت كما يفترض به أن يكون. ونظراً للوقت الذي سقط فيه وقوة مزيج النوم الذي أعده أكوس، سوف يمرّ بعض الوقت قبل أن يستيقظ. أنا لم أطعنه، رغم أني تحمّلتُ ألماً شديداً كي يبدو الأمر وكأني فعلت، في حال كان أحدهم يراقب عن قرب.

لقد اختفتْ إيما زيتسيفيس في الفوضى التي حدثت عقب التحدي، وتمنيتُ لو سنحت لي الفرصة لشكرها، لكنها لم تسمم رايزك من أجلي، فقد صدّقت أنّ ذلك سيقتله لأني جعلتها تصدق ذلك. لربما كرهتْ امتناني لها. وعندما تكتشف أني كذبتُ عليها، لربما تكرهني أكثر مما كرهتني من قبل.

كانت إيساي وسيسي جاثمتين إلى جانبي جثة أوري، وأكوس واقف خلف أخته. وعندما مدّت يدها للخلف كي تصل إليه، كان هو قد مدّ يده سلفاً إليها، فتشابكت أصابعهما، لقد أطلقتْ هبة أكوس دموع سيسي.

تمتمتْ سيسي وهي تغمر يديّ إيساي الملطختين بالدماء بيديها: «لعلّ التيار الذي يسري من خلالنا وحول كل واحد فينا، الأحياء منا والأموات، يُرشد أوري بينيسيت إلى مكان ملؤه السلام، ولعلنا نحن الأحياء، نسمع راحتها بوضوح،

ونكافح لنُلائم تصرفاتنا مع الطريق الذي يحدّده لنا».

كان شعر إيساي دبقاً ورطباً من اللعاب الملتصق بشفتيها، فقامت سيسي بإبعاده عن وجهها وثبّتته خلف أذنيها. لقد شعرتُ برقّة ومكانة هبة سيسي التيارية تعشش داخلي.

قالت إيساي في النهاية، وعلى ما يبدو أنها تُنهي الصلاة: «لعله كذلك». لم يتسنَّ لي سماع صلاة ثوفية من قبل رغم معرفتي أنهم يُخاطبون التيار ذاته بدلاً من سيده المزعوم، مثل بعض الطوائف الشوتيتية الصغيرة. كانت الصلوات الشوتيتية عبارة عن مجموعة من الأشياء اليقينية بدلاً من الطلبات، وأنا أحببتُ صدق عدم اليقين الثوفي، والاعتراف الضمني أنهم لا يعرفون إذا كانت صلواتهم سوف تُستجاب.

وقفتْ إيساي ويداها مسبلتان إلى جانبيها، كما تأرجحت السفينة مما سبّب اختلال توازننا جميعاً. لم أكن قلقة من أننا سنُلاحق عبر سموات فوا، فلم يبقَ هناك أحد ليُصدر الأمر بذلك.

قالت إيساي وهي تنظر إلى أكوس: «لقد كنتَ تعلم، كنتَ تعلم، أنّ رايزك غسل دماغه وأنه خطِر –» ثم نظرتْ إلى إيجيه الذي لايزال مستلقياً فاقد الوعي على الأرضية المعدنية وأضافت: «منذ البداية».

«لم أكن أعتقد أبداً أنه–» قالها أكوس بكلمات مخنوقة قليلاً، « كان يحبها مثل أختٍ له...».

طوت إيساي أصابعها على شكل قبضتين فبدت براجمها بيضاء اللون: «إياك أن تقول ذلك لي، لقد كانت أختي، وهي لا تنتمي له أو لك أو لأي أحد آخر!».

كنتُ مشتتة الذهن كثيراً بسبب حديثهما كي أمنع تيكا عن الركوع بجانب رايزك. فقد وضعت يدها على عنقه ومن ثم صدره ودسّتها تحت درعه.

قالت تيكا بصوت منخفض: «سايرا، لماذا هو على قيد الحياة؟».

التفت الجميع –إيساي وسيسي وأكوس –إلى تيكا وزال توترهم. نظرتْ إيساي إليّ، فتيبستُ في مكاني. كان ثمة شيء خطر في الطريقة التي تحرّكت

وتكلمت فيها، وكأنها مخلوق رابض ومستعد للهجوم.

قلتُ بقدر ما استطعتُ من الهدوء: «الأمل الأخير في استعادة إيجيه هو رايزك، لقد أبقيتُ على حياته في الوقت الحالي، وبعد أن يُعيد ذكريات إيجيه سأُمزق قلبه بنفسي بكل سعادة».

«إيجيه». ضحكتْ إيساي، ثم ضحكت مرة أخرى بجنون وهي تنظر إلى السقف: «المخدر الذي أعطيته إلى رايزك جعله ينام ... ومع ذلك اخترتِ عدم مشاركة هذه المعلومة معه بينما كانت حياة أختي في خطر؟».

تقدمتْ نحوي ساحقة أصابع رايزك تحت حذائها.

قالت بصوت منخفض وهادئ: «لقد فضّلتِ اختيار الأمل الضعيف في استعادة خائن على حياة أختِ المستشارة».

قلتُ: «لو أني أخبرتُ رايزك عن المخدر لكنا أصبحنا محاصرين داخل ذلك المدرج دون أمل في النجاة، ولكان قتل أختكِ على أية حال، لقد اخترتُ الطريق الذي يضمن بقاءنا أحياء».

مالت إيساي قريبة من وجهي وقالت: «هذا هراء، لقد اخترتِ أكوس، فلا تتظاهري أنّ ذلك يشكّل أي فارق عما هو الحال عليه».

أجبتُ بهدوء: «حسناً، كان الخيار بين أكوس وبينكِ، وأنا اخترته، ولستُ نادمة على ذلك».

لم يكن ذلك الحقيقة كلها، لكن من المؤكد أنه صحيح، فإذا كان الكره هو ما تسعى إليه، فسوف أجعل ذلك أسهل بالنسبة إليها. أنا معتادة على كوني مكروهة، ومن الثوفيين بصفة خاصة.

أومأت إيساي برأسها.

«إيساي ...» ابتدأت سيسي القول، لكنّ إيساي كانت قد ابتعدت. لقد اختفت في مطبخ السفينة وأغلقت الباب خلفها.

مسحتْ سيسي خديها بظاهر يدها.

قالت تيكا: «لا أستطيع تصديق ذلك، فاس ميت، ورايزك حي». «هل مات

فاس؟» نظرتُ إلى أكوس لكنه تجنّب عينيّ.

قالت تيكا وقد التفتتْ نحوي: «أعطني سبباً لعدم قتل رايزك في الحال يا نوفاك، وإذا كان ذلك السبب يتعلق بكيرسيث، سأضربك».

قلتُ بفتور دون النظر إليها: «إذا قتلتِه، لن تحظي بتعاوني في أية خطة مهما كانت، يقوم المنشقون بتحضيرها لاحقاً، وإذا ساعدتني في إبقائه حياً، سأساعدكِ في إخضاع شوتيت».

«صحيح؟ وما هي بالضبط المساعدة التي ستكونين عليها؟».

أجبتها بعنف أخيراً: «أوه، لا أعرف يا تيكا، فالبارحة كان المنشقون رابضين في منزل آمن في فوا بلا حول ولا قوة، أما الآن، وبسببي أنا، أنتِ تقفين فوق جسد رايزك نوفاك الفاقد للوعي وفوا خلفك تعمها الفوضى المطلقة. أظنّ أنّ ذلك يوحي بأنّ قدرتي على مساعدة قضية المنشقين جديرة بالاعتبار، ألا تعتقدين ذلك؟».

عضّتْ على باطن خدها للحظات قليلة ثم قالت: «هناك منطقة تخزين تحت سطح السفينة بباب كبير، وأنا سوف أرميه هناك كي لا يستيقظ أمامنا». لكنها هزّت رأسها وأضافت: «أتعلمين، لقد اندلعت حروب بسبب مشاكل أقل من هذه، فأنتِ لم تجعليها غاضبة وحسب، لقد أغضبتِ أمةً بأكملها».

قلتُ: «أنت تعلمين أنه لم يكن بوسعي عمل شيء من أجل أوري، حتى لو قتلتُ رايزك، لقد كُنّا محاصرين جميعاً».

تيكا متنهدة: «أعلم ذلك، لكني على ثقة تامة أنّ إيساي بينيسيت لا تصدّقه».

سيسي: «سأكلمها، وسأساعدها على معرفة الحقيقة، فهي حالياً تريد أناساً كي تلقي اللوم عليهم فقط».

خلعت السترة التي كانت ترتديها تاركةً ذراعيها عاريتين ومُقشعرّتين ثم لفّتها حول أوري، كما ساعدها أكوس في حشر الأطراف تحت كتفيّها ووركيها لإخفاء جرحها. قامت سيسي بلمس شعر أوري بأصابعها.

بعدها غادرا، سيسي إلى المطبخ وأكوس إلى المخزن، بخطوات متثاقلة ويدين مرتجفتين.

التفتُ نحو تيكا.

«دعينا نضع أخي في السجن».

قمتُ وتيكا بجر رايزك وإيجيه إلى غرفتي تخزين منفصلتين، واحداً تلو آخر. لقد استخدمتُ أكسير نوم أكثر من أجل تخدير إيجيه، فلم أكن واثقة من المشكلة التي كنت فيها – كان لايزال فاقداً للوعي ولا يستجيب – لكن في حال استيقظ مثل الشخص المُشوّه نفسه الذي قتل أوري بينيسيت، لم أكن مستعدة للتعامل مع هذا الوضع بعد.

عندئذٍ ذهبتُ إلى غرفة الملاحة حيث كانت سيفا كيرسيث تجلس على مقعد الربان ويداها على أجهزة التحكم. كان جيو بجانبها، يستخدم شاشته للاتصال بـجوريك الذي عاد إلى المنزل بعد سقوط رايزك، كي يجلب أمه. جلستُ في الكرسي الخالي بجانب أم أكوس. لقد كنا في مكان مرتفع فوق الغلاف الجوي، تقريباً فوق حاجز اللون الأزرق الذي يفصلنا عن الفضاء.

قلتُ: «إلى أين نحن ذاهبون؟».

قالت سيفا: «إلى داخل المدار إلى أن نضع خطة ما، فمن الواضح أننا لا نستطيع العودة إلى شوتيت، وليس من الآمن العودة إلى ثوفية بعد».

قلتُ لها: «هل تعرفين ما مشكلة إيجيه؟ فهو لايزال مشلولاً».

أجابت سيفا: «كلا، ليس بعد».

أغمضتْ عينيها. تساءلتُ إن كان المستقبل عبارة عن شيء تستطيع البحث فيه، مثل النجوم. فلبعض الناس قدرة السيطرة على هباتهم، وبعضهم الآخر خدم لها فقط. لم أتوقف أبداً عن التساؤل من قبل، في أي فئة تندرج كاهنة هيسا.

قلتُ بنعومة: «أظن أنك كنتِ تعلمين أننا سوف نفشل، لقد قلتِ لأكوس إنّ رؤاكِ متداخلة بعضها ببعض وإنّ أوري سوف تكون في الزنزانة في الوقت نفسه الذي يواجهني فيه رايزك في الحلبة. لكنك كنتِ تعرفين أنهما لن يكونا، أليس كذلك؟» صمتُ قليلاً ثم أضفتُ: «وقد علمتِ أنّه سوف يتوجب على أكوس مواجهة فاس. لقد أردتِ له أن لا يحظى بأي خيار سوى قتله، قتل الرجل الذي اغتال زوجك».

لمستْ سيفا خريطة الملاحة الآلية فانقلبت الألوان – أسود يُحدد مدى الفضاء الواسع، وأبيض يُحدد المسار الذي كنا نسير فيه – وأسندتْ ظهرها إلى الكرسي ويداها في حضنها. لقد اعتقدتُ في البداية أنها كانت تنتظر كي تجيبني، لكن عندما لم تقل شيئاً، أدركتُ أنّ لا نية لها بفعل ذلك. لم أضغط عليها. فأمي كانت صعبة المراس أيضاً، وأنا أعلم متى أستسلم.

لذلك تفاجأتُ قليلاً عندما بدأت بالكلام.

قالت: «كان يجب الانتقام لزوجي، يوماً ما سيدرك أكوس ذلك».

قلتُ: «كلا لن يفعل، سوف يرى فقط أنّ أمه ذاتها تلاعبتْ به ليفعل الشيء الذي يكرهه أكثر من أي شيء آخر».

قالت: «ربما».

كانت ظلمة السماء تلفّنا مثل كفن، فشعرتُ بهدوء أكثر وأنّ الفراغ يواسيني. لقد كانت هذه رحلة إقامة مؤقتة من نوع آخر، بعيداً عن الماضي، بدلاً من البعد عن المكان الذي من المفترض بي أن أدعوه وطناً. ومن هنا، كانت رؤية الحدود الفاصلة بين الشوتيتيين والثوفيين أكثر صعوبة، وأنا كدتُ أشعر بالأمان مرة أخرى.

قلتُ لها: «سأطمئن على أكوس».

قبل أن أتمكن من النهوض، وضعتْ يدها على ذراعي ومالت مقتربة مني إلى درجة أني تمكنتُ من رؤية الخطوط البنية الدقيقة في عينيها الداكنتين. لقد جفلتْ قليلاً جراء لمسي لكنها لم تبعد يدها.

قالت: «شكراً لكِ، أنا واثقة أنه لم يكن من السهل عليكِ اختيار الرأفة بابني على الانتقام من أخيكِ».

هززتُ كتفيّ وأنا غير مرتاحة فقلتُ: «لم يكن بإمكاني تحرير نفسي تماماً من كوابيسي عن طريق إحيائها عند أكوس، وعلاوةً على ذلك، أنا أستطيع التعامل مع بعض الكوابيس».

الفصل الأربعون | أكوس

بعد أن أخذ الشوتيتيون أكوس وإيجيه من منزلهما وسحباهما عبر الحد الفاصل، وبعد أن تمكّن أكوس من تحرير نفسه من قيد معصمه، وسرقة سكين كالميف راديكس وطعْنه بها، وبعد أن ضربوا أكوس ضرباً مبرحاً لدرجة أنه بالكاد استطاع المشي، أخذوا الأخوين كيرسيث إلى فوا لعرضهما على رايزك نوفاك. ومن المؤكد أنهما كانا على وشك الموت أو أكثر بعد مرورهما بالمنحدرات وعبر الشوارع المغبرّة والمُتعرّجة. فقد كان كل شيء شديد الصخب والازدحام وأبعد ما يكون عن الوطن.

عندما كانا يسيران داخل النفق القصير الذي يؤدي إلى البوابة الأمامية لقصر نوفاك، همس إيجيه قائلاً: «أنا خائف جداً».

لقد كان لموت أبيهما واختطافهما كبير الأثر عليه فتصدّع مثل البيضة، حتى أنه كان ينز، فعيناه كانتا دائماً مغرورقتين بالدموع. وحصل العكس لأكوس.

لا أحد كسر أكوس.

قال لإيجيه: «لقد وعدتُ أبي أني سوف أُخرجكَ من هنا، وهذا ما سأفعله، هل تفهم؟ ستخرج، وأنا أعدك بذلك الآن».

وضع ذراعه على كتفي أخيه الأكبر وشدّه بقوة إليه، وخرجا معاً.

هما الآن في الخارج، لكنهما لم يخرجا معاً، فقد توجّب على أكوس جزه.

كان المخزن صغيراً ورطباً، وفيه مغسلة وهذا كل ما كان يهتم له أكوس. تجرّد من ملابسه حتى خصره، وجعل المياه ساخنة بقدر ما يستطيع احتمالها ثم رغى الصابون الزيتي بين يديه ووضع رأسه تحت الصنبور، فانسابت المياه المالحة في فمه. وأطلق العنان لنفسه بينما قام بفرك ذراعيه ويديه وكشط الدم الجاف من تحت أظافره.

أجهش بالبكاء تحت تيار الماء وهو يشعر بالذعر والارتياح في الوقت نفسه. كان صوت رذاذ الماء يطغى على الأصوات الغريبة الآتية من فمه، وعضلاته المتألمة ترتجف تحت سخونة الماء.

لم يكن يقف منتصباً تماماً عندما كانت سايرا تنزل على السلالم، فقد كان مستنداً إلى طرف الحوض بإبطيه، وذراعاه حول رأسه. سمع صوتها وهي تناديه باسمه فأجبر نفسه على الوقوف، ورأى عينيها في المرآة المتصدعة فوق الصنبور. كان الماء ينساب على عنقه وظهره مبللاً أعلى سرواله، فأغلق صنبور الماء.

مدّتْ يدها إلى رأسها وسحبتْ شعرها إلى جانب واحد. كانت عيناها داكنتين مثل الفضاء، وبدتا حانيتين وهي تنظر إليه بإمعان، والظلال التيارية تطفو على ذراعيها، لكنّ حركتها كانت ضعيفة.

قالت: «أكوس؟».

فأومأ برأسه.

في تلك اللحظة، كان يحب الأشياء التي لم تقلها أكثر من الأشياء التي قالتها، فلم يكن هناك عبارات مثل «بئس المصير» أو «لقد فعلت ما يجب عليك فعله» أو حتى «سوف تكون الأمور بخير». لم تكن سايرا تتحمل قول مثل تلك الأشياء، فهي تميل إلى الحقيقة الأكثر صعوبةً وتأكيداً، مرة بعد أخرى، مثل امرأة مصممة على سحق عظامها، وهي تعلم أنها سوف تُشفى لتكون أكثر قوة.

كان كل ما قالته هو: «تعال، دعنا نجد لك بعض الملابس النظيفة».

بدتْ متعبة، شأنها شأن شخص أنهى يوم عمل طويلاً، وهذا أيضاً كان شيئاً

آخر يتعلق بشخصيتها؛ لأنّ حياتها كانت صعبةً لفترة طويلة جداً، فهي أكثر ثباتاً من أناس آخرين في مواجهة الأمور الصعبة، وربما أحياناً لا تواجهها بطريقة جيدة.

فتح سدادة المياه كي ينساب الماء المصبوغ باللون الأحمر في المصرف رويداً رويداً، ثم جفّف نفسه بالمنشفة التي بجانب المغسلة. وعندما التفتَ إليها، خرجت الظلال التيارية عن السيطرة وتراقصت على ذراعيها وصدرها. ارتجفتْ قليلاً، لكنّ الظلال كانت مختلفة الآن. إنها سايرا التي تترك مسافة بينها وبين الألم.

لحق بها وصعد السلّم مرة أخرى إلى القاعة الضيقة ومنها إلى حجرة التخزين. كانت مليئة بالقماش؛ ملاءات ومناشف، وفي الأسفل كان هناك ملابس إضافية. فارتدى قميصاً فضفاضاً وشعر بحال أفضل لارتدائه شيئاً نظيفاً.

في ذلك الوقت، كانت سايرا في طريقها إلى غرفة الملاحة، الخالية الآن حيث تم ضبط سفينة النقل للذهاب إلى المدار. كانت تيكا وأمه بجانب كوّة الخروج تلفان جثة أوري بملاءات بيضاء، وكان باب المطبخ لايزال مغلقاً، فأخته وإيساي في الداخل.

وقف بمحاذاة سايرا عند نافذة المراقبة، فهي دائماً تنجذب إلى مشاهد مثل تلك، كبيرة وفارغة. لم يكن بإمكانه تحمّلها، لكنه كان يحبّ وميض النجوم، وتوهج الكواكب البعيدة، واللون البنفسجي المُحمر الداكن للدفق التياري.

قالت بلغة ثوفية واضحة: «ثمة قصيدة شوتيتية أحبها». لقد سمعها تتكلم بضع كلمات ثوفية فقط طول الوقت الذي أمضياه معاً. وأن تتكلم بها الآن فهذا يعني شيئاً ما؛ كانا متساويين بطريقة لم يكن باستطاعتهما أن يكونا عليها من قبل، فقد كانت على وشك الموت كي يكونا كذلك.

قطب حاجبيه عندما فكر بالأمر. فما يفعله المرء عندما يعاني الألم يحكي الكثير عنه. وسايرا دائماً في حالة ألم، وكادت أن تضحي بحياتها من أجل تحريره من السجن الشوتيتي. هو لن ينسى ذلك أبداً.

تابعت كلامها: «الترجمة صعبة، لكن أحد الأبيات يقول ما معناه، (القلب المُثقل بالهموم يعلم بتحقق العدالة)».

قال لها: «لكنتكِ جيدة جداً».

لمستْ عنقها وقالت: «أحب الطريقة التي تجعلني الكلمات أشعر بها، فهي تذكّرني بك».

مدّ أكوس يده إلى اليد التي على عنقها وشبك أصابعه بأصابعها، فتبدّدت الظلال. تحوّلت بشرتها إلى لون بني باهت لكنّ عينيها كانتا يقظتين كما هما دائماً. لربما أمكنه تعلّم محبّة فراغ الفضاء الشاسع لو أنه اعتبره مثل عينيها الداكنتين والحانيتين.

كرّر قولها: «حُقّقت العدالة، أعتقد أنّ ذلك إحدى وجهات النظر».

قالت: «إنها وجهة نظري، ونظراً لتعابير وجهك، أفترض أنك اخترتَ طريق الذنب وكراهية الذات بدلاً من ذلك».

قال: «لقد أردتُ قتله، وأنا أكره رغبتي في فعل شيء كهذا».

هزّ كتفيه مرة أخرى وحدّق إلى يديه المشققتين من كثرة الضرب، مثلما كانت عليه يدا فاس.

انتظرتْ سايرا برهة من الوقت قبل أن تردّ عليه.

قالت: «من الصعب معرفة ما هو الشيء الصحيح في هذه الحياة، فنحن نفعل ما بوسعنا، لكن ما نريده حقاً هو الرأفة. أتعلم من علمني ذلك؟» ابتسمت وقالت: «أنت».

لم يكن واثقاً كيف علّمها الرأفة، لكنه كان يعلم كلفتها بالنسبة إليها. فالرأفة بإيجيه – والإبقاء على حياة رايزك في الوقت الحالي – كانت تعني أنّ عليها تحمّل أسوأ آلامها لفترة أطول، وكانت تعني مقايضة الانتصار أخيراً بغضب إيساي واشمئزاز المنشقين. لكنها لاتزال تبدو مرتاحة بما فعلتْ. لا أحد يعلم كيف يتحمّل كراهية الناس الآخرين مثل سايرا نوفاك، فهي أحياناً تشجّع على

هذه الكراهية، لكنّ ذلك لم يزعجه كثيراً، فهو يتفهمه. لقد كانت تعتقد حقاً أنّ الناس يكونون بحالة أفضل عندما يبقون بعيداً عنها.

قالت: «ماذا؟».

أجاب: «أنا أحبك، وأنت تعلمين».

«أنا أعلم».

ابتسم وقال: «كلا، أقصد أنا أحبكِ كما أنتِ، ولا أريدكِ أن تتغيّري، فأنا أبداً لم أفكر بكِ كوحش أو سلاح أو –ماذا دعوتِ نفسك؟ –صدئاً».

أمسكتْ كلمة مسمار في فمها. كانت أناملها باردة وحذرة وهي تمررها على ندوبه وكدماته، وكأنها تحاول استرجاعها.

وضع يديه عليها وتنهّد على بشرتها. لقد أصبحا أكثر جرأة، فالأصابع تشابكت مع بعضها، ثمّ تخلّلت الشعر ونزعت القمصان. لقد اكتشفا أماكن ناعمة لم يلمسها أحد من قبل أبداً، مثل الانحناء الذي في خصرها، ومثل الجزء الداخلي من فكّه. لقد التحم جسداهما مع بعض، عظم ورك على بطن، وركبة على فخذ ...

صرختْ تيكا من داخل السفينة: «مهلاً! أنتما الاثنان! هذا ليس مكاناً خاصاً».

ارتبكتْ سايرا وحملقت إلى تيكا.

لقد عرف كيف شعرتْ، كان يريد المزيد، كان يريد كل شيء.

الفصل الحادي والأربعون | سايرا

نزلتُ السلالم المؤدية إلى الجزء السفلي من سفينة المنشقين ومنه إلى المخزن، حيث سجن أخي في واحدة من غرف التخزين. كانت الأبواب مصنوعة من معدن صلب، لكن في كل واحد منها فتحة تهوية قرب السقف المنخفض كي يستطيع الهواء أن يتوزع عبر السفينة. اقتربتُ من غرفته ببطء وأنا أُمرِّر إصبعاً واحداً على طول الجدار الناعم. أومضت الأضواء فوق رأسي بينما كانت السفينة تهتز.

كانت فتحة التهوية على مستوى العين، ولذا بإمكاني رؤية ما في الداخل. لقد توقعتُ رؤية جسد رايزك مطروحاً على الأرض بجانب عبوات الأكسجين، لكنه لم يكن هناك. لم أره أبداً في البداية، فشهقتُ بعصبية وكنتُ على وشك الصراخ طلباً للمساعدة. لكن حينئذٍ، تقدّم إلى مستوى نظري.

كان باستطاعتي رؤية عينيه المشتتين لكن المليئتين بالاحتقار.

قال بتذمّر: «أنتِ أكثر جبناً مما ظننتُ».

أجبته: «من المثير التواجد في هذا الجانب من الجدار هذه المرة، كن حذراً، وإلا سأكون قاسيةً معك كما كنت قاسياً معي».

رفعتُ يدي وتركتُ التيار المفعم بالدخان يظهر جلياً حولها. كان هناك

لوالب من حلقات الظلام تلتف حول أصابعي. مررتُ يدي على طول فتحة التهوية بلطف وأنا أتعجّب من سهولة إيذائه هنا، حيث لا أحد ليوقفني.

قال رايزك: «من فعل ذلك؟ من سمّمني؟».

أجبته: «لقد قلتُ لك من قبل، لقد فعلتُ».

هزّ رايزك رأسه نافياً وقال: «كلا، لقد كنتُ أحتفظ بمزيج زهرة هشفلور في مكان مُقفل منذ محاولة الاغتيال الأولى التي شاركتي فيها». ابتسم ابتسامة خفيفة،، «وأقصد بـ «المكان المقفل»، قفلاً جينياً، يمكن الولوج إليه بدمِ نوفاك فقط». انتظر هنيهة ثم تابع: «قفلاً يعلم كلانا أنكِ كنتِ ولا تزالين غير قادرة على فتحه».

جفت فمي، فأمعنتُ النظر إليه من خلال المكان الضيق. بالطبع كان لديه لقطات مصورة عن محاولة الاغتيال الأولى، ولذا فقد رآني وأنا أحاول فتح قفل بابه دون أن أنجح. لكن لم يبدُ أنّ ذلك أدهشه.

قلتُ بهدوء: «ما الذي تقصده؟».

أجاب وهو يلفظ كل كلمة بشكل متعمّد: «أنتِ لا تتشاركين الدم معي، أنتِ لستِ من عائلة نوفاك. لماذا بدأتُ باستخدام تلك الأقفال برأيك؟ لأني أعرف أنّ شخصاً واحداً سيكون قادراً على الدخول عبرها: أنا».

في الحقيقة، لم أحاول تخطيها أبداً قبل محاولة الاغتيال، لأني كنتُ أحافظ على مسافة بعيداً عنه. وحتى لو حاولتُ، فأنا واثقة أنه سوف يحتفظ بكذبة مقنعة جاهزة لهذه المناسبة. كان دائماً مستعداً بشكل جيد للكذب.

قلتُ بحدة: «إذا لم أكن من عائلة نوفاك إذاً من أكون؟».

ضحك قائلاً: «كيف لي أن أعرف؟ أنا سعيد لتمكني من رؤية وجهك عندما أخبرتك. يا سايرا الانفعالية والمُتقلّبة. متى ستتعلمين التحكم بردود أفعالك؟».

بإمكاني أن أطلب منك الأمر نفسه. فابتساماتك تصبح أقل وأقل إقناعاً يا رايز».

«رايز»، ضحك مرة أخرى وقال: أنت تعتقدين أنك انتصرتِ، لكنكِ لم

تنتصري. فهناك أشياء صغيرة لم أُخبركِ بها علاوةً على النسب».

كان كل شيء في داخلي مُضطرب، لكني بقيتُ هادئةً قدر استطاعتي، وأنا أشاهد شفتيه تفتران بتلك الابتسامة، وعيناه تتغضنان عند زاويتيهما. بحثتُ في وجهه عن علامة دم مشترك فلم أجد أيّاً منها. لم نكن متشابهين، لكنّ ذلك لم يكن غريباً بحدّ ذاته؛ أحياناً، يرث الأشقاء من أبوين مختلفين ومن أقارب بعيدين، فيُعيدون إحياء جينات منسيّة منذ زمن طويل. إما أنه كان يخبرني الحقيقة أو أنه كان يتلاعب بعقلي، لكن في كلتا الحالتين، لن أمنحه متعة رؤيتي أتفاعل معه أكثر من ذلك.

قلتُ بصوت منخفض: «هذا اليأس لا يليق بك يا رايزك. إنه بذيء تقريباً».

مددتُ يدي للأعلى وأغلقت شفرات فتحة التهوية بأناملي.

لكن لايزال بإمكاني سماعه يقول: «والدنا ... «صمتَ قليلاً ثم صحّح قوله: «لازمت نوفاك لايزال على قيد الحياة».

الفصل الثاني والأربعون أكوس

نظر إلى السماء الداكنة خارج نافذة المراقبة. لقد ظهر جزء من ثوفية إلى جهة الشمال أبيض اللون جراء الثلج والغيوم. لا عجب أنّ الشوتيتيين أطلقوا عليه اسم أوريك الذي يعني فارغ. فمن هذا الارتفاع، كان فراغه هو الشيء الوحيد الذي يستحق الانتباه.

قدّمت له سيسي كوباً من الشاي بلون أخضر مصفر. إنه خليط من أجل قوة الإرادة. لم يكن بارعاً في إعداد ذلك المزيج، بما أنه أمضى معظم وقته يعمل على زهرة الهشفلور كي يجعل الناس ينامون ويُسكّن آلامهم. لم يكن طعمه جيداً —مر مثل جذع جديد قُطف باكراً —لكنه جعله أكثر ثباتاً كما يجدر به أن يفعل.

سألها: «كيف حال إيساي؟».

قطّبت سيسي جبينها وقالت: «إيساي هي ... أظنها استمعتْ إليّ إلى حدّ ما، لكن سنرى».

كان أكوس واثقاً من أنهم سوف يرون، وربما ليس ما يودون رؤيته. لقد رأى الكره في وجه إيساي وهي تنظر إلى سايرا قرب باب الكوة، وجثة أختها مستلقية خلفها. ولن يكون بمقدور حديث واحد مع سيسي إبعاد الكره بهذه البساطة، مهما كانت العلاقة حميمة بينهما.

قالت سيسي: «سأستمر بالمحاولة».

قالت الأم وهي تصعد الدرجات المعدنية المؤدية إلى غرفة الملاحة: «إنها الخصلة التي تميز أولادي، ربما يصفهم البعض بالمثابرين إلى حدود الوهم».

قالت ذلك وهي تبتسم. كان لديها طريقة غريبة في الإطراء إنها أمهم. تساءل إذا كانت تعتمد على مثابرته المُضلِّلة عندما دبّرتْ لهم الدخول إلى السجن بعد فوات الأوان. أو ربما أنها لم تعتمد في الحقيقة على مقاطعة إيجيه لمخططاتها ببعض مناوراته الكهنوتية من طرفه. لن يعرف أبداً.

سألها: «هل استيقظ إيجيه؟».

أجابت سيفا بتنهد: «نعم لقد استيقظ ولكنه لا يزال يحدق بعينين خاويتين. لا يبدو أنه يسمعني، ولا أعرف ما فعلتُه أوري به... حسناً».

فكّر أكوس بكليهما، إيجيه وأوري، وهما على المنصة معاً. الطريقة التي قالت بها وداعاً وكأنه كان هو الذي يرحل بدلاً منها. ثم فعل، تلاشى فقط لأنها لمسته، ما الذي كان بإمكان لمسة أوري فعله؟ لم يسألها أبداً.

قالت سيفا: «يجب علينا أن نمنحه الوقت، ونرى إن كنا نستطيع استخدام رايزك من أجل استعادته، وأظن أنّ لدى سايرا بضع أفكار بخصوص ذلك».

قالت سيسي بحزن: «أراهن أنّ لديها بعض الأفكار».

ارتشف أكوس من الشاي الذي أعدّته سيسي، وترك نفسه يشعر بشيء ما يشبه الراحة. لقد كان إيجيه خارج شوتيت، وسيسي وسيفا على قيد الحياة. هناك بعض الطمأنينة لمعرفة أنّ كل الرجال الذين غزوا منزلهم وقتلوا أباه قد ماتوا الآن. كانوا علامات على ذراعه. أو سيكونون، عندما يقوم بحفر علامة فاس.

دارت سفينتهم الصغيرة لتُظهر قليلاً من ثوفية وكثيراً من الفضاء الذي وراءه، المظلم كله سوى من لطخ النجوم وتوهّج أحد الكواكب البعيدة. إنه كوكب زولد، في حال تذكّر خرائطه بشكل صحيح، وهذا لم يكن مضموناً، فهو لم يكن طالباً مثالياً.

قطعت إيساي الصمت عندما خرجت أخيراً من المطبخ. لقد بدتْ أفضل

مما كانت عليه قبل ساعتين: فقد شدّت شعرها للخلف بإحكام، ووجدت قميصاً بدل سترتها المضرجة بالدم. كانت يداها نظيفتان، حتى تحت الأظافر. كتّفتْ ذراعيه ووقفت عند حافة منصة غرفة المراقبة.

قالت: «سيفا، أبعدينا عن المدار واضبطي الطيار الآلي للذهاب إلى مقر قيادة المجلس».

جلستْ سيفا على كرسي الربان وقالت: «لماذا نذهب إلى هناك؟».

ببرودة نظرت إليها إيساي وقالت: «لأنهم يريدون أن يروا بأمّ أعينهم أني على قيد الحياة، ولأنّه سوف يكون لديهم زنزانة بإمكانها حجز كل من رايزك وإيجيه إلى أن أقرّر ما سأفعله بهما».

«إيساي ...» بدأ أكوس بالكلام، لكن لم يكن هناك من شيء لم يقله من قبل.

تحوّلتْ إيساي إلى مستشارة كاملة فقالت: «لا تختبر صبري، ستجد أنّ له حدوداً. تلك المرأة التي لمستْ رأسه وأخبرته أنه ثوفي، رحلتْ الآن. «إيجيه مواطن ثوفي وسيُعامل على هذا الأساس، مثلكم. ما لم تُفضّل يا أكوس إعلان مواطنتك الشوتيتية وتُعامل مثلما تُعامل الآنسة نوفاك».

لم يكن مواطناً شوتيتياً، لكنه أذكى من أن يتشاجر معها. لقد كانت في حالة حزن.

قال: «لا، لا أُفضّل».

«جيد جداً، هل تم ضبط الطيار الآلي؟».

سحبتْ سيفا شاشة الملاحة التي امتلأتْ بحروف خضراء صغيرة أمامها، وأخذتْ تطبع الإحداثيات ثم أسندتْ ظهرها إلى كرسيها.

«نعم، سنصل في غضون ساعات».

قالت إيساي لأكوس: «ريثما نصل ستتأكد أنّ رايزك نوفاك وإيجيه هما تحت المراقبة، لستُ مهتمة لسماع أي شيء من أي منهما، هل تفهم؟».

أومأ برأسه.

«هذا جيد، سأكون في المطبخ، دعيني أعرف متى نبدأ بالاقتراب من هناك يا سيفا».

ودون انتظار إجابتها، ابتعدت مرة أخرى. وشعر بأن أرض السفينة تهتز من وقع خطواتها.

قالت أمه: «لقد رأيتُ حرباً في كل مستقبل، والتيار يقودنا إلى هناك، واللاعبون يتغيرون، لكن النتيجة هي نفسها».

أمسكت سيسي بيد أمها ثم بيد أكوس وقالت: «لكننا معاً الآن».

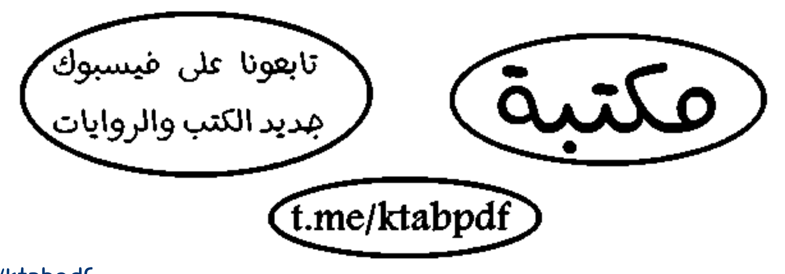
أفسحتْ نظرة سيفا المضطربة مكاناً لابتسامة وقالت: «نعم، نحن معاً الآن».

شعر بالثقة الآن. أراحتْ سيسي رأسها على كتف أكوس وابتسمت سيفا لهما. كاد يسمع العشب الريشي وهو يحفّ على نوافذ منزلهم. لكنه لا يزال غير قادر على الابتسام لها وحسب.

ابتعدت سفينة المنشقين عن ثوفية. ورأى في الأمام نبض التيار المُلبّد بالغيوم يصنع طريقاً عبر المجرة. إنه يربط كل الكواكب معاً، وبالرغم من أنه لا يبدو في حالة حركة، إلا أنّ الجميع يستطيعون الإحساس به وهو يُغني في دمهم. حتى أنّ الشوتيتيين يعتقدون أنه منحهم لغتهم، مثل نغم لا يعرفه غيرهم، ولديهم وجهة نظر، فهو بنفسه برهان على ذلك.

لكنه لايزال يستشعر – يسمع – الصمت فقط، بطريقة أخرى.

وضع ذراعه على كتفيّ سيسي فلمح علامات القتل لديه، ربما كانت علامات خسارة، كما قالت سايرا، لكن بوجوده هناك مع عائلته، أدرك شيئاً آخر؛ بإمكانك استرجاع الأشياء.



أُحفر العلامة

فيرونيكا روث

كثيراً ما نقرأ قصصاً وروايات تعجبنا ونستمتع بمطالعتها، غير أنّ تلك الروايات التي تجمع بين الخيال والواقع، وتحفر أثراً عميقاً في نفوسنا، وتترك فيها قيماً إنسانية نستمدّ منها العبر قليلة نسبياً. وفي رواية «احفر علامة»، تترك المؤلفة مجدداً بصمتها الفريدة والمميزة في الدمج بين المتعة والخيال والقيم الإنسانية بأسلوب مشوّق وسلس في آن واحد...

ففي رواية «احفر علامة»، يعيش الأبطال على كوكب ثوفية، ويتمتّع كلّ منهم بهبة خصّه بها التيّار وميّزه بها عن سواه؛ حيث إن كلّاً منهم يعيش تجاربه الخاصة التي تحمل له الأفراح أو الأتراح. وبفضل تلك الهبات الخاصة، تحوّلت حياة بعض أولئك الأبطال إلى جحيم. فها هي سايرا تعاني بسبب هبتها التي لم تمنحها سوى الألم؛ حيث إنّها تشعر بالألم بشكل مستمر، ولا تتخلّص من ألمها ذاك إلا حين تسكبه في روح أي شخص تلامسه أو تمسكه، حتى بات الاقتراب منها بمثابة لعنة عليها وعلى من يقترب منها في آن واحد. ولاسيما بعد أن صار أخوها الملك رايزك يستغلّها لإيذاء أعدائه... حتى باتت تتجنب الآخرين كي لا تكون سبباً في إيلامهم أو هلاكهم... أمّا الملك رايزك فكان يحسن الاستفادة من هبته التي تتيح له الولوج إلى عقول الآخرين، وتمكّنه من التحكّم بمصائر الجميع إلى أقصى حدّ...

غير أنّ القدر يأبى أن يترك سايرا وحيدة وهي تعاني من ألمها بمفردها، فيمدّ لها خشبة الخلاص المتمثلة بالخادم والأسير أكوس؛ فهو الوحيد في العالم القادر على تخليصها من ألمها من دون أن يتأثر سلباً بهبتها المؤذية تلك، ومن دون أن ينتقل إليه ألمها. وشيئاً فشيئاً، تولد علاقة بين سايرا وأكوس تتخطى علاقة سيدة بخادمها؛ وتسمو إلى علاقة إنسانية مميزة تجمع بين روحين، وتغيّر قدرين، وربما تغيّر مصير المجرّة برمّتها...





الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com





ISBN: 978-614-01-2437-0